الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية

www.aiacademy.info | care@aiacademy.info

البعد الخامس

التصميم الحضري - أجواء المدينة

هشام جلال أبو سعدة
د.عبير الشاطر

المكتبة الأكاديمية
ACADEMIC BOOKSHOP

البعد الخامس

"التصميم الحضري - أجواء المدينة"

92 عامًا من هليوبوليس (1905) إلى الرحاب (1997)

62 عامًا من التصميم الحضري

هشام جلال أبو سعدة

2018

بطاقة فهرسة الكتاب:

البعد الخامس: التصميم الحضري وأجواء المدينة. هشام جلال أبوسعدة. — ط 1 — الناشر: المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، (2018).

تدمك:

1. التصميم الحضري
2. أجواء المدينة

ب- العنوان

تدقيق اللغة : الأستاذ زكريا القاضي.
المنسق العام: الأستاذ طارق بدير.
تصميم الغلاف: عبير الشاطر.

رقم الإيداع: .....
الترقيم الدولي: ..... :ISBN

حقوق النشر ـــــ

الطبعة الأولى 2018م/ 1437هـ

حقوق الطبع والنشر: جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

لا يجوز استنساخ أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابي من المؤلف.

دعم هذا الكتاب بتمويل من مركز الدراسات التخطيطية والمعِمارية، أ. د./ عبد الباقي إبراهيم وشركاه، بيت خبرة في الهندسة الاستشارية.
www.cpas-egypt.com/AR/profile_ar.htm

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات.....6

مُقدمات تفصيلية.....11

افتتاحية فقدان الانفراد.....19

الباب الأول: الجو بيننا 25

ما هو البعد الخفي في عالم العِمارة والعُمران؟.....25
عالم الجوهر 25
البعد الخامس أجواء المدينة أو جوهر العِمارة والعُمران 27
أجواء ودية للأطفال في المدينة.....30
عالم العِمارة والعُمران 32

الباب الثاني: أجواء الخارج 35

الأجواء هي إمكانات خفية: حول المفاهيم 36
1. أجواء الأدب والفن 37
2. الأجواء في بعض الحضارات الغربية 44
طبيعة الأجواء المحيطة حسب بعض مفكري العالم الغربي.....46
3. الأجواء المحيطة كخبرة سابقة أو يومية بالمعنى النظري 47
4. الأجواء كخبرة لموقف خاص يتسم بالاستمرار.....48
5. الأجواء كتجربة يومية ووجود بدني ومفهوم رئيس لجودة الفضاء 49
6. الأجواء كمفهوم أساسي لجماليات جديدة 51
7. الأجواء كظاهرة ينبغي تحديدها حدسيًا 54
8. غموض مفهوم الأجواء المحيطة 57
الأجواء المِعمارية العُمرانية الحضرية.....59
9. الأجواء كظروف مادية وعناصر طبيعية 59
10. الأجواء كمبدأ توجيهي للممارسة المهنية 61
الديباجة قبل الأخيرة.....68

كيفية استكشاف وخلق أجواء المدينة 72

الباب الثالث: أماكن أم فضاءات؟ تلك هي المسألة.....75

هل من الأفضل أن نفهم المدن على أنها تشمل فضاءات أم أماكن؟ 75
الفضاء هو جوهر العِمارة والعُمران 77
1. الفضاء والمكان من منظور التأويل الفكري [الفلسفة الهرمينية 79
2. الفضاء والمكان كموضوع للجغرافيا 82
3. مفهوم المكان يتجاوز جغرافيا الموقع، ويصل إلى طبيعة الوجود..... 87
نظرية التجميع..... 87
4. الفضاء والمكان توابع للرغبات الإنسانية..... 88
5. الأَمَاكِنُ هِيَ فضاءات ذات معانٍ وأجواء 89
اللامكان..... 92
خُلاصة مُجمعة..... 95

الباب الرابع: الناس والمكان في المدينة.....97

استهلال..... 97
مفاهيم ومُصطلحات 98
الهوية والشخصية..... 98
1. الهوية الوطنية والإقليمية 99
2. هوية الحضر..... 100
3. هوية المكان واللامكان 102
4. شخصية المكان..... 106
تمامًا مثل المنزل..... 110
5. الارتباط بالمكان (التعلق/المودة) 112
6. الإحساس بالانتماء للمكان..... 114
7. الشوق للمنزل والحنين للأماكن..... 116
8. حب المكان (توبوفيليا 117
9. الإحساس بالواقعية 118
المكان كتجربة (أو خبرة)..... 119
10. الإحساس بالمكان..... 120
11. ذاكرة المكان 122
12. القطع المُتحفية الحضرية والمكان 125
المكان كمعنى..... 127
13. هوية المكان القائمة على أساس المعاني..... 127
14. روح المكان 128
15. موضع عبقري (عبقرية المكان)..... 129

الباب الخامس: مذهب التحضرالمُنفرد.....131

مدينة التفرد أو انفرادمدينة.....132
مذهب التحضر.....133
كيف تبني المدينة انفرادها؟.....134
المدينة عمل فني.....135

الباب السادس– مسارات حول "مدن انفراد".....145

المسار الأول: الوجود الشخصي والهوية والشخصية.....145
المسار الثاني: التباس مُصطلح الهوية.....150
المسار الثالث: الخصائص المُمَيزة والانفراد.....151

الباب السابع: البعد الأخلاقي والقيم الإنسانية.....153

استهلال.....153
الأخلاق.....154
العلاقة بين العِمارة والعُمران والأخلاق.....155
ثلاث حركات فكرية.....156
1. *حركة الحداثة*.....156
2. *حركة ما- بعد الحداثة*.....158
3. حركة الوحشية.....159
تساؤلات وحوارات.....162
ماهية القيمة حول المفاهيم والدلالات.....165
خاتمة.....169

الباب الثامن: نماذج فكرية غربية سائدة.....171

المدينة كيان تقني معلوماتي.....172
المدينة هي سلعة [صنع الأماكن الشهيرة].....177
مدينة ريادة فى الأعمال [المدنية كيان يعاد امتلاكه].....179
المدينة هي مكان تعدد الثقافات [الاختلاف والتنوع].....183
صناعة المدينة بواسطة الناس: تنمية حضرية عضوية.....186
المدينة في مقدمة مزاج العصر [الغموض].....187
اليوم في بعض النماذج الأوروبية في الفكر الغربي.....189

الباب التاسع: 92 عامًا من هليوبوليس إلى الرحاب.....195

استهلال.....195
من المعضلات البحثية لمقابلة المشاركين.....196

من معضلات البحث إلى حوار استجابات العينة: مناقشة..... 198
خاتمة..... 204

الباب العاشر: تغيير المسارات..... 205

لماذا يجب تغيير المسارات؟..... 205
أولا وقبل كل شيء..... 207
نهج عابر النماذج الفكرية التقليدية..... 209

الباب الحادي عشر: تمامًا مثل التصميم الحضري..... 215

في عالم التصميم الحضري [زائد]..... 216

62 عامًا من التصميم الحضري..... 217
الأجواء هي البعد الخامس..... 219

قائمة المراجع..... 221

كشاف الكلمات..... 243

مُقدمات تفصيلية

التمتع "بأجواء مِعمارية عُمرانية" أو "عِمارة وعُمران الأجواء" أمر ضروري؛ فهذا يعني ليس فحسب تقدير السياق الحضري في المجال العام وإدراك قيمته وإنما أيضًا تقدير قيمة الجو المحيط بالمجال العام.

في العام 2016، ذهبنا أنا وزوجتي الحبيبة في رحلة علمية طافت بأربعة مدن تقع في أكثر بلدان العام تمايزًا في أوروبا. بدأت الرحلة في جراتس، عاصمة ولاية ستيريا، وثاني أكبر مدينة في النمسا بعد فيينا. وانتقلنا بعد ذلك إلى أنقرة، عاصمة جمهورية تركيا، وكانت المحطة الثالثة في لندن في بريطانيا العظمى. وفي روما، عاصمة إيطاليا كانت رحلتنا قد انتهت. خلال رحلاتنا الأربعة، لاحظنا أن كُلّ مدينة زرناها كان لها أجواء مُختلفة، كما كانت كُل منها تتمتع بروح فريدة من نوعها. وعلى الرغم من الاعتراف بهذا، فنحن لم نُدرك بحق ما الذي جعل مشاعرنا تتبدل عند زيارة كُلُ مدينة.

ففي الواقع، كُل مدن العالم مُشيدة بعناصر هيكلية مُتماثلة من مبانٍ ومساحاتٍ مفتوحة وحدائق وطرق وشوارع محلية، جنبًا إلى جنب مع الشعب. ومع ذلك، فكُل مدينة وعلى الرغم من تشابه عناصر التشييد كان لديها نكهة مُختلفة بالكلية، وفي المقابل، جدير بالقول، أن بعض مدن هذا العالم مُترامي الأطراف تفتقر بشدة لتلك النكهة.

في تصورنا، أنا وزوجتى، أن تغير مشاعرنا، كان نتيجة الجمال الكامن في جوهر العِمارة والعُمران والقطع المُتحفية التي أنشأها البشر وخلفها في المجالات العامة لكُلّ مدينة. فثمة في كُل مدينة على اختلاف نمطها المِعماري العُمراني وتكوينها الحضري تنوعًا في العلامات التجارية العالمية، وفي مراكز التسوق وأنماط الاستهلاك، مع وجود هذا التنوع في الأغذية والمشروبات، وداخل المراكز التجارية وفي شوارع المشاة والطرق الرئيسة والفرعية، وكذلك ثمة تنوع في بيئة البيع بالتجزئة وبين وحول الأنشطة الاجتماعية المُنتشرة في الكُل مكان بكثرة. وعلاوة على ذلك فهناك تنوع ملحوظ في المناظر الطبيعية الخلابة،

والشعور بالسلامة والاستقرار السياسي، فضلاً عن طبيعة الناس المُرحبة دائمًا والودودة. وبالتالي، من وجهة نظري، مثل رضانا الكامل عن المجال العام في أيّ مدينة هدفًا حيويًا في التأثير على مشاعرنا، وهو الأمر الذي جعلنا نتذوق روحًا مُختلفة في المدينة تمس العواطف والنزوات أو الخيال الجامح والتسلية والترويح عن النفس. وتميل الخصائص الباعثة للمُتعة في المدن لتدور حول كيفية إشراك "أنا" الناس (أو غرورهم الذاتي) في كُل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والبيئية والتجارية والوظيفية والزمانية في المدينة؛ ودونما النظر إلى أيّة قيود خارجية غير منظورة. ويتفق هذا الاعتقاد مع بعض ما قاله جون برينكرهوف جاكسون (1994, p. 159)عن كيف أن الأمريكيون العاديون لا يزالون يربطون شعورهم بالمكان مع بعض الأحداث والحواصل اليومية أو الأسبوعية أو الموسمية، والتي نتطلع إليها أو نتذكرها، ولكنهم يرون أن شعورهم هذا غير مُرتبطًا بالعِمارة والعُمران أو النُصب التذكارية أو المساحة المُصممة، ومن هنا فأنا لا أتفق كثيرًا مع الجزء الثاني من هذا التصريح، فأنا أرى أن تأثير العِمارة والعُمران الحضرية والقطع المُتحفية تأثيراتها جمة على المُشاهد، ولكن يجب أن نعلم أن كثير من الناس لايشعرون بمثل هذه الطريقة.

فبعد أن هبطت الطائرة في مطار هيثرو، انتقلت مع زوجتي إلى ممرات الخروج من المطار لدخول المدينة. لم نشعر أن شيئًا قد تغير، أو بدا غير اعتياديًا، أو غير تقليديًا؛ فكُلّ شيء تقريبًا موجود في بلادهم موجود أيضًا في بلدنا. وبالمثل، كان شعورنا بأنه ليس هناك شيئًا جديدًا حين صعدنا لمترو الأنفاق الأكثر شهرة في أوروبا، وحَتَّى حين انتهت رحلتنا بالوصول إلى الفندق ليلاً، وعند الذهاب لتناول الإفطار في مطعم الفندق في الصباح بدا كُلّ شيء مألوف بالنسبة لنا. وظللت أكرر لزوجتي "أن بلدنا أفضل بكثيرٍ جدًا من هذا البلد،" فما هو المُختلف؟

انتظرنا حَتَّى بدأت وقائع المؤتمر، وتابعنا العروض والمناقشات العلمية، كررت ثانية بصوت مرتفع يكاد يسمعه من في الجوار أن بلادنا ترقى لهذا المستوى، وإن كانت في كثيرٍ من الأحيان تتجاوزه؛ ففي لندن هم ليسوا أناسًا مُترفين؛ أما نحن فشعب يهوى الترف. وبعد انتهاء الجلسات العلمية الافتتاحية، وفي فترة ما بعد الظهر، قررنا أن نترجل في جولة في وسط مدينة لندن.

وكالمعتاد، أخذنا طريق المشاة إلى أقرب محطة مترو أنفاق، ويكاد الملل يقتلنا. حَتَّى هذه اللحظة، ما زلنا نحمل على كاهلنا ذلك الشعور الذي ألم بنا منذ بداية الرحلة، وحين

وصل القطار محطته، وسط مدينة لندن، تحركنا ببطء عبر الدرج الصاعد لنخرُج من النفق الضيق، واتجهنا إلى واحدة من البوابات التي تصلنا مباشرة حيث مُنتصف شارع أكسفورد. ذهب أصدقائي أولاً، وخرجت أنا ببطء، فجأةً، تغير كُلّ شيء، وصُدِمت. لقد وجدت نفسي في عالم آخر، وتغير الحال من شدة الملل إلى ذروة النعيم.

في الواقع، من أول نظرة، لم أجد أيّ تفسيرًا لهذا التحول المُباغت في المشاعر، وبدأت في التقاط صور المكان، وأحسست بسعادة غامرة تلفني. ونتيجة لذلك، كررنا الزيارات إلى هذا الشارع الأكثر شهرة في لندن، وإلى الشوارع القريبة؛ ذهبنا أيضًا إلى ساحة بيكاديللي سيركوس، المجال العام الأكثر شهرة في أوروبا، ركبنا الحافلة ذات الطابقين، وتبدت المدينة لنا من الطابق الثاني وتبدل شعوري تمامًا، ولم يعُد لديَ أيّ شك في أن هذا البلد يمتلك روحًا فريدة من نوعها تختلف عن أيّ مدينة مِصرية أو حَتَى أيّ مدينة أوروبية أخرى زرتها في حياتي. وبعد تعدد الزيارات لضواحي لندن، رأينا نهر التايمز وساعة بيج بن ومبنى البرلمان وعين لندن وطفنا في السياق المحيط بها. وبعد ذلك ذهبنا لزيارة قصر باكنجهام ورأينا حديقة القصر، ومن هناك ذهبنا للمنطقة الشمالية، ثم لمنطقة جرينتش، وركبنا التلفريك لرؤية جزء من المدينة من الأعلى. مرة أخرى، عُدنا فسرنا في بوليفارد لندن الذي قادنا إلى متحف مدام توسو، وفي المساء ذهبنا للحي الصيني في مركز المدينة. وتكون لدينا بمرور الوقت يقينًا من أن ثمة شيء مختلف في هذه المدينة الخلابة.

وتذكرت أن هذا الشعور تكرر مرارًا ولكن بشكل مُختلف حين زرنا بلدة جراتس، المدينة التاريخية في النمسا، كما أنه حدث بطريقة أو بأخرى خلال زيارتنا لمدينة أنقرة القديمة في تركيا، وبدا هذا الشعور مُستمرًا حين مررنا بالامتدادات الحديث للمدينة. أيضًا، بدا هذا الشعور واضحًا جدًا في المنطقة التاريخية في وسط مدينة روما، وليس فقط أمام الكولوسيوم، وإنما أيضًا في كُلّ مكان في الشوارع والساحات المفتوحة، ليلاً ونهارًا. وأعتقد أن هذا الشعور قد تكرر، من وجهة نظري، ليس فقط بسبب الأفكار المبتكرة في العِمارة والعُمران الحضرية والقطع المُتحفية ولكن أيضًا نتيجة لروح المكان الذي يرتكز في أساسه على معايير القيم الإنسانية أو الإعدادات السلوكية للشعب الذي يُركز على الأخلاق. كما أن هذا الشعور ينشأ–كما أشار بعض المعلقين–لسببين هما إتقان العمل والتقادم patina (ما يُكتَسَب بمرور الزمن)، ومن الجدير بالذكر أيضًا أن هناك الكمال في التنفيذ، كما كتب جون ديوي (1934) عن أن هذا الشعور:

لا يمكن قياسه أو تعريفه؛ بل أنه معنيًا بالذين ينظرون ويتمتعون بالمُنتج الذي يتم تنفيذه. وأضاف: فالكمال يُمكن تحقيقه باستخدام الآلة أكثر من الفن الإنساني. فهو في مُعظمه يعتمد على التقنية، وهناك فنانين عُظماء غير مُصنفين في المرتبة الأولى كفنيين (والشاهد سيزان)، تمامًا كما أن هناك أداءً عظيمًا على البيانو الذي لا يتمتع بجمال عظيم، وكما أن سارجنت لا يُعد رسامًا عظيمًا.
(Dewey, 2008, pp. 52, 54)

وهكذا، فإن هذا الكتاب يضع حججه ويبنيها على أساس الفهم الصحيح لمفاهيم القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة. فهذه الفكرة لا تزال حيوية في الوقت الحاضر بسبب آثارها الحقيقية على سكان الحضر في المستقرات البشرية في مصر، حيث أن كليهما (القيم والأخلاق) لا تزالان تؤثران على تغيير أنماط السلوك البشري، وبالتبعية تتغير معهما عِمارة وعُمران المدينة. وعلى الجانب الآخر، يبدو العكس صحيح حيث التغيير في عِمارة وعُمران المدينة سيغير بالضرورة من القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة. في الواقع، يدعي المؤلف أنه اجتهد حَتَى تخيل افتراضًا أن القيم والأخلاق لا يمكن بمُفردها أن تجعل من المدينة المِصرية شيًا مُنفردًا أو فريدًا من نوعه. فاليوم، لخلق عِمارة وعُمران مدن مصرية جديدة مُتمايزة، وجعلها "مدينة انفراد" على أساس احترام تأثيرات القيم الإنسانية والأخلاق ينبغي معه تطبيق تخطيط حضري صحيح ومعايير تصميم تجعل المدينة ذات انفراد. وتحتاج هذه الأفكار بشكل أساسي إلى النظر في أهمية تحقيق أو تفعيل نهج التصميم الحضري مُتعدد الاختصاص، فضلاً عن ذلك ينبغي مراعاة ما الذي يجعل مدينة ذات انفراد.

وكما قلنا أعلاه، كيف ينبغي أن تُفعل الأشياء لكي يُصبح كُلّ شيء على ما يرام؟ ما هي الفنيات المطلوبة؟ والهدف من ذلك إذًا هو دحض الحجة القائلة بأن فقدان شخصية وهوية المدينة المصرية يعود إلى عدم اتباع القيم الإنسانية والمعايير الأخلاقية السائدة في الثقافة المصرية. وعلى وجه الدقة، فإن ما يحدث اليوم فيما يتعلق بمستوى العِمارة والعُمران في المدينة المصرية الجديدة يشير إلى أن فقدان الشخصية والهوية يُعزى إلى أسباب تمايز أخرى، وربما هناك أسباب ليست معروفة حَتَّى الآن، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالمدن الحضرية، مُفترضين أن هذا هو السبب الرئيس في فقدان بعض المدن المصرية شخصيتها.

ويعني هذا الكتاب بأنه لعل ثمة سببًا رئيسًا آخر وراء فقدان تلك الشخصية هو أن تخطيط وتصميم المدينة المصرية لا يزال مرتكزًا على الاعتبارات التي ظهرت في الغالب في النماذج الغربية التقليدية، كما هي، ودون أخذ أيّ اعتبار للتكيف مع طبيعة شعب كُلِّ مدينة مِصرية. ويتضح ذلك من خلال مراقبة مُنتجات حركة البناء اليوم ومقارنتها بما كانت عليه في العصور التاريخية السابقة، والتي كانت تهتم بفهم روح شعب كُلِّ مدينة. وبوجه خاص، يعرض هذا العمل محاولة لإثبات أن فقدان شخصية وتفرد المدينة يشير إلى فقدان معنى روح المدينة وصنع أجواءها. وعلى الرغم من أن هذا المفهوم موجود في الأغلب الأعم من الأدبيات المصرية، سواءً أكانت على المستوى الدراسي أم في الممارسة المهنية، إنما يبدو أنه مفهوم لم يُبن حَتَّى الآن على أفكار علمية واضحة، وهو أمر حاسم في خلق معايير لجعل المدن المعاصرة فريدة من نوعها أو أن تمتلك انفراد.

وفي هذا السياق، ينصب تركيز هذا العمل على مفهوم "مدينة انفراد"، والتي هي مدينة قد ارتبطت، أو هي بالضرورة تنتسب للبيئة الحضرية التي بنيت فيها، وقد تنعكس فيها القيم الثقافية السائدة، ويمثل هذا الافتراض نقطة الانطلاقة الأولى لهذا العمل. ويستمد العمل الحالي وزنه من ذلك الافتراض؛ فالقيم الإنسانية و الأخلاق السامية تكادا تكون متقاربة ومتماسة في جوانب كثيرة على مستوى الأغلب الأعم من الديانات السماوية وحَتَّى في المعتقدات الوضعية للمجتمعات البشرية، ونتيجة لهذا التقارب وإن كانت مُنطلقًا لبناء المدن فسينشأ عنها عِمارة وعُمران متقاربة في المظهر. وهذا أمر مهم، ولكن من المهم بنفس القدر أن يظهر الانفراد في المدن المصرية الجديدة على الرغم من أن جميع المدن مُلتزمة دائما بتوصيفها، سواءً بخصائصها التقليدية أو المحلية.

ويمكن القول إن هذا العمل يدور حول الاستفسار بشأن تمايز شخصية المدينة المصرية مع شخصيات مدن أخرى مختلفة. وهو يقترح ذلك تأسيسًا على احترام الأخلاق الدينية والقيم الإنسانية. وهو يحتاج أيضًا إلى استخدام نظرية التصميم الحضري ارتكازًا على نهج تصميم عابر الاختصاص، والتي ينبغي أن تكون ذات صلة بثقافة المجتمعات المصرية المتحولة. وإلى جانب ذلك، ينبغي أن يكون ذلك متوائمًا مع الاختلافات الكبيرة فيما بينها وبين المجتمعات الغربية الأخرى.

ولذلك، فمن الجدير بالذكر أن إنشاء مدينة ذات ذاتية مصرية وهوية وشخصية سيكون من مُنطلق مفهومين هما "بصمة مدينة" و"المدينة علامة تجارية." فالمدينة كرمز تحتاج إلى أكثر من مجرد مراجعة مُتأصلة في مجالات العلوم الإنسانية، التي تتبع فقط مفهومات

الأخلاق والقيم الإنسانية، بل أنها تحتاج إلى مراجعة تُناقش مفاهيم الهوية والتعلق بالمكان (أو المودة تجاه المكان) والشعور بالمكان وروح المدينة ومكان عبقري والشخصية الحضرية.

ويحاول هذا العمل من خلال مراجعة تلك المفاهيم التركيز على الأفكار التي يمكن أن تجعل من المدينة المصرية الجديدة مدينة ذات انفراد. وبغض النظر، ففي البداية، لا ينبغي أن تتداخل أيّ اعتراضات بين الأفكار العربية والغربية، وبالتالي فإن الأفكار السائدة في تاريخ الفكر المِصري ونماذج الغرب الفكرية ينبغي أن تعمل معًا. وعلاوة على ذلك، يؤكد هذا العمل على صعوبة وجود نمط من القيم يتضمن مبادئ تمكن عِمارة وعُمران المدينة المصرية من أن يكون لها شخصية مُنفردة.

ومن ثم ينبغي أن يستعين العاملين على المدن الجديدة بمنظور تصميم معاصر، مع وضع تصور إدراك معرفي دقيق يأخذ في اعتباره ما يجري مع الفكر المتقدم بشأن صنع المقصود بمدينة انفراد. ولذلك، هناك ثلاث مساهمات يقدمها هذا العمل. الإسهام الأول أن الاحتياج لوجود المدن المِصرية المُختلفة يُعد ضرورة إنسانية، وأن هذه الاختلافات نابعة من مفهوم عِمارة وعُمران الأجواء؛ والتي تُمثل الحاجة المُلحة لمدن الانفراد.

علاوة على ذلك، مدن الانفراد، في الوقت الحاضر، ينبغي أن تمتلك علامات تُساعد على إدراك المدينة. والإسهام الثاني هو أن القيم الإنسانية لا تُمثل النهج الوحيد لخلق مدنة انفراد مُتمايزة. والإسهام الثالث هو أن مسألة مدن الانفراد تحتاج لتطبيق نهج تصميم عابر الاختصاص، والذي في الغالب يتأسس على مفاهيم متطورة من مثل "الجوهر" أو حقيقة إرث المدينة والتفاعل معه بمحبة.

حقيقة، أصابني هذا الكتاب في مُنتصفه بحيرة شديدة حين عُدت ونظرت بتمعن وبتأمل في بيئة العِمارة والعُمران المِصرية المُعاصرة الموجودة في المجال العام. وتعلقت حيرتي بمفهومين لا يزالان غير واضحين هما: الأجواء والانفراد فالأول هو عبارة عن مفهوم غير مُحدد بالكلية في عالم العِمارة والعُمران حتى الآن، في حين ظهر الثاني في مُنتصف الستينات استنادًا إلى كتابات ألدو روسي وكيڤين لينش وكريستيان نوربرج–شولتز، وهو مفهوم يبدو جليًا ومبنيًا على فكرة الاختلافات الواضحة بين الكائنات. وبصورة أكثر تمايزًا، سيكون المجال العام للمدينة بمعناه الاجتماعي والثقافي والمِعماري العُمراني هو محور تركيز هذا الكتاب الرئيس. فهذه الأدبية ستكشف كيف يمكن تشكيل الهوية والشخصية البشرية– للأفراد والمجموعات من سكان وزوار المدينة. ويحدث ذلك عبر فهم التأثيرات المِعمارية

والعُمرانية للمباني والمناطق المحيطة بها على شخصية وهوية المجال العام، لاسيما عن طريق تتبع الصورة المرئية والضبط السلوكي لما يُمكن تسميته "المكان الثالث."

ويشمل هذا العمل مسألتين حرجتين. تُناقش أولهما "أجواء المدينة"، في حين تقدم الثانية مفهوم "مدينة انفراد". ويفرد هذا الكتاب مساحتين أساسيتين يتناول في الأولى مفاهيم الأجواء والجو المحيط والمحيط بـ، فضلاً عن مساحة ثانية يُقدم فيها مفاهيم الذاتية والهوية والشخصية، والانفراد ومدن ومسارات الانفراد، ساعيًا إلى إدخال نهج جديد يتعلق بمُصطلح "مذهب التحضر المُنفرد". ويستعرض الجزء الأوسط من هذا العمل مفاهيم الأخلاق والقيم ويسعى إلى تحديد دورها في التأثير على هوية وشخصية المجال العام. ويعرض بعد ذلك بعض نماذج الغرب الفكرية السائدة في التخطيط والتصميم الحضري التي تستهدف صنع مدينة انفراد. وأخيرًا يقدم اقتراح ما يُسميه "نهج مدينة عابرة النماذج الفكرية"، والذي يتضمن افتراضات المؤلف حول كيفية تصميم المستقرات المصرية الجديدة، على أساس مفاهيم مذهب التحضر المنفرد ومدينة انفراد، وعبر تحقيق أجواء مُختلفة للمدينة.

افتتاحية فقدان الانفراد

مسألة منح المدن انفراداتها ليست رواية مُبتكرة، فالموضوع قيد النظر منذ وعى فكرة أن المدن للناس. ومع أن مبادئ تصميم المستقرات البشرية الجديدة قد تطورت، وإنما بعض من تلك المُستقرات فقد القدرة على تحقيق مفهوم التحضر المُنفرد، ولذلك يركز هذا العمل على بعض أسباب فقدان الانفراد.

ظهرت عِمارة وعُمران المستقرات البشرية التقليدية في البدايات المبكرة لنشأة المدن عبر تكراريات مُنظمة للعلاقة بين لبنات البناء، وبدت مُمَثلة في المباني المُفردة وواجهات البناء على مربعات قطع الأرضي والفضاءات الحضرية والتي أصبحت تسيطر تدريجيًا على التنظيم والتكوين الفراغي للمدينة. وبمرور الوقت بدأ كُلّ شيء يتغير، وأصبح تأثير الناس من ضمن العوامل الرئيسة في تغير شكل المدينة ومن ثم بناء هويتها وشخصيتها، فضلاً عن وعيها الفراغي. وهكذا يمكن القول أن تمايز هوية المدن وشخصيتها يكونان من خلال تتبع نوعين أساسيين من العلاقات الهيكلية: يتبين الأول في مظاهر النسيج الحضري، الذي يقوم على وضوح العلاقة بين الأبنية الفردية والجماعية والفضاءات الحضرية والمفتوحة في السياق الحضري المحيط، ويتم الكشف عن الثاني من خلال تتبع أنماط السلوك البشري الحاصل في الفضاءات الحضرية العامة والمفتوحة في المجال العام. وعلى الرغم من أن ذلك التمايز بين هذه المنتجات نشأ مَبنيًا على أساس طبيعة النسيج الحضري والعلاقة بين مكوناته، إلا أن الأخلاق والقيم الإنسانية في البيئات العربية تحديدًا ينبغي أن تكون دائمًا مصدر إلهام للمصممين الحضريين. فكليهما الأخلاق والقيم لهما ارتباط وثيق بالمحتوى الثقافي والمعاصر الذي يهيمن عليه، مما يجعل هذه المدن بالضرورة تتسم بخصوصية وتفرد مختلف عن المدن الأخرى في مناطق أخرى من العالم.

في السنوات الأربعين الماضية، مرت مِصر بمراحل إنمائية سريعة، ولاسيما في المستقرات البشرية الجديدة، والتي ظهرت على مدى ثلاثة أجيال. يتكون الجيل الأول من

مدن العاشر من رمضان (1975) والسادات (1977) والخامس عشر من مايو (1978) والسادس من أكتوبر (1980) ودمياط الجديدة (1980) والصالحية الجديدة (1982) وبرج العرب الجديدة (1997). ويضم الجيل الثاني مدن بدر (1982) وبني سويف الجديدة (1986) والنوبارية الجديدة (1986) والعبور (1990) والمنيا الجديدة (1991) والشيخ زايد (1995). أما الجيل الثالث فيشمل مدن الشروق (1995) والقاهرة الجديدة (2000) وأسوان الجديدة (2000) وأسيوط الجديدة (2000) وقنا الجديدة (2000) والفيوم الجديدة (2000) وأخميم الجديدة (2010)، وتأتي العاصمة الإدارية الجديدة (2015) لتُمثل نمطًا آخر من إنشاء المدن المتكاملة في الدولة المِصرية.

ويبدو أن هذه المدن نشأت، وقد تلاشت فيها الميزات التي تثبت تفردهم (فردانيتهم)، ذلك الانفراد الذي ليس لا يُفترض أن يكون ناتجًا عن ارتباط البناء الجديد بالبيئة المعيشية– مُتأثرًا بما ينعكس من مبادئ أخلاقية وقيم إنسانية ذات مضمون حضاري ثقافي مُعاصر، مُهيمنًا في هذه البيئات–بل ينبغي أيضًا أن يكون مرتكزًا على أفكار مِعمارية عُمرانية جديدة، تمكن دائمًا من تقديم مُنتج مختلف. كما يفترض هذا العمل أيضًا أن ما يزيد من احتمالات إنتاج مدن متشابهة–تكاد تصل لحد التطابق–هو ناتج سيطرة نماذج الغرب الفكرية التقليدية في مجال تخطيط وتصميم المدن متجاهلين النماذج المُبتكرة. وبالإشارة إلى عديد من بلدان الوطن العربي، يمكن القول بإنه خلال فترة بعينها من تاريخ العصر الذهبي الإسلامي، تركزت نشأة المدن على المُعتقدات العقلانية لتوليد الأفكار المبدعة والمبتكرة، فوهبت لكل مدينة تفردًا نمطيًا وتشكيليًا؛ مما خلق لها انفرادات خاصة بها وحدها. ورغم أن تباين الأفكار كان بالغ الوضوح، إلا أن ثمة ارتباطًا وثيقًا بينها، ذلك الارتباط الذي كان تابعًا لمفهوم الوحدانية الذي كان يُبعدها عن التجزئة والتفتت.

وجدير بالذكر أن مجال هذا العمل ليس مهمومًا فحسب برصد نماذج وأنماط بنائية وسلوكية متكررة، وما زالت موجودة باعتراف الجميع في المدن القائمة والتقليدية، وإنما يمكن أيضًا اعتباره واحدة من التحديات الكبرى، التي يفرضها المجال كامنة في محاولة استرجاع أو تتبع التأثير الذي قد أحدثه– بل ومازال يُحدثه– الاستخدام المتكرر لبعض نماذج الغرب الفكرية السائدة في اختصاص العِمارة والعُمران على غياب انفراد المدن. فعلى سبيل التذكير، تبدو النماذج البنائية في المدينة التقليدية في الأبنية، التي تعلي من قيمة توفير الخصوصية، المبينة لمبادئ تأثير حرمة الأماكن وحرمة الأشخاص والأنشطة داخلها؛ فالبناء حول فناء مركزي وأنسجة حضرية مدمجة وارتفاعات مبانٍ منخفضة وفق تغير استخداماتها ونمط

الإنشاء، بجانب المبادئ التي تُبين طبيعة المدينة العربية الإسلامية المُهتمة بالزخارف، وتصميم عِمارة وعُمران المجتمعات المحلية، المُعتمدة على ثلاثية تحالف المسجد وقصر الحكم والسوق. وتباينت معها بوضوح تلك النماذج الفكرية ذات العلاقة بمبادئ التصميم الحضري الغربية، والتي كانت جديدة في وقتها وأصبحت شعبية بمرور الزمن، مُنتجة لنماذج تصميم مديني، مثل: التخطيط الشبكي المنتظم، ووحدات الجوار السكني بمجموعات سكنية مطلة على فراغات بينية مفتوحة وتوجيه نحو الخارج، والاستعانة بمسطحات زجاجية كبيرة في الكتلة المفردة، والمباني المرتفعة والعالية وناطحات السحاب، مع هياكل هرمية مُتدرجة لوحدات تخطيط أساسية وشبكات طرق وفضاءات حضرية وبنية أساسية وتوزيع الخدمات المجتمعية التعليمية والصحية والترفيهية وفق اختلاف مستويات وحدات التخطيط الأساسية وتحديد مسافات السير.

هذا الكتاب له نظام مستقل يناقش فيه مسألة رئيسة هي انفراد المدن، وذلك عبر مقدمات تفصيلية وخمسة موضوعات هي: "الأجواء،" و"الأماكن،" و"الانفراد،" و"الأخلاق والقيم،" و"النمذجة الفكرية،" انتهاءً بفاصل عن "ممارسة التصميم الحضري" ويتضمن تطبيقات تغيير المسار والدروس المُستفادة والملاحظات الختامية. تغطي هذه المكونات التي تؤلف هذا الكتاب إحدى عشر مسارًا منفصلاً. يناقش الكتاب في المقدمات التفصيلية المشكلة والافتراضات والمعتقدات والنوايا والمفاهيم المقترحة والاستفسارات. ويفسر بعد ذلك رؤية هذا العمل والتي تدور حول أن الجو هو البعد الخفي وجوهر عالم العِمارة والعُمران وبعدها الخامس وهو الذي يقود نحو الانفراد، الذي تتبين ملامح فقدان انفراده فى المقدمة ومكونات هذا العمل وطموحاته. ويناقش ما ينبغي على المصمم الحضري أن يأخذه في اعتباره فى المراحل الأولى من تصميم أيّ مدينة جديدة. حيث أنه إذا استطاع المصمم الحضري أن يحقق جوًا مُختلفًا للمدينة، يؤثر على المقيمين والزوار، فإنه بالضرورة سينجح فى خلق مدن انفراد. ويُناقش الجزء الأول: "عِمارة وعُمران الأجواء"، ويتضمن البابان الأول والثاني عنوانان فرعيان، وهما: "الجو بيننا" و"أجواء الخارج". ويناقش الجزء الثاني: "أماكن المدينة"، ويتضمن البابان الثالث والرابع مفاهيم "الفضاء والمكان" و"المكان والناس". ويُناقش الجزء الثالث: "انفراد مدينة،" ويتضمن أربعة أبواب، يقدم الخامس الموضوع الرئيس لهذا الكتاب، والذي يُفسر شروط "التحضر المُنفرد"، ويعرض السادس ثلاث مسارات لخلق "مدن انفراد." ويقدم الباب السابع بعض "المعايير الأخلاقية والقيم الإنسانية"، ويعرض الباب الثامن بعض النماذج الفكرية الغربية الجديدة التي يُمكن أن تُساهم في تصميم المدن

الجديدة. ويأتي الجزء الأخير: "ممارسة التصميم الحضري،" ويتضمن ثلاثة أبواب، وقد كرس للتطبيقات؛ ويتضمن الباب التاسع الدراسة التجريبية "92 سنة من هليوبوليس إلى الرحاب"، أما العاشر فيقدم "62 عامًا من التصميم الحضري" ويتضمن: تغيير المسارات ونهج عابر النماذج الفكرية فضلاً عن الدروس المستفادة، ويقدم مفهوم "التصميم الحضري زائد،" وينتهي هذا العمل بالباب الحادي عشر وعنونته "تمامًا مثل التصميم الحضري."

استنادًا إلى تحليل محتوى الوثائق وبيانات المقابلات الشخصية يتناول هذا الكتاب كيفية استخدام مفهوم الانفراد كوسيلة لخطاب التجدد المحلي، وتتبعت تلك المخطوطة عنصرين ديناميكيين مترابطين، يتناول أولهما يناقش العلاقة بين مُصطلح "القطع المُتحفية الحضرية" و"المكان" لتأسيس مُصطلحي "مدينة انفراد" و"انفراد حضري". ثانيهما يوضح بعض محاولات التخطيط والتصميم الموازي والتي تتجاهل النماذج الغربية المهيمنة، وتكييفها مع متطلبات المدن المحلية لتكون فريدة من نوعها.

أما المشكلة الرئيسة التي يناقشها هذا العمل فهي أن هذا الشيء غير حاصل بشكل حقيقي في أرض الواقع، حيث يبدو أن "خاصية الانفراد" التي ينبغي أن تلتزم بمبادئ الأخلاق ومعايير القيم الإنسانية عند تخطيط وتصميم المدن العربية الجديدة أصبحت غير ملائمة وليست ذات أهمية. مُفترضًا هذا العمل أن السبب الرئيس وراء غياب هذه الخاصية اليوم هو أن تخطيط وتصميم المستقرات الحضرية الجديدة قد ركز توجهاته على الاعتبارات التي غالبًا ما تبدو أنها تميل إلى الثبات عتد الأخذ من النماذج الفكرية المِعمارية العُمرانية الغربية التقليدية، والتي كانت موجودة أساسًا في الفكرين الأوروبي والأمريكي، فحسب ما ذكره ليزلي سكلير (2006, p. 21) أن تلك هي الآثار العميقة لما بعد الاستعمار على العِمارة والعُمران ومذهب التحضر والهوية في جميع أنحاء العالم. ويبدو أن ذلك حدث نتيجة أن بعض المُصممين الحضريين ما زالوا مُتجاهلين أنه من الضروري عند تصميم أي مدينة عربية جديدة ينبغي أن يكون الغرض الرئيس هو إدراك أو استكشاف نماذج فكرية جديدة تهب كُلّ مدينة قصتها، فضلاً عن ذلك فإنه ينبغي التركيز على أن يتبع اختيار الأجزاء ذات الصلة والتي ترتبط بهوية وشخصية المدينة التي تسير جنبًا إلى جنب مع المفاهيم التالية: مذهب التحضر المُنفرد وانفراد مدينة وبصمة مدينة. علاوة على ذلك يستمد العمل الحالي أهميته من الافتراض القائل بأن الأخلاق السامية والقيم الإنسانية تكاد تكون متقاربة ومتماسة في جوانب كثيرة على مستوى الأغلب الأعم من الديانات السماوية وحَتَّى في

المعتقدات الوضعية للمجتمعات البشرية. ونتيجة لهذا التقارب–وإن كان مُنطلقًا لبناء المدن– فإنه ستنشأ "عِمارة وعُمران" متقاربة في المظهر. وبالتبعية فإن تلك المسألة تتطلب التعامل مع مُتغيرات القيم الإنسانية المُعاصرة من خلال طرح نماذج فكرية تتلاءم مع الفكر العربي المعاصر؛ بقصد تحقيق مفهوم انفراد حضري urban singularity.

وتدور مسألة هذا البحث حول مفهوم "فردانية المدينة" في المدن المصرية في الوقت الحاضر عبر ثلاث مجموعات من التساؤلات الذاتية والتلميحية والمنهجية. تبدأ المناقشة بتساؤلات ذاتية تتابع على النحو التالي: هل هناك أي مدينة بُنيت في الوقت الحاضر تمتلك هذا القبول النسبي الذي كانت تحظى به المدن التي شُيدت في عهود فائتة؟ وهل بمرور الزمن يمكن أن تحقق تلك المدن الجديدة التي تُنفذ بسرعة في مدن العالم العربي ما حققته التي شُيدت من قبل؟ ولِماذا لم تعد صورة المدينة الجديدة تفعل في الوعي الجمعي لناس المدينة–وهو موضع فعل انفراد المدينة–ما كانت تحققه المدن التقليدية والتاريخية؟ ولماذا لم يعد المشاهد–المقيم والزائر–يستشعر في وجدانه شيئًا عن مدينة الحاضر الجديدة غير أنها صور متكررة وتكاد تكون متطابقة مع المدينة الغربية؟

وثمة بعض الأسئلة التلميحية التي تقود إلى محاولة لفهم الأسباب الكامنة وراء غياب تأثير فردانية المدينة الجديدة على الوعي الجمعي لسكان المدينة: أهي بسبب غفلة غير مقصودة في مراحل التخطيط والتصميم المرتبطة بمراحل ظهور التفرد على مستوى بنية المدينة؟ أم هي بسبب فقدان القدرة على تفعيل الثوابت والمتغيرات في مبادئ ومعايير القيم الأخلاقية والإنسانية؟ أم هى بسبب أن هذه المدن لم تعد قادرة على تلبية متطلبات العصر الحديث وبما يتماشى مع مؤشرات وقواعد مفهوم الانفراد؟ وهو ما يدفع إلى تساؤلات لعلها تُمثل جوهر منهجية هذا البحث: هل هناك عِمارة وعُمران أخلاقية وعِمارة وعُمران غير أخلاقية؟ وما مدى صدق أو صحة تلك التسميات؟ ولماذا ينبغي التعامل مع مفهوم الأخلاق المرتبط بممارسة المهنة والمُنتج البنائى باعتباره مفهوم نسبى ولا يمكن الاعتماد عليه كمعيار لتقييم جودة البناء وتفرده؟ وكيف يُمكن اعتبار القيم الإنسانية المعاصرة القائمة على مفاهيم غربية اقتصادية–استثمارية كالقدرة التنافسية وتحقيق مدخول اقتصادي يمكن أن تتوافق مع القيم الإنسانية المجتمعية والمعتقدية العربية وتدفع بِإيجاد عمارة وعُمران مدينة عظيمة أو مدينة علامة؟ وكيف يمكن توظيف ثوابت ومتغيرات الأخلاق السامية والقيم الإنسانية لصنع انفراد مدينة؟ وأخيرًا ماذا إذا ستخدمنا مُصطلح "الفردانية" الشائع في مجال العلوم الإنسانية في

مجال التصميم الحضري لصنع مدينة انفراد؟

هذا التغيير في طريقة طرح الأسئلة قد يكون مُفيدًا لتعديل طريقة التفكير في تصميم المدن الجديدة. وقد يؤدي ذلك إلى البحث عن مقاربة جديدة، قد تمكننا من توظيف كُلّ ما تم دراسته والتحضير لإنشاء مدينة عربية حديثة وعصرية ولديها تفرد، أو ربما يعرض في كُلِّ مرة مدينة لم يسبق لها مثيل. ويستخدم هذا العمل نهجًا استقرائيًا يقوم على طرح الأسئلة والبحث عنها في مصادر موثوقة، مُستخدمًا طريقة تحليل المحتوى من بعض الأدبيات والوثائق المتاحة. كما أنه يقوم بتحليل بعض آراء المواطنين الذين يحيون فى المدن التقليدية والجديدة لمعرفة مدى إدراك الفروق بين المدن العربية التقليدية والجديدة من جهة والمدن الأوروبية من جهة أخرى من منظور مفاهيم الهوية والتفرد والمدينة بصمة.

ويمكن إيجاز تتابع مناقشة قضايا هذا البحث على النحو التالي: 1) تستحق المدن الجديدة في العالم العربي حسب مفهوم "مدن انفرادية"، أن تكون مُختلفة. في حين – أنه في الواقع وإلى حد كبير – قد تم بناء مدن جديدة بدت متشابهة مع بعضها البعض في العالم العربي من ناحية، ومع المدن الغربية المعاصرة من ناحية أخرى؛ ولا يزال البناء المتشابه مُستمرًا. 2) هذا التشابه لا تجده فقط في أشكال وتشكيلات المباني والبيئة المحيطة، وإنما هو موجود أيضًا فيما يخُص المحتوى الاجتماعي؛ لاسيما في المجال العام (المكان الثالث)؛ مما أدى إلى تغييرات مِفصلية في سلوك الناس والمكان، وكذلك في الأنشطة والأحداث الجارية وغيَّر من طريقة الحياة فى المدينة. 3) نمت تلك المدن العربية الجديدة واتسعت بشكل بارز، ولم يعد المشاهد المُعاصر–القادم من أيّ مكان، مهما كانت جنسيته– يلحظ تلك الهويات، التي كان يفرضها السياق المجتمعي وفق الأطر الاجتماعية والثقافية والمعتقدية في الماضي. 4) ومنذ أن اتكأت المدينة العربية المُعاصرة واستراحت، آخذة من العلوم الغربية أفكارها ونظرياتها ونهوجها وتياراتها الفكرية الجديدة، انعكس ذلك على طبيعة المدن – مع اعتبار أن الاقتباس من تلك النماذج غير مرفوض كُليًا – وإنما لكونه اقتباسًا جاء مغيرًا لكُل أو بعض إسقاطات مبادئ القيم الإنسانية الكامنة ضمنًا في الثقافة العربية، كما جاء أيضًا مُغيرًا في الهويتين البنائية والسلوكية للمدينة؛ نتيجة الأخذ المباشر والصريح من الغرب، دون إضافة أي تحفيز، يمت بصلة لحقيقة الوضع الراهن. إذًا فلابد من إجراء مراجعة دقيقة لبحث كيفية تغيير التعامل مع تلك النماذج الفكرية، بما يتواءم مع الفكر العربي.

الباب الأول: الجو بيننا

تُعد العِمارة والعُمران مكانًا لكافة ما هو دائم ومُستقر في مُعتقدات الناس وَالْعَصْرِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ الأَحْيَانِ، وَفِي فترة تغيير قوية، وعندما يُهدد كُل شيء الآخر ليتسلط، فإن لُغَةُ حِجَارَتِهَا الرَّسْمِيَّةِ سَتَتَحَدَّثُ مِنْ أَجْلِ الدَّعْمِ. أَوْجَسَتْ شمارسوه (1994, p. 295)

ما هو البعد الخفي في عالم العِمارة والعُمران؟

جو المدينة هو البعد الخفي في عالم العِمارة والعُمران وهو الجوهر. الجو هو البعد الخامس مثله مثل الزمن كبعد رابع، فعلى الرغم أنهما بعدين غير ماديين أو مرئين فكليهما يلعبان دورين رئيسيين في تصميم المدينة. وبناء على ذلك، وفي مراحل إعادة تشكيل المدينة الحالية أو تصميم المدينة الجديدة فإنه ينبغي على المصمم الحضري أن يقوم ببناء مُعتقداته من خلال التركيز على المبادئ التوجيهية التي لا تحترم وجود الأجواء فحسب، بل تساعد المصمم على خلق جو مختلف، وبالتالي يخلق مدينة مُنفردة. أفترض أن جو المدينة يعني جوهر العِمارة والعُمران، وأعتقد أيضًا أنه يمكن اعتباره البعد الخامس في تصميم المدينة. ويدور سؤال هذا الباب حول كيف يمكن تحفيز المِعماريين على التعامل مع أربعة مفاهيم محورية، تكاد تكون على اتصال دائم، وسواءً أكان هذا الاتصال مرئيًا أو مخفيًا؟ تلك المفاهيم الأربعة هي: عالم الجوهر، والبعد الخامس: أجواء المدينة أو جوهر العِمارة والعُمران والأجواء صديقة الطفل [لخلق مدن التفرد]، وعالم العِمارة والعُمران.

عالم الجوهر

فعلى الرغم من أن مفهومنا التقليدي للجوهر أنه شيء يمكن التعامل معه باستمرار، فإنه لا يزال أيضًا كائنًا داخليًا وضمنيًا وغير مرئيًا، وسوف ينعكس ذلك عبر سلوك المرء ومواقفه اليومية. وهكذا، فإن تتبع تجربة حياة الفرد سوف تكشف عن جوهره، وعلى أساس هذه المعرفة يمكن الحكم على شخصيته، وبالتالي توفير إمكانية تسليط الضوء على طبيعته في الجدية والفكاهة، وفي العمل والراحة، وفي علاقات الحب والصداقة. ويركز التالي على تفسير معنى "الجوهر" بشكل عام، وعلى الأرجح سوف تُساعد تلك المعرفة بعد ذلك في تسليط

الضوء على مفهوم "الجوهر" في عالم العِمارة والعُمران. ينطوي الجوهر على البعد الخامس في العِمارة والعُمران، والذي يتبع الأبعاد المادية الثلاثة والزمن كبعد رابع. ويمثل "الجوهر" البعد الحقيقي الذي يخلق الحالة العاطفية للإنسان تجاه كُلّ شيء، ويمكن قياس هذا البعد باستخدام الأساليب الحديثة للتصميم الحضري. وفي المرحلة المبكرة من هذا العمل، وحسب ما أشار إليه بيار هادوت (1995, p. 76) أن الجوهر من بين أكثر المفاهيم المُلتبسة والمُرْبِكة، والذي يبدو معه أن التفسير النهائي لمفهوم الجوهر ما زال مطلوبًا.

- يُشتق الجوهر من الصفة اليونانية أوسيا ousia والتي تأتي بمعنى المضمون، والذي هو جوهر الشيء حسب أرسطو، ونقلاً عن نورمان دال (1997, p. 241). كما يعني الجوهر أيضًا حسب القس وليام وينسترووم (2005) الطبيعة الداخلية والمادة الحقيقية وصفات الشخص أو سماته. فجوهر الأشياء هو ما يكمن بين الأفكار المُجردة والملموسة، أما الأفكار المُجردة حسب ما جاء عند أفلاطون هي الكيانات المثالية التي تلتقط جوهر الأشياء (Saitta & Zucker, 2013, p. 12)، والتي تحدد طبيعة الأشياء. فضلاً عن أن هذا الجوهر هو ما يحُدد كيف ستتصرف الأشياء أو ما ستكون عليه الأشياء، حيث الأشياء بدون جوهر تفقد هويتها.
- ويمكن القول إن الجوهر هو ببساطة أصل الشيء وليس مظهره، فجوهر الإيمان في الأديان التوحيد، وجوهر العبادة الإخلاص، وجوهر الإنسان هو الأنا العليا؛ أيّ الضمير، وحيث المبادئ التي تؤدي إلى حياة أفضل يمكن الحصول عليها، وهناك جوهر العمل المثالي، في حين أن أجواء الفضاء والمكان من وجهة نظرنا هما جوهر العِمارة والعُمران، والذي يعني أجواء المدينة صديقة الناس.
- فالجوهر كيان مستقل أو ما هو عليه الكائن، أو شيء موجود إلى الأبد، فقبل فلسفة سقراط كان الجوهر أصل كُلّ الموجودات، والمبدأ لكُلّ الأصول، وحقيقة الشيء ومعناه، والشيء الأساسي الذي لم يتغير، ولا يحتاج إلى تحديد حقيقته أو إثبات وجوده للآخرين.
- ويُمثل الجوهر حسب مفهوم الجودة والخصائص المُميزة العنصر الدائم الأكثر أهمية والشكل المثالي أو الكامل للشيء، وهو يتناقض مع أيّ عنصر عرضي في الوجود، ويُمثل الطبيعة النهائية للشيء. وارتكازًا على الفكر الأرسطي، وفيما يتعلق بوجود صفات مُتغيرة في الأشياء، فالجوهر يُمثل الحامل والنموذج المثالي والشرط الضروري لتغيير الصفات دون أن يتغير، وهو الخصائص أو الصفات التي يمكن من خلالها وضع شيء ما في فئته المناسبة.

- مُعرفًا تشارلز تايلور (1975, p. 258) أستاذ الفلسفة والعلوم السياسية الجوهر بأنه المجال الذي نرى فيه الأشياء ليس فقط من تلقاء نفسها، "من غير إبطاء"، ولكن على أساس القواعد الضمنية، مُشيرًا إلى أنه "عالم الوساطة." وفي السياق نفسه، استنادًا لمعنى هيجل يُعد الجوهر "وسيط لا مفر منه، أيّ أننا لا نستطيع الوصول إليه إلا عن طريق آخر: فنحن نأتي للجوهر بواسطة التفكير في الوجود، ورؤية أنه لا يكفي لنفسه، وبالتالي الرجوع إلى أبعد من ذلك وإلى ما يكمن وراء ذلك.
- وحسب ميليكا موميونوفيتش (2015, p. 302) يعني الجوهر أيضًا أيّ كيان سيمتلك وجوده، وخاصية أو شخصية أو طبيعة صرفة، والتي تُميزه عن كُلّ الأشياء الأخرى. وهكذا فإن الجوهر يُستخدم للتمييز بين الأشياء، وأن طبيعته عالمية ومُجردة وثابتة وأبدية ومِثالية وتنتمي إلى عالم التعالي. وعلاوة على ذلك، فالجوهر يُحدد "ما هو الشيء"، وأن أيّ تغيير في الجوهر حسب ملاحظة موميونوفيتش سوف يحدد النقطة التي يتوقف عندها الشيء ليحل موجودًا أو يتحول إلى شيء آخر.

وهكذا فالجوهر مفهوم مُربك ومُحير ويحتاج باستمرار لتفسيرات منطقية، تختلف تعريفاته من كونه مضمون وكيان مستقل وشيء دائم للأبد ونموذج وشكل مثالي أو كامل من الشيء. وهو يُغير ولا يتغير، وخصائص أو صفات، ووسيط لا مفر منه، ومجال يتضمن الشيء ويُميز بين الأشياء، وينتمي إلى عالم التعالي. ويعكس الطبيعة الداخلية والمادة الحقيقية وصفات الشخص وسماته، ويكمن بين الأفكار المُجردة والملموسة، ويهب الأشياء هويتها، وأصل الشيء وليس مظهره، ويُمثل الطبيعة النهائية للشيء.

البعد الخامس أجواء المدينة أو جوهر العِمارة والعُمران

أصدرت في العام 2016 كتابي المعنون *العِمارة والعُمران إلى الأبد: عالم العِمارة والعُمران عبر الفكر الغربي مُصطلح مُمتد*، وذكرت في هذا الكتاب أن الفضاء هو جوهر العِمارة والعُمران. كما أشرت في هذا الكتاب أيضًا إلى أن مُصطلح "عِمارة وعُمران" واسع الانتشار ومقبول جدًا، ويعطي مرجعية الإشارة إلى فن وعلم استثنائي فيما يتعلق بفن المدينة، بادئًا من مِلعقة وطبق وكُلّ بند أثاث، ومُتوسعًا خارج المنزل بداية من منزل كشك حارس في حديقة حَتَّى الحديقة نفسها، وصولاً لناطحات السحاب والبنايات الضخمة على نطاقٍ واسع، بل ويتعلق بكُلّ ما ينشئه البشر على هذا الكوكب (Abusaada, 2017, p. xii). وأواصل في هذا العمل تتبع مسألة الجوهر في عالم العِمارة والعُمران، مُتتبعًا البحث في مكونات البيئة

المُشيدة المادية وغير المادية عن الجوهر، وكيف يُمكن أن يكون الجوهر هو البعد الخامس في العِمارة والعُمران؛ ويكون هو الأجواء. يتعامل بعض الناس اليوم مع العِمارة والعُمران باعتبارها كائن حي يتكون من روح (الجوهر النفساني) وجسد (الجوهر المادي)، وكليهما يحملان خصائص الأبعاد الأربعة (الطول والعرض والارتفاع والزمن).

أما البعد الخامس–حسب افتراضي–يخدم الجانب المُرتبط بعبارة "روح العِمارة والعُمران"؛ أو ربما يعني ضمنًا معنى مُصطلح "الأجواء"، والذي يعتمد على المعرفة المُسبقة والحدس، أي كيف يكتشف المرء هذا الإحساس من خلال حواس البشر قبل أن يحدث الوعي عبر أيّ تفكير بشري. أما الافتراض الثاني فيتناول الجوهر باعتبار أنه السبب الرئيس وراء هذا التقارب بين الإنسان وكُلّ شيء آخر في الحياة، سواءً أكان طبيعيًا أم من صنع الإنسان. وكلما غلبت هيمنة الجوهر أصبح سبب الرفض أو القبول أكثر وضوحًا بالنسبة للناس العاديين. ولذلك فإن الجوهر من وجهة نظري لا يمكن استخلاصه من الدلالات الصريحة الناتجة عن الرؤية والسمع والطعم واللمس والرائحة فحسب، وإنما أيضًا يُستخلص من خلال استثارة الحدس وحسب التجارب القبلية لكُلّ شخص.

تلك المسألة ليست بهذه البساطة، ففي الغالب جوهر العِمارة والعُمران يرتبط دائمًا بالوعي الداخلي والعواطف، وعلى الرغم من ذلك فإن المِعماري لا يمكنه أن يخلق هذا الجوهر بمجرد تلبيته لمُتطلبات الجوانب المادية، أو حتى بامتلاكه القدرة على التعامل مع تلك الأبعاد المادية بسهولة ليؤثر على المشاعر.

وعلاوة على ذلك، إن كان الافتراض الذي يركز على قدرة المعماريين على التكيف مع الجوانب المادية التي تؤثر على العواطف بات مقبولاً اليوم فإنه لا يزال الجزء الخفي الذي يتعلق بعواقب أيّ تجربة بشرية سابقة يُعد لغزًا. وجدير بالذكر، وفي ثمانينيات القرن الماضي أن تشارلز چينكس (1980) وكريس أبيل (1982) ومايكل هيرزفيلد ومارجو لينهارت (1982) رفضوا فكرة أن العِمارة والعُمران لها جوهر. وبالإشارة إلى رفض بعض النقاد الكامل لهذا المفهوم، أوضح أبيل أنهم يرون أن العِمارة والعُمران عبارة عن تركيب من العديد من العوامل والاعتبارات المُختلفة المُتغيرة (Abel, 1982, p. 1). وفي نفس السياق يرى تشارلز چينكس (1980, p. 76) أن العِمارة والعُمران صيغة غير قابلة للتجزئة، وهي هجين غير مُستقر يرتكز جزئيًا على شِفرة خارجية لنفسها، مما يجعلها تستخدم ممارسات أخرى مثل علم الهندسة وعلم الاجتماع، وما إلى ذلك، وفي توليفات فريدة. أما جوهر الكيانات حسب

هيرزفيلد ولينهارت (1982, p. 166) فتمثل بواسطة مجموعة من البيانات غير الشخصية، إشارة إلى بعد واحد من معاني الكائنات، كما اختُبِرَت وفق التقارير الشفهية للمدعى عليه.

ويفند الشرح التالي آراء بعض المُفكرين الذين أشاروا إلى أن العِمارة والعُمران لها جوهر كامن مُتعدد الأوجه:

- خلال القرن الأول قبل الميلاد، ومنذ البدايات المُبكرة لفهم عالم العِمارة والعُمران، وتحديدًا في كتابات ماركس ڤيتروڤيوس بوليو (.B. C 25-70)، هناك إشارة للمبادئ الستة التي تشكل العِمارة والعُمران: النظام والترتيب والتماثل والإيقاع والملاءمة والاقتصاد، وبعد ذلك يبدو أن فيتروفيوس هو أول من أشار إلى أن العِمارة والعُمران لها جوهر، وأن هذا الجوهر يتكون من الثالوث الشهير المتانة والمنفعة والجمال.
- وعلى مرّ التاريخ برز العديد من المفكرين الذين ربطوا بين "جوهر العِمارة والعُمران" و"روح المكان" لفهم "جو البيئة المُشيدة"، وتحديدًا في الفترة ما بين الثمانينات والتسعينيات كان منهم كريستيان نوربرج–شولتز (1971؛ 1980) ويورن أوتزون (1984) وجون برينكرهوف جاكسون (1998)، مارك ويجلي (1998)، وماريا ليويكا (2008)، وفيما يلي توضيح لبعض من آرائهم تمهيدًا لمناقشة هذه المسألة بتوسع في الباب التالي.
- فلا تُشير استمرارية روح المكان فقط حسب نوربرج–شولتز (1971, p. 160) إلى البيئة المُشيدة بل أنها تعكس الأجواء، والتي يمكن العثور عليها كامنة في خصائص الموقع الطبيعية سابقة لفعل البناء. وهو يعتقد أيضًا أن روح المكان تُعطي الحياة للناس والأماكن، تلك الروح التي ترافقهم من الولادة وحَتَّى الممات، فضلاً عن أنها تحدد شخصيتهم وجوهرهم (Norberg-Schulz, 1980, p. 18).
- وتطور مُصطلح "مكان عبقري" بواسطة نوربرج–شولتز استنادًا إلى مفهوم العبقرية لوصف المكان والجوهر، حيث المعاني التي يتم تجميعها عن المكان تُشكل "عبقرية المكان". كما أنه استخدم مفهوم "الجوهر الأبدي" لوصف المكان وسبل البناء والحفاظ على صفات الموقع الذي أصبح مكانًا. ويرى أوتزون (1918-2008) في دليله على شبكة المعلوماتية العنكبوتية (1984) أن جوهر العِمارة والعُمران تشبه بذور الطبيعة، وأشار إلى أن الشفافية في مبدأ النمو كما وجدت في الطبيعة ينبغي أن تكون مفهومًا أساسيًا في عملية العِمارة والعُمران. بيد أن بذور العِمارة والعُمران، وعلى خلاف الطبيعة، ذات جوهر ثابت، وينبغي على المرء آن يكون مُلمًا وعلى بينة من كيفية اعتماد الحلول والتفاصيل على الزمن الذي تُنشئ فيه. فضلاً عن أن المِعماري ينبغي

عليه أن يستخدم حواسه بشكل مكثف وبكُلّ هذا التدريب لقدرته لخلق أشكال جديدة. وفي السياق يعتقد جاكسون (1994, p. 161) أن مُصطلح "موقع عبقري" يصف جو المكان وخاصية بيئته، كما يرى أن الصفات المرتبطة بشعور المكان هي وعي حي من البيئة، وهي مألوفة وتُعبر عن تكرار الطقوس وروح الصُحبة الذي يعتمد على التجربة المشتركة. وعلى الرغم من أن الجو يمكن اعتباره جوهر العِمارة والعُمران فإن مارك ويجلي (1998) يعتقد أنه ليس من السهل تعريفه، ناهيك عن بناءه أو السيطرة عليه. وتصف ليويكا (2008, p. 211) مُصطلح "مكان عبقري" بأنه على الرغم من أنه شيء غير محسوس إلا أنه يمكن أن يُستخدم أيضًا لوصف "الشخصية الفريدة للمكان،" فضلاً عن معنى "هوية المكان."

أجواء ودية للأطفال في المدينة

يطرح هذا العمل افتراضين للإجابة على سؤال هذا الباب المهم: ما هو البعد الخفي في عالم العِمارة والعُمران؟ يفترض أولهما أن أجواء المدينة المُحيطة هي التي تُشكل "جوهر العِمارة والعُمران،" وأن هذا الجوهر يمكن اعتباره بعدًا لا ماديًا، ويشكل البعد الخامس في العِمارة والعُمران. ويستوجب الاهتمام بهذا البعد غير المادي التفكير المتلازم مع تلبية الأبعاد المادية الثلاثة [الطول والعرض والارتفاع] والزمن كبعد رابع غير–مادي لاحتياجات صنع المكان أو المدينة. ويفترض ثانيهما أن ذلك الجوهر يلعب دورًا أساسيًا لخلق "روح المكان" في البيئة المُشيدة، والتي تنعكس تأثيراتها حسيًا على الناس فتسبب لهم إما البشاشة أو الكآبة.

ومن ثم، وانطلاقًا من أن البعد الخامس يتعامل في المقام الأول مع حواس البشر، رأيت أنه من الأفضل البحث عن وسيلة لاستكشاف كيف يُمكن صنع أجواء في المكان اعتمادًا على الحواس. وكان المدخل هو أن الأطفال يمثلون حالة بشرية غالب تعاملها يكون من خلال الحواس وتغليب المشاعر. فالأطفال لا يعتمدون في اختبار الناس، حبًا وكرهًا، على الحدس ولا على التجارب القبلية، وإنما يعتمدون في قبولهم لشخص أو كائن أو مكان على حواسهم. ولذلك يستند العمل الحالي في تتبعه لهذين الافتراضين على فكرة أن صُنع أجواءً ودية للأطفال في المدينة على الرغم من أنه يُمثل ضرورة وصعوبة في نفس الوقت، إلا أنه يمثل مدخلاً مهمًا يُمكن من خلاله اختبار أجواء المدينة، ومن ثم يُمكن من ابتكار طريقة لصنعها. وبما أن الأطفال يغلبون مشاعرهم انطلاقًا من حواسهم

قبل حدسهم فإن المُصمم لبيئة الطفل لا يحتاج لفهم التجربة القبلية عند الأطفال، والتي لن يحتاجها الطفل أيضًا ليقبل المكان أو أن يرفضه، لأنه لم تتكون لديه تجارب قبلية بعد. وفي هذه الحالة ينبغي على المُصمم أن يتعامل مباشرة مع حواس الطفل، وذلك التعامل هو أهم جانب في استشعار الأجواء، والذي يقوم على فكرة اختبار شعور الجسد والاعتماد على الحواس بدلاً من التجربة القبلية. ومن ثم يفترض هذا العمل أن الأطفال يمتلكون القدرة أكثر من غيرهم على اختبار الأجواء. وبناء على ذلك يُمكن الوصول إلى طريقة تُمكن من ابتداع أسس تصميم لخلق أجواء لعامة الناس، ولا تحتاج لتجربة قبلية لاستشعارها، ولكنها تجربة تعتمد فقط على الحواس، وهو ما يخلق بالتبعية مدن ذات انفراد. وبالتالي، فإن الفكرة الأساسية لهذا العمل تستند على افتراض أنه إذا شعر الأطفال بأجواء المكان فإنه يمكن القول بأن المصمم قد نجح في خلق عِمارة وعُمران أجواء. وعلى العكس من ذلك، إذا لم يستطع الأطفال تكوين مشاعر سلبية أو إيجابية تجاه المكان، إذًا فإن المُصمم لم ينجح في خلق أجواء. ومن وجهة النظر تلك، واستنادا لحساسية مشاعر الأطفال تجاه الأشخاص والأشياء، يمكن للمِعماري أن يتخذها مُنطلقًا لصُنع أجواء المدينة.

ولعله من المناسب في هذا السياق القول أن المدينة من مُنطلق دراسة الجوهر تحتاج إلى تعريف مستوياتها بشكل هيكلي، أي "غير شجري،" وإنما الارتكان سيكون على كيفية اختبار حواس البشر. ومن ثم التدرج الهيكلي الذي سوف يتبعه هذا العمل يبدأ من المدينة city فالموقع location فحالة الموقع ومحيطه situation والموضع site والفضاء space والمكان place وأخيرًا السياق المُباشر المُحيط. context والمُصمم المِعماري الحضري يُمكنه في كُلّ تلك المستويات تحقيق أجواء خاصة وانفراد خاص.

وجدير بالذكر أن الأجواء المبنية على اختبار حواس الطفل يُمكن اختبارها في كافة المستويات من المدينة في المستوى الأعلى وحَتَّى السياق المُباشر المُحيط باعتباره بالنسبة لهذا العمل هو المستوى الأدنى. أما الجانب الآخر، والذي يجب أخذه في الاعتبار هو أعمار الأطفال، والذي يُمكن من خلاله اختبار مدى تأثر حواسهم بالأجواء المُحيطة. ومن واقع خبرتنا الاعتيادية بالطفل، وجدنا أننا من الممكن أن نحصر أعمار الأطفال ما بين عُمر ستة أشهر وصولاً حَتَّى عُمر ستة أعوام. ففي تلك الفترة الزمنية سيكون الاعتماد في كُلِّ الأحوال على الحواس مباشرة، وسيكون ذلك من خلال المُلاحظة المُباشرة لأطفال في تلك الأعمار، ورصد مدى استجابتهم لتغير الأجواء في بيئات مُختلفة، ومن ثم تحتاج تلك المسألة إلى متابعة دورية والتفات كامل لتغير تعبيرات وجوه الأطفال، وحركة أجسادهم.

وكانت النتائج الأولية مُشجعة للغاية، بل وتحسم مسألة أن متابعة حواس الطفل تُمكن من اكتشاف الأجواء الملائمة في بيئات السكن والترويح واللعب والجد والهزل والتعليم. وهو الأمر الذي يثبت اعتقادنا بأن الأجواء هي جوهر العِمارة والعُمران، وأنه من خلال الاعتماد على المشاهدة بالملاحظة يُمكن تنمية أجواء الكبار. ويركز هذا العمل على شرح "أين" و"كيف" يُمكن أن يخلق مصمم المدن أجواء المدينة ويُثمن فردانياتها. ولذلك، وفي نهاية هذا الباب، بنى هذا الباب رؤيته على ما شاهدته في جراتس وروما ولندن كمدن غربية، بالإضافة لمدينة القاهرة. ويبدو أن تلك المدن تحمل بعض خصائص أجواء مختلفة. ومن الجدير بالذكر أن تلك المشاهد ركزت على الفضاءات والأماكن وغير الأماكن في البيئة المُشيدة، والتي لها تعريفات مُختلفة في أدبيات التصميم الحضري.

وعلى وجه التحديد، بالنسبة للأماكن الحضرية، يجب أن يكون واضحًا أنه إذا نجح هذا العمل في تحديد كيفية خلق أجواء المدينة وفردانياتها، فإنه سيكون قد حقق أهدافه. وستركز المحاولة في الدراسات المستقبلية لمعرفة ما إذا كان المصمم يمكنه أن يعمل ما لديه بشأن هذه الظواهر في الأماكن وغير الأماكن من البيئة المُشيدة، أو أنها ليست مسألة سهلة. وبالتالي، فإن هذا العمل يُقيد اهتمامه الأول حول اثنين من الظواهر الحرجة: جو المدينة والانفراد، وفي حالة واحدة فقط: الأماكن الحضرية. ويناقش الباب الثالث الفروق الجوهرية بين تلك المُصطلحات؛ المكان والفضاء واللامكان.

عالم العِمارة والعُمران

في البداية، خلق الله السماوات والأرض، وقبل أن يبدأ الإنسان في صنع عالم العِمارة والعُمران، كانت الأرض على ما يبدو فضاءً مُمتدًا، له معنىً وحيد؛ أنه أرض خلاء. حيث لم تظهر بعد "الأماكن المُسماة،" والتي بدت جنبًا إلى جنب مع فضاءات البيئة المُشيدة.

ويمكن القول أن 'الفضاء' يشمل "المكان" حسب ليفي شتراوس (1966, p. 168)، فالفضاء يعني "مجتمع من الأماكن المُسماة" ، وعرف قاموس أكسفورد الإ نجليزي المكان بأنه جزء من الفضاءات المُتاحة أو المُخصصة لشخص بعينه (Stevenson & Waite, 2011, p. 1094). في حين يرى تيم كريسويل (2009, p. 177) أن المكان هو "فضاء له معنى" و"مجال خبرة،" فضلاً عن أنه يتراوح "من زاوية في غرفة إلى الكوكب بأسره". فتُمثل فكرة المعنى منذ السبعينيات (Cresswell, 2009, p. 169) ركيزة أساسية لمفاهيم المكان، وأن المواقع أيضًا عندما أصبحت ذات معنى من وجهة نظره أصبحت أماكن، في حين أن

الفضاء عالم مُجَرَّد والمكان مُختبر بمعانٍ وعالم حسي (Cresswell, 2009, p. 172). مشيرًا مرة أخرى إلى أن المكان جاء بعد الفضاء، كما أن الفضاء هو عبارة عن حقيقة في واقع الكون بينما المكان من صنع الإنسان (Cressewll, 2017, p. 320). مُعتقدًا ريلف أن الأماكن هي مراكز عميقة للوجود البشري، ومن ثم فجوهر المكان كامن في هذا "المعنى اللاإرادي" (Relph, 1976, p. 43)، مُعتقدًا كيسي أن المكان نفسه ليس شيئًا ثابتًا: فهو ليس له جوهرًا ثابتًا. (Casey, 1997, p. 286)

بعد بدايات القرن العشرين كان قد بدأ بعض المختصون في عالم العِمارة والعُمران في التفريق بين بعض المُصطلحات المعنية بمفاهيم "الفضاء" و"المكان" و"الجوهر"، وبدا ذلك تحديدًا في مجالات التخطيط والتصميم الحضري، والتي كانت ومازالت تدعمها المجالات قريبة الصلة من مثل علم النفس (سوسيولوجي) وعلم الاجتماع (سيكولوجي) وعلم النفس الاجتماعي وعلم التبيؤ (إيكولوجي) وعلم الأعراق (الأنثروبولوجي) وعلم الجغرافيا البشرية وعلم ظواهر العِمارة والعُمران (فينومينولوجي). فكُلّ من أولائك المُختصين الذين سوف تستخدم وجهات نظرهم في هذا العمل يُعتبر رائدًا أو خبيرًا في مجال اختصاصه.

ونبدأ في استعراض المُفكرين وأعمالهم بعالم النفس الأمريكي والفيلسوف والمعلم والناقد الاجتماعي والناشط السياسي جون ديوي (1859-1952)، *نظرية التحقق* (1938)، والمُفكر الفرنسي وعالم الاجتماع وعلم الأعراق (الأنثروبولوجي) كلود ليفي شتراوس (1908-2009)، *الفكر البري* (1962)، والمترجمة إلى اللغة الإنجليزية في العام 1966، وأستاذ الفلسفة والعلوم السياسية، تشارلز تايلور، *هيجل* (1975)، والجغرافي الكندي إدوارد ريلف، *المكان واللامكان* (1977)، *وإدوارد كيسي، مصير المكان: لمحة تاريخية فلسفية* (1977). وفي مجال عِمارة وعُمران الظواهر هناك المِعماري كريستيان نوربرج–شولتز، *الوجود والفضاء والعِمارة والعُمران* (1971)، و*المكان العبقري: نحو علم الظواهر المِعمارية العُمرانية* (1980)، و*مفهوم السكن: في الطريق إلى العِمارة والعُمران الرمزية* (1985). والخبيرة في علم النفس الاجتماعي، ماريا ليويكا في مقالها "الارتباط بالمكان، هوية المكان، وذاكرة المكان: استعادة ماضي المدينة المنسية" والمنشورة في العام (2008). وفي مجال الجغرافيا البشرية هناك الجغرافي تيم كريسويل وفصله المعنون "المكان،" والمنشور في *الموسوعة الدولية للجغرافيا البشرية* (2009).

ويمكن الإشارة إلى أن المُصطلحات التي سيُناقشها هذا العمل سوف تركز على "الموقع الجغرافي" و"الموضع" و"الظرف المكاني ومحيطه" "والمحيط الحيوي المُباشر"

و"الفضاء" و"المكان،" حيث كُلٍّ منها على ما يبدو له توصيف مختلف. فأولاهما يهتم بالمجال الجغرافي ومعروف بخطوط الطول والعرض، وحيث يُصَنف تحليل الموقع تحت مفهوم الجغرافيا وتحليل الفضاء (Tuan, 1979, p. 387). في حين يُعرف الموضع site بأنه مساحة من الأرض محدودة الحجم والمقياس، ومُتغيرة بتغير الحدود والمساحة وموقعها الجغرافي في المدينة. والثالث situation معنيًا بالتواجد الإنساني تحت ظروف وحالات مُحددة، واستعمله جون ديوي باعتباره مُصطلح فني، وفي العام 1938 أظهر القوة الكاملة للفكرة من وراء هذا المصطلح، مُعرفه بأنه العالم المحيط الذي يتضمن خبرة وينطوي بالضرورة على الوحدة التي تُعطي معنىً للكُلّ (Dewey, 1938, p. 159)، وهو يعتني بالبيئة حسب علم التبيؤ (إيكولوجي). ويعني "الحيز العُمراني المحيط context" بتأثيرات البيئة المباشرة وغير المباشرة في سياق مكاني وزماني، ويعني "الفضاء space" في الجغرافيا مَعنًا مُجردًا في حين يُشكل حيزًا موضوعيًا وذاتيًا في مجالا العِمارة والعُمران. و"المكان" place له مضمون أكثر من كلمة الموقع، فهو كيان فريد ورِداءً استثنائيًا (Lukermann, 1964, p. 70)، كما يُعرف المكان بالناس وممارستهم الاجتماعية اليومية الملحوظة، وعلاوة على ذلك هو أيضًا واقع لتوضيح وفهم الأشياء وذلك من وجهة نظر الناس الذين أعطوه معنى. (Tuan, 1979, p. 387)

ويناقش الباب الثالث الاختلافات الأساسية بين كُل من "الفضاء" و"المكان" في عالم العِمارة والعُمران. أولاً، يشرح هذا الباب كيف أن العلاقة بين الفضاء والمكان أصبحت تُعتبر موضوعًا للجغرافيا حسب فريد لوكرمان (1964) ويي–فو توان (1976) وآلان بريد (1984) وجون أجنيو (1987) وأريلد هولت–جنسن (1999) ونايجل ثريفت (2003) وتيم كريسويل (2009)، وحيث لا ترتبط أهميتها فقط بالمواقع ولكن مع الناس الذين يعيشون فيها ويزورونها. بيد أن البعض يرون أن الفضاء شيء غير متبلور وأن هناك فروق جوهرية بين المكان واللامكان من مثل إدوارد ريلف (1997) وتيم كريسويل (2009). ومع ذلك، وفي عالم العِمارة والعُمران، توفر الفضاءات والأماكن مرساة من الخبرات المشتركة وجزء من الواقع وظاهرة أو فئة من الظواهر ومنتجات الرغبة وعلاوة على ذلك في الغالب هي تجمعات للناس حسب جيل دولوز وفليكس جواتاري، (1980) ومانويل ديلاندا (2006) وكيم دوڤي، (2010). كما أن بعض الفضاءات والأماكن تنطوي على الأحداث الشخصية وذات المغزى والطبيعة المتميزة، كما أنها يتبين كعملية حسب كريستيان نوربرج–شولتز (1971، 1980، 1985).

الباب الثاني: أجواء الخارج

التعبيرات اللانهائية أو غير المحدودة المعزولة والعواطف خارج الصندوق (تعيد–) جمع حالات الانفراد الراهنة وبرامج الانفراد ومُشكلات الانفراد من بين الحالات المُنتشرة داخليًّا وذات معنى ومن النموذج الأساس لتحقيق الذات البشرية ومن إحكام قبضة السيطرة على العالم. وهذا يجعل البشر متفوقين على الحيوانات: فهم يتحكمون في الحالات، من خلال إعادة بناءها بدقة باعتبارها كوكبات (أو مجموعة نجوم متألقة) أو شبكات من العوامل المُفردة مع إعادة ترتيب تلك الشبكات مع توقع الاحتمالات. وزاد انفراداتهم وتعبيراتهم اللانهائية أو غير المحدودة علامة الخطوة الأولى لبدئية الوجود، فيما وراء الحياة نحو العالم باعتباره مجالاً أو إطاراً لجعل الانفراد ممكنًا أو قابلاً للتحقيق. هيرمان شميتز (2011, pp. 251-252)

الأسباب الكامنة وراء كتابة هذا العمل هي دراسة أسباب ظهور الاكتئاب أو خيبة الأمل في مكان معين وبيئته الحضرية، بل على العكس من ذلك، أسباب حالة الارتياح والسعادة، التي تحصُل في أماكن أخرى؛ فعدم الرضا أو خيبة الأمل أو السعادة ليست مرتبطة في معظمها بالبيئة والشخصية والمزاج، وإنما هي حالة ترتبط بجو المكان. ويمكن القول بأن "الجو" عبارة عن كلمة، غالبًا ما تبدأ في الظهور، عندما يفقد المرء قدرته على تحديد أسباب الإحساس نحو مكانه ومحيطه، سواءً بالرضا أو الاكتئاب. ويحاول هذا العمل تعدي مسألة أن التأثير، الذي يُغير من مشاعر المشاهد مُرتبط بجماليات عِمارة وعُمران المكان والاستحسان، علاوة على أنه يفترض أن الإتقان المرتبط بالجودة بمعناها الرحب، هو الذي يُساهم في خلق أجواء مُرضية. ورغم أن مسألة الأجواء قد أدُرجت في نهايات القرن العشرين، ضمن دراسات التصميم البيئي في العلوم الفيزيائية والدراسات الأدبية والفنية والاجتماعية، وبانت في دراسات العِمارة والعُمران، إلا أن هذه القضايا تحتاج لمزيد من التركيز؛ لبحث مدى إمكانة: 1) اختبار حقيقة أن تلك الأجواء المتمايزة تُحدُث الانفراد المديني؛ لتحقيق شخصية حضرية مُتميزة. 2) تقديم عوامل ومعايير وأسس قياس، وبعث خصائص جديدة للتأثير على الأجواء بشكل إيجابي. 3) اقتراح مبادئ توجيهية؛ لتوليد تلك

المشاعر، التي تكاد تزدهر في الأجواء المتمايزة في المناطق الحضرية.

إن كلمات، من مثل: الحيوية والمثالية والتكيف مع المكان، والأجواء المُختلفة (أو المُتمايزة/الفريدة)، والجو المناسب (أو السليم)، والمشاعر العامة المناسبة كلها قد تبدو غامضة ومشكوكًا فيها لكثير من المبدعين والمفكرين، بل وأيضًا لبعض الممارسين في عالم عِمارة وعُمران المدن عامة، وفي مجال اختصاص التصميم الحضري تحديدًا. (Anderson B. , 2014, p. 137) (Wigley, 1998, p. 27) (Böhme, 1993, p. 118)

ويتطلب ذلك الموضوع تقديم دراسة مُستفيضة حول ماهية الأجواء، وبالتبعية يغطي هذا القسم ثلاثة شواغل رئيسة، مع عشر مهام فرعية، وهي: أولاً: الأجواء إمكانات خفية: حول المفاهيم، وتتكون من: 1) أجواء الأدب والفن و2) أجواء بعض الحضارات الغربية: في الحضارة الإغريقية والإمبراطورية الرومانية وفي بداية الحداثة. ثانيًا: طبيعة الأجواء المحيطة حسب بعض مفكري العالم الغربي وتتضمن: 3) الأجواء المحيطة كخبرة سابقة أو يومية بالمعنى النظري، 4) الأجواء كخبرة لموقف خاص يتسم بالاستمرار، 5) الأجواء كمفهوم رئيس لجودة الفضاء: 6) الأجواء كتجربة يومية ووجود بدني ومفهوم رئيس لجودة الفراغ، 7) الأجواء كظاهرة ينبغي تحديدها حدسيًا، 8) غموض مفهوم الأجواء المحيطة ثالثًا: الأجواء المِعمارية العُمرانية الحضرية، وتتضمن 9) الأجواء كظروف مادية وعناصر طبيعية، 10) الأجواء كمبدأ توجيهي للممارسة المهنية

الأجواء هي إمكانات خفية: حول المفاهيم

يركز هذا العمل على أجواء الخارج، ومُتبنيًا فكر أن تقدير الأجواء المعمارية العُمرانية أو عِمارة وعُمران الأجواء المُحيطة لازم؛ وهو ما يؤكد ليس فقط على احترام السياق الحضري، المادي إنما أيضًا على ضرورة مراعاة عوامل ومعايير التأثير على خاصية أجواء المجال العام لتحقيق أفضل جودة حياة من منظور استثارة المشاعر والعواطف لتغيير أمزجة الناس. مما لا شك فيه أن الأماكن الحيوية يمكن وصفها بأنها تمتلك "أجواءً مختلفة". اليوم، لا يعني هذا التعبير أن المكان لديه تصميم متفوق فيما يتعلق بالإضاءة والصوت والروائح فقط، ولكن يعنى أيضا أن التحسينات تشمل الحاسة الخامسة، والمعروفة باسم "جوهر العِمارة والعُمران،" أو كما يسميها هذا العمل "البعد الخامس في العِمارة والعُمران." تلك الحاسة التي تجعل هذا المكان قابلاً للتكيف تمامًا مع الشعور البشري المتغير، الذي يتطور دائمًا مع التغيرات في الأماكن والأشخاص والبناء، بما في ذلك رفع إحساسه بالفرحة

والسرور. وهكذا، فإن جوهر العِمارة والعُمران هذا يخلق للناس جوًا طبيعيًا مُختلفًا ويحل الشعور في المكان فيهبه مزاجًا مناسبًا. ومع ذلك، فالمسألة هي ماذا يعني التصميم المتميز والأجواء المُختلفة والأجواء الجيدة؟ هل مسألة الأجواء تلك سواءً أكانت طبيعية أم اصطناعية مجرد قضايا أخلاقية لا علاقة لها بالعِمارة والعُمران؟ هل هي فورية، وتنتهي بمجرد زيارة المكان أم أنها تتكرر طالما أنها لا تزال موجودة؟ هل هي الأجواء التي يمكن أن تهب أيّ مدينة تفردها؟ وإن كان الأمر كذلك فهل صنع مادة متاحة بسهولة؟ وهل من الممكن بناء نهج يمكن من خلق مثل هذا الجو من خلال الإشارة إلى العِمارة والعُمران الحضرية؟

1. أجواء الأدب والفن

الأجواء المُحيطة 'ambiences' هي كلمة تأتي دائمًا مرادفة في هجاء اللغة الإنجليزية الأمريكية لكلمة 'the atmosphere' كما تأتي في التعبير المجازي بمعنى المزاج المرتبط بالهواء، وبخاصية أو حالة الفضاء المُحيط داخليًا أو خارجيًا، كما يمكن أيضًا استعمال المفردة شائعة التداول في اللغتين الفرنسية 'ambiance' والبريطانية 'ambience' في إشارة إلى حسن الخلق والأجواء المُذهلة الرهيبة، وكذلك تُستخدم للتعبير عن عاطفية الأشخاص والكائنات والفضاءات أو البيئة. وأظهرت بعض قواميس اللغة الإنجليزية على الشبكة المعلوماتية ما يلي من ظهور لكلمة أجواء على مرّ الزمن:

– يُذكر أن أول استخدام حسب *قاموس ميريام وبستر* لكلمة "أجواء" كان في العام 1815 بمعنى "أجواء الفرنسية، ومن "المحيطة بـ"، وفي قاموس *إتيمولين*، كان أول استخدام في العام 1889 من "أجواء الفرنسية"، أو في أوائل القرن التاسع عشر، دون تحديد التاريخ، كما جاءت في *قاموس أكسفورد* بمعنى "المحيط بـ + –ence" المشتقة من الصفة ambiant باللغة الفرنسية، والتي تآتي بمعنى "المحيط بـ"، وفي *قاموس كولينز*، اشتُقت من كلمة أجواء الفرنسية، ومن الأجواء المحيطة بـ، وفي *قاموسك أنت*، فإن كلمة ambiens هي المضارع من ambire اللاتينية بمعنى "تاق إلى" أو "طمح."

– وحسب *قاموس القاموس*، استعيرت تلك الكلمة في العام 1923 من النموذج الفرنسي ambience بمعنى أجواء، كما تُستخدم الكلمة في الكتابة الفنية كمُصطلح، يعني تأثير الـ atmospheric. كما تعني في *قاموس "الأعمال"* مظهر وشعور مكان (مثل: مول، مطعم، واجهة سياحية، إلخ)، كلاهما يثيران أو يستحضران جوًا أو مزاجًا فريدًا، وجعله

"موضوعًا مُثبتًا"؛ بمعنى أنه (يُجبر الناس على المجيء للمكان والبقاء فيه).

– أما في *قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية* (Stevenson, 2010, p. 59)، فقد ظهرت صفة الكلمة ambient، وهي "الجو المحيط بـ" في آواخر القرن السادس عشر، مُشتقة من كلمة "الأجواء المحيطة بـ" في اللغتين الفرنسية واللاتينية، وتأتي بمعنى التعلق "بمحيط حيوي مباشر لشيء بعينه"، مثل: بيئة الاحتباس الحراري المحيطة، والبيئة المحيطة، والبيئة المائية، ودرجة حرارة الرمال المحيطة، والظروف المناخية، والضوضاء الخلفية المحيطة، ودرجة الحرارة المحيطة، والموسيقى المحيطة.

– وفي *قاموس معجم ويبستر الجديد للغة الإنجليزية*، عَّرف بيرنارد كاين – بالاشتراك مع مطبوعات المعجم (1998, p. 59) – "الأجواء المحيطة بـ" في (الاسم) أنها tone بمعنى نغمة أو نبرة سائدة من الإحساس؛ للتعبير عن موقف محدد أو الجو المحيط بـ/أو لمكان أو فضاء أو شيء، كائنًا ما كان.

– ويُمكن تعريف الأجواء بأنها ما يتعلق بالبيئات المحيطة بالمشتل الأخضر، وما له علاقة بالماء ودرجة حرارة الزما والظروف المناخية والضوضاء والموسيقى، وبالتالى العِمارة والعُمران المحيطة.

أما مرادفات synonyms كلمة الجو باعتباره "نوعية خاصة"، أو "انطباع"، كما جاءت في *قاموس ميريام ويبستر* فهي: "هواء ورائحة وهالة halo ومناخ ونكهة وسمعة ومزاج وهالة نورانية nimbus وملاحظة ومظهر مكتسب من مرور الزمن patina ورائحة واهتزاز. والكلمات ذات الصلة، هي: السحر والرومانسية والغموض وموضع عبقري والحس والشعور والإحساس والأحاسيس والروح والصفات والخاصية والرمز والصورة والعالم والتصور والسمة واللون والوهم والنغمة الموسيقية العالية والمظهر. ومرادفاتها، كظروف وحالات وأشياء، هي: "المحيط بـ" والوسط وسياق الكلام والمناطق المحيطة، والكلمات ذات الصلة، هي: الموقع والمكان والفضاء والخلفية والعنصر والحالة والجغرافيا والموئل والبيئة الصغيرة.

وفي سياق آخر، يأتي "الجو" في الأعمال الأدبية عاطفيًّا بحتًا، يظهر في شكل متوافق مع الأحداث الدرامية، سواءً أكانت، في الرواية أم الشعر، سعيدة أم مأساوية؛ فيخلق الكاتب الجو الملائم لسير أحداث قصته، مُعتمدًا على تفاصيل السرد من مواقف مكانية وزمنية وخلفية وأشياء وتنبوء؛ إشارة إلى ما يمكن أن يحدث في المستقبل.

– وحسب مَسْرد المُصطلحات الأدبية، يمكن تعريف "الجو" بأنه النغمة العاطفية، التي

تنتشر في قسم من [أو في كُلّ] العمل الأدبي، والتي تعزز من توقعات القارئ لمسار الأحداث، سواءً أكانت تلك التوقعات سعيدة أم مرعبة أو كارثية (أو الأكثر شيوعًا) (Abrams & Harpham, 2011, p. 19). ويستعرض القاموس مجموعة من الأمثلة لكلمة "الجو" في السرد الروائي، حيث يتغير معنى "الجو" في المخطوطات؛ اعتمادًا على تغير المشاهد وتطور الأحداث أو الشخصيات.

- وهناك العديد من الأمثلة لخلق الأجواء في الأعمال الأدبية، منها على سبيل المثال: القصة القصيرة "الحفرة والبندول" التي كتبها إدجار آلن بو في العام 1842، وتحكي عن رجل عاش أثناء محاكم التفتيش الإسبانية، التي عُقدت للتفتيش في ضمائر اليهود والمسلمين المتحولين إلى المسيحية؛ لتجنب الطرد من إسبانيا؛ لمعرفة مدى صدق تحولهم، وكان ذلك في عهد الملك فرديناند الأول والملكة إيزابيلا الثانية في العام 1478، وصدر ضد هذا الرجل حكم بالإعدام، وجاء يوم تنفيذ الحكم ومثل أمام قضاة، وجاء المؤلف في الرواية مُتمثلاً القضاة وشفاهم السوداء بيضاء، بل أكثر بياضًا من بياض الورقة، التي يتتبعون منها الكلمات، والتى كانت تبدو رقيقة حَتَّى قمة البشاعة والوحشية، رقيقة رغم شدة التعبير الحازم لقرار، غير قابل للتحرير والازدراء، وقد خلق الكاتب جوًّا يبدو صارخًا من هول تعذيب البشر. (UN-Habitat, 2014, p. 114)

ونستعير من مَسْرد المُصطلحات الأدبية مجموعة من الأمثلة المعبرة عن "الأجواء" في مجال السرد الروائي؛ حيث تتغير الأجواء في المخطوطات الأدبية حسب تغير المشهد وتطور الأحداث والشخصيات. (Abrams & Harpham, 2011, pp. 14-16)

- أسس الكاتب الإنجليزي وليام شكسبير للجو الغريب والمفاجئ في بداية روايته المأساوية "هاملت"، والصادرة لأول مرة في العام 1609، لقد تناول هذا العمل الفني قصة أمير الدِنمارك، والذي يظهر له شبح أبيه الملك، طالبًا منه الانتقام لمقتله؛ فيمهد شكسبير لأجواء مرعبة، عبر حوار عصبي وهمجي، يبدأه الحارس باعتباره يتوقع ظهور الشبح. في حين يولد كوليردج إيعازات ترهيب ديني وخرافي من خلال وصفه للمشهد الأول في قصيدته الشعرية "كريستابل" المنشورة في العام 1816. ويجعل هاردي في روايته "عودة الأصلي"، المنشورة في العام 1878 وجود إغدون هيث هائلاً ومُتَفَجِرًا؛ مِما يُقلل من تفاهة وعدم جدوى النضال البشري من أجل السعادة التي هي محض موقف. وهكذا تتغير أجواء النصوص في المخطوطات؛ حسب تغير المشاهد وتطور الأحداث أو الشخصيات.
- ويُعد نجيب محفوظ من أشهر الأدباء، الذين خلقوا أجواء مُختلفة في الرواية المِصرية،

والذي قدم فيها في كُل مرة أماكن وشخوصًا مُختلفة، فعلي سبيل المثال، تجده يفرد مساحة عريضة للحارة المِصرية في روايته "زقاق المدق" (1947)، والتي تدور أحداثها في حى الحسين – وهو واحد من أشهر أحياء الأزهر الشريف في العاصمة القاهرة الفاطمية التاريخية – وهو يرمز في ذاك الوقت للزقاق باعتباره بلده مِصر، والشخوص يمثلون الطبقة الوسطى آنذاك. ويمثل مقهى "كِرْشة" في زقاق المدق، مثل كثير من المقاهي المصرية في الأربعينيات، محل تركيز الحياة الاجتماعية. تلك المقاهي كان يقضى فيها الرجال معظمهم ساعات الليل، يشربون الشاي والقهوة ويدخنون الشيشة، ويلعبون ألعاب الورق والنرد. والأهم من ذلك، أنهم كانوا يثرثرون بكُلِّ ما في الحياة من مواضيع. ويبدو أن ثمة موضوعًا بارزًا في هذه الرواية، هو هذه النوعية التي لا تتغير للمجتمع المصري. ولعل شخوص الفيلم من أبرز ما أثر على أجوائه، فقد كُل منهم في مكانه من حميدة، الشخصية الرئيسة في الزقاق، ومن المعلم كرشة صاحب القهوة وحَتَّى رضوان الحسيني والشيخ درويش وزيطة المتسول والقوّاد.

- على أية حال، أجواء الرواية متروكة لطرفين، وهما: قدرة الكاتب على استعمال مفردات، وأحداث تخلق أجواءً، يراها هو في ذهنه، ليتلقاها الطرف الثاني، من خلال قدرته على تخيل تلك الأحداث. وهنا تُصبح المسألة متروكة لحرفية الكاتب ولقدرة القارئ على التخيل، وبالتالي.. فإن تلك المسألة، في ذاك السياق، تصبح متروكة للكاتب الحرفي وقدرة القارئ على التخيل معًا؛ ففي مجال الفنون البصرية؛ السينما والمسرح والتلفاز، يترك الجزء الأكبر من العمل لصانعيه، والقدرة على عكس رؤية الكاتب، إما عن طريق تقاسم فكرته ومناقشته، أو بالاجتهاد بين كاتب السيناريو والمخرج. وبالضرورة يتشارك مصممو الإنتاج، مع الذين يتحملون مسؤولية خلق هذا الجو للمشاهد، من خلال الصورة والصوت. مع أن نأخذ في اعتبارنا أن الأعمال الفنية لم تصل بعد إلى مرحلة نقل بقية الحواس، مثل: الذوق واللمس والرائحة. ومع ذلك، فإنه من الممكن والمتاح للعِمارة والعُمران الحقيقية؛ حيث يمكن نقل كُلّ هذه المشاعر إلى مستخدم المكان ومحيطه.
- وعلى ما يبدو، فإن أجواء الأعمال السينمائية يتم تأسيسها على أساس رؤى المخرج، وبعد ذلك يطرح مُصمم الإنتاج رأيه تبدو فيها تأثيرات الأجواء واضحة. وهذا حدث في رواية "جاتسبي العظيم"، التي نُشرت لأول مرة في عام 1925. ونستعير هنا ما كتبته كيلسي إيجان (2014, pp. 7–11) عن دراسة حالة فيلم "*جاتسبي العظيم*" بشأن تصميم إنتاج الأفلام؛ لخلق أجواء العشرينيات الخاصة بفترة أحداث الرواية، بعناية خاصة،

على مستوى عِمارة وعُمران المكان.

صدرت تلك الرواية في العام 1925 في عصر الجاز The Jazz Age، كما أطلق عليه الكاتب الأمريكي فرانسيس فيتزجيرالد مؤلف الرواية، والتي تحولت فيما بعد إلى فيلم سينمائي – عدة مرات – كان أخرها ما جاء في العام 2013 من إخراج الأسترالي باز لورمان، وقامت بتصميم الإنتاج كاثرين مارتين، وهي المسؤولة عن المفهوم المرئي لإنتاج الفيلم، وهي التي حددت نمط تصميم المواقع والإضاءة وزوايا الكاميرا والأزياء والأثاث والتفاصيل الدقية المُتعلقة بأماكن سير الأحداث الداخلية والخارجية.

وقد اعتمدت في هذا العمل على إحياء أسلوب الفنون البصرية والهندسة المِعمارية والتصميم، الذي ظهر لأول مرة في فرنسا، قبل الحرب العالمية الأولى، وأطلق عليه فن الديكو ستايل Art Deco . ويتميز هذا النوع من الفن بثلاثة عناصر مهمة، هي: الأشكال الهندسية الجريئة والزخارف الفخمة والجوانب الصناعية، علاوة على إظهار تأثيرات عصر الآلة، وتبيَّن ذلك بوضوح في قصر جاتسبي. لعب ليوناردو دي كابريو دور جاتسبي العظيم، باعتباره أحد أعضاء الجريمة المنظمة، وحيث كون بسببها ثروته الضخمة. وفي المقابل قام توبي ماجواير بدور صديقه نك كاراوي المسالم والمتسامح الجدير بالثقة، فجاء على عكس صديقه تمامًا، وتنعكس شخصيته في الكوخ البسيط، الذي يسكن فيه والذي يبعث على الدفء والراحة.

ويدور موضوع الرواية حول فكرة زيف الطبقة العليا، حيث تصور الأغنياء الجدد على أنهم طبقة عليا مبتذلة ومشينة؛ ولخلق أجواء الفيلم سكنت شخصيات تلك الطبقة في القصور الضخمة مع السقوف العالية والأرضيات الرخامية الباردة في حين سكنت الشخصيات في الوضع الأقل في المساكن والشقق البسيطة.

ويتبين في الفيلم أن مسكن نك كاراويه يبدو مرحبًا من خلال الممر الجميل المزخرف بالزهور البيضاء، علاوة على التناسق بين مقاعد الشجر المستديرة، فضلاً عن الحديقة المُحافظ عليها جيدًا، وأحيطت غرفة المعيشة بأسقف منخفضة وعوارض من خشب البلوط المنشور، وبها أثاث ستيكلي–إسكو، والبلاط الأخضر الطحلبي المنتشر في جميع أنحاء الغرفة، ويحيط بقلب الموقد مع الأثاث المصنوع من البلوط، والذي يُعطي شعورًا بالطبيعة والنقاء.

وتقول كاثرين مارتن: إن كل شيء يدور حول كيفية العثور على ما كنا نظن أنه جواهر لونج آيلاند الجوهرية، طبيعة المنزل الصغير مع جو حميم لغرف خاصة، تخلق مساحة

المحتوى، الذي يعكس شخصية نك كاراويه.

ويظل العمل الفني السينمائي، من وجهة نظري، من أقرب الفنون إلى العِمارة والعُمران، فكما على صانعي الفيلم خلق أجواءً مُختلفة؛ ليتعايش معها المشاهد، سواءً أكانت تلك الأجواء تعبيرًا عن واقع حقيقي معروف أم كانت مستوحاة من خيال الكاتب في الأفلام الخيالية، فإن المِعماري ليس عليه فقط أن يخلق بناءً أو فضاءً محيطًا للعيش أو العمل أو الترفيه، وإنما عليه – أيضًا – أن يخلق حياة في كُلّ مرة مُختلفة، من خلال عِمارة وعُمران المكان.

ويمكن القول بأن الموسيقى تلعب أيضًا دورًا رئيسًا في تأسيس أسلوب ووتيرة المزاج النفسي للفيلم tone عبر مجموعات مركزية، تؤسس الطابع، وتُظهر عالمه الداخلي بطريقة مرئية. ففيما يتعلق "بالموسيقى غير المزعجة"، جاءت كلمة "أجواء" في *قواميس أكسفورد المتعلم* بمعنى خلق جو مريح، وصُنفت الكلمة 'ambience' في (الاسم) و'المحيط بـ ambient' (كصفة)، تحت مبحث تقنية السمعيات audio، وفق تصنيفات الموسيقى في *قاموس أكسفورد الإنجليزي* (Simpson & Proffitt, 1997, p. 38)؛ فيأتي الجو في الاسم بمعنى الخاصية الصوتية لبيئة معينة، كما ورد في التسجيل، وهو الشعور بجو معين أو خاص، كما أنه تعبير ينطوي على تكوين انطباع عن الأداء الحي، الذي يتم إنشاؤه أو تعزيزه خلال تقنيات التسجيل (مثل إضافة صدى)، أو من خلال وجود ضوضاء الخلفية.

وكصفة، فإن "المحيط بـ" هو تسمية أو تحديد الصوت في الجو، الذي يحدث بشكل طبيعي أو عشوائي في بيئة معينة في وقت معين. والحديث هنا تحديدًا عن الضوضاء الخلفية، غير المرغوب فيها، التي التقطت بواسطة ميكروفون. مُعطيًا ديڤيد كريستال (2014, p. 233) مثالاً لهذه الموسيقى، التي تُعزز مزاج الاسترخاء، مثل: موسيقى تشيل أوت في التسعينيات. ويتبين في أدبية *أكسفورد القاموس الإنجليزي، سلسلة الإضافات* (Simpson & Proffitt, 1997, p. 90) إشارة إلى أن تلك الموسيقى تكررت في البيت المحيط من أورب، والتجارب المختبرية لبراين إينو والمسارات الكلاسيكية لمايك أولدفيلد؛ أجراس أنبوبية بدت هادئة أو أجراس منَومة. كان أول ظهور لموسيقى "البيت المحيط من أورب" في آواخر الثمانينيات في لندن، والمقصود بها الموسيقى الإلكترونية الإنجليزية الهجينة، فروادها يجمعون بين عناصر "البيت الحمضي" و"الموسيقى المحيطة بـ". وعادة ما يميز نوع البيت والجو المحيط منتصف الإيقاع وأربع دقات على الأرض، وانحسار سلاسل

المنصات الموالفة والانجرافات وإرتفاع العينات الصوتية، وقد حافظت موسيقى الأورب على المواضيع الخيالية المتعلقة بالمخدرات والعلوم.

وكتب برايان إينو (1978) عن الموسيقى المحيطة بـ في ملاحظات بطانة ألبيوم "الجو المحيط 1: الموسيقى للمطارات" إنها الموسيقى التي ينبغي أن تكون قادرة على استيعاب عديد من مستويات لفت الانتباه في الاستماع، دون فرض مستوى محدد، وأضاف: إنها هي تلك الموسيقى، التي يمكنك أن تتجاهلها بقدر ما هي مثيرة للاهتمام.

تبدو تلك الأجواء وأيضًا في الموسيقى الشرقية، والتي تُعرف بالتقاسيم التي يرتجلها العازف مُعبرًا فيها عن أصدق مشاعره الخاصة، وينتقل خلالها بين المقامات بشكل مُنفرد وغير متكرر بحرفية بالغة؛ فالمقامات هي التي تخلق أجواء الموسيقى الشرقية، من خلال تأثيرها الحسي، فتُستخدم مقامات الحجاز والصبا للتعبير عن الحزن، ويُستخدم مقام البياتي للتعبير عن جمال الحبيبة. ويعتبر الموسيقار المصري سيد درويش (1892) رائد التجديد في الموسيقى العربية في القرن العشرين، ومن أعماله "أوبريت العشرة الطيبة"، ومن الأدوار "ضيعت مستقبل حياتي" و"أنا هويت وانتهيت"، ومن الطقطوقات "زوروني كُلّ سنة مرّة"، ومن الموشحات " يا شادي الألحان."

وبدأ في الغرب المؤلف الموسيقي العظيم ماكس شتاينر (1933) الموسيقى التصويرية للأفلام السينمائية، مثل: "ذهب مع الريح" و"كازبلانكا"؛ فخلق أجواء رابطة بين الصورة والحدث. مُستعينًا بميكيل دوڤرين، في العام 1953، بما يفعله الراقصون في فن الباليه من رقص وموسيقى لصنع أجواء يُدركها المتفرج. وتلك الأجواء، التي يستهدف الراقصون إحياءها، هي التي تُمثل "روح فن الباليه،" فهي شيء جمالي يجلبه الراقصون إلى حيز الوجود. إن هذا الجو ملموس، حَتَّى في الرقص الخالص، حيث التعبير غير مَدفوع أو مُحصن بموضوع معين (Dufrenne, 1973, p. 76). ويكتب أنه ليس من السهل أن نرى ما هو هذا العالم، إلا أننا حساسون على الفور لوجوده؛ باعتباره كائنًا جماليًّا يُقدم لنا، وفي فن التمثيل أيضا يبدو أن الجو يساهم في شرح العالم. (Dufrenne, 1973, pp. 168, 187)

ومن ثم، صنفت "الأجواء" (في الاسم) ambience و"الجو المحيط" (كصفة) ambient في المعاجم وقواميس اللغة، والأعمال الفنية في الأدب، والسينما والموسيقى باعتبارها حالة إنسانية عاطفية وانطباعات شخصية فردية أو جماعية غير ملموسة وإنما محسوسة، وكذلك باعتبارها كيانات بيئية مكانية وزمنية: أ) الأجواء هي الحالة التي تخلق بيئة أو ظروفًا أو

أشياء مناسبة لإرضاء ونقل انطباع أفضل للناس، وهذا متعلق بالشخصية والخاصية والتناغم والمزاج للتعبير عن موقف معين، تجاه مشاعر محددة حول موضوع بعينه، كما أنها تعني بيئة معينة ووسطًا، وما يدور حولها [أي هي البيئة وما يطوقها من حدودها المترامية في الأطراف كافة]، علاوة على التأثير المحيط والتطويق. وتشمل الأجواء ما هو حول، وما يكون أو يشغل ويسيطر (داخل فضاء بعينه)، ويكتنف الجميع (بالتطويق). ب) وتأتي بمعنى الكيانات المؤثرة على المعايير البيئية، قبل كُلّ شيء، مثل: الضوء والصوت، بالإضافة إلى أنها تُحفز مشاعر الإلهام، كما أنها تحدُث في تناولها البسيط ثلاث مرات رئيسة من اليوم؛ في الصباح، ومنتصف النهار والمساء. ج) والجو هو خليط من الشعور العام، الذي تم إنشاؤه من النغمة tone (الموقف المُعَبَر عنه) والمزاج mood (الشعور الذي يحصل عليه الفرد) في وضع مكاني، له زمان sitting، ومحدد بسمات وخصائص اجتماعية وثقافية معروفة، وواقعة ضمن سياق تاريخي بارز.

ويهتم المزاج بالمشاعر الداخلية، ويساهم في بناء جو كامل من المشاعر العامة، التي تتبين في بقعة مكانية وزمنية معينة.

2. الأجواء في بعض الحضارات الغربية

في الحضارة الإغريقية والإمبراطورية الرومانية، وفي بداية الحداثة

ركزت الحركة الحديثة على التقدم والتنمية والإبداع، وهي التي تهدف تغيير أنماط التفكير في عصر التنوير، مُستهدفة خلق أجواءً مُختلفةً وأكثر دينامية وتعقلية من تلك الصورة التقليدية المُحبطة، في العصور الوسطى، والتي كانت تعتمد حالة استنساخ أكثر من الماضي؛ ففى مقال بعنوان "أجواء الأجواء" يبين لوك أوليفر جانيست (2010) كيف دعا إسحاق نيوتن (1643–1727) الفراغ الكبير للكون، الذي يضم الكواكب والنجوم والمجرات، التي تجتاز المدارات من خلالها بأنه "الأجواء." فضلاً عن أنه مُصطلح ظهر في الفيزياء، وبعد ذلك أصبح عديد من الفضاءات مرتبطًا بمفهوم الأجواء في حياتنا المعاصرة، مثل: البيئة الطبيعية والمبنية والعالم الاجتماعي والعوالم الجمالية، التي تتضمن القطع الأثرية.

ويُشير چان–پول تيبو (2002, p. 1) إلى أن كلمة "الأجواء المحيطة" مأخوذة من فترة الإمبراطورية اللاتينية، وتعني "أن تحيط بها" أو "تسير حولها." وذكرت عبارة atmosphere في وقت مبكر، من القرن التاسع عشر، وتحديدًا في العام 1851، نقلاً عن روث جينر (2013, p. 14)؛ حين ذكرت أن ماري مير فيلد (1970, p. ii) استخدمت الجو لوصف

المعرض الكبير للقصر البلوري في لندن؛ باعتباره المبنى الوحيد في العالم، الذي يكون فيه الجو مَحسوسًا، وكانت تقصد الإشارة إلى الانسجام في الألوان. واصفة الجو في قولها بأن الأجزاء البعيدة عن المبنى تبدو مُغلفة بضباب تشوبه الزرقة، كما لو أنها مفتوحة للهواء، ويتناقض اللون الدافئ من القماش والسقف مع اللون الأزرق الفاتح للعوارض، وتنتج السماء الزرقاء فوق جناح الكنيسة مظهرًا مُرضيًا جدًّا، وفي الوقت نفسه طبيعيًّا جدًّا؛ حيث من الصعب التمييز أين يبدأ الفن وتنتهي الطبيعة.

وكان چوزيف پاكستون، حسب شون ستورم وستيفن تيرنر (2012, p. 26) ، قد صمم القصر البلوري (1869) كرمز لإمبراطورية المعارض بامتياز. وفي نفس السياق، حسب روث جينر (2013, p. 14) أيضًا وصف ريتشارد لوساي المهندس المعماري لدار أوبرا فرانكفورت القصر البلوري أنه قطعة من جو النحت في لندن. مُتابعة مُستعينة بمقارنة سيجفريد جيديون بين العناصر المتجددة والمتحركة والعائمة في القصر البللوري، مع لوحة تيرنر– التي جعلت المشاهد غير مادية وتنساب إلى ما لا نهاية. وفي كلتا الحالتين، أشار جيدون إلى أن تجدد الأجواء يحصُل من خلال جو رطب.

كما استُخدمت عبارة "الجو" أيضًا فيما بين الأعوام 1860 –1863 في كتاب جوتفريد سيمبر (2004, p. 99) المعنون *"النمط في الفنون التقنية.Error! Bookmark not defined والتكتونية، أو جماليات علمية"*، ترجمه هاري فرانسيس مالجراف ومايكل روبنسون، مع ترجمة من اللاتينية واليونانية بمعرفة أمير باجادتشي؛ حيث استخدم سيمپر الأجواء لوصف شيئين مختلفين تمامًا، أولهما: يتناول صورة الأجواء المكانية المحيطة، متصورًا أنه من المقبول في العموم القول أن ذيل المذنب هو جو يكون إنشاؤه إما نتيجة التبخر الجزئي، أو نتيجة حرق الجسم السماوي؛ حين يكون قريبًا من الشمس. مُشيرًا في ثانيهما إلى أنها كلمة مستمدة من معنى الأجواء الحقيقية، التي واكبت تطور الدراما الإغريقية في لحظة ولادة أو نشأة المعابد الإغريقية التقليدية (الكلاسيكية) (Semper, 2004, p. 50).

وقد وصف بأنها الجو الحقيقي للفن كما كتب في هامش كتابه: أن كل إبداع فني وكل متعة فنية تتخيل وجود روح مهرجان معينة، معبرًا عنها بطريقة حديثة، فضباب شموع المهرجان هي الجو الحقيقي للفن (2004, p. 438) ، متابعًا: فأي خلق إنساني مستقل يتطلب بالضرورة تدمير الواقع، من المادة، إذا كان الشكل سيظهر كرمز له مغزى. (Semper, 2004, p. 439)

طبيعة الأجواء المحيطة حسب بعض مفكري العالم الغربي

في بداية القرن الحادي والعشرين، ظهر عديد من المعلقين المعماريين والفنانين والنقاد، المهتمين بموضوعات "أجواء الحضر" و"عِمارة وعُمران الأجواء/الشعور العام" و"الخبرة الجمالية." ومن بين هؤلاء المعلقين، الذين حددوا الأجواء كنواة للعمارة والعُمران والخبرة الجمالية: ميكيل دوفرين، *علم ظواهر الخبرة الجمالية* (1953)، جيرنوت بيوم، "الجو كمفهوم أساسي لجماليات جديدة" (1993)، الجو كمفهوم جمالي (1998)، "الجو كموضوع العِمارة والعُمران" (2002)، "عن الجمال" (2013)، *الأجواء باعتبارها وعيًا بالوجو المادي في الفضاء (2005)*، *الأجواء الحضرية: رسم الاتجاهات الجديدة للعِمارة والعُمران والتخطيط الحضري* (2014)، مارك ويجلي، *عِمارة وعُمران الأجواء* (1998)، بيتر زومثور، التفكير والعِمارة والعُمران (1998)، والأجواء: البيئات المعمارية العُمرانية– الأجسام المحيطة (2006). جوني بالأسماء، "عِمارة وعُمران الحواس السبعة" (2014)، كريستيان بورش، *الأجواء المِعمارية العُمرانية: في خبرة وسياسة العِمارة والعُمران* (2014)، *وعِمارة وعُمران الأجواء: جماليات المساحات الزاهية* (2017)، وتونينو جريفيرو، *الأجواء: جماليات المساحات العاطفية* (2016).

وجدير بالذكر أن بيتا لابون (2016, pp. 290–292) قدمت عرضًا للكيفية، التي صنف بها بعض المفكرين مفهوم الأجواء في النصوص الأدبية والصور في سبع قضايا، هي: 1. الأجواء باعتبارها حصة من التأثيرات المعمارية العُمرانية: النهج التشغيلي لبيتر زومثور (1998). 2. الأجواء باعتبارها سرًّا غامضًا: النهج غير الفكري لمارك ويجلي (1998) ويتناول فيه إمكانية بناء الأجواء، من خلال التصميم المِعماري العُمراني، عبر صناعة الضوء والصوت والرائحة والملمس ودرجة الحرارة. 3. الأجواء باعتبارها جزءًا أو جانبًا من شيء، تم اتخاذًا ليمثل الجميع في سياق: النهج البيئي. 4. الأجواء باعتبارها ظاهرة: النهج الفكري لجيرنوت بيوم (1991). 5. الأجواء باعتبارها فضاءً مسرحيًّا مُبهرًا. 6. الأجواء باعتبارها ضبابًا أحادي اللون. 7. الأجواء باعتبارها تلمس التفاصيل. وبالتبعية، يُصبح هناك بعض النقاط، التي ينبغي تحديدها عند تخطيط وتصميم المجال العام للمدينة؛ بالنظر بعيدًا للحصول على جو مِعماري عُمراني عظيم.

ويقدم العرض التالي في تسلسل النقاط التي تتناول الأجواء باعتبارها نابعة من الخبرة الإنسانية السابقة أو اليومية.

3. الأجواء المحيطة كخبرة سابقة أو يومية بالمعنى النظري

ناقش الألماني هيرمان شميتز (1928) تأثير الأجواء، مُعتقدًا بأن شعور الجسد يُدرك الأجواء العاطفية قبل المعرفة التجريبية؛ فهو مُبتكر نظرية "الجسد شعر"، والذي يراه نقطة انطلاقة وجودنا، ومن خلاله يُمكننا فهم ذواتنا والعالم من حولنا؛ حيث إنه يعتقد بوجود طبقة مشاعر غير طوعية وفورية، وهي المُرتبطة بجسد كُلّ كائن، وحسب مجال إدراكه الحسي المُستقل، وهي التي تصنع له خبراته الخاصة، وتتواجد حسب معرفة المرء التجريبية السابقة أو حَتَّى خبرته تجاه المكان الذي يكون فيه. وأن أي شخص يدخل جو بعينه، فإنه يختبره ماديًّا بوصفه مشاركة عاطفية، فكليهما الجو والمشاعر، على اختلاف فئتيهما النفسية يُمثلان ظاهرة مُختبرة عن طريق الوعي البشري، ويظهران كحقيقة موضوعية؛ تخرج من الوعي إلى المنطقة الأرحب. علاوة على نظرته للعواطف باعتبارها ظواهر في فضاء الأشخاص (Schmitz, Owen, & Slaby, 2011, p. 241)، فإنه ومن هذا المُنطلق يأخذ في الاعتبار أن الجسد يمتلك "فضاءات بلا أسطح" و"جزرًا مادية" مُنتشرة، ولكن تبقى مُنفصلة الحيز المكاني. مؤكدًا أن هذا الشعور يبدأ مُبكرًا في استجابته لتصور الأجواء المحيطة، قبل أن يبدأ البشر أنفسهم في فهم أسباب هذا الشعور، وأن هذا الشعور بالجسد، هو الذي يُسهم في صنع التجربة البشرية. وإنما تختلف "المشاعر الجسدية" عن "الأحاسيس الجسدية،" المعروفة في علم النفس أو الفلسفة التحليلية للعقل، والمرتبطة بحالات القوة والضعف، وفي حالة سيطرة العواطف بشكل طبيعي على المرء والأجواء التي تملأ الغرف، ويحدُث ذلك على قدم المساواة مع التوجه المادي للمرء في العالم، في سياقات الإدراك والفعل والملاحة المكانية. (Schmitz, Owen, & Slaby, 2011, p. 244)

وجدير بالذكر أن "مُحرك الحيوية ،vital drive" الذي يحدُث في حالة "الاسترخاء،" أو في حالات الصدمة والذعر، أو لحظات من التركيز الشديد يُعد المفهوم المركزي الآخر، جنبًا إلى جنب مع مفهوم "الجسد شعور"؛ فالفضاء حسب ما يراه شميتز يُعد مجالاً سطحيًا بلا حدود واضحة لكل واحد منا، ويتبين فقط في تجربة مادية غير مشوهة، على سبيل المثال عند سماع الأصوات الضخمة أو أجواء الاستشعار، كما أنه غير قابل للقياس، كما يحدث في الفيزياء والجغرافيا. (Schmitz, Owen, & Slaby, 2011, p. 245)

يعتقد شميتز (2011, p. 246) أن "الأجواء تتدفق مكانيًّا،" مع استخدامه لمفاهيم "أجواء العاطفة" أو "أجواء شعور الغرفة"، وتعامل للعواطف باعتبارها سلطة سحرية تمتلك تأثيرات جماعية، وتعد "نصف كيان"، مثل: الرياح والأصوات البشرية وأجواء الأرصاد الجوية

والكهرباء والجاذبية موجودة، وإنما لا يُلقي لها أحد بالاً، وإنما تشغل مساحة من الفضاء عديم السطح، وهي "تجتاح" شعور الجسد بطرق مميزة مُحددة لكُلّ نوع من العاطفة، كما أنها تختلف عن العواطف، التي لها تأثيرات فردية، مثل: الغضب والعار الجوع. ومن فهي عواطف ثم مُحركة "لشعور الجسد" وليس "مادة الجسد" (Schmitz, Owen, & Slaby, 2011, p. 247). واعتبر أن السياق المادي ليست له أي علاقة بالاستجابة الانفعالية المُباشرة تجاه أجواء البيئة، وإنما هي استجابة نابعة من الذات الإنسانية (Schmitz, Owen, & Slaby, 2011, p. 248). ويرى أنه في حالة المشاعر التي تنتاب المرء، قبل أن يتصرف عمدًا تجاه موقف محدد، يجد نفسه دائمًا مرتبطًا بهذا التصرف بطريقة أو بأخرى، وأنه لم يعد قادرًا على مواجهته بطريقة غير متحيزة.

وبالتبعية، فإن الأجواء هي عبارة عن شغل للمساحة الكاملة لفضاء عديم السطح في المنطقة، التي توجد فيها الخبرة تحديدًا (Schmitz, Owen, & Slaby, 2011, p. 254). كما أن هناك أجواءً أخرى، لا تحتل مساحة من الخبرة، مُعطيًا مثالاً مِما نختبره في حياتنا اليومية، مثلما يحدث للمرء حين يستيقظ من نومه، ويشعر بالضعف، ويحتاج إلى بضعة أكواب من القهوة لتعزيز تلك الحالة الشاملة. (Schmitz, Owen, & Slaby, 2011, p. 255)

4. الأجواء كخبرة لموقف خاص يتسم بالاستمرار

ناقش چون ديوى الانطباع الساحق (Dewey, 2008, p. 151)، الذي نستشعره عند زيارة أي مكان للمرة الأولى؛ فثمة تأثير يسبق تحديد معرفة حقيقة ما هو عليه ذلك الشيء، وهذا الانطباع يحدث مباشرة، وغالبًا ما يوصف بأنه خاصية موسيقية مُتناغمة في الفن. ويعزي ديوي هذا الانطباع إلى الخبرة السابقة التي يمتلكها المرء، مُبينًا أن جذور أيّ خبرة إنسانية موجودة في تفاعل المخلوق مع بيئته (Dewey, 2008, p. 276)، ويرى أن أيّ خبرة ينبغي لها أن تحمل معها صفاتها أو خاصيتها الفردية واكتفاءها الذاتي (Dewey, 2008, p. 42)، واصفًا الخبرة بأنها كُلّ نشاط إنساني، أو أنها موقف بعينه، أو حادثة عرضية قد واجهها الإنسان خلال حياته حياته. وتقود الخبرة في العمل الفني– من وجهة نظره إلى الجمال– فعلى الفنان، ومن يتمثل به أن يجعل عمله يمتلك نزعة عاطفية مُرضية، تمتلك التكامل الداخلي من خلال نظام وحركة منظمة (Dewey, 2008, pp. 45-46)، أو كما تراه في العمل الأخلاقي الكامن، في تحديد الهوية اليونانية للسلوك الجيد، الذي يتصل بعناصر النسبة والجمال والتجانس. (Dewey, 2008, pp. 46-47)

أما شروط الخبرة، فهي (Dewey, 2008, p. 50): (أ) التفاعل بين مخلوق حي وبعض جوانب العالم الذي يعيش فيه، (ب) أن تمتلك نمطًا وهيكلاً يكونان علاقة ذات نطاق ومضمون، يُعطيان المعنى، ويقيسان المغزى المهم لمضمون التجربة، (ج) الاتزان بين ما تم من فعل، وما زال في مرحلة الفعل، (د) القدرة على الاستيعاب، (هـ) القابلية للاتصال مع حقائق العالم؛ لكي تكون الانطباعات ذات صلة بالوقائع، التي تختبر قيمتها وتنظمها.

ويُشير ديوي إلى أن أحد العوامل التي تسببت في وجود كثير من الأبنية المِعمارية القبيحة، تتمثل في عدم قدرة المِعماري على التراجع عن مُنتجه، بعد تنفيذه في أرض الواقع (2008, p. 53) ، فالخطط اليوم تنمو كالمبنى (Dewey, 2008, p. 54). وأن ما ينبغي على المِعماري العناية به عند إنتاج عمله ينحصر في: (أ) البحث عن وسيلة لتجسيد الأفكار وموضوع التصور النهائي، وهذا يحدُث إذا كانوا لا يعملون بطريقة ميكانيكية، (ب) القدرة على بناء الفكرة وتجسيدها الموضوعي في وقت واحد (استكمال الفكرة قبل ترجمتها إلى كائن كامل من التصور)، (ج) تجاهل فكرة سيطرة الخطط والمواصفات المُقدمة مقدمًا، وجعل المباني تنمو بحرية دونما التقيد بنمو الخطط المرسومة.

5. الأجواء كتجربة يومية ووجود بدني ومفهوم رئيس لجودة الفضاء

يذكر شميتز في مقاله – بالألمانية – "فضاءات الأجواء،" أن الأجواء تملأ الفضاءات، واستشهد بيوم (2014, p. 43) عن مقال شميتز أيضًا أن الأجواء تنبع من الأشياء، ومن كوكبة من الأشياء والأشخاص. ويشرح بيوم التجربة اليومية كما يراها شميتز، من خلال أن الفرد يتعرض للأجواء، باعتباره متلقيًا لها، فهي تهاجمنا ونحن نختبرها. وبمعنى آخر، الأجواء هي شيء شبه موضوعي، يمكننا وجوده من التواصل أيضًا مع الآخرين؛ ولذلك فإنه مُصطلح لا يمكن تعريفه بشكل مستقل عن الأشخاص المتأثرين به عاطفيًا؛ فالأجواء هي عبارة عن "حقائق ذاتية". ويبين راينر كازيج (2016) –مُستشهدًا بشميتز أيضًا– أن مفهوم الجو هو واحد من المُصطلحات، التي تأتي ضمن علاقات التواصل المُختبرة. ويرى كازيج أن شميتز استعمل الأجواء لشحذ مفهومه عن العواطف؛ وفقًا لرغبته في التغلب على عقيدة العالم الداخلية، وقال إنه يفهم العواطف ليس باعتبارها فئة نفسية بحتة، وإنما باعتبارها أجواء، والتي هي حقيقة موضوعية (يُمكن إدراكها بالحواس) تتسرب لمنطقة أوسع لتوصيف النوعية شبه الموضوعية.

وقد أشار الفيلسوف الفرنسي المهتم بعلم الظواهر موريس ميرليو–بونتي، في العام 1962، إلى أن الجسد أساس لإدراك العالم؛ فهو ما يبقي المشهد المرئي على قيد الحياة

باستمرار؛ إذ إنه يتنفس الحياة فيه، ويحافظ عليه داخليًا، ومعه يشكل نظامًا، كل ذلك من خلال احترام المعنى في التجربة الإنسانية. (Merleau-Ponty, 2002, p. 203)

افترض جيرنوت بيوم الفيلسوف الألماني، والأستاذ الفخري في جامعة دارمشتات التقنية والشخصية المُعتبرة، في عالم عِمارة وعُمران الأجواء الحضرية أن التجربة اليومية تمثل الحجة الرئيسة لكيفية توليد استجابة المرء للأجواء المحيطة. وناقش بيوم مفهوم الأجواء في العام 2013؛ بناء على خاصية الفضاء، باعتباره تفاعلاً شاملاً بين جوانب التصميم المادي الفيزيقي والاجتماعي، إذ عرفه بأنه مرتكز الوعي بالوجود المادي في الفضاء (أو أن يكون المرء على بينة من الشيء)؛ فالأجواء هي ما يجد المرء نفسه فيها.

وفي مستهل مقاله المعنون "الأجواء كوعي بالوجود المادي في الفضاء"، طرح سؤالاً يتمحور حول عصر الاتصالات: هل مستقبل الحضارة القائمة على التقنية يُعد حضورًا اجتماعيًّا دون جسد؟ أم أنه حضور وجوده كعدمه؟ ويرى بيوم (1993, p. 29) أن العِمارة والعُمران تتشكل من تقدم التقنية الحديثة بالقدر نفسه الذي يطرأ عليها من تطورات ذات صلة بالاحتياجات البشرية. مُقترحًا ثلاث مجموعات من الخصائص، التي اعتادت على خلق فضاءات مِعمارية عُمرانية بأجواء معينة كقاعدة عامة، وارتبطت بمُصطلح "المزاج" mode، واعتمدت تلك الخصائص على أطروحته الرئيسة، وهي أن "الفضاء مجال للوجود المادي المُدرك."

- اهتمت المجموعة الأولى بتوسيع مساحة تصميم هذا الفضاء من خلال الهياكل الهندسية والكوكبات الفيزيائية، والتي تعد المسؤولة عن الإحساس بالحركة والكتلة والأحمال.
- ارتبطت المجموعة الثانية بالأحاسيس، التي يرغب المرء في أن تتولد من تصميم هذا الفضاء، وليس بالخصائص التي تحقق الغرض من الفضاء. وتركز على مسألة المولدات اللازمة لتحريك الخبرات مُتعددة الحسية؛ ولذلك تهتم تلك المجموعة بخصائص الخبرات مُتعددة الحسية، أو صفات الحواس، التي تنتمي إلى أكثر من حقل حسي في وقت واحد؛ بحيث يمكن للمرء أن يتكلم عن النبرة الحادة والضوء الأزرق البارد أو الدافئ في وقت واحد.. إلخ. ومن ثم فإنه يتعامل مع خبرات الحواس المُدركة كافة، والتي يمكن بالتناقض – فقط – أن تنتشر في مُختلف المجالات الحسية.
- ترتبط المجموعة الثالثة بالخصائص والسمات الاجتماعية، المُتعلقة بإضافة الصفات التقليدية البحتة، المرتبطة بالمعاني وذات العلاقة بعناصر مولدات الأجواء، والتي لها

طابع رمزي؛ حيث تصبح الشخصية الاجتماعية للأجواء أكثر وضوحًا إذا كنا نتحدث عن أجواء العشرينيات، أو عن اللوبي أو الباطن البرجوازي، أو السلطة على سبيل المثال؛ فالرخام كمادة يخلق جوًّا من السيادة، أو كما هو سائد منذ القرن التاسع عشر فى أن الجرانيت يهب الشعور، الذي ينضح بأجواء الوطن كليهما (الرخام والجرانيت)، ويعتمد على توافقات ثقافية محددة. يرى چوني بالاسما (2014, p. 19) أن الأجواء لها تأثير قوي وفعال على عواطفنا ومزاجنا والفضاء المنظور؛ فضلاً عن أنها الأفعال المتجانسة والمنسجمة (Pallasmaa, 2011, p. 20)؛ بيد أنه يرى أن أجواء المدينة لا تكون هي نفسها مثل صورتها (Pallasmaa, 2011, p. 21) ؛ فالجو شيء عقلي، وخاصية تجريبية، وسمة معلقة بين ما يمكن إدراكه كشيء أو من خلال العواطف والمشاعر والأهواء subject. (Pallasmaa, 2014, p. 21)

يعتقد بالاسما أن نوعية الفضاء أو المكان ليست مجرد إدراكًا بصريًّا؛ فالحكم على الشخصية البيئية في الغالب ناتج انصهار أو اندماج مُعقد مُتعدد الحسية من العوامل، التي لا تعد ولا تحصى، والتي يتم استيعابها على الفور، وبشكل صناعي شعور عام والأجواء والمشاعر أو المزاج (Pallasmaa, 2014, p. 230). ولكن الجو –حسب بالاسما– ليس لحظة إدراك فريدة، وإنما وجوده دائم في أي موقع ومحيطه، في حين أن الجو بالنسبة للمِعماري يبدو مسيطرًا كشيء رومانسي ومسلٍّ بسطحية، فيستند التقليد الغربي الجاد بكامله إلى رؤية العِمارة والعُمران؛ باعتبارها موضوعًا ماديًّا وهندسيًّا ذا رؤية مركزة، في حين أن الجو يمثل نوعًا من "الهالات" غير المادية، التي يبدو أن الواقع المادي يفرزها، فأجواء العطر غير مرئية أو كرائحة تُستخدم فحسب لتزيد من الخبرة الحسية. والمتوقع عادة من الصور المعمارية العُمرانية، أن تسعى للوضوح بدلاً من الافتراض والغموض، وتحقيق الدقة بدلاً من الانفتاح، الذي لا تقيده حدود أو قيود بنهايات محددة والضبابية المدروسة أو المُتعمدة (Pallasmaa, 2014, pp. 235-236). علاوة على ذلك، يرى بالاسما أن المِعماري يحتاج إلى الجمع بين البراءة والخبرة لتطوير الحساسية المُفرطة للأجواء؛ فالجو عنده يمكن اختباره كوحدة واحدة، حيث جميع الحواس تعمل في وقت واحد.

6. الأجواء كمفهوم أساسي لجماليات جديدة

يتعامل عديد من المعلقين مع الأجواء، من وجهة نظر "الكائن الجمالي نفسه،" ومنهم: ميكيل دوفرين (1953)، جيرنوت بيوم (1993 و1998 و2005 و2014) ومارك ويجلي (1998)

وچوني پالاسما (2011) وكريستيان بورش (2014) وتوني جريفيرو (2016)، وبيتا لابون (2016).

في العام 1953، وصف ميكيل دوفرين (1973, p. 76) الجو بأنه "ما يُدركه المُشاهد"، مُعطيًا مثالاً على ذلك بفن الباليه؛ حيث الموسيقى وما يصاحبها في علم حركة الرقص التشاركي choreology cooperate هما اللذين يُشكلان "روح الباليه،" مُضيفًا بأن ما يهدفه الراقصون، في كل الأحوال، هو "الموضوع الجمالي في ذاته،" فهم يجتهدون في البحث عن كيفية جلب الجمال للوجود، ثم يبحثون بعد ذلك عن كيفية جعل المُشاهدين يدركون هذا الجمال. وهذا الجو يمكن إدراكه في فن الرقص الخالص؛ حيث إن التعبير بالجسد في حد ذاته ليس هو المقصود، وإنما يُحصنه الموضوع بعينه؛ فيرى دوفرين أنه من الصعوبة رؤية هذا العالم كما هو على حاله، مُعتقدًا بأننا نتحسس وجوده على الفور، مثلما يقدمه لنا الموضوع الجمالي.

فالجو حسب دوفرين (1973, p. 168) "مسألة ذات نوعية معينة (أو خاصية)، تتضمن أشياء مادية ملموسة أو كائنات." فهو "خاصية"، لا تنتمي إلى تلك الأشياء والكائنات في ذاتها لأنها لا تصنعها، وإنما هي مثل مبدأ عرض شيء إضافي أو مبني للمجهول، حسب ما نقوله عن أن هناك جوًّا مكهربًا أو حين يُغني ترنت [وهو مغني فرنسي شهير] فتملأ الفرحة الهواء. ويتجسد هذا المبدأ في الأفراد أو في الأشياء، فهو إلى حد ما يشبه الوعي الجماعي، الذي يحكم الوعي الفردي في أوقات التغيير، وهو حقيقة نشعر بها بحذر، عندما نتصل بالمجموعة التي ينبثق منها. فالجو لا يُعالج الجميل والحقيقي بالطريقة نفسها، فهو يمتلك الحقيقي، بينما الجميل هو الذي يمتلكه (Dufrenne, 1973, p. 428)؛ فالجو من منظور الموضوع الجمالي، يثير شعورًا أو مشاعرًا في المتفرج أو المشاهد أو المستمع، الذي يكمل الموضوع الجمالي ويتجاوزه. (Dufrenne, 1973, p. 521)

وربط جيرنوت بيوم (1993, p. 120) بين الصفات البيئية والحالات البشرية؛ لتحديد معنى ومفهوم الجو، الذي بني على فكرة "جماليات الاستقبال". فحسب بيوم، فإن الأجواء ليست موضوعًا يمكن إدراكه بالحواس objective، مُتحدثًا عن حالة النشوة [الشعور الساحق بالإثارة من فرط السعادة الشديدة والبهجة]؛ فالأجواء من وجهة نظره لا تمتلك الصفات، التي تمتلكها الأشياء المادية الأخرى، ومع ذلك، فإنها تمتلك شيئًا مشابهًا، الجو ينتمي إلى الشيء، ومن حيث إن الأشياء توضح وجودها من خلال الصفات، التي يمكن إدراكها.

بيد أن الأجواء من وجهة نظره ليست شخصية أو ذاتية subjective تُحدد الحالة النفسية، ومع ذلك فهي خاضعة للذات، وتنتمي للموضوعات؛ من حيث إنها تستشعر الوجود الجسدي من قبل البشر، وهذا الاستشعار هو في الوقت نفسه حالة جسدية من كونها ذاتية في الفضاء.

ويرى بيوم (1993, p. 122) أن الجو ينوب عن كُلّ من المفهوم الأساسي لعلم الجمال الجديد، وهدفه المركزي من الإدراك؛ فالجو هنا واقع مشترك من المتلقي (المُدرِك)، وما هو محل التلقي (الشيء المُدرك)، كما أنه واقع يُنظر إليه على أنه مجال وجوده وواقع المتلقي، بقدر ما يستشعر هو/هي أن الأجواء حاضرة جسديًا بطريقة معينة. وهو يُعرف الجو من حيث كونه مفهومًا جماليًّا بأنه شيء واقع بين "الموضوع" (سواءً أكان شخصًا أم مكانًا أم شيئًا أم فكرة)، و"الموضوع" (أو الكيان الذي يتصرف بموجبه الموضوع)؛ ولذلك فإن جماليات الجو ينبغي أن تتوسط المسافة بين كُلّ من جماليات الاستقبال وجماليات المنتج أو الإنتاج. (Böhme, 1998, p. 112)

يعتقد بيوم (1998, pp. 112, 114): أن فكرة الجو دائمًا ما تتعلق بمعنى "الشعور المكاني للجو المحيط"، مشيرًا إلى أن جماليات الأجواء تحوّل الانتباه بعيدًا عن "ما" يمثله الشيء، إلى "كيف" أن هذا الشيء موجود. وبهذه الطريقة، يتم إعادة النظر في مسألة الإدراك الحسي، بدلاً من الحكم على الجماليات، وها هنا هو يجعل مُصطلح "الجمال" يستعيد معناه الأصلي، وهو نظرية الإدراك؛ فهو يعتقد أنه إن كنت بحاجة إلى إدراك شيء، فإنه ينبغي على هذا الشيء أن يكون موجودًا، أي يجب أن يكون حاضرًا؛ ويجب أن يكون الموضوع أيضًا موجودًا بشكل فيزيقي مادي ملموس؛ وأشار إلى أن الأجواء تقع بين فئتين، هما: "الصفات البيئية" و"الحساسية البشرية" (Böhme, 2000, p. 14). وهنا يعتقد بيوم في العام 2002 أن تحليل الأجواء أو مُنتجات الأجواء، التي يخلقها المحترفون المهنيون، ذوو العلاقة بالحيزات المكانية سيؤدي إلى فهم ما هو مطلوب لتكشف الأجواء من نوع معين– من خلال الإجراءات الخاصة بالمُنتجين، وقبول الآخرين لها (Böhme, 2005, p. 139)، ويفترض بيوم أنه إن كانت الجهود المُثمرة لخلق الجمال عامة وجماليات الأجواء خاصة، وتستهدف في النهاية أن يكون له معنى، فإن الخبرات الجمالية ينبغي أن يتشاركها الناس الذين يصنعون الجمال، مثل الفنان والمعماري، فكلهم يرغبون في التعرف إلى الكيفية، التي يختبر بها العامة الأشياء ليضعوها ضمن أشياءهم الجميلة، ومن ثم ينبغي التعرف إلى ما يجب أن يتوافر لدى الفنان للقيام بتلك المهمة الجمالية. (Böhme, 2010, p. 23)

7. الأجواء كظاهرة ينبغي تحديدها حدسيًا

الحدس أو الإلهام هبة من الله ونور لاستشراف الأحداث غير المألوفة، وهو ملكة إنسانية، تتبع نوعًا من المعرفة الغريزية أو الفطرية، مع تجنيب العقل والتفكير المنطقى، وهى حالة تحدُث اعتمادًا على الوعي المعرفي الباطني الداخلي، المتكون عبر الخبرات الذاتية، على مرِّ السنين، ومن خلال الاستفادة من القدرة على تفعيل المشاعر لاتخاذ القرارات، التي ليس لها إجابات منطقية.

ويوحي استخدام مفهوم الحدس بطبيعته بأن الجو جزء، مما يمكن أن يسمى الحس السليم؛ حيث شكل فيه المعرفة والخبرة جزءًا لا يتجزأ من تواصل اجتماعي أكبر، وأن كليهما قابلان للتشارك والمبادلة.

يشير كل من جيرنوت بيوم (2013) وڤلاد أيونيسكو (2016) إلى اثنين من مشاهير الطليعة في الحركات المعمارية العُمرانية، هما: المؤرخان الألمانيان هاينريش وولفلين (1864-1945) وأوجست شمارسوه (1835- 1936)، المُعتمدان في إدراكهما الحسي على الحدس وتغليب الوجدان affectivity، والمشاركة العاطفية الوجدانية empathy.

فحسب إيونيسكو (2016, p. 1) نقلاً عن كيم دوڤي يرى وولفلين العِمارة والعُمران كظاهرة ثقافية للتعبير عن حالة مادية ملموسة، وليست مجرد تأثير حسي جسدي، فإدراك الشكل الفضائي للعِمارة والعُمران مسألة مُتعلقة بخبرة الجسد، وما يحصل بواسطته من إدراك داخلي، وليس فقط عن طريق الرؤية بالعين، وأن الوجدان والحركة يُشكلان التصميم المِعماري العُمراني.. وهكذا،"لم ينظر فولفلين فقط إلى التأثير الجسدي/الحسي للعِمارة والعُمران القائمة، ولكن على العكس فسرها على أنها تعبير عن حالة مادية، كما أعاد تفسير العِمارة والعُمران من مجرد اعتبارها نظامًا بصريًّا، كما يحصل في التصوير، إلى كونها نوعًا من العرض المرئي، لا يستنكر المزاج، واستشهد عن رانسير (2003): أن النظام الجمالي الحديث يخترع نوعًا من البصرية، يرفض تبعية الحساسية البصرية للخطاب الفكري؛ فعرض الصور يحدث باعتبارها كيانات مستقلة، تؤثر على المشاهد من خلال هيكلها الداخلي. وحسب إيونيسكو، جاءت أسئلة وولفلين في أدبيته المنشورة باللغة *الألمانية* *مقدمات لعلم النفس في العِمارة والعُمران* (1886)، على النحو التالي: كيف يمكن أن تُعبر أشكال العِمارة والعُمران عن المزاج؟ كيف يمكن أن ينقل الجماد (المبنى) انطباعًا يُمكن حسه كتعبير؟

حسب وولفلين، ترتبط بنية العِمارة والعُمران بالتجربة المُعاشة (Ionescu, 2016, p. 3)، وليست فقط بمجموعة من النسب الرياضية، القابلة للقياس، تخضع لانطباعات في مزاج المشاهد، وهو يطرح مُصطلح "الشعور الحيوي"، حيث لايعتبر جمال عِمارة وعُمران الفضاء ردًّا على الأشكال، التي ينظر إليها عبر شبكية العين، وإنما نتيجة شعور بعلاقة غير مقيدة بين الأشكال المُدركة والشعور الحيوي لجسدنا.

هذا المُصطلح يشير إلى ثبات الطاقة التي يشعر بها المرء، خلال حركة غير مقيدة من الجسد؛ فتجربة بنية العِمارة والعُمران تتطلب –مسبقًا– الوساطة الرمزية بين الأشكال المُدركة والطريقة، التي ينظر بها الجسم بشكل حيوي وفق دستوره الخاص، وتعني الرمزية هنا أن العلاقة بين النسب الجسدية وبنية العِمارة والعُمران تتوسط الشعور، وليس فقط مجرد نقل العلاقات الهندسية من مجال إلى آخر (Ionescu, 2016, pp. 3-4). إذا شعرت الهياكل المِعمارية والعُمرانية بأنها جميلة؛ فذلك لأنهم يؤكدون الشعور بأن الجسم لديه "رفاهة"، وهو مفهوم سريع جدًّا، وغالبًا ما يترجم على أنه متعة. (Ionescu, 2016, p. 4)

وتستند نظرية وولفلين على الحدس، فالأشكال المِعمارية العُمرانية تتوسط بين الجسد والشعور بالفضاء، وينبغي أن يكون مقياس البيئة المعيشية مطابقًا للنطاق البشري؛ فالتماثل والنسب والوضع الرأسي للجسم يشعرونك بأنه تصرف عاطفي متناغم، يسمى "المزاج"؛ فالاستجابات السارة تجاه أي فضاء تُعد علامة على التطابق بين الأشكال البصرية والشعور الحيوي، وأن الجسد هو معيار لتجربة الفضاء حسب المزاج. وكما يقول وولفلين، فإن التصميم لا يتبع وظيفة، وإنما يتبع دينامية التوترات الكامنة في جسد الإنسان، ليُملي مورفولوجيا الفضاء الذي نسكنه. (Ionescu, 2016, p. 4)

يعتبر أوجست شمارسوه من المؤرخين المِعمارين الأوائل المُختصين في مفهوم الفضاء منذ العام 1893، ويجيء حسب ميتشل شوارزر (1991, pp. 50- 52) باعتباره أول من وضع نظرية شاملة للعِمارة والعُمران؛ باعتبارها خلق فضاء في إطار النموذج الفكري الإدراكي الحسي التجريبي، وحيث يأتي كامل المعرفة الإنسانية بشكل رئيس عن طريق الحواس والخبرة، مع عدم وجود أية أفكار فطرية عند الإنسان، أو أي معرفة سابقة للخبرة العملية، كما أنه قام بتحويل مفهوم الفضاء المِعماري العُمراني إلى عملية معرفية، يتم من خلالها بناء الصور المكانية على مر الزمن. وحسب شمارسوه ينبغي أن ينشأ الوعي المكاني، ضمن مفهوم واضح للوعي الذاتي، ويترتب على ذلك أن جميع الأشكال المِعمارية العُمرانية تعتمد على بنية الجسم والإحساس والحركة. وفي السياق نفسه، يُمكن أن يُنظر للشكل

الفضائي للمبنى، كنتيجة لمجموعة من الإيماءات والاقتراحات، وإسقاط الرغبات والاحتياجات من هذا الموضوع إلى العالم. وينبغي أن تنشأ العِمارة؛ وفقا لشمارسوه عضويًّا من استخدام الإنسان للفضاء، وليس من فرض الهندسة مسبقًا على الناس. ويعَرَّف شمارسوه (1994, pp. 287-288) العِمارة والعُمران بأنها: خلق فضاء، والأشكال المثالية للحدس البشري للفضاء، وأن تاريخ العِمارة والعُمران هو تاريخ الشعور أو الإحساس بالمكان، كما يعتقد شمارسوه (1994, pp. 283, 286) بأن ما هو ضروري حقًّا يمكن أن يبدأ فقط في عقل الفنان، وينتهي في عقل المشاهد.

وتمثل حركة الجسد من وجهة نظره الجانب الرئيس في إدراك العِمارة والعُمران؛ وخاصة فيما يتعلق بالفضاءات المُشكلة، مع ضرورة الإشارة إلى دور بنية العِمارة والعُمران في التحكم في هذه الحركة، وهذا يحدث عبر ثلاثة أبعاد: الأول هو الخط الرأسي، الذي يدير الجسم من شكل حركة الرأس إلى أخمص القدمين، لخدمة تجربتنا في العِمارة والعُمران، وتخُص المظهر المرئي، وتشير تلك الحركة إلى الجدران على الجانبين وليس الأسقف. ويتعلق البعد الثاني بالنظر إلى الأمام، وهو ما يُعطي حرية الحركة لرؤيتنا التي تتحدد مع مكان وموضع العينين لتحديد العمق، وهي تُساهم في جعل المكان مريحًا وقابلاً للعيش، إذا صُمم بشكل يُشعرنا بأننا غير محاصرين. ويحتاج البعد الأفقي يحتاج لحيز كاف؛ لكي يكون ملائما للسكن القابل للحياة، إلى جانب أن شمارسوهه يرى أن النظام في العالم الخارجي: الاتساق والنقاء يقودان إلى الأشكال المثالية، فيما يتعلق بالحدس البشري للفضاء.

وفي العام 2010، جاء أنطونينو جريفيرو (2014, p. 5) بتعريفه للجو باعتبار أنه شيء مُتعلق ومُرتبط بالوجدان العاطفي النوعي، وأنه حيز مكاني باعث على الفخر، ولقاء راشد وملموس وحساس غير متوقع مع العالم. وهذا يعني إمكانة استيعاب الشعور في الفضاء، ومُعرفًا إدراك الجو بأنه وجود كلي وعاطفي في العالم. (Griffero, 2014, p. 15)

في سياق آخر، بدأ مسار جريفيرو (2016, p. 1) "من جماليات أنطولوجيا الأجواء، التي تفهم على أنها قوى عاطفية ومشاعر منتشرة في مساحات ما قبل الأبعاد، ووصلت إلى علم أنطولوجيا شبه الأشياء؛ حيث كل ما يحيط بنا، وبما في ذلك الجو والمناطق الحضرية هي شبه الأشياء. وينظر إليها باعتبارها نصف الكيانات التي – لتعبيرها تدخلي – تؤثر علينا مثل الشركاء. ويمكن العثور على إطار مرجعي لهذه الرحلة، ليس فقط في ظواهر هيرمان شميتز الجديدة، وإنما أيضًا في أي مشروع أقل طموحًا من الجماليات المُرضية (Griffero, 2016, p. 27)؛ فيجد الجو إدراكًا أكثر أو وضوحًا محددًا أقل تردد صوت شعور

الجسد. في حين يرى كريستيان بورش (2015, p. 80) أن كُلّ لقاء بالعِمارة والعُمران يحتوي على إمكانة أن يترسخ لدينا، بقوة وشكل مفاجيء، شيء عن جوها، حتى لو أن بعض هذه الأجواء كانت مؤثرة، – فى مشاعرها – بشكل مكثف أكثر من غيرها.

8. غموض مفهوم الأجواء المحيطة

يُمكن القول بتحفظ بأن كثيرًا من المُفكرين اتفقوا على مع ما جاء في المعاجم، ورغم قولهم بغموضه، فهو متعلق دائمًا بتوليد المشاعر عند البشر، تجاه مكان أو شخص أو منظر أو عمل فني. وإنما نحن نتفق معهم أن مسألة توليد تلك المشاعر بالصورة اللحظية أو الفورية، التي تحدُث للمرء، تجاه كُلّ ما فات، ويشعر خلالها بالبهجة والسرور أو الرتابة والكئابة ما زال بالفعل غامضًا ويحتاج للتفسير. ويبدأ تتبع غموض الأجواء في الفكر الغربي الحديث من هيرمان شميتز (1928)، وبعد ذلك، يعالج عديدًا من المعلقين هذا الغموض، مثل: جيرنوت بيوم (1991)، ومارك ويجلي (1998)، وچون ألجو (2010) ولوك أوليڤر جانيست (2010) وبن أندرسون (2014) وپيتا لاپون (2016).

حيث يُدرك شميتز الجو بالمعنى الكامل، عبر "انطباع عاطفي ناتجًا عن تأثير الجو على الجسد". وعلاوة على ذلك، فإن مفهومه للأجواء يستبعد تمامًا إمكانية إنتاجها بواسطة خاصية الأشياء، وهو الأمر الذي يعني أن مجال العمل الجمالي الكامل في نهجه مُستبعد (1993, p. 120) ، ويُعد شميتز حسب ما ذكره جيرنوت بيوم (2013, p. 26) أنه من المستخدمين لتعبير الأجواء أو الشعور العام كخبرة سابقة أو يومية بالمعنى النظري؛ حيث تعتمد أجواء شميتز حسب بيوم (1993, pp. 119-122) – في الأساس – على مفهوم علم الظواهر، ليس من خلال تقديم مجرد تعريف، وإنما عبر الإشارة إلى "الخبرة اليومية"، مثل: خبرة جو متوتر في غرفة، أو جو رعدي قمعي، أو جو هادئ في حديقة. وتعُرف مدرسته بالحدسية لما تمثله ظاهرة بعينها في خبرتنا الواعية، وانطلاقًا من هذه الخبرة، يمكن تحليل الظاهرة وبحث أساس معرفتنا بها. والجدير بالذكر أن شميتز – حسب إشارة بيوم – يدرك الجو بالمعنى الكامل عبر "انطباع عاطفي، ناتج عن تأثير الجو على الجسد".

إنما يبدو – وبشكل مختلف – أن بيوم (1993, p. 114) يرى "أن الأجواء غير مُحددة، فيما يتعلق بوضعها الأنطولوجي"، بمعنى وجودها أو واقعها الكوني، كما أنه غير يقينى أيضًا عن موقع تلك الأجواء، فقد تبدو أحيانًا أنها تملأ الفضاء، مع نبرة أو وتيرة معينة tone، من الشعور الذي يبدو وكأنه الضباب. وقد أسس بيوم (1993, pp. 117-118) مفهومه عن الجو على أساس أنه ما ينظر إليه كنوعية فضائية مُمتدة وغير مُحددة من الشعور،

مُعترفًا بأن استخدام ذلك التعبير مُغلف ببعض الغموض، وإنما يعود ويذكر بأن هذا المعنى لا يعني بالضرورة أن هذا التعبير غامض في حد ذاته، مُصرحًا بأنه غير أكيد ما إذا كان ينبغي له أن يعزوها إلى الأشياء والكائنات، أو إلى البيئات التي تنطلق منها، أم أن مرجعيتها هي إلى الأشخاص الذين لديهم خبرة عنها. (Böhme, 1993, p. 122)

والمعرفة التي تخص الأجواء نادرًا ما تكون عنده صريحة؛ حيث دمرها الانقسام الازدواجي، بين ما يُمكن إدراكه بالحواس، وما يُمكن التعامل معه –بصورة ذاتية– مُعتمدة على العواطف والمشاعر والأهواء الشخصية (آيّ بين ما هو موضوعي، أو ما هو ذاتي وشخصي) (Böhme, 1993, p. 123). تستشهد پيتا لاپون (2016, p. 292) بكلام بيوم عن وصفه الجو بأنه "سينستيسيا" synesthesia، والتي تأتي بمعنى الخبرات مُتعددة الحسية لموضوع والخصائص المُختلفة لكائن، يوصف بأنه شبه وجوه مترابطة جوهريًّا. وجاءت سينستيسيا في الويكيبيديا مُشتقة من اليونانية القديمة بمعنى: معًا + الإحساس، وهي ظاهرة عصبية، يؤدى فيها تحفيز مسار حسي أو إدراكي إلى تجارب تلقائية غير طوعية في مسار حسي أو إدراكي ثانٍ. بيد أن بيوم يرى أن سكان المدينة أنفسهم هم المنتجون للأجواء (1993, p. 11) ، ويرى مارك ويجلي (1998, pp. 18, 27) أن تشييد المباني يعني أيضًا تشييد الأجواء، بيد أن هذا التعريف يحتاج إلى تعريف.

في حين أن الإحساس الأصلي بالأجواء المحيطة حسب چون ألجيو (2010, p. 220) قد تحول بشكل كبير في وصفه للمقعد باعتباره "مصنوع بجو إسباني"، مُنزلقًا بعيدًا تمامًا؛ حين الإطراء على مطعم قائلاً: إنه طعام عظيم، مَخدوم مِهنيًا في جو من الأجواء. ولم تعد أجواء الحضر تدور حول تعلم تجنب (أو حب؟) الضجيج الصناعي القاسي، حسب لوك أوليڤر چانيست (2010)، وإنما باتت تتعلق بالتفاعل والمراقبة وإرسال الإشارات، كما باتت المشاعر المختلطة عن شخص أو شيء ما، وعدم القدرة على الاختيار بين مساري تقدم المدينة المحيطة بشكل متناغم باعتبارها جدلية، حيث يسير الشعور المتصل والمنفصل يسيران جنبًا إلى جنب.

ويشير جانيست إلى أن الأجواء المحيطة دخلت مجالات الحياة كافة مثل: الإعلانات وعلم الجمال والعِمارة والعُمران والفن، وحساب التفاضل والتكامل والعرض والمخاوف والإمكانية والمعلوماتية والاستخبارات، ووسائل الإعلام والروايات، والأخبار والشعر والتلفاز والفيديو. وفي نقلة نوعية، يرى بيوم (2014, p. 43) أن مفهوم الأجواء مُصطلح يجئ في العامية، بيد أنه يعتبره مفهومًا جماليًّا يكتسب تعريفه، من خلال علاقته بمفهوم آخر،

والأكثر من ذلك، أنه يختبره باعتباره كمؤثر عاطفي. ويؤكد بن أندرسون (2009, p. 78) أنه ليس وحده الذي يرى أن مفهوم الأجواء "غامض،" حيث يُستخدم المصطلح بالفعل بشكل غامض ومتبادل مع المزاج والشعور والأجواء والنبرة، ومسائل أخرى لتسمية التأثيرات الجماعية على الإنسان، في موقع بعينه، فكُلّ كلمة من تلك الكلمات لها معنىً مُختلفًا. بيد أن أندرسون يُضيف بأن الإشارة إلى مُصطلح الجو متعددة، حيث جاءت بمعنى العصور والمجتمعات والغرف والمناظر الطبيعية والأزواج والأعمال الفنية، بل وأكثر من ذلك بكثير، ويقال إن كُلّ تلك الأشياء تمتلك جوًا، (أو أنهم يمكنهم أن يمتلكوه). ونستعير منه تعريفات الجو حسب بعض المنظرين، مثل: أنه غير شخصي أو عابر الشخوض، وينقل شعور الآخرين وطلة أو نسمة شعور لائقة، ونبرة في الأدب، ومحاكاة موجات من المشاعر، والشعور بالمكان على نطاق أوسع.

الأجواء المِعمارية العُمرانية الحضرية

باتت كلمة الأجواء ambiences في مجال العِمارة والعُمران، مقابلة لمفهوم الأجواء المحيطة (الشعور العام) atmospheres في معناها العام، والمتعلق بالخبرة الإنسانية لموقف محدد أو حالة خاصة (مكانيًّا وزمانيًّا). ومنذ أن أصبحت نظرية الأجواء "نظرية جمالية"، فإن مفهوم تحليل ظواهر الأجواء في عالم العِمارة والعُمران، في المناطق الحضرية أصبح واسع الانتشار؛ وحيث يركز موضوع الأجواء هنا عن الطبيعة المادية للفضاء وخاصية الأجواء، واللتين تُشكلان جزءًا لا يتجزأ من الفضاء.

في آواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، يمكن القول بأن ثمة عدة محاور، تكشف العلاقة بين العمارة والأجواء المحيطة، تخيرنا منها ثلاثة، مؤثرة على أجواء المجال العام؛ حيث يتناول المحور الأول المسائل المادية الطبيعية والاصطناعية، مثل: الضوء والصوت وعِمارة وعُمران المناظر: أثاث الشوارع والأعمال الفنية والنظافة. ويناقش المحور الثاني المسألة المرتبطة بالمشاعر والعاطفة مثل روح المكان. وكلا المحورين يتعلق بأن كل اختيار يقوم به مصمم المدينة يمكن أن يؤثر على العواطف، ودراما الحياة والخبرة اليومية فيصنع أجواء مختلفة؛ الأمر الذي ينعكس على أمزجة الناس.

9. الأجواء كظروف مادية وعناصر طبيعية

خلق شعور آسر ورائع للمواقع الحضرية ومحيطها يمثل واحدًا من العوامل الرئيسية، التي ينطوي عليها مفهوم "أجواء المدينة." ويعتبر هذا الخلق في المراحل الأولى من عملية

التنمية، فيما يتعلق بالفكرة المِعمارية العُمرانية ومفهومها، نهجًا عمليًّا لإنشاء الأماكن، التي هي في أمس الحاجة إليها. مع الأخذ في الاعتبار أن تركيز الأجواء سيكون مهتمًّا بالآثار الحسية المادية فقط، مثل: الضوء والصوت والروائح والملمس والذوق. وأن كُلّ هذه الخصائص، مُفردةً وفجأةً، تلعب بالنسبة لأيّ شخص دورًا مهمًّا لجعل الانطباع الأول من المشاعر البشرية المكتسبة عاملاً جذابًا للناس نحو أماكن المدينة، أكثر من أيّ وقت مضى؛ حيث ما يشعر به الجسد يستمر إلى الأبد.

والسؤال هل ينبغي على المصمم التعامل مع هذه المشاعر الإنسانية مُفردة؟ كيف يمكن تعزيز هذا الشعور باستخدام أبعاد التصميم الحضري؟ من هم المفكرون الذين لديهم علاقة مع مجال الممارسة المهنية لخلق أجواء المدينة؟ كيف يمكن توجيه أبعاد التصميم؛ لمساعدة المصمم الحضري على تعزيز تلك المشاعر؟

فيما يتعلق بتأثير الضوء في عالم العِمارة والعُمران، وتحديدًا في العام 1955، استخدم لوكوربوزييه؛ أضواء ليخلق آثار أجواء كنائسية طبيعية في كنيسة نوتردام دو هوت؛ حيث استخدم تماس الضوء الأنيق، الذي كان يضيء الطبيعية بدلاً من الضوء الاصطناعي، ولكن في نهاية المطاف كان لها تأثير مماثل. وحيث كتبت دانيال بولي (1957, p. 27)، مستشهدة بمقولة لوكوربوزييه بأن المفتاح هو الضوء، فالضوء يُضئ الأشكال والأشكال تمتلك قوة عاطفية.

في نفس السياق، يرى كل من مارك ميجور وجوناثان سبيرس وأنطوني تيشوسر (2006, pp. 110-111) أن الضوء يساعد على تحديد فهمنا لحدود الفضاء والشكل، من خلال إضاءة الحدود. كما أن مايكل جريفز يعتقد أن اهتمام العِمارة والعُمران لا ينحصر فقط في تصميم المبنى أو شيء آخر؛ بل هي أيضًا مُهتمة بالبيئة الثقافية والأجواء والمسألة برمتها.

في آواخر القرن الثامن عشر كان قد أطلق عديد من المفكرين على العِمارة والعُمران "الموسيقى المجمدة،" ومنهم فريدريش ويلهلم ڤون شيلينج وفريدريش نيتشه وچوهان وولفجانج ڤون جوته، وكلهم تعاملوا مع الهندسة المعمارية باعتبار علاقتها بالفضاء. أيضًا شبه بعض المِعماريين الطليعة، مثل: فرانك لويد رايت ولوكوربوزييه وتشارلز چينكس العِمارة والعُمران بأنها نوع من الموسيقى؛ فنجد رايت بمراسمه الغربية في ولاية أريزونا، والمعروفة باسم تاليسين، مُحترمًا خاصية الأجواء، التي ظهرت في ممارسته الحدسية في التوليف، من خلال التشابه والتباين في وحدة دينامية موحدة؛ حيث أطلق لوكوربوزييه فكرة الموديولور، انطلاقًا من علاقته بالموسيقى؛ فالعِمارة والعُمران تصبح موسيقى، حسب

تشارلز چينكس، حيث إن كلاهما له حصة من السلالة الثقافية الواضحة، مثل: الإيقاع والتناسب والانسجام.

وعلاوة على ذلك، فإن الوسائل المشتركة بين كلا الفنونين تتكون من التركيز العاطفي والمعنى، والاعتماد على الصورة النمطية (أو الأسلوب)، وتطور التنغيم (أو المقارنة مع رحلة مِعمارية عُمرانية عبر الفضاء)، بجانب عديد من التفاصيل والأرقام الأخرى المشتركة، مثل: (أ) chromaticism تقنية التركيب الموسيقي المتلون (بمعنى الدخول بنغمة اغترابية ومُختلفة عن نغمات التركيب الأصلي)، (ب) glissandi والانزلاق المُتعمد من نغمة لنغمة، (ج) morphing واستخدام النغمات والتغيير بسلاسة من صورة إلى أخرى، بخطوات تدريجية صغيرة باستخدام تقنيات الرسوم المتحركة مثلاً.

كما يتعامل جوني بالاسما (1996, pp. 44-45) مع العِمارة والعُمران باعتبارها في الأساس امتدادًا للطبيعة، في عالم من صنع الإنسان، موفرة الأساس للتصور والأفق لتجربة وفهم العالم؛ فهي ليست قطعة أثرية مَعزولة ومُكتفية ذاتيًّا، وإنما هي توجه اهتمامنا وتجربتنا الوجودية إلى آفاق أوسع؛ مما يُعطي بنية مفاهيمية ومادية للمؤسسات المُجتمعية، فضلاً عن ظروف الحياة اليومية؛ فكل تجربة في العِمارة والعُمران هي تجربة مُتعددة الحواس؛ يتم فيها قياس نوعية وحالات ومقياس الفضاء، على حد سواء عن طريق العين والأذن والأنف والجلد واللسان والهيكل العظمي والعضلات.

وعلاوة على ذلك، فإن العِمارة والعُمران تنطوي على عديد من عوالم الخبرة الحسية، التي تتفاعل وتدمج في بعضها البعض، وها هنا يهتم بالاسما بتطوير بنية حسية، تضع الجسم كُلّه في المركز، وتدمج فيه جميع الحواس.

10. الأجواء كمبدأ توجيهي للممارسة المهنية

في القرن الحادي والعشرين، وفي عالم العِمارة والعُمران والدراسات البيئية، تعامل چان پول تيبو (2002) وجيرنوت بيوم (2002) وپيتر زومثور (2006) وديتمار أوفنهوبر (2008) مع مفهوم الأجواء؛ اعتمادًا على فكرة الموقع ومحيطه situation، والذي استعمله عالم النفس الأمريكي، والفيلسوف والمعلم والناقد الاجتماعي والناشط السياسي چون ديوي، باعتباره مُصطلحًا فنيًّا، وفي العام 1938 أظهر القوة الكاملة للفكرة من وراء هذا المُصطلح، والذي عرفه بأنه العالم المحيط، الذي يتضمن خبرة، وينطوي بالضرورة على الوحدة التي تعطي معنىً للكُلّ (Dewey, 1938, p. 159)، وهو يعني البيئة بالمعنى الإيكولوجي؛ حيث سعى

هؤلاء الباحثين المُعاصرين الغربيين، اعتمادًا على ذلك التعريف؛ لتقديم بعض عوامل ومعايير وأسس قياس تأثير الأجواء على الموقع ومحيطه.

بداية وفي المقام الأول، يمكن القول بأن چون پول تيبو (Thibaud, 2002, p. 1) يرى أن الإدراك الحسي perception هو محور "نظرية الأجواء"، وإنما الأجواء في حد ذاتها –ليست بشكلٍ من الأشكال– هدفًا أو غاية أو موضوعًا أو مسألة إدراك حسي؛ مُعتقدًا بأننا لا ندرك الأجواء، وإنما نحن نُدرك نتيجة لوجود الأجواء، كما أنه يرى أن الأجواء متصلة بالأنشطة العملية (Thibaud, 2002, p. 7)، وأن الأجواء هي التي تحدد الظروف، التي تظهر فيها أيّ ظاهرة، ومن ثم يُصبح الوسيط (أو الظاهرة) شرطًا ثالثًا لحدوث الإدراك الحسي، وهذا الوسيط هو الذي يُمكننا من تصور العالم الملحوظ من حيث الظواهر، وعن طريق الكشف عن الظروف والطريقة، التي تظهر بها، وأما الشرطان الآخران، فهما: "الظروف المُعينة" و"طريقة الظهور،" كاتبًا أن الأشياء المُدركة تظهر دائمًا تحت ظروف إضاءة معينة، وتفترض بالضرورة بنية تحدد طريقة الظهور. (Thibaud, 2002, p. 9)

والمقصود بإمكانة إدراك العالم الملحوظ حسيًّا، وعن طريق الظواهر، يكون من خلال الكشف عن الظروف والطريقة التي تظهر بها؛ فالعين موجودة وكذلك المكان، وإنما يجب أن يتواجد الضوء كوسيط لتحدُث الرؤية، وقد بيَّن تيبو نقلاً عن ميرليو پونتي أن كل إدراك حسي، هو فقط إدراك حسي لشيء يرافقه عدم الإدراك الحسي النسبي من الأفق أو الخلفية؛ فهو يتضمنه ولا يفسره. وتولد الأجواء حسب تيبو شكلاً من أشكال التوتر في الجسد، مستدعية قدرة المرء على التصرف.

وقد اتبع تيبو نهج علم تشارك البشر في سلوك، هادف للحكم على الأجواء من خلال مفهوم الإدراك الحسي، ومستندًا إلى العلم المعني بدراسة منطق فعل الإنسان كإطار لفهم سلوك البشر praxeology؛ مما يوفر قوانين شاملة للفعل، تساهم في شرح العالم الذي نعيشه، فهو علم معني بدراسة بعض جوانب الفعل البشري، التي يمكن أن تفهم مُسبقًا.

وينتقل تيبو ليشرح كيف أن السمع audition يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتعبير عن طبيعة الأجواء؛ مؤكدًا أن الصوت عامل أساسي في التأثير على الأجواء، مستعينًا باقتباسات مثل إشارة هنري لفيفر (1984) في مشروعه الخاص، بتحليل الحركات لبيان الدور الحاسم للصوت، كمحرك لإيقاعات المناطق الحضرية وأجواء المكان، ويبين يوجين مينكوسكيوال (1999) عن أن الصوت هو الأجواء، أن الصدى هو ظاهرة أساسية في التجربة الحسية

بأكملها.

ويرى ديليوز (2003) أنه لا يوجد أي إحساس، دون صدى سواءً أكان صوتًا أم ضوءًا أم ملمسًا، وأخيرًا، عن دون إيد (2007) حول دراسة كيفية تطور الأجواء، من خلال الاستماع إليها بعناية للتمكن من إعادة صياغة ديناميا‌تها الداخلية، فالأجواء حسب تيبو ليست مجرد إحساس تشعر به، ولكنها أيضًا تُنتج. ولفهم كيف تُنتج الأجواء، لابد من معرفة كيف يحدث التفاعل بين البيئة المُشيدة والممارسات الاجتماعية التي تتيحها وتعتمد عليها؛ فالأجواء لا تقتصر على الصفات الحسية الناتجة بفرادة عن عِمارة وعُمران المكان أو تصميمه الفضائي؛ فمن المهم أن تؤخذ الأنشطة اليومية لسكان المدن في الحسبان، مثل: الناس الذين يسيرون في الشوارع ويتحدثون مع بعضهم البعض، ويقودون السيارات ويبنون منزلاً جديدًا ويحصدون مروجهم؛ فجميع هذه الأنشطة مسموعة، وهي مكونات أجواء، إلى جانب أحداث الطبيعة، مثل: عندما تهب الرياح أو يهطل المطر؛ فكلها أمور مسموعة، وتُغير من بعض ملامح البيئة التي كانت صامتة حتى ذلك الحين.

إن الصوت يعطي الوصول إلى ما يحدث، وهو وسيلة مفيدة جدًّا، والتي يمكن أن تساعدنا على توثيق التعبير الاجتماعي من أجواء. أيضًا، ممارسات الناس هي المكونة لإنتاج والتعبير عن أجواء. الأجواء، هي شكل معين من أشكال الحياة وهي طريقة معينة للعيش معا. وترتبط مسألة الأجواء السليمة مباشرة ببعض أنماط الحياة،، التي تفهم على أنها مولدات للأجواء الحضرية، مثل: ضوضاء الشوارع، فالصوت تعبير ووسيط من وسائط مختلفة للوجود الاجتماعي؛ فالصوت يمكن أن يكون علامة الشخصية الحضرية للأجواء.

في حين رفض بيتر زومثر العِمارة والعُمران باعتبارها مجرد صناعة الشكل، وهو مهندس رفيع المستوى من بازل في سويسرا، حاصل على جائزة بريتزكر في العام 2009، مُعتبرًا أن الهدف الأسمى من العِمارة والعُمران هو "خلق الفضاء العاطفي." وعلاوة على ذلك، أصر على أن "تكثيف العاطفة" يمكن أن ينشأ في أيّ مبنى، بداية من محطات السكك الحديدية المتواضعة في برلين إلى منزلٍ في الريف، فكلهم "ينبغي أن يكون لديهم جو." وهو يعتقد أنه لتصميم مبنى في اتصال حسي مع الحياة، يجب على المرء أن يفكر بطريقة أبعد من مجرد الاعتماد على الشكل والبناء، بل إن عليه أن يأخذ في الاعتبار الخاصية الروحية لتصميم المباني، والبعد المتسامي للمعنى في العِمارة والعُمران (1998).

لقد حاول زومثور تطبيق ذلك في مبانيه، على وجه الخصوص في الأبنية الدينية،

مثل: كنيسة القديس بنديكت في قرية سومڤيتج (1988) وبرودر كلاوس فيلد تشابيل، بالقرب من واشيندورف الصغيرة في ألمانيا (2007). كما صمم زومثور متحف الفن كولومبيا في كولونيا في ألمانيا، والذي بُني على أنقاض كنيسة، ووضع المواد وتعبيرها ضمن اهتماماته المِعمارية العُمرانية؛ حيث قام بتصميم مشاريع تقودها المواد، مثل: الحمامات الحرارية ثيرم فالس في سويسرا (1996) ومعرض كونستاوس بريجنز في النمسا (1997). إلى جانب ذلك، فهو استمر يبحث عن كيفية تحقيق جو خاص من الحميمية والدفء باستخدام المواد، وخاصة "الخشب" وبان ذلك في مشروعه هوس لوزي، جيناز في سويسرا (2002).

وقد عرض فكرة "الوجود في العِمارة والعُمران"، في محاولة للعثور على بنية خالية من الرمزية، وكُلّ ما يتعلق بالخبرة؛ مُعتمدًا على فكرة "تجنب المعنى المبكر"، أو "تجنب المعنى السابق لأوانه" في عمله ستيلنيست ميموريال، فوردو في النرويج (2011).

ويتضمن العرض القادم رؤية مُجمعة لهؤلاء الرواد الأربعة، عبر نقاط متتابعة، تبدأ بالتعرف إلى الرواد الذين يستند إليهم كل من الباحثين المُعاصرين والفكر النظري والاهتمام العام والهدف المعنوي والهدف المادي والفكرة والمفهوم والعوامل، والخصائص التي تُعزز من أجواء المكان وفئات تعزيز الأجواء والظروف والشروط الحاكمة للإدراك الحسي؛ لتحقيق خاصية الأجواء.

سار چان پول تيبود على خطى المُفكر في علم الظواهر الفرنسي موريس ميرليو بونتي (1908-1961)، ومن بعده چون ديوي (1859–1952)، في حين تبع جيرنوت بيوم المفكرين الثلاثة: هيرمان شميتز (1881-1960)، وهاينريش وولفلين (1864–1945)، وأوجست شمارسوه (1953–1963)، ولم يتبين اتباع أيٍّ من پيتر زومثور، وديتمار أوفنهوبر لأيّ من الرواد الطليعيين.

وفي حين استمدا تيبود وبيوم فكرهم النظري من ثلاثة علوم، هي: علم الظواهر وعلم تشارك البشر في سلوك هادف وعلم الجمال، فإن الفكر النظري لزومثور ارتكز على علم دلالات الألفاظ [أو علم المعاني]، واختار أوفنهوبر الفن والإعلام والتصوير منهجًا.

لقد ركَّز تيبود اهتمامه العام على فهم سلوك البشر، في حين ركز بيوم على الفضاء الخارجي، بينما تنوع اهتمام زومثور، فكان على المباني والحسية المادية وعاد فاهتم بالمكان كُلّه، مُركزًا أوفنهوبر اهتمامه العام على المجال العام، وواجهات المباني والحسية المادية أيضًا، وذلك تحديدًا في بيئة بعينها. وانصب هدف تيبو المعنوي على تحديد الظروف، التي تظهر

فيها أيّ ظاهرة حسية لتحقيق الهدف المادي، وهو "القيمة الجمالية في التجربة العادية"، في حين اهتم بيوم بهدفه المعنوي الخاص عن "تغير المشاعر تجاه المكان،" ثم "التحقق من الوجود الجسدي وتحقيق جماليات الاستقبال."

وكان ذلك الهدف عند زومثور، هو "خلق الفضاء العاطفي (خاصية الشعور العاطفي والخاصية الروحية)، والتعامل مع البعد المتسامي للمعنى؛" لتحقيق بنية خالية من الرمزية، أو كُلّ ما يتعلق بالخبرة الذاتية أو السابقة، وحاول أوفنهوبر تقديم هدف مادي تقني، من خلال "مزج الواجهة في الأجواء في السياق المحيط."

ويرى كُلّ واحد منهم الأجواء بشكل مُختلف؛ فهي عوالم من الشعور المباشر عن طريق الجسد، وعملية دينامية مرحلية حسب تيبو، وما يجد المرء نفسه فيها حسب بيوم، في حين يُعرف زومثور (2006, p. 11) الأجواء المِعمارية العُمرانية بأنها كثافة المُفرد والمزاج وهذا الشعور من الوجود والرفاه والوئام والجمال.

ويرى أوفنهوبر أنها ناتجة من سياق الواجهة وشاشات العرض المحيطة: تصميم السياقية. ومن ثم اختلفت أفكار كل منهم، فجاءت بالترتيب: أننا نُدرك حسيًا نتيجة وجود الأجواء وليس العكس، وأن الفضاء هو مجال للوجود المادي المُدرك، وتجنب المعنى المبكر أو المعنى السابق لأوانه، وحجب الرؤية، وكذلك جاءت المفاهيم مُرتبة أن الأجواء هي خاصية ذاتية، وتنقل الانطباعات تجاه الفضاء، وتحقق الوجود المادي في العِمارة والعُمران، وينبغي أن تستفيد من وسائل الإعلام المحيطة.

ومن منظور الممارسة المهنية، يرى هؤلاء الباحثون الأربعة أن العوامل والخصائص، التي تعزز جو المكان وفئات تحسينه مُختلفة: فحسب تيبو هي كامنة في جوانب الفعل البشري، التي يمكن أن تُفهم مُسبقًا والأفق والخلفية الحسية والتوتر الجسدي. ويراها بيوم كامنة في الخبرات مُتعددة الحسية synesthesia، وإدراك الحركة بمعنى رحب، والخصائص والسمات الاجتماعية.

ويرى زومثور (2006, p. 11) أننا نُدرك الجو من خلال حساسيتنا العاطفية، في شكل من أشكال الإدراك الحاصل بسرعة بشكل لا يُصدق، والذي من الواضح أن البشر يحتاجونه للبقاء على قيد الحياة. مُحددًا سلسلة من الموضوعات، التي تلعب دورًا؛ ليحقق عمله خاصية الأجواء المِعمارية العُمرانية: أولها: الوجود المُدرك للعِمارة والعُمران والأشياء المحيطة بها والتوتر بين الداخل والخارج، وثانيها: الحركة والعتبات والمقياس والمسافات، وثالثها: التوافق

المادي والضوء والظلال الأشياء والصوت ودرجة حرارة الفضاء.

واهتم ديتمار أوفنهوبر (2008) بموضوع تأثير عرض التصميم، غير المرئي لوسائل الإعلام المحيطة، في السياق الحضري على الأجواء الحضرية، من خلال التفاعل بين العِمارة والعُمران والفن العام، مُتسائلاً عن مدى إمكانة تحقيق الهدوء التقني technology calm في السياق الحضري، ومهتمًا بكيفية عرض الشاشات المحيطة، في المجال العام في بيئة اجتماعية محددة. وعرض ستة طرق أو خططًا وتدابير عليا؛ لمزج واجهة أي مبنى في الأجواء الحضرية، من خلال إقامة علاقة مع سياق الواجهة استنادا لمفهوم حجب الشيء invisibility، مؤكدًا أهمية المكان والمحيط الحيوي situation.

وتنقسم تلك الطرق والتدابير أو الخطط (الاستراتيجية) إلى مجموعتين، تركزان على عملية انتقال الاهتمام بين الخلفية والأمامية، تتناول المجموعة الأولى نقل الاهتمام إلى الخلفية، وتشمل التقليد أو المحاكاة Animism؛ فكُلّ الأشياء والكائنات تسكنها روح حية، ويتضمن الانتقال، رغم كونه غريبًا مثيرًا للدهشة روح الدعابة ولكنه مقبول، وتبني وسائل عرض غير مستقرة، ودمج الرداء المادي للواجهة الأمامية واقترانه بالخلفية. وتتناول المجموعة الثانية الاتجاه المعاكس وبزوغ الخلفية، وتتضمن الحراك (أو مذهب حيوية المادة) والغموض، وتوضيح الكائن، واستبعاد متعمد للمستعمل.

وفيما يتعلق بالفئات التي تعزز أجواء المكان المكان يرى تيبو أن هناك ثلاث فئات تُعزز التأثير على الأجواء، والتى تتبعها ديوي باعتبارها: (أ) الصفات الأولية: الشكل والعدد والحركة والصلابة، (ب) الصفات الثانوية: اللون والصوت والرائحة والطعم، (ج) الصفات الثالثية لكامل التجربة.

وبالنسبة لبيوم هذه الفئات، هي: الهندسة الإنشائية والبناء الجسدي والشخصية الاجتماعية والطابع الرمزي والصفات التقليدية النقية وإجماع ثقافي محدد. وحسب زومثر، فإنها التوافق المادي ودرجة حرارة الفضاء ومستويات الحميمية والعِمارة والعُمران كبيئة، والتوتر بين الداخل والخارج. ويعددها أوفنهوبر بأنها الروح الحية وغموض السياق والتصور المحيط والعرض العام، ويمكن السيطرة عليه والتصميم مع الرداء البدني.

اعتمد ديوي مُصطلح "خاصية سائدة" pervasive quality باعتبارها مفهوم خاصية طبيعية مُتفشية وسائدة ومُسيطرة، وذات منزلة عالية وتحدث بشكل فوري، ويشعر من خلالها المرء بما حوله، قبل أن يُعمل أي إدراك حسي أو يحل موقف الموقع ومحيطه.

وتأسيسًا على تلك الخاصية يقدم ديوي ثلاثة عناصر، مؤثرة على الأجواء وهي: أ) الوحدة: جميع مكونات السياق متكاملة في خاصية واحدة، بحيث إنه لاينبغي أن تضيع التجربة الذاتية، في سلسلة من الإدراكات الحسية المُتضاربة وغير المتناسقة.

وتشكل أيّ خاصية سائدة حالة فردية لا تتجزأ وغير قابلة للتكرار، ولا يمكن تخفيض الأجواء فيها إلى مجموعة من الأشياء المعزولة أو الإشارات المنفصلة أو الأحاسيس المتعاقبة أو أنماط السلوك الفردية، بل إنها توحد الموقع ومحيطه situation بصِبغة ثابتة. ب) المزاج: وهي كلمة تُدَلِل على مسألة الفهم؛ أيّ ليست الشرح أو التفسير، وتنتمي إلى عالم من المشاعر الجسدية الفورية، وتعزو القيمة فيها إلى الجانب الجمالي في التجربة البشرية العادية، ج) العملية: وهنا يُمكن القول بأن الطابع النوعي للموقع ومحيطه situation تابع لبعدين، هما: الحدود المكانية والزمانية temporal، والمحاولة الغائية الفكرية المفاهيمية teleological؛ لوصف الأشياء من حيث غايتها الواضحة أو مبدأ التوجيه أو الهدف؛ فالعلة الغائية هي ما يوجد الشيء لأجله، وهي تصف الأشياء من حيث: غايتها، ومبدأ ارتباط العالم بعضه ببعض يتبع ارتباط العلّة بالغاية؛ فالكون وكل شيء فيه يتصف بالوجود والحدوث من أجل غاية معينة، والبرهان هو العلة الغائية المعنية بقياس منتج للمعرفة الثابتة الضرورية للعلم. (Thibaud, 2002, pp. 3-6)

وتفسِرُ النظرية الغائية الظواهر الطبيعية في إطار الغاية أو الهدف، ويسمونها المفكرون المسلمون دليل الحكمة ودليل النظام. واستنادًا إلى الأبعاد الزمنية والغائية، يمثل الموقع ومحيطه الحل لمشكلة عملية.

وتستند هذه الفكرة إلى سلسلة من الإجراءات الإدراكية والحركية، حيث إن الموقع ومحيطه، والذي يصادف نهاية التحقق، هو وضع مغلق ومحدود بعالم الخبرة؛ فالاجواء ليست بالضرورة حالة مستقرة وثابتة، بل إنها عملية دينامية مرحلية؛ فديناميكية الأجواء جزء من حركة شاملة، تعبر عن الظروف التي نتصرف بها ونعمل بها بشكل جماعي.

وتبعًا لحالة الأجواء في وقت معين، فإن الوضع سيكون متوترًا أو مسترخيًا أو متضاربًا أو توافقيًا أو إشكاليًا أو سهلاً. وقدم بيوم (2005, p. 402) ثلاثة معانٍ، تُساهم في تغيير المشاعر تجاه المكان، ومن ثم تحدد أجواءه المحيطة: يرتبط المعنى الأول بعناصر الرؤية المرتبطة بالحركة داخل المكان، والتي تمثل أبسط وأقوى وسيلة للتحقق من وجودنا الجسدي في أي فضاء، وتكون عناصر الرؤية في الغالب الأنسب لنقل الانطباعات تجاه الفضاء،

وتتضمن: التغييرات الحركية motion–changes، والنقط المحورية focal point. بيد أن رؤية تلك العناصر، في حد ذاتها، لا تعني تحديد نقطة الزمان والمكان التي يبدأ فيها شيء ما، بل بالأحرى هي تهب الشعور، الذي يخلق الفرق (بين مكان وآخر، أو بين شعور وآخر، أو بين جو وآخر) ويخلق المسافة. المعنى الثاني هو المزاج، والذي يعني بالاستجابة الحسية للمرء، أو التي تُبين لنا أين نحن. فمن خلال الشعور بوجودنا، نستشعر الفضاء الذي نتواجد به. والمعنى الثالث هو "شعور الأينية،" والتي تعني خاصية أو حالة أو موقف التواجد في مكان معين، وهي "أكثر تكاملاً وأكثر تحديدًا"، مشيرة إلى طبيعة الفضاء؛ حيث نجد أنفسنا.

وربط زومثور (2006, p. 7) بين جودة العِمارة والعُمران والجو؛ حين سأل: "كيف يمكن للناس أن يصمموا الأشياء بمثل هذا الجمال والوجود الطبيعي والأشياء، التي تحركني في كُلّ مرة؟ وكانت إجابته: إنه الجو. وكتب:

> *نحن ندرك الجو من خلال شعورنا العاطفي، وهو شكل من أشكال التصور، الذي يعمل بسرعة لاتُصدق، والتي من الواضح أن البشر بحاجة إليها؛ للبقاء على قيد الحياة. (Zumthor, 2006, p. 13)*

وعلاوة على ذلك، عرض زومثور تسعة عوامل، تركز على إدراك خاصية الأجواء من حيث الانسجام مع بنية العِمارة والعُمران، وهي: الإحساس بالمكان والألفة وتضمين الحركة والتوافق مع الفضاء المحيط وتحديد السطوح والذكريات المرتبطة بها، والتجاذب بين الداخل والخارج، والمسارات الفيزيائية والنفسية للضوء والظل والصوت، وتطبيع العِمارة والعُمران.

الديباجة قبل الأخيرة

ثمة مجموعة من العلوم النظرية، التي ينبغي أن يدرسها المِعماري ليُحسن من أدائه تجاه الأجواء، وهي: علم الظواهر، وعلم تشارك البشر في سلوك هادف، وعلم الجمال، وعلم دلالات الألفاظ. علاوة على أن المعماري ينبغي أن يكون مُلمًّا ببعض المعلومات عن الفن والإعلام والتصوير. أما الاهتمام العام، فيجب أن يكون أغلب تركيزه على فهم سلوك البشر في المجال العام، في مكانٍ بعينه، ومُعتبرين أهمية اتصاله بواجهات المباني المُفردة والمُجمعة، المُطلة على الفضاء الحضري، مع العناية بموضوعات الحسية المادية.

بيد أن الهدف المُتصل بروح المكان، مُتعلق بتحقيق القيمة الجمالية في أيّ تجربة

إنسانية، من منظور التأثير على الوجود الجسدي؛ بهدف تغيير المشاعر الإنسانية، من حالة إلى حالة أخرى؛ حسب مُتطلبات المكان في لحظة بعينها. ومن ثم، فإنه من المهم التركيز على الموضوعات المُتصلة بالمعنويات مثل: جماليات الاستقبال، والفضاء العاطفي، ومعنى المكان، والخبرة الإنسانية؛ فضلاً عن الاهتمام بالموضوعات، التي تتصل بالعلوم التقنية في السياق المُحيط كهدف مادي، مع التركيز على تعلم مبادئ مزج واجهات الأبنية في الأجواء المُحيطة.

فالأجواء هي عبارة عن خاصية ذاتية وشعور مُنفرد، مباشر ولحظي، وينتاب المرء حين يجد نفسه فيه، ويصله التأثير عن طريق جسده مُباشرة، وقبل أن يتدخل عقله في هيئة انطباعات تجاه الفضاءات. ويكون ذلك عبر عملية دينامية مرحلية، يتم فيها تجنيب المعنى المبكر، أو المعنى السابق لأوانه للمكان، وإنما هي تُحدث في الحال تغيير مزاج الشخص؛ مُسببة له حالة من الوجود والرفاه والوئام والجمال. وعلاوة على ذلك، فإنه يُسهم في التأثير المُباشر على العواطف؛ لتصميم السياق المُحيط، بكُلّ ما فيه من مؤثرات حسية بصرية وسمعية ولمسية وشمية وذوقية.

وتتعدد العوامل والخصائص التي يُمكن أن تعزز جو المكان: أولاها، مُرتبطة بجوانب الفعل البشري فائق السرعة، مثل: التوتر والحساسية الجسدية والخبرات مُتعددة الحسية synesthesia وإدراك الحركة بمعنى رحب والسمات الاجتماعية والثقافية. وثانيتها، مرتبطة بالوجود المادي في المكان من توافق، بين عِمارة وعُمران المكان، وكُلّ ما يُحيط بها، ضمن ضوابط الحركة والمقياس والمسافة والتأثيرات الحسية، مثل: الضوء والظلال الأشياء والصوت ودرجة حرارة الفضاء ووسائل الإعلام.

وتختلف فئات تحسينه وتعزيزه بين ما له علاقة بالشخص ذاته من تكوين نفسي، وبناء جسدي وشخصية اجتماعية، وما يُضيفه البعد الاجتماعي والثقافي والتاريخي على المكان. وثالثتهما، له علاقة بالهياكل المادية المُشيدة، وما يُمكن أن يُحقق هوية وشخصية حضرية مُحددة: الشكل والتعدد والحركة، ومستويات العلاقات الحميمية واللون والصوت والرائحة والطعم ودرجة الحرارة وحَتَّى كامل التجربة وطابعها الرمزي. أما العناصر التي يُمكن أن يستفيد منها المُصمم المِعماري للتأثير على الأجواء، فهي: الوحدة والمزاج والعملية، وعناصر الرؤية والشعور بالأينية، والإحساس بالمكان والألفة، وتضمين الحركة والتوافق مع الفضاء المحيط، وتحديد الذكريات والتجاذب بين الداخل والخارج والمسارات الفيزيائية والنفسية للضوء والظل والصوت وتطبيع العِمارة والعُمران.

تركز مُصطلحات مثل: الأجواء والوسط المحيط على التعبير عن حالة شخصية وفردية نحو مكان مُعين، حسية ومشاعرية، حصلت دون وعي، وموضوعية. وفي الغالب، فإنها حالة عاطفية سابقة لمرحلة الوعي بلحظات. كما أنها حالة رد فعل المرء الفُجائية؛ نتيجة لقائه بشخص أو تواجده في فضاء أو مكان أو موقف، أو رؤيته لشيء بعينه؛ قد يكون بناية أو منظرًا اصطناعيًّا أو طبيعيًّا أو عملاً فنيًّا أو حَتَّى لعبة.

وتحدُث هذه الحالة العاطفية غير المعروف أسبابها، عندما يشعر المرء بأن مشاعر خاصة تنتابه بغتة؛ وقد تكون صادمة نتيجة لوجود مؤثر وحيد، أو عدة مؤثرات خارجية باطنية مُجتمعة، وهي تُحدث منفصلة أو مُجمعة، فتجعل المتلقي يشعر بنشوة غامرة، وتتبعها بهجة ورضا وقبول ورغبة في التعايش مع هذا الجو مرارًا وتكرارًا، وتُصيبه أحيانًا أخرى بمشاعر مُنفرة اكتئابية أو ظلامية.

في كُلّ ما خلق الله، ثم في بعض ما فعله الإنسان على مر التاريخ، في الكُلّ مكان في البيئة المُشيدة، فإن أولئك الذين يزورون بعض الأماكن لأول مرة يشعرون دومًا بأن هناك أشياءً خفية أو صريحة قد أثرت عليهم بغتة. وعلى سبيل المثال، إذا عبر شخص بعينه مجالاً عامًّا بعينه" ميدان أو فضاء عام لأول مرة، سواءً أكان بقصد أم عن غير قصد، فإنه سيشعر بردة فعل حسية مفاجئة، لن تؤثر فقط على جسده، ولكن ستؤثر أيضا على قلبه وتغيير مزاجه. وهذا الانعكاس، في بعض الأحيان يصف لحظة عاطفية تحدث ببطء أو بسرعة، بعنف أو بهدوء، ولكنها يجب أن تحدث، وبغض النظر عن مدى اختلاف عينات البشر. حقًّا، أنا أتحدث هنا عن العمر والجنس، والوضع التعليمي والاجتماعي والثقافي، وكذلك المستوى الاقتصادي، بالإضافة إلى اختلاف الطبائع البشرية.

ويمكن القول بأن كُلاًّ من الحواس الخمس، شَكَّلَت عاملاً أوليًا في حدوث تلك الحالة العاطفية. وبعد وقت قصير، تعمل الحواس مُجتمعة لتعزيز هذا الشعور، والجدير بالذكر أن الحدس أو الحاسة السادسة، يلعب دورًا حيويًّا في تعزيز هذا الشعور.

ودائمًا، تحدُث الصدمة العاطفية الفورية، عندما تتلقى الحواس المؤثرات الطبيعية أو البشرية التي توجد في المكان، وهذه الآثار تختلف بين التذوق والرائحة واللمس والنظرة والصوت. ولعل نتائج كُلِّ تلك الآثار المباشرة، التي تثير المشاعر، كما يقولون، تخلق أجواءً، إذا اجتمعت في أيّ مكان، أو يسمونها مجازًا الجو.

ففي الأمثال العربية، ثمة "ثلاثة أشياء تسلب الحزن: المياه والخضرة والوجه الحسن.

وفي مِصر، خاصة منذ منتصف القرن العشرين حَتَّى التسعينيات، هناك مجموعة من المصريين من حيث الفكاهة يطلقون على الحبيب –رجل أو امرأة– الكلمة العربية "الجو"، كترجمة للكلمة الإنجليزية "الغلاف الجوي"، والتي تترجم أيضًا إلى "الطقس" باللغة العربية "الطقس." وهكذا كان السؤال الشائع أن نسأل عن ظروف الحبيب: ما أخبار الطقس؟ وهو يعني أنهم يشعرون بأنهم قريبون من الشخص، ويشعرون بأنهم يحبونه دون إعتبار للمُصطلح الغربي الجو. وتغير التعبير اليوم، فباتوا يستخدمون كلمة "موزه" للنساء، و"موز" للرجال، في النطق باللغة العربية، والتي ربما تعني "الموز".

كما كانت تُستخدم كلمة "أجواء atmospheres" أيضًا للتعبير عن مكان، مثل: أجواء المساجد في أحياء المدينة القديمة، والتي تستحضر مشاعر خاصة من أجواء عصور خاصة، أو أن الكنائس تخلق بما فيها من روائح بخور وشموع ومناظر الزجاج الملون والمعشق لرسوم القديسين جوًّا مُفعمًا بالروحانيات. كما أننا نتذكر، حَتَّى الآن، أن الدخول إلى مدينة ساحلية، من بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، يجعل المرء؛ حين يستنشق الهواء ومعه رائحة اليود يعرف أنه بات على مشارف المدينة الساحلية بأجوائها المعروفة.

وفي كُلّ مرة ينتقل ذلك الحس، وهو يحمل معه مشاعر خاصة جدًّا مُتكررة الحدوث، وإنما في كُلِّ ما سبق، سواءً أكانت في الأبنية الدينية أم الشواطئ أم الأسواق أم الأماكن الغريبة، فإنه يُمكن تصور معرفة أسباب حدوث تلك الأجواء الخاصة؛ التى يمكن للمحترف توليدها مرة ومرات.

بيد أن ثمة أحاسيس مجهولة المصدر تتولد، مثلما يقع الحب نتيجة نظرات العيون، آثار اتصال العين المتبادل على مشاعر المشاركين في الحب الرومانسي، أو عند عشق مكان عند أول زيارة ومن أول طلة؛ فرغم أن السبب هو خلق جو فريد من العواطف المُبهجة، ولكنهم يقولون إنها حالة من الكيمياء كما يدعى البعض، وأحيانا أخرى يطلق البعض الآخر عليها الروح الكامنة في المكان، في حين أن هناك روحًا أخرى كامنة في مكان آخر، وتؤدي إلى الاكتئاب والحزن. إن كلاً من كيمياء التقارب وروح المكان وغيرها من الأشياء، التي ولدت أجواء، تحتاج للبحث عن ماهية الأسباب، التي تجعل الجو قد تم تفعيله وتوليده نحو شخص أو مكان أو شيء. أيضًا، من الضروري البحث عن كيفية، وإمكانة اتخاذ هذه الأسباب كمعايير القياس وتطويرها؛ لتصبح مبادئ توجيهية للتصميم.

وبالتالي، فإن الغرض الأساس من هذا العمل يهدف توفير العوامل والمعايير الأساسية

لقياس نوعية البيئة المحيطة والمشاعر العامة. ويمكن في نهاية المطاف التوصل إلى نهج متكامل؛ لصياغة مبادئ التصميم. وبطبيعة الحال، فإن الجو الفريد هو الهدف الأساس الذي يخلق المشاعر، وكذلك توليد الأحاسيس المناسبة في المساحات المفتوحة، والمساحات الحضرية والأماكن الحضرية في المجال العام؛ لتحقيق مدن الانفراد.

ولذلك، فإن هذا الكتاب يناقش ماهية ومفهوم الأجواء المحيطة والمشاعر العامة في عالم العِمارة والعُمران، من خلال ستة محاور أساسية على النحو التالي: الأجواء كخبرة لموقف خاص يتسم بالاستمرار، وكخبرة سابقة أو يومية بالمعنى النظري، وكمفهوم أساسي لجماليات جديدة، وكمفهوم رئيس عن الفضاء، يراعي التجربة اليومية والوجود المادي، وظاهرة تعتمد على الحدس، وكمبدأ توجيهي في الممارسة المهنية الاحترافية. يُشكل عالم العِمارة والعُمران البيئة المحيطة والسياق الرحب، الذي يتواجد فيه البشر. ويهتم في المقام الإول بكُلّ ما صنعه البشر بأشكالها كافة، ولا تخفى تأثيرات العناصر الطبيعية سواءً أكانت متداخلة مع الموجودات المصنوعة بشريًّا أم كانت مُنفصلة عنها. يتكون هذا العالم من خمسة مجالات رئيسة، وهي في كُلّ مرة تؤثر على الأجواء مفردة، كما أنها تُحدث تأثيرًا جمعيًّا على الفرد، وتلك المجالات هي: 1) مواضع الأنشطة مُمثلة في كتل البناء، والتي تنبع تأثيراتها من الواجهات الخارجية، وهي تمثل التأثيرات المُباشرة على الإنسان، 2) المجال العام مُمثلاً في المناطق المفتوحة، والفضاءات الحضرية، ومعابر الحركة والانتقال بما فيها عناصر الحركة الآلية، 3) عِمارة وعُمران مناظر الأرض الطبيعية، والتي من صنع الإنسان، والمهتمة بتشكيلات سطح الأرض، ومواد نهو الأرضيات والماء والنباتات والحياة الفطرية أو البرية، 4) المجال المادي/الفيزيقي المهتم بالمناخ العام والمناخ الوسيط وتأثيرات الإضاءة والصوتيات والروائح، 5) سلوكيات الناس التي تتواجد في الموقع ومحيطه. أولاً وقبل كُلّ شيء، يركز بناء النهج الذي يقيس أجواء البيئة الحضرية على مفهوم "الغائية:" أيّ إن كُلّ شيء مخلوق لسبب، سواءً بشكل طبيعي، أم من صنع الإنسان، حَتَّى إذا كانت تلك الأجواء موجودة طبيعيًّا، أو أن المصمم سيخلقها.

كيفية استكشاف وخلق أجواء المدينة

ثمة ثلاث حالات، يتعامل معها المُصمم الحضري، حين يتناول موضوع "تصميم أجواء المدينة الحضرية". وتتعلق الحالة الأولى بعملية إعادة تأهيل المجال العام في منطقة قائمة بالفعل، وتحتاج إلى تعديل أجوائها، وتناقش الحالة الثانية عملية تصميم الأجواء في المجال العام المُعاد تأهيله؛ بحيث تكون له أجواؤه الحضرية المُختلفة، وتهتم الحالة الثالثة بالمجال

العام، الذي لا يزال في مراحل التصميم الأولى، وخلق أجواء ليس لها سابقة، على وجه الخصوص عند تصميم مدينة جديدة.

وتتألف عملية إعادة تأهيل مكان قائم أو تصميم مكان جديد من مرحلتين متعاقبتين، في اتجاهين مختلفين: تعتمد العملية الأولى في المقام الأول على استكشاف [وجود/عدم وجود] أجواء. تبدأ الخطوة الأولى بالتعرف إلى المكان باعتباره كيانًا متكاملاً من "الموقع ومحيطه situation"، وتتضمن تلك المرحلة ثلاثة شرائط أساسية قائمة على فهم: (أ) الظروف والحالات السائدة في الموقع ومحيطه، و(ب) طريقة وأسلوب ظهور الأجواء، و(ج) الظواهر والوقائع الغريبة (المادية والإنسانية)، باعتبارها وسطًا رابطًا بين الظروف وأسلوب الظهور. وتعتمد الخطوتان الثانية والثالثة في تداخل غير ملحوظ على التواجد بالجسد، في المجال العام المُفترض استكشاف أجوائه، من خلال تأثيرات الأبنية والنقاط المحورية والهياكل الفنية، ويحدُث ذلك من خلال الاعتماد على وسيلتين، هما: الرؤية والحركة.

بينما يعتمد تكوين الإحساس على الحواس الخمسة، مُنفردة أو مُجتمعة، فيما يعرف بالحواس المُجمعة، وحيث تحدث الاستجابة الحسية، ويشعر المرء معها بشكل من أشكال التوتر في الجسد، ومُستدعية قدرته على التصرف، وهي حالة ردة فعل، تختلف من شخص إلى شخص آخر؛ وحيث يحدث الإحساس الفعلي بالجو، وحيث يُدركنا الجو، قبل أن نُدركه. وتقوم الخطوتان الرابعة والخامسة على فهم ردود الأفعال، وضوحها أو غموضها، حيث تبدأ أولاها بمرحلة الإدراك الحسي، التي يضع المرء خلالها مجموعة من التصورات؛ اعتمادًا على الخبرات متعددة الحسية، وقد يُسهم الحدس عند البعض في تحديد تلك التصورات بطريقة فطرية فكرية لمعرفة مخذونة، وقد تُخطئ وقد تُصيب. وتتبعها مرحلة الإدراك المعرفي؛ نتيجة التصديقات عبر تجارب المرء الشخصية ووعيه الذاتي. وجدير بالذكر أنه كلما زادت التجارب وتعددت، كان الإدراك المعرفي أكثر وضوحًا. ويحكم المرء، في هذا السياق، على الأجواء عبر الإدراك المعرفي، مع مراعاة أن تكوين إدراك حسي معرفي؛ نتيجة الأجواء الموجودة يعتمد على مجموعة من الخصائص، ممثلة إجمالاً في المزاج والوحدة والعملية وفي التفصيل، وكلها تتبع ثلاث صفات، هي: الصفات الأولية وتضُم الشكل والعدد والحركة والصلابة، والصفات الثانوية وهي الصوت والإضاءة والرائحة والطعم ودرجة حرارة الفضاء، وتمثل الصفات الثالثية كامل التجربة والتصور المحيط وغموض السياق، بالإضافة إلى التوافق المادي والهياكل الهندسية والإنشاءات المادية والعِمارة والعُمران كبيئة: مستويات الحميمية، والتوافقات الثقافية والشخصية الاجتماعية والطابع الرمزي، وتصميم واجهات الأبنية: التوتر بين الداخل والخارج.

تهتم العملية الثانية بتصميم المكان ومحيطه؛ بحيث يتضمن أجواء حضرية؛ ففي المرحلة المبكرة من تصميم المدن الجديدة، ينبغي للمصمم الحضري أن ينظر في مسألة خلق أجواء لا تنسى. بداية ينبغي على المصمم أن يضع في اعتباره الأبعاد التسعة الأساسية للتصميم الحضري: البعد الوظيفي والتشكيلي (المورفولوجي) والإدراكي الحسي والسلوكي والاجتماعي الثقافي والبيئي والتقني والزماني. وسوف تحترم كُلّ هذه الأبعاد معايير ومبادئ التصميم المُستهدف لتحقيق مدينة جديدة عظيمة. ولكن إذا كان المصمم يريد إنشاء مدينة لديها بنية الغلاف الجوي ومثيرة للإعجاب في المناطق الحضرية فإنه يجب أن يضع في حسبانه أساسيات البعد الخامس في العِمارة والعُمران "جوهر العِمارة والعُمران"، الذي يقوم على مفهوم علم الغائية. والذي يدور حول فهم سلوك الناس، نتيجة لأفعالهم وتداعيات ردود أفعالهم وفقا لطبيعتها الفطرية، والتي تختلف مع تمايز المكان. ويمكن للمصمم تحديد ردود فعل شخص وخلق الجو السليم على النحو التالي: (أ) البحث في فئات تعزيز الإدراك الإنساني المعرفي: وذلك من خلال محاولة النظر في كيفية تحقيق جوانب الفهم الذاتي لخبرات الأغلب الأعم من المستعملين للمكان؛ أي الموقع ومحيطه. (ب) الاهتمام بفئات التعزيز الحسي: من مثل التجارب السمعية والبصرية والمسارات الجسدية والنفسية والبصرية والافتراضية والأسطح والذكريات المرتبطة بها وقياس المباني والعلاقة بين المساحات الحضرية ومواد البناء. (ج) العناية بفئات الأجواء لجميع الصفات: الأولية والثانوية والكُلية. (د) تلبية خصائص التأثير على الأجواء. (ه) أخذ البعد الخامس في العِمارة والعُمران في الاعتبار؛ وهو الجوهر، جنبًا إلى جنب مع البعد العاشر للتصميم الحضري (البعد الغائي).

فضلاً عن أنه ينبغي أن يتوافق مع البعد الخامس، تحقيق هالة من الكائن، روح المعيشة، مكان عبقري، والشعور بالأينية. وأخيرا، الوصول إلى مفهوم التصميم الحضري زائد. وهو المفهوم الذي يرتكز على أساس التعامل مع التصميم الحضري باعتباره فن علمي متوافق مع الفن العلمي الأوسع "عِمارة وعُمران." ولعل التصميم الحضري زائد، حسب هذا التوصيف، يمكن اعتباره مجالاً جديدًا للممارسة ومقياسًا لأدوات العِمارة والعُمران [التصميم والتخطيط].

الباب الثالث: أماكن أم فضاءات؟ تلك هي المسألة

"الفضاء هو أول بادرة نشأت عن الكائنات الحية، وعن الرجال والحيوانات، وعن النباتات والغيوم، فهو مظهر أساسي للاتزان والبقاء". كما أن "إطلاق سراح المشاعر هو وظيفة خاصة من وظائف الفضاء." لوكوربوزييه (1948, p. 279)

هل من الأفضل أن نفهم المدن على أنها تشمل فضاءات أم أماكن؟

أوجز الباب السابق طبيعة العلاقة الأولية بين الفضاء والمكان، ويناقش هذا الباب العلاقة بينهما باعتبارهما يُشكلان مفاهيمًا أساسية في عالم العِمارة والعُمران عامة وفي مجال التصميم الحضري على وجه الخصوص. بيد أن كُلّ ذلك يُعد فهمًا مُسبقًا؛ لمعرفة كيفية استخدام هذه المفاهيم، لِتُساعد في خلق "أجواء المدينة" لتحقيق "انفراد مدينة".

ولذلك افترضنا أنه من الأفضل أن تكون البداية جدلية، وتسود فيها الرغبة في معرفة حقيقة العلاقة بينهما في جانب، والعِمارة والعُمران في جانب آخر؛ لذا قد تبدو الأسئلة التالية – لأول وهلة– غير منطقية لكوننا نقارن بين ثلاثة أشياء هي مُختلفة بالكلية رغم صلة القرابة الشديدة بينهم في مجال الممارسة المهنية.

في البداية، السؤال المهم هو هل يُمكن القول بأن مُصطلح العِمارة والعُمران architecture ظهر قبل ورود مفاهيم المكان place والفضاء space؟ هل الفضاء بمعناه الجغرافي كان موجودًا منذ نشأة الأرض، وقبل ظهور البيئة المُشيدة؟ هل بدأ تحول الفضاء العام إلى فضاء حضري، بعد البناء المِعماري العُمراني؟ هل تصلُح كلمة مكان لتكون تعبيرًا مرادفًا لكلمة فضاء أو موقع؟ كيف تحول الفضاء إلى موقع؟ ثم كيف تحول الموقع إلى مكان؟ هل تخلق العِمارة والعُمرانالفضاءات الحضرية والأماكن الحضرية، كما تخلق المباني؟ هل يحتاج المكان أو الفضاء إلى بيئة مُشيدة لإثبات وجوده أم العكس؟ هل العِمارة

والعُمران حقيقة واقعة في حد ذاتها، وكُلّ ما صنعه الإنسان ويستعمله هو شيء منها؟ هل بالفعل من المفيد أن نعرف من بدأ أولاً: الفضاء أم المكان أم العِمارة والعُمران؟ هل كُلّ تلك الأسئلة جدلية ولا طائل من ورائها؟

وتقودنا تلك الأسئلة المثيرة للجدل–بعد مراجعة بعض مما جاء في كتب المفكرين الغربيين–إلى الاقتناع بأن العِمارة والعُمران هي الأصل في كُلّ الأشياء، التي صنعها الإنسان، وهو يحتاجها ليحيا فيها فردًا أو في جماعات، في السكن والعمل والترفيه والترويح والحركة والانتقال. ويبدو أن الفضاء بدء جغرافيًّا على مساحات من الأرض الواسعة المُمتدة، وأنشأ البشر عِمارتهم وعُمرانهم؛ لتتولد الفضاءات الحضرية بين وحول تلك المنشأت. وحين ظهرت البيئة المُشيدة بتفصيلاتها كافة، ضمت المبني والمفتوح في صورة فضاءات وأماكن حضرية. واجتهد المختصون في عديد من مجالات الجغرافيا والعلوم الطبيعية والإنسانية؛ فبينوا الفروق الجوهرية بين كُلٍّ من الفضاء والمناطق المفتوحة والفضاء المِعماري العُمراني الداخلي والخارجي. ثم بات التوصيف مُمتدًّا، حَتَّى شرح المختصون في مجال التصميم الحضري معنى الفضاء الحضري والمكان الحضري.

ومن المُسَلَّم به، وعلى نحو لا يُمكن إنكاره، أن هذه الحجج تحتاج إلى تفسيرات معقولة بدلاً من مجرد الثرثرة. وهكذا، فإن الهدف الأساس من هذه المناقشة هو شرح ما هو مقبول ومنطقي في مجال التصميم الحضري؛ لفهم معنى الفضاء والمكان وإظهار الصلة بينهما مع جوهر العِمارة والعُمران.

ويركز موضوع هذا الباب الرئيس على أهمية دراسة الأماكن في المدينة، ليس فقط تلك المُتعلقة بالمصمم الحضري، ولكن أيضًا حسب علاقتها بعديد من الاختصاصات ذات الصلة؛ حيث قد شَكَّلْتُ هذه الأماكن، جنبًا إلى جنب مع المساحات المفتوحة والفضاءات الحضرية، والمجال العام وعالم العِمارة والعُمران المادي وغير المادي. وقد تضمن هذا الباب سبعة موضوعات رئيسة. فعلى مدى الأعوام الثلاثة والعشرين بعد المائة الفائتة؛ لا سيما خلال الفترة ما بين 1893 و2016، وعبر تتبع رأي خمسين من المفكرين الغربيين، يمكن فهم العلاقة بين الفضاء والمكان عبر سبعة موضوعات رئيسة، وفي نهاية المطاف، أسفرت تلك القراءة المُدققة لهذه الموضوعات عن أن "الأماكن" –رغم أنها تسبق كُلّ شيء في الوجود، وبالتبعية تسبق "الفضاءات"– فهي تُعرف فقط عبر المعاني الموجودة في التجارب البشرية المُختلفة، التي تحدث في الفضاء.

الفضاء هو جوهر العِمارة والعُمران

يمكن القول – وبالإشارة إلى العلاقة بين الفضاء والعِمارة والعُمران، وقبل حوالي نصف قرن من الزمان– بأن [عمل] عديد من المِعماريين، ومن هؤلاء المهتمين بتاريخ الفن وعلم الجمال والنقد الفني [قد سبق قُدمًا عن] الاختصاصات الأخرى، مثل: الجغرافيا والعلوم الاجتماعية وعلم الظواهر وعلم النفس البيئي. وعلاوة على ذلك، فإنه يبدو في ألمانيا –منذ القرن التاسع عشر– أن [فكرة] "الفضاء هو جوهر العِمارة والعُمران" قد [هيمنت على الميدان] حسب أوجست شمارسوه وألويس ريجل وثيودور ليبس وهيرمان سورجيل وأدولف هيلدبراند. (Stanek, 2012, p. 49)

ويُعرف شمارسوه (1893) بأنه أول منظر معماري، يُصر على [اتباع] النهج الفضائي في دراسة العِمارة والعُمران (Gullberg, 2016, p. 1)، حين أطلق على تاريخ العِمارة والعُمران تاريخ الشعور بالفضاء (Vischer, 1994, p. 28) ، ومؤكدًا الاتصال بين الجسم وما يحيط به (Gullberg, 2016, p. 5). ويُعتبر ميس ڤان در روو (1908) أول معمارى يربط بين نواتج العِمارة والعُمران والفضاء، مُبتكرًا فكرة "الفضاء العام"، ومن بعدها مُصطلح "الفضاء العالمي،" حيث تتعامل الفكرة الأولى مع فضاء غرفة، يُمكن تقسيمها حسب وظائفها، ويتحدث ثانيها عن عِمارة وعُمران مُستقلة بوظيفة محددة (Krohn, 2014, pp. 16-18). وفي الفترة نفسها بَيَّن هندريك پيتروس بيرلاج أن فن الفضاء هو "هدف إبداعاتنا"، وأنه جوهر العِمارة والعُمران (Berlage, 1908, p. 47). وتتابعت التصريحات عن أن العِمارة والعُمران هي صنع مدروس للفضاءات (لويس كان)، والغرض منها خلق الفضاء (بيرلاج)، وهي مُعتقد صناعة الفضاء (شمارسوه). (Till, 2009, p. 118)

فَمُنْذُ أربعينيات القَرْنِ المَاضِي بَدَأَ تيارًا فِكريًا جَدِيدًا مُمْتَدًا حَتَى الآنَ، وأن مُنظري هذا التيار يُدْرِكُونَ الفضاء باعتباره جوهر عِمارة وعُمران القرن العشرين، فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ يَلْعَبُ دَوْرًا مُؤَثِّرًا، بِشَكْلٍ أَوْ بِآخَرَ، فِي تشييد المباني بِشَكْلٍ عام. ومن هؤلاء المنظرين: نيقولاس پيڤسنر (1943) وبرونو تسيڤي (1948) ولوكوربوزييه (1948)، وجيفري سكوت (1954) ولويس كان (1957) وچين رينديل (2006) وأندريا سوشيلي (2012) وچوانا جيلبرج (2016)؛ إذ – غالبًا– ما يرى كثيرون منهم العِمارة والعُمران؛ من حيث إن تاريخها في المقام الأول هو "تشكيل الإنسان للفضاء" (Pevsner, 1948, p. xviii)، و"ممارسة فضائية حرجة" (Rendell, 2006, p. 15)، وخبرة في الفضاء عامة، وفي الفضاء المُغلق المُغلق على وجه الخصوص (Sauchelli, 2012, p. 54) ، فأيّ حكم عليها هو في الحقيقة حكم على الفضاء الداخلي

(Sauchelli, 2012, p. 56) (Zevi, 1974, p. 32)، ولا يمكن اعتبار أَيُّ عَمَلٍ يَفْتَقِرُ لِفَضَاءٍ دَاخِلِي اِنْهَ يَنْتَمِي إلى العمارة (Sauchelli, 2012, p. 56) (Zevi, 1974, p. 28)، فباتت تُعرف بأنها فضاء مُغلق يعيش ويتحرك الإنسان بداخله (Zevi, 1974, p. 23)، وفضاء يؤدي وظيفة بعينها (LeCorbusier, 1948, p. 279)، وصنع مدروس للفضاء وخلق الفضاءات، التي تُثير شعورًا بالاستخدام المناسب (Kahn, 1957, p. 118) ؛ فنجاح العِمارة والعُمران (أو الجمال الخاص بها) ينبغي أن يحصل من خلال تأثيرات الفضاء الداخلي (Sauchelli, 2012, p. 56). فضلاً عن أن تفسيرها الفضائي يجب أن يكون موازيًا–ولا يُهمل أيضًا– التفاسير السياسية والفكرية والدينية والعلمية والمادية والفنية والنفسية والشكلية كافة (Gullberg, 2016, p. 8). بيد أن القيمة الإجمالية الحقيقية لمبنى، لا ينبغي حصرها في قيمته الفضائية؛ فالقيمة الفضائية لأي مبنى يجب أن تعكس قيمته المِعمارية (Sauchelli, 2012, p. 62). في النهاية، إذا كان محتوى العِمارة والعُمران ملائمًا لتجربته، كما هو عليه، فإنها ستُصبح شيئًا من العمل الفني، علاوة على ذلك فإنها ينبغي أن تشمل بالضرورة تجربة الفضاء الداخلي [بالمعنى المُحدد]، وعناصرها الأخرى، مثل: الزخرفة والإضاءة والمواد وهلم جرا. وفي كُلّ الأحوال، ينبغي أن يُعزز التأثير الفضائي، عبر عملية ذات حدود لها معنى. (Sauchelli, 2012, p. 55)

منذ منتصف ستينيات القرن الماضى، بزغ تيار آخر مُناقض، يَرَى أن العِمارة والعُمران لَيْسَتْ مُجَرَّدَ البحث عن "تصميمٍ للفضاء، ومن أولئك التابعين لهذا التيار: فيليب چونسون (1965) وبرنارد تشومي (1981) وسوزان راتكليف (1984) وروبرت ڤينتوري وزوجته دينيس سكوت براون (2004) وريم كولاس ولوكاز ستانيك (2012)؛ فمن وجهة نظرهم، تكون العِمارة والعُمران علامة أو إشارة، أكثر منها فضاء (Venturi & Brown, 2004, p. 45)، وليست أبدًا لحشد أو تنظيم وحدات التخزين، وهي توجد فقط في الوقت المناسب (Schulze, 1996, p. 221). وعلاوة على ذلك، فإنها فن إضاعة الفضاء (Ratcliffe, 1984, p. 24)، وإن أيّ استخدام للمبنى يعني اختراق أو التسلل من جسد الإنسان في فضاء معين، بل إنه حَتَّى يُعتبر تسللاً من نظام إلى نظام آخر. وهذا الاختراق مُتَأَصِّلٌ في فكر العِمارة والعُمران، كما أَنَّ أَيَّ تدخل للانتقاص من فضاء من فضاءاتها على حساب أحداثها، هو تَبْسِيطٌ سَاذِجٌ، يشبه تمامًا انتقاص العِمارة والعُمران لواجهاتها (Tschumi, 2001, p. 229). وَفِي النِّهَايَةِ، هم يرون أن الفضاء ليست له صلة بالعِمارة والعُمران، رغم الاستخدام المُتَكَرِّرُ لهذا المُصطلح. (Stanek, 2012, p. 49)

1. الفضاء والمكان من منظور التأويل الفكري [الفلسفة الهرمينية

أود أن أشير في البداية إلى أن هذا الموضوع لم يعد جديدًا، بل بات مُتداولاً بالفقرات نفسها بين المُفكرين، منذ بداية السَّبْعِينِيَّاتِ حَتَّى اليوم. وارتكزت بداياتهم التَّعْرِيفِيَّةَ، في الغالب، في كُل مرة على توصيفات مُفكري الأغريق أرسطو وأفلاطون. ومن ثم اخترنا بعضًا من هؤلاء المفكرين، هم: مارتن هيدجر (1971) وإدوارد كيسي (1971) وروبرت بروس هاي (1985) وتيم كريسويل (2003)؛ لنختصر عند مراجعتنا للعلاقة بين المكان والفضاء في توصيف، يُفيد البحث في مراحله المُتقدمة عن الأجواء والانفراد.

موضحين بأن الأماكن هي نقطة انطلاقة فهم الفضاء (Cresswell, 2009, p. 170)؛ فالأماكن هي التي تأتي سابقة لأي شيء في الحياة، ليتواجد فيها هذا الشيء. كما أن الفضاء يستمد وجوده من المواقع، وليس من الفضاءات؛ ومن الجدير بالملاحظة، أن المكان هو التفصيل المُدرك بالحواس للوجود في هذا العالم. وحين يتكون المكان، ويُصبح موجودًا، وبداخله وخارجه فضاء، يُمكن التعرف إليهما من خلال التجارب المُختلفة، التي تحدُث في كُل منهما. وتحدُث تلك التجارب خلال وجود الأجساد التي تكون الأماكن، والتي تعيش أيضًا في الأماكن، فدون الأجساد لا وجود للأماكن، ومن ثم لا يمكن معرفة الفضاءات. كما أن ثمة ارتباطًا وثيقًا بين المكان والفضاء والزمن، وما يسرى على أيّ منهما يسرى على الكُلّ. استعان كُلّ من كيسى وكريسويل بتعريفات فيلسوفى الإغريق الأشهرين: أرسطو وأفلاطون؛ لوصف العلاقة بين المكان والفضاء. ففي العام 350 قبل الميلاد، في علم كونيات أفلاطون، وعلى وجه الخصوص في حواره المعنون *تيماوس من لوكري*، والذي تَضْمَنُ أَوَّلَ ذَكَّرَ تفصيلي للتفريق بين الفضاء والمكان. وكان أفلاطون قد استخدم الكلمتين الإغريقيتين "chora" للدلالة على "الفضاء" و"topos" عن "المكان". ونقلاً عن كيسي، فإن أرسطو لاحظ أن المكان له الأسبقية على جميع الأشياء الأخرى (Casey, 1997, p. 51) ؛ فالأماكن هي التي ينبغي لها أن تأتي أولاً، فدونها لا يُمكن لشيء آخر أن يوجد، في حين أنها يمكن أن توجد من دون الآخرين، ويجب أن تكون أولاً (1997, p. 52). وهذا يعني أن كُلّ شيء موجود، لابد من أن يكون له وجود يتواجد فيه، ومن ثم فالذي يتواجد فيه الشيء، لابد من أن يكون هو الموجود أولاً.

ويعتقد الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر (1971, p. 157)، والمفكر في التقاليد القارية والتفسير الفلسفي، أن الفضاء يُستخدم بالنيابة عن كلمتي "Raum and Rum" بمعناهما القديم. وتأتي كلمة "Raum" بمعنى "فضاء أُخلي أو تحرر من المستقرات وأماكن الإقامة

والسكن"، وهي تُمثل أيضًا شيئًا أفسح المجال لشيء ما، شيئًا داخل حدود، وفي اللغة الإغريقية هي دلالة لكلمة peras، والتي تأتي بمعنى غاية أو نهاية أو طرف. وشرح هايدجر أن الحدود، حسب الإغريق، ليست تلك التي يتوقف عندها الشيء، بل هي التي من عندها أو على أساسها، يبدأ حضور الشيء، مُستخدمًا مفهوم horismos والذي يعني باللغة الإنجليزية الحدود the horizon وترجمته العربية "حد الأفق."

وفيما يتعلق بالجوهر، يُعبر الفضاء عن كُلّ ما هو واقع خارج أو ضمن غرفة؛ إنه فضاء بحدود. وهكذا، فالفضاء، حسب هايدجر، هو المُحدد لأيّ غرفة قد صُنعت، وما هو متروك في جنباتها وبين حدودها؛ وهو أيضًا الذي يهب الغرفة وجودها، ويمنحه دائمًا لها ثم ينضم إليها، وهذا بمعنى أنهما قد التئما معًا، وبحكم الموقع، وبشيء من هذا القبيل، يبدو الفضاء وكأنه يشبه الجسر، كما أن الفضاءات – في هذا السياق – تستمد وجودها من المواقع، وليس من الفضاءات.

وهكذا، فالفضاء حسب هايدجر ينطوي على شيء مثل الجسر، والغرض منه حمل شيء من مكانٍ إلى مكانٍ آخر، فالفضاء هو ما يُعطي أيّ غرفة سبب وجودها، ويظل أيضًا هناك بعد أن خُلقت الغرفة بين جدرانها والسقف، وضمن الحدود التي شَكَّلَهَا الفضاء في البداية. ومن ثم، فالفضاء من وجهة نظر هايدجر موجود في البداية، وساعد على صنع الغرفة، ثم بقي بين جنباتها فضاءً أيضًا. وعلى هذا النحو، تستمد الفضاءات وجودها من المواقع، وليس من الفضاءات؛ فالفضاء الرحب الذي يملأ الكون في مساحة من الأرض لا يتشكل وجوده الحقيقي إلا بوجود المواقع، ففي البداية يُحيط الفضاء بالمواقع، ويُمكن التعرف بعد ذلك إلى الفضاء، من خلال إحاطة المواقع به. فكليهما: الفضاء خارج الموقع والآخر داخل الموقع، لهما صفات مُخْتَلِفَةٌ، كُلٌّ مِنْهَا بما يحمل من معانٍ لتجارب، تُمَارِسُ بواسطة الناس في الخارج والداخل. وعندئذ تظل القضية متعلقة بالموقع الذى يصبح دالاً على كونه مكانًا، أكثر مما يتضمنه من فضاء.

ومن خلال فهم طبيعة الأشياء، يشرح هايدجر (1971, pp. 151-152) ، بشكل أوضح في نصه المكتوب، معنى المكان من وجهة نظره، من خلال إعطاء الجسر كمثال للشيء؛ حيث كتب: يتمثل الشيء باعتباره المجهول X مَشمولاً بها الخصائص المُتصلة به. ومن وجهة النظر هذه، فكُلّ ما ينتمي بالفعل إلى طبيعة تجميع هذا الشيء، تظهر بطبيعة الحال كشيء يقرأ بعد ذلك. شارحًا بعد ذلك العلاقة بين المكان والموقع والموضع على النحو التالي: (أ) الموقع يصنع فضاء للموضع، (ب) الموقع ليس له وجود قبل وجود الجسر؛

فقبل احتمالات الوقوف عند الجسر، وهناك عديد من المَصَبَّاتُ التي يُمكن أن تتواجد، وأحد هذه المَصَبَّاتُ يُثبت وجود الموقع، وهذا يحصُل بسبب وجود الجسر. (ج) فالجسر لم يأت أولاً للموقع ليقف عنده، وإنما بالأحرى أتى الموقع للوجود فقط؛ نتيجة فرضية وجود الجسر. (د) فالجسر شيء؛ فإنه يجمع أربعة احتمالات، وإنما بالطريقة نفسها، يسمح للموضع بأن يحمل أربعة احتمالات، فبواسطة هذا الموضع تُحدد المواقع والوسائل، التي يُمكن بواستطها توفير الفضاءات لها.

واستنادًا إلى مارتن هيدجر، في كتابه *الرجوع للمكان: نحو فهم مُتجدد للعلاقة بين المكان والعالم* (أو عالم المكان)، كتب إدوارد كيسي (1993, p. xiv) إن الفضاء هو على النقيض من الموقع والمنطقة، في حين أن المكان هو التفصيل المُدرك بالحواس للوجود في العالم؛ مُضيفًا بأنه لم يتم إهماله فحسب، في عصر الحداثة، وإنما تم قمعه تمامًا.

ومن وجهة نظر كيسي فإن ثمة عدة توصيفات للمكان هي: (أ) أنه لا شيء، (ب) ويوفر الحد المُطلق لكُلّ شيء، وبما في ذلك نفسه، (ج) بمثابة ظروف لكُلّ شيء، (د) ينتمي إلى مفهوم الوجود نفسه، (هـ) والحدود أو حد شيء يُحدد مكانه. كما أن الشيء ليس مجرد مكان، وهذا هو المهم، ولكن دون الاقتصار على المعنى الشامل عن أن المكان كحاوية حسب تكييف أرسطو له في الفيزياء، ولكن الشيء يشكل مكانه الخاص.

ونقلاً عن كيسي (1993, p. 14)، كان أرسطو قد عَرَّف المكان باعتباره "حاوية" للأشياء، في حين يراه كيسي نفسه أنه "سابق لكُل شيء وفى هذا الشأن، استند إلى رسالة المفكر اليوناني القديم وعالم الرياضيات والفلكي ورجل الدولة والخبير الاستراتيجي أرخيتس (-437 428 قبل الميلاد)، والتى تشرح أنه "لتكون هي لتكون فى مكانها." (Casey, 1993, p. 16)

وفي العام 1950 استشهد كيسي (1996, p. 24) بفهم مارتن هيدجر عن أن الجسد الحي، هو الحالة المادية لطبيعة العلاقة بين المكان والعالم، وفي حين هو نفسه (أيّ الجسد) يبقى عضوًا في هذا العالم، فلا غنى عنه للمكان بل أنه يُصبح جزءً من المكان.

وفي السياق نفسه، شرح العلاقة بين الأجساد الحية والأماكن، فيكتب: تمامًا كما لاتوجد أماكن دون أجساد تحافظ عليها وتنشطها، فإنه لا توجد كذلك أجساد حية دون أماكن يسكنونها ويعبرونها، (حتى الأماكن الخيالية تجلب معها أجساد افتراضية –"أجساد خفية" في تسميات سابقة)؛ فالأجساد والأماكن هي تسميات فنية طبيعية، إنهم يتفاعلون

مع بعضهم البعض؛ فضلاً عن اعتقاده بأن ما كان ينطبق على الفضاء والزمان، ينطبق على المكان، كما أن الثلاثة متواجدون في الكُلّ مكان كما كتب:

> *أيّ شيء صحيح بالنسبة للفضاء والزمن، فإنه كذلك ينطبق على المكان؛ فنحن مُنغمسون في ذلك، ولا يمكن فعل شيء دونه. أن تكون في الكُلّ –أن توجد بأيّ شكل من الأشكال– هو أن تكون في مكانٍ ما، وأن تكون في مكانٍ ما، هو أن تكون في مكان.*
> *(Casey, 1997, p. ix)*

وبالإشارة إلى مجال علم النفس البيئى، وحسب روبرت بروس هاي (1998, p. 5)، استُخدم مُصطلح "مكان" فى المجتمع الناطق بالإنجليزية بشكل فضفاض إلى حد ما؛ فهو في الغالب يأتي بمعنى موقع ومكانة شخص في المجتمع، أو لتحديد مشاعر المرء تجاه مكان مثل غرفة أو مكتب أو بلدة، وهذا يشبه –إلى حد كبير– في اعتقادي الحاصل في المجتمعات الناطقة بالعربية.

2. الفضاء والمكان كموضوع للجغرافيا

بدأت دراسة العلاقة بين "المكان" و"الفضاء" في مُنتصف ستينيات القرن الفائت، ودامت حَتَّى إلى اليوم باعتبارها موضوعًا للجغرافيا. وناقش هذا الموضوع مجموعة من المفكرين، والذي يُمكن ذكرهم على النحو التالي: فريد لوكرمان (1964) ويي–فو توان (1976) وإدوارد ريلف (1976 و1993) وآلان بريد (1984) وچون أجنيو (1987 و2011) ونيكولاس إنتريكين (1991) وسيثيا لو وأروين ألتمان (1992) وروبرت ساك (1997) ومايك كرانج (1998) وأريلد هولت–چنسن (1999) ومارجريت رودمان (2003) وفرانكو فارينلي (2003) ونايجل ثريفت (2003) وتيم كريسويل (2009).

في البداية، بانت دراسة المكان منذ الستينيات حسب فريد لوكرمان (1964, p. 167) "كموضوعٍ للجغرافيا." وفي سبعينيات القرن العشرين، ظهر نهج الجغرافيا الإنسانية؛ ليبدو مُهتمًّا بكُلِّ ما يتعلق بالوعي والإبداع البشري، وتضمن شرحًا مُسهبًا وبحوثًا عديدة، التي دارت حول تعيين الفروق الجوهرية بين المكان والفضاء، فضلاً عن أن أيًا منهما ظهر قبل الآخر. واستعان ويي–فو توان في العام 1976 بهذا النهج، معتبرًا أن المكان والفضاء يُحددان "طبيعة الجغرافيا"، ويقعان في صُلب الانضباط الجغرافي. (Tuan, 1979, p. 387)

وقد نما هذا النهج ليبدو مُختلفًا عما حصل في الماضي، زمن كانت فيه "الجغرافيا" تعتبر أن "الفضاء" لا يتعدى مجرد فكرة مجردة، كما أن الفضاء يأتي تعبيرًا عن مساحة من الأرض. وأعطى توان مثالاً حول ما يعرفه الناس عن أن مساحة فرنسا في الخريطة أكبر من مساحة إيطاليا (Tuan, 1979, p. 388). كما أدرك إدوارد ريلف الفرق بين الفضاء والمكان؛ فالفضاء من وجهة نظره عبارة عن شيء غير متبلور وغير ملموس، فضلاً عن أنه أنه ليس كيانًا، يمكن وصفه وتحليله مباشرة (Relph, 1976, p. 8)، في حين يُعرف المكان بأنه تعبير عما هو محلي ومُحدد (1976, p. 24). كما أن المكان يُمكن أن يُستشعر، من خلال علاج الضوء والظل في الرسم واللوحات الفنية (تشياروسكورو) للموضع والمناظر الطبيعية والطقوس اليومية والأشخاص الآخرين والتجربة الشخصية والرعاية والاهتمام بالمنزل، وسياق أماكن أخرى. (Relph, 1976, p. 29)

وفي الثمانينيات، وبالنسبة إلى "الجُغرافيين الجدد"، يعتقد آلان بريد (1984, p. 279) أن المكان هو "كائن لموضوع"؛ فهو يعني شيئًا ماديًّا، يُمكن رؤيته ولمسه من أجل شيء مشروط، يتم مناقشته ووصفه أو التعامل معه. وهو أيضًا مركز فردي، يستشعر القيم والمعاني، ومنطقة ذات ارتباط عاطفي وأهمية ملموسة. وبالإضافة إلى ذلك، وبالنسبة للجوهر، فإن المكان هو مشهد خامل ومُختبر. وعلاوة على ذلك، فإنه مُنتج بشري، مهما تعددت مناطق وجوده وأشكاله وأنماطه. وفي جانب آخر، فإن المكان هو عملية بواسطتها: (أ) تُنتج فيها أنشطة الناس والمؤسسات، وتنتجها هياكل اجتماعية مُشبعة بالقوة. (ب) تُسنسخ الأشكال الاجتماعية والثقافية، وتشكل السير الذاتية، وتحول الطبيعة بلا انقطاع لِتصبح واحدة مرة أخرى، بينما تُصبح الأنشطة في الفضاء الزمني محددة، وعلاقات القوة بلا انقطاع تتحول إلى شيء آخر.

أما من وجهة نظر چون أجنيو (1987, p. 28)، فإن المكان يركز على ثلاثة عناصر أساسية، هي: اللغة والموقع أو المنطقة الجغرافية والإحساس بالمكان. ويناقش الأول الإطار الذي تتشكل فيه العلاقات الاجتماعية، ويُعتبر الثاني هو موضع الحياة الاجتماعية، في حين يُمثل الثالث الهيكل المحلي للشعور. وعلاوة على ذلك، ينبغي أن تتشكل الأماكن من خلال مجموعة متنوعة من العمليات، وتتصل بمجموعة متنوعة من المقاييس الجغرافية.

وربط نيكولاس إنتريكين (1991) الجغرافيا البشرية والعلوم الاجتماعية والإنسانية ذات الصلة؛ ليشرح مفهوم المكان، كما هو موضح في الصفحات، التي سبقت نصه في كتابه "بينية المكان: نحو جغرافيا الحداثة." وقدم إنتركين مُصطلح "بينية المكان،" والذي تعامل

فيه مع المكان باعتباره سياقًا (Entrikin, 1991, p. 6)، ومن ثم فهو قد ركز على التجارب الإنسانية، التي تحدث في هذا السياق؛ لتبين لنا مفهوم المكان بشكل أو بآخر، مُعتقدًا إنتركين في العام (1989) أن بحوث الجغرافيا أعادت توجيه اهتمامها نحو "ثراء التجربة البشرية وفهم الفعل الإنساني، والتي كان أغلب تركيزها مُنصبًّا على الأهمية الثقافية للحياة اليومية (Entrikin, 1989, p. 40). ويستعين إنتركين في مقدمة كتابه بمقولة إدوارد ريلف عن أن الأماكن في المدينة هي مراكز مهمة لتجاربنا المباشرة في هذا العالم، كما أنه يرى أن الأماكن شرط من شروط الخبرة الإنسانية، مُشيرًا بأننا نحن دائمًا في "مكان" بقدر ما نحن في "ثقافة" (Entrikin, 1991, p. 1). وفي سياق آخر، يعتقد إنتركين أن المُشكلة الحقيقية في صعوبة التفريق بين "المكان" و"الموقع"، تكمن في سوء فهم التجربة الحديثة للمكان، وحيث إننا نحوز أو نحرز المعنى، سواءً تواجدنا "في مكان" أم كنا "عند الموقع." (Entrikin, 1991, p. 134)

ويركز كل من سيثيا لو وأروين ألتمان (1992, p. 4) على أن المكان يعتني بالمُحيطات البيئية المُرتبطة بالناس، عاطفيًّا وثقافيًّا، وأشارا إلى أن الفضاء يستمد معناه، من خلال العمليات الشخصية أو الجماعية أو الثقافية؛ فقد تختلف الأماكن في عدة وسائل، مثل: المقياس والحجم والنطاق، الحسية مقابل الرمزية، معروف ومُختبر مقابل غير معروف وغير مُختبر.

وغير ريلف (1993, p. 37) رؤيته حول المكان؛ ليتجاوز كونه مجرد موضع site. بل ويُعتبر هيكلاً جدليًّا في التجربة البيئية البشرية ، وتتركز مُهمته في أنه يجمع العناصر الرئيسة للمعاني والأنشطة ومناظر الأرض. وعلاوة على ذلك، فإن الأماكن باتت شرطًا من شروط احترام الخبرة الإنسانية، ويتعامل ريلف أيضًا مع فهم الأماكن داخل المجتمعات المحلية، والتي تختلف حسب اختلاف الناس والأحداث والأنشطة والمعاني.

ويتصور روبرت ساك (Sack, 1997, p. 16) أن المكان يتضمن الفضاء، وهو يرى أيضًا أن كُلّ مسكن هو مكان في فضاء، وأصبح الفضاء معنيًا بتجربة ذات معنى، وليس مُجرد خاصية للعالم الطبيعي، وبات يعتمد على وجه الخصوص على الألفة والزمن، وبهما يمكن إدراك اختلاف المكان عن الفضاء. ويتفق هذا التفسير مع الأغلب الأعم من توصيفات الفضاء والمكان؛ حيث يتم التمييز بينهما، من خلال قدرة الناس على فهم أَيِّ مَنْهُمَا مُبَاشَرَةً.

وتأسيسًا على موضوعات الجغرافيا الثقافية، توفر الأماكن بالضرورة حسب مايك كرانج (1998, p. 103) مِرساةً من الخبرات المُشتركة بين الناس والاستمرارية. ويعكس الوجود المادي المكثف للفضاء، حسب أريلد هولت–چينسن المعاني الموجودة في التجارب البشرية، ويعزز من خلالها من خصائص جودة المكان، فتُعرف الأماكن بأنها أرض المعنى كما يُمثل المكان في الواقع جزءًا من الفضاء الجغرافي. (Holt-Jensen, 1999, p. 224)

وبالنسبة لمارجريت رودمان (2003, p. 206)، يُستخدم خطاب الجغرافيا الطرق نفسها التي يستخدمه بها الناس حين يُعَرّفونه، في حين يرى الجغرافي الإيطالي فرانكو فارينلي (2003, p. 11) – نقلاً عن ترجمة چون أجينيو (2011, p. 316) – أن المكان جزء من سطح الأرض، لا يعادل أي سطح آخر، ولا يمكن مبادلته مع أيّ شيء آخر، دون تغيير كُلّ شيء. وهذا يعني أن كُل مكان مُستقل بذاته، وليس له شبيه آخر في أيّ بقعة أخرى على سطح الأرض. وعلى العكس من ذلك، فإنه إذا تعاملنا مع المكان باعتباره موقعًا، إذًا يُمكن أن يكون كُل جزء فيه بديلاً عن الآخر، ودون أن يجري تغيير أيّ شيء. وتحديدًا، يشرح فارينلي تلك المسألة من خلال كيفية نقل أمرين، لهما الوزن نفسه من جانب واحد إلى مقياس آخر، دون المساس بالميزان.

رَغْم كُلِّ مَا سَبَق، فإن تيم كريسول (2009, p. 170) يؤكد بأنه ليس صحيحًا أبدًا القول بأن مفهوم المكان قد اخترعه الجغرافيون، وعرف المكان أيضًا بأنه كموقع مُكتمل المعاني، والتي من خلالها يرتبط به الناس ارتباطًا عميقًا؛ ولذلك فشرط من شروط إشهار المكان هو أن تتوافر فيه المعاني.

وربما لتوضيح الفرق بين الموقع والمكان، نفترض وجود موقعين مُختلفين في دولتين، وكلتاهما تُطلان على شاطئ البحر الأبيض المتوسط: موقع في روما في إيطاليا والآخر في الإسكندرية في مِصر. كلا الموقعين يقعان على البحر نفسه، ولديهما واقع جغرافي يكاد يكون متشابهًا، وإنما إن نُظر إليهما باعتبارهما مكانين في موقعين مُتشابهين، فسيظهر الاختلاف نتيجة أشياء كثيرة في كلا المكانين، لا يُمكن أن تجعلهما متشابهين. ورغم أن هذين الموقعين يمتلكان البحر ذاته، فسينظر إليهما على أنهما مكانان مختلفان؛ لأن طبيعة التعامل معهما ستكون مختلفة، من حيث: الناس والأنشطة والثقافات وكذلك اختلاف الخبرات الإنسانية.. وهكذا.

وفي العام 2003، تعامل نايجل ثريفت (2009, p. 85) مع الفضاء باعتباره من الأشياء الأساسية في الجغرافيا البشرية؛ حيث ينشأ الفضاء من وجهة نظره من العمل الجاد

والمُستمر؛ للبناء والحفاظ على التجمعات، من خلال جلب أشياء مُختلفة في محاذاة. ويُشير بأن تلك الأشياء، هي: الأجساد والحيوانات والنباتات والأجسام المُصنعة والمناظر الطبيعية) في المواءمة. (Thrift, 2009, p. 94)

حدِّد ثريفت أربعة أنواع من الفضاءات، هي: (أ) البناء التجريبي للفضاء وله علاقة بالزمن، (ب) باعتباره سلسلة من الاتصالات، التي تعمل بعناية، من خلال ما نعرفه كتفاعل العالم، (ج) يتكون مما يمكن تسميته الصور، وأخيرًا (د) فهم الفضاء كمكان يتعامل مع الحياة اليومية البشرية.

وفيما يلي بعض ملاحظات ثريفت للتعامل مع الفضاء، في الوقت الحاضر، ويرى أنها جديرة بأن تؤخذ في الاعتبار: (أ) وضع مسارات قابلة للحياة معًا. (ب) إعادة تصنيف العالم باعتباره تدفقًا وتحولاً مستمرًا. (ج) إعادة النظر في كيفية تعميم الصور، والحفاظ على استقرارها، عندما ينطوي ذلك على عدد من الوسطاء. (د) فهم الثغرات الموجودة في إيقاعات الحياة اليومية، التي يمكن أن يمر بها الأداء الجديد. (هـ) إعادة صياغة التقنيات المكانية.

ومع ذلك، وفي نهاية حديثه عن الفضاءات، يرى ثريفت (2009, p. 94) أن أيّ مكان يُشير إلى العملية، التي يُمكن بواسطتها تنظيم الفضاءات بالطرق، التي تتكشف فيها الإمكانات العاطفية والمادية.

ويعتقد كريزويل (2009, p. 169) أن الموقع نوع مثالي للمكان، وعرف الموقع بأنه نقطة مُطلقة في الفضاء، مع مجموعة محددة من الإحداثيات والمسافات القابلة للقياس من موقع آخر." كما يرى أن الجغرافيين الإنسانيين يرون أن المنزل نوعًا مِثَالِيًا من المكان. أكثر من ذلك، فهو يعتقد أن المنزل مثله مثل المكان، يمكن أن يتواجد بمقاييس مُتعددة، بداية من الأبنية الفردية حَتَّى الأرض كافة.

علاوة على ذلك، فإن كريسويل (2009, p. 173) ينوه إلى أنّه من الضروري أن نعرف شيئًا عن تلك الجغرافيا الإنسانية؛ لِتساعدنا على صنع التمايز بين عالم الفضاء المُجرد، وعالم مكان الخبرة والشعور. ويعود كريسول (2009, p. 175) في الموسوعة الدولية للجغرافيا البشرية، منوهًا إلى أن المكان يقع في قلب اهتمام الجغرافيا، ويمتلك بنية مادية مُغطاة المعاني والقيم مِن قِبل المستعملين، وأنه كان يُعدُ إلى حدٍ كبير مفهومًا ثابتًا.

3. مفهوم المكان يتجاوز جغرافيا الموقع، ويصل إلى طبيعة الوجود

خلال خمسة عقود، منذ سبعينيات القرن الفائت، نظر عديد من المفكرين إلى المكان باعتباره كائنًا، ضمن إطار علم الوجود الإنساني، ومرتكزين في ذلك على نظرية المكان ونظرية التجميع لتحليل التعقيد الاجتماعي، في أَيّ مَكَانٍ. هؤلاء المفكرين، هم: يي–فو توان، *الفضاء والمكان: وجهات نظر إنسانية* (1977)، وجيل دولوز وفليكس جواتاري، *ألف هضبة: الرأسمالية والفصام* (1980)، ومانويل ديلاندا، *فلسفة جديدة للمجتمع– نظرية التجميع والتعقيد الاجتماعي* (2006)، وكيم دوڤي، *تُصبح أماكن* (2010).

ميز الجغرافي الأمريكي، من أصول صينية، توان (1977) بين الفضاء الموجود في البداية والفضاء الذي نتعرف إليه، ونمنحه قيمة، فيتحول إلى مكان؛ كما كتب: ما يبدأ كفضاء غير مُتمايز، يُصبح مكانًا كما نتعرف نحن عليه بشكل أفضل ونمنحه قيمة. كما أنه يعتقد أن أفكارًا، مثل الفضاء والمكان، يحتاجان إلى بعضهما البعض لتعريفهما. فمن خلال الأمن والاستقرار نُدرك معنى الانفتاح والحرية والتهديد الذي يُمكن أن يأتي من الفضاء، والعكس بالعكس (Tuan, 1979, p. 6). وتناول في السياق نفسه دراسة الفضاء من المنظور الإنساني، مُركزًا على دراسة مشاعر الناس وسلوكهم وتجاربهم أو خبراتهم، وفي الغالب هو يعتقد بأن تصورات الناس الذاتية لبيئاتهم، هي التي تُدعم الإحساس بالمكان في أيّ مكان. (Tuan, 1979, p. 388)

نظرية التجميع

عرَّف كُل من دولوز وجواتاري (1987, pp. 88-89) وديلاندا (2006, pp. 5, 9) وكيم دوڤي (2010, pp. 16, 17) المكان بأنه "مخطط فكري [فلسفي]." ويرتبط المكان بنظرية التجميع، من خلال كونه رباعي التكافؤ tetravalence، وذات تبعية وملكية territorialized، وبنية جذرية دينامية dynamic rhizomatic structure للناس والبيئة، ومفتاح مفهوم دوليزيان، ونوع مفصلي في نظرية التجميع 'assemblage theory'.

وشرح كل من دولوز وجواتاري (1987, p. 179) مفهوم "التجميع" باعتباره ما يحفظ الأشياء غير المتجانسة معًا، سواءً أكانت عناصر طبيعية أم اصطناعية. والتناسق أو التماسك هما الذين يُميزان تلك المسألة؛ حَتَّى بين تلك الأشياء الأكثر تَنَوُّعًا. وهكذا تُصبح القاعدة الأولى في هذا المفهوم مُتعلقة بالضرورة بتبعية المكان لشخص أو حيوان: البيت (Deleuze & Guattari, 1987, pp. 503-504). وحسب ديلاند (2006, p. 5)، فإن التجميع

هو الكليات، التي تظهر خصائصها من العلاقة التبادلية بين الأجزاء؛ وحيث يرى أن هناك أجزاءً تبدو طارئة وغير ضرورية ضمن هذا التجمع، ويُعطي مثالاً على ذلك بالآلة، التي يُمكن إخراج أجزاء منها، واستخدامها في تجمع آخر. (Delanda, 2006, p. 9)

في حين يصفها دوڤي (2010, pp. 16-19) بأنها "حالة راهنة" على النقيض من "الشيء" أو مجموعة من الأجزاء، كما أنه يراها أيضًا تكوينًا غير عضوي، ولا يعتمد على نظام مُحكم، مثل الفرع في شجرة. وفضلاً عن ذلك، فهو يُعطي مثالاً آخر عن عناصر، تُشكل جزءًا لا يتجزأ من التجميع، ولكنها لا تكون ضمن الشكل الحضري المادي، مثل: الحواس والمعاني. وقد استخدم دوڤي مسألة التجزئة segmentarity باعتبار أن الحياة عِبارة عن تجزئات فضائية واجتماعية، وأن الحدود هي التي تساعد على صنع تلك الأجزاء من الأراضي. وأن كُلّ قطعية تكون تابعة للغاية المُخصصة لها؛ فالمنزل يُقسم إلى غرف وشوارع تابعة لنطام المدينة والمصنع مجزأ؛ حسب طبيعة العمل.

4. الفضاء والمكان توابع للرغبات الإنسانية

ويعتقد المُفكر الفرنسي في مَا–وراء الطبيعة جيل ديليوز (1925-1955) –والذي عالج المجال المادي والعالم والواقع بطريقة عقلانية– نقلاً عن كلير كولبروك (2002, p. 66) أن الحياة تبدأ من تدفقات الحاصل أو الرغبة، والتي تنتجان بعد ذلك نقاط نسبية من الاستقرار.

أسس الناقد المِعماري الاسترالي كيم دوڤي، والمُختص في مجال العِمارة والعُمران والتصميم الحضري، أفكاره في العام 2010؛ مُرتكزًا على ذلك التصور، حيث يرى أن تجمعات حشود الأشياء والناس assemblages هي التي تحتوي الأماكن.

ومن هذا المُنطلق، يُشير كيم دوڤي (2010, p. 16) إلى أن الأماكن هي "مُنتجات الرغبة"، ويستند في رأيه هذا إلى "التصور الديلوزياني"، الذي يُناقش أسبقية الرغبة المُرتبطة بالحس والإحساس، والتي يُنظر إليها باعتبارها تجربة خام من الإدراك الحسي، سابقة الإدراك المعرفي واللغة أو المعنى.

ويعتقد دوڤي (2010, p. 17) أن المعاني جزء لا يتجزأ من أيّ تجميع؛ فالشكل الحضري المادي لا يتضمنها، كما أنها لا تُضاف إليه. بيد أن المكان عنده أكثر من مجرد كونه موقعًا له تحديد جغرافي، وإنما الأماكن تشغل مدى محددًا في الفضاء مؤثرة فيه بشدة؛ مُستخدمًا الكلمة الإنجليزية 'intensity' شارحًا معناها بأنه تُستخدم لتصف درجة الحرارة واللون والنشاط والصدفة، أو ما هو غير المتوقع والشخصية والمكان؛ حيث هناك درجة

عالية من بعض الجودة. أيضًا شدة التركيز هي الآثار أو الخواص المرجوة مباشرة، أكثر من المعانى، مثل: شدة الإضاءة والطنين من المحادثة وبياض الجدران واتساع البحر وصوت الطيور ورائحة القهوة. (Dovey, 2010, pp. 25-26)

ويستعين دوڤي (2010, p. 26) بمُصطلح 'overcoded' أو ما بعد الترميز، واصفًا الرغبة بأنها تحتاج إلى خفض الخبرات اليومية، وفصلها إلى هويات محددة، كما هو الحال في الكتيب السياحي. ويشير هذا المُصطلح إلى نظام تصور واستكشاف الآلاف من حلول البرمجة (2015)؛ لتحليل الثابت والمتحول وفصل التكرار، متابعًا دوڤي بأن هذا هو ما نقصده حين نقول إن المكان أصبح عصريًّا أو سلعة. ويرى أن هذا الفعل يجعل المكان، وكأنه صيغة مُبتذلة أو "a cliché" مُعطيًا أمثلة الجزر اليونانية والعِمارة والعُمران الحديثة، هذا الترميز لا يحدد المعنى، أو يؤثر عليه، بقدر ما يبني الهويات القائمة على المكان من الرغبات.

5. الأَمَاكِنُ هِيَ فضاءات ذات معانٍ وأجواء

ظهرت في العقود الثلاثة الأخيرة، من القرن العشرين، أهمية التعامل مع المكان باعتباره محتوى أحداث لها معانٍ، وتلك المعاني هي التي تُعطي للبيئة المُشيدة شخصيتها في المقام الأول، فضلاً عن أجوائها المُميزة. ولذلك، على المصمم الحضري أن يأخذ في اعتباره أن تشكيل الفضاءات لا ينبغي فقط أن يكون مناسبًا لنوعية الأحداث، وإنما يجب أن يسمح أيضًا لأكبر عدد من المستعملين بالمشاركة في إعطاء بيئتهم معنى مُختلفًا تمامًا عن معاني بيئات الآخرين. وبالتبعية، ستكون تلك المُشاركة بهدف إضفاء المعنى الحقيقي على المكان. وكلما حدثت هذه المشاركة بالطريقة نفسها، فإن هذه البيئة المُشيدة سيكون لها شخصية مميزة وأجواء حقيقية.

يركز هذا العمل عنايته على نمطين اثنين من الفضاءات المفتوحة في البيئة المشيدة، الأول: الفضاءات الحرة ثلاثية الأبعاد، والتي تُشَكِّلُهَا مُنشآت البناء، سواءً أكانت داخل أم خارج تلك المنشآت، والثاني: الفضاءات ذا الصِّلَةِ، والتي تتحول إلى "أماكن"؛ نتيجة لكسبها المعاني التي تُستمد من معيشة الناس، وتختلف من خلال توليد أحداثهم وتجاربهم.

وهكذا، فإن التَّمْيِيزَ بين الفضاءات الحُرَّةُ والأخرى ذات الصِّلَةِ مُمْكِنْ؛ فالأولى توجد بسبب البناء المادي الملموس، في حين أن الثانية هى إِطَارَاتٌ، يُمكن أن تُدْرِكَ من خلال معانيها. وسوف تظهر الفروق بين الفضاءات والأماكن جلية على وجهين في عالم العِمارة

والعُمران، وهما: الشكل المادي مُتمثلاً في الكتل، والشكل غير المادي، الذي يَتَضَمَّنُ المعاني، وما نُطلق عليه الأجواء. ويُعد النرويجي كريستيان نوربرج–شولتز أحد أشهر المهندسين المِعماريين؛ حيث ناقشوا الأماكن الخارجية في أعماله، عبر التركيز على أهمية التفكير في معاني الأحداث. وتلك الأعمال هي: *الوجود والفضاء والعِمارة والعُمران* (1971)، *والمكان العبقري: نحو علم الظواهر المِعمارية العُمرانية* (1980)، *ومفهوم السكن: في الطريق إلى العِمارة والعُمران الرمزية* (1985).

فكلما تواجدت الحياة في فضاء، سرعان ما حولته إلى مكان. وحسب نوربيرج–شولتز (1971, p. 5) فإن الفضاءات التي تحصُل فيها حياة هي أماكن. والمركز والانغلاق (أو الضميمة) يُحددان المكان، ويُصبح بؤرة أو محور تركيز، حين نختبر نحن الأحداث ذات المغزى من وجودنا (Norberg-Schulz, 1971, p. 19). وبالتالي، وفي هذا السياق، يبدو وكأنه أجاب عن السؤال الجدلي: أيهما وجوده سابق على الآخر الفضاء أم المكان؟

فمن وجهة نظره، يأتي الفضاء أولاً ويليه المكان، بعد أن تُعطي الأحداث التي تحصل في الفضاء له معنى. وهكذا، يعتقد نوربرج–شولتز أن الفضاءات قد وجدت قبل الأماكن، فتكون في البداية بلا معانٍ محددة. وبمجرد أن تحمل معانٍ، فإنها تتحول إلى أماكن؛ مُعرفًا نوربرج–شولتز (Norberg-Schulz, 1980, p. 6) المكان بأنه فضاء به حياة وأحداث ومعانٍ، ولكنه يظل شيئًا أكثر من الموقع المُجَرَّدِ؛ شيء مادي ملموس يمتلك مضمونًا ماديًّا، وفضاء يمتلك شخصية مُميزة. وفي نهاية المطاف، يحمل الفضاء شخصية "الطابع البيئي،" الذي هو جوهر المكان، إذ يعتقد نوربيرج–شولتز أن المظهر الملموس لسكن الإنسان وهويته يعتمدان على الانتماء للأماكن. ويُشير علم الظواهر (أو الظاهراتية)، هناك ضرورة للتعامل مع المكان؛ باعتباره حاضنًا للخبرات الإنسانية. كتب نوربرج–شولتز:

> *"تتكون الحياة اليومية للعالم من الظواهر الملموسة"؛ أيّ بما تَتَضَمَّنُ من خبراتٍ ونشاطاتٍ واتصالاتٍ. كما ربط الشخصية بالجو، حين كتب أن المكان هو إعطاء مثل الشخصية والجو.*
>
> (Norberg-Schulz, 1980, p. 6)

مُميزًا للفارق بين الفضاء باعتباره هندسيً ثلاثي الأبعاد، وباعتبار أنه مجال يُمكن إدراكه (Norberg-Schulz, 1980, p. 11). وتناول نوربرج–شولتز أمثلة مختلفة لبعض المِعمارين الغربيين، مثل: سيجفريد جيديون وكيڤين لينش وپاولو پورتوجازي، والتي ناقشوا

فيها معنى الفضاء من خلال التمييز بين الداخل والخارج في التاريخ المِعماري، وبنية الفضاء الملموس، وعرض العناصر التي من خلالها يُمكن التحكم في اتجاهات حركة الإنسان داخل الفضاء، والفضاء كنظام للمكان (Norberg-Schulz, 1980, p. 12). وهو يعتقد أن الفضاء مُرتبط بالإعداد المادي للمكان، كما أن الشخصية تُثير الأجواء التي تبدو في علاقة الناس والفضاء، وأنه لتحليل مكان ينبغي أن نأخذ في الاعتبار معنى الفضاء والشخصية أو العناصر الملموسة وغير الملموسة (Norberg-Schulz, 1980, p. 180). وعلى هذا النحو، حصر جوهر المكان في المضامين المادية الملموسة وشخصية البيئة؛ ويُشير نوربرج–شولتز إلى أن الإنسان حين يذهب ليسكُن مُتخذًا موقعًا له في الفضاء، فهو يتعمد أن يُنشأ بيئته حسب شخصيته، وليس حسب شخصية البيئة التي صادفته في هذا الموقع أو ذاك الفضاء (Norberg-Schulz, 1996, p. 417)، فأول ما يتبادر إلى ذهنه، هو كيفية إعطاء هذا الموقع في الفضاء شخصية ومعنى.

ويتعامل نوربرج–شولتز مع الفضاء باعتباره التنظيم ثلاثي الأبعاد، والذي يُعطي للمكان الحدود، مُعتبرًا أن الشخصية هي التي تُعطي للمكان الجو العام، ويقصد به الصفة المُميزة، التى توجد في أيّ ملكية خاصة. (Norberg-Schulz, 1996, p. 418)

وفى سياق موضوعات الاهتمام بالمكان والإحساس بالمكان ومُشاركة المُستعملين والشعور بالانتماء، ينوه كل من فريتز ستيل (1981, p. 9) وطوني هيس (1990, pp. xiii,) إلى ضرورة أخذ اهتمامات الناس وقلقهم ونفوذهم وحرصهم وتعديلاتهم على المكان في الاعتبار، فضلاً عن ضرورة الاهتمام بالأسباب؛ التي تغير من طبائعهم؛ أيّ مشاعرهم وأمزجتهم واستجاباتهم وقيوهم وإنجازاتهم، وكيفية بقائهم على قيد الحياة.

وعلاوة على ذلك، يرى ستيل أَنَّ كُلُّ عوامل الاهتمام والإحساس بالمكان تصل بالناس إلى حد البهجة. في حين يرى هيس أن مُشاركة المُستعملين للمكان في وضع تصوراتهم يُشعرهم باستمرار انتمائهم للمكان؛ ومن ثم فالمكان الناجح، هو المكان الذي يكون في متناول حواس كُل البشر.

وفي العام (1992)، أشارت مارجريت رودمان إلى أن الأماكن ليست حاويات خاملة، فهي مسيسة ونسبية ثقافيًّا ومحددة تاريخيًّا، كما أنها عبارة عن إنشاءات محلية ومتعددة (Rodman, 2003, p. 206)، وبناء إنسانى [أنثروبولوجى] "لوضع" أو توطين المفاهيم، وبناء اجتماعي وتجربة مكانية، فضلاً عن أنها جاءت إلى الوجود، من خلال الممارسة، لا السرد مُطلقًا (Rodman, 2003, p. 208)، وتُعتبر واقعًا فريدًا لكُلّ ساكن، يتقاسم أهميته

مع الآخرين. ويرتبط تعريف الأماكن بمفهوم الهوية حسب دورين ماسي (1999) وتيم ريدفورد (2013) ؛ حيث إن الأماكن هي "هويات المواضيع"؛ فهويات الأماكن التي شيدت من خلال العلاقات المتبادلة، لا تتحدى فقط مفاهيم الأصالة الماضية، ولكنها تفتح إمكانية للتغيير في المستقبل (Massey, 1999, p. 288)، فضلاً أنها جزء قوى من الهوية. (Radford, 2012, p. 3)

اللامكان

وفي نهاية هذا الفصل، اعتقدنا أنه من الضروري مراجعة ثلاثة مُصطلحات، تعني في التعريب "اللامكان"/"غير المكان" وهي:"non-place," "placeless," "placelessness"، بعد تحليل وجهات نظر بعض المفكرين الغربيين، من منطلق علاقتها الوطيدة مع الهدف الرئيس لهذا الكتاب؛ فمن البديهي أن أيّ تغيير في توصيفاتها سوف يؤدي إلى تغيير في أجواء المدينة وانفراداتها.

استُخدم في العام 1963/64 مُصطلح "غير مكان" non-place" لأول مرة، بواسطة المُصمم الحضري والمُنَظِّر الاجتماعي مِيلڤين ويبر، في مقاله "المكان الحضري وعالم غير المكان الحضري". كما استخدمه المفكر المؤرخ والمحلل النفسي وعالم الاجتماع الفرنسي، ميشيل دي سيرتو (1980) في كتابه *"اختراع كُلّ يوم"*، وأعاد استخدامه من بعده عالم الإنسانيات [الأنثربولوجي] الفرنسي مارك أوجيه (1992)، في كتابه *"اللامكان: مقدمة عن علم الإنسان لفترة الحداثة الفائقة"*.

نوه ويبر (1964, p. 143) في مقاله إلى أن المشكلة الرئيسة في المُدن المُعاصرة ما يحدُث في المجال العام، والذي يتواصل فيه الناس من خلال أنشطتهم المدينية المُختلفة عن الماضي، وأن الفرق بين مراكز المدن والمستقرات النائية سيكون في مقادير تدفق المعلومات وحجم العمليات فقط. ومُشيرًا إلى أهمية توسيع حرية التواصل خارج المكان، والتغيرات التقنية والمؤسسية الواعدة الناشئة، والتنقلات المُتزايدة باستمرار، وتزايد درجات التخصص، ومُبينًا أيضًا أن جوهر المدينة وحياة المدينة يكمنان في التفاعل وليس المكان. (Webber, 1964, pp. 146-147)

وبعده بحوالي الثلاثين عامًا، أشار مارك أوجيه إلى أن "اللامكان" يُسهل جوانب مهمة من الحياة العصرية، ولكن لا يسمح لمستخدميه بتلبية الاحتياجات الإنسانية المهمة، وأعطى مثالاً على ذلك الطريق السريع كمكان وظيفي للغاية. وكما أنه يُسهل الحركة السلسة، فإنما

يتعايش فيه الناس دون تفاعل، ويفتقد فاعلية الحياة؛ ففي علم الإنسان، وخاصة في الدراسات التقليدية للترتيبات المكانية، يتم تحويل الفضاء إلى مكان، من خلال الهوية والعلائقية والتاريخ مع مراعاة الزمن (Augé, 1995, p. 58). فإن كان تعريف المكان، كما كتب أوجيه مرتبطًا بكونه علائقيًّا وتاريخيًّا ومعنيًّا بالهوية، فسيكون الفضاء هو ما لا يمكن تعريفه بأنه تاريخي أو علائقي أو معني بالهوية، والمعنى أن كُلّ ما يفتقد إلى العلائقية والتاريخية والهوية هو "ليس بمكان." (Augé, 1995, pp. 77-78)

ويطرح علينا أوجيه (1995, p. 80) ثلاثة رؤى للتفريق بين المكان والفضاء حسب ميرلو–پونتي، من منطلق رؤية المكان باعتباره تجمعًا من العناصر، تتعايش في نظام معين، ويشبه الفضاء الحاصل في الرسوم المتحركة من هذه الأماكن، بواسطة حركة جسم متحرك. وتُميز الرؤية الأولى بين الفضاء الهندسي والفضاء الإنساني [الأنثروبولوجي] بمعنى "وجودية" الفضاء، واعتباره مسرحًا لتجربة العلاقات مع العالم؛ من حيث كونه يقع أساسًا "بالنسبة لبيئة [أو في علاقته بوسط محدد]".

أما الرؤية الثانية، فتتعلق بالكلمات وأسلوب الكلام؛ إذ تُستخدم كلمة فضاء لِتُصبح مكانًا من خلال الحديث، ويُمكن اغتنامها في غموض إنجاز المهمة، وتغيرت إلى مُصطلح ناجم عن اتفاقيات متعددة، كما فعل أحد الحاضرين (أو ذات مرة)، وتم تعديلها من خلال التحولات الناتجة عن التأثيرات المُتعاقبة. وتُسلط الرؤية الثالثة الضوء على السرد، كجهد لا ينقطع لتحول الأماكن والفضاءات، والفضاءات إلى أماكن.

ويعرّف أوجيه المكان من منظور علم الإنسان، بأنه الذي يخلق البعد الاجتماعي عضويًا (1995, p. 94). وفي هذا السياق، فإن التمييز بين المكان وغير المكان، مُستمدًّا من التعارض بين المكان place والفضاء space (Augé, 1995, p. 79). بيد أن اعتقاده كان أن أول ما يصنعه الناس، حين يستوطنون فضاء؛ ليجعلونه مكانًا، فإنهم يعملون على أن يَتَضَمَّنُ قواعد المعيشة المُعتادة (Augé, 1995, p. 101)، بيد أن اللامكان/أو غير مكان هو "مكان خلاء"، ويستمد هويته من الراكب والمسافر (Augé, 1995, p. 102). وهكذا يبدو أنه كان ينبغي أن يُسميه [فضاءً وليس بمكان]، أو [ليس – مكان بالمعنى التقليدي]، أو [ليس – مكان بالمعنى المُتفق عليه]. وفي هذا السياق، يتسم "غير مكان" بغياب "المودة" ووغياب الألفة وعلاقات الارتباط بين الناس مباشرة دون وساطة؛ نتيجة لعدة أسباب، هي: (أ) ثبات الحركة والاتصالات والاستهلاك، والتي تعمل ضد تطوير الروابط الاجتماعية والروابط بين الناس والعالم. (ب) وجود عدد كبير من النصوص المكتوبة والشاشات

والعلامات، التي تُسهل العلاقات بوساطة بين الناس والأماكن، بدلاً من العلاقات المباشرة. (Cresswell, 2009, p. 174)

ويشرح قاموس ميريام وبستر المُصطلح الثاني، والمعروف أيضًا أنه "اللامكان placeless"، بأنه مُصطلحًا، يُشير إلى أن افتقار المكان لوجود موقع ثابت للناس والأشياء، أو أنها أجزاء من الأرض لا يمكن تمييزها عن غيرها من الأماكن في المظهر أو الشخصية، ولا تضرب بجذورها في مكان أو مجتمع معين.

واستخدم ريلف (1976, p. preface) في مقدمة كتابه *"المكان واللامكان،"* المُصطلح الثالث "اللامكانplacelessness" تعبيرًا عن الأماكن، التي تُنتج دون الاهتمام بمسألة عدم الحساسية لأهمية المكان، فتُصنع بمناظر أرض موحدة standardized landscapes، أو أن يحدُث فيها اجتثاث عفوى أو طارئ لكُلّ الأماكن المُميزة ، مُعرفًا اللامكان أنه ما هو عام ومُنتج بالجملة. (Relph, 1976, p. 24)

وكما ذكر تيم كريسويل (2009, p. 174) ، يُعطي ريلف (1976) أسبابًا كثيرة للكيفية التى أصبحت بها الأماكن غير–أماكن، وتلك الأسباب هي: الإنتاج الضخم والتنقل المُتزايد والتركيز على الأماكن المزعجة وأماكن المتاحف، التي كانت نسخًا وهمية من أصول أصلية أكثر جدارة، ووصف هذه الأماكن بأنها "غير أصيلة".

بيد أن ميلڤين ويبر وومیشیل دي سيرتو ومارك أوجيه استخدموا مُصطلح اللامكان أو "غير مكان" لوصف بعض الفضاءات، التي تصف فضاءات الحركة والمعاناة ووسائل الاتصال في المدينة؛ فعلى سبيل المثال، بعض من تلك الفضاءات، هي: المناطق الغامضة القريبة من الطرق السريعة، ومحطات السكك الحديدية، والمتنزهات وأندية العطلات. وبشكل أو بآخر، باتت تتضمن الأراضي المُغتصبة أو المُحتلة ومُخيمات اللاجئين والفضاء المأهول؛ حيث تنمو شبكة المواصلات الكثيفة وفضاءات أماكن الصراف الآلي، وماكينات التسوق الإلكتروني ولوحات الإعلانات على طول الطرق. وإنما أيضًا تمدد هذا المُصطلح، بعد ذلك؛ ليصف عِمارة وعُمران الكتلة المفردة والمشروعات المتكاملة، والتي تميل لتكون مؤسسية، مثل: سلاسل الفنادق، والبنوك، والمطارات، والأسواق فائقة الضخمة، ومحطات خدمة السيارات.

ورغم حقيقة أن جميع هذه المشاريع تفي بالمهام الحيوية للناس في كُلِّ مدينة، إلا أنها تتمتع بدرجة أقل من تحقيق السلوك الاجتماعي السليم، كما أنها تفتقر إلى خلق حياة

اجتماعية؛ حيث لا يتعايش الناس بالطريقة نفسها، كما في المساحات التي تسمى "الأماكن"، مثل: بيوت العبادة والمقهى والمخبز. وهكذا، من أجل الأماكن لتصبح الأماكن، يجب أن تلبي بعض الشروط التي وضعها المصمم الحضري للحصول على شخصية وأجواء متمايزة.

وعلى أية حال، ينبغي أن تراعي بعض الملاحظات الختامية، قبل الشروع، في عرض بعض الشروط المُتعلقة بالمكان في الفصول التالية.

- في منتصف القرن العشرين، بدأت بعض المُصطلحات العلمية في مُختلف مجالات التخصص، ورغم أن لها معاني مماثلة، تظهر باطراد. ففي مجال العِمارة والعُمران عمومًا – ولاسيما في ميادين التخطيط والتصميم الحضريين – فمن الواضح أن هذه المسألة باتت لا تقبل الجدل؛ فالكلمات الثلاث non-place, placeless, and placelessness، والتي تعني "ليس مكانًا"، والتي نوقشت في نهاية هذا الباب، تُرسي وتؤكد وتُثبت هذه الحقيقة.
- بشكل أو بآخر تبدو توصيفات تلك المُصطلحات شبيهة لفكرة روجر ترانسيك، والذي أتى بها في العام 1968، وتصدرت كتابه "العثور على الفضاءات المفقودة". إلا أن المسألة هنا تجاوزت الفضاءات المفتوحة، والفضاءات الحضرية، مُتعدية إلى الطرق ووسائل الحركة والانتقال (كالقطار والمترو)، وأيضًا إلى عِمارة وعُمران الأبنية، مثل: الأسواق التجارية الضخمة، ومباني البلديات.
- وفي السياق نفسه، يُمكن ملاحظة أن ريلف وتيم كانا قد استخدما المُصطلحين "placeless" "placelessness" للإشارة إلى اللامكان، ولكنهما اختلفا عن ويبر ودي سيرتو وأوجيه في أنهما أخرجا عِمارة وعُمران الكتلة. وأكثر من ذلك، فإنهم ركزوا على الفضاءات المفتوحة، التي تعاني من نمذجة أو إهمال الإحساس بالمكان، كما أشاروا إلى مناطق المتاحف التي تحاكي القديم، وهي ليست قديمة، ولعل ريلف كان يقصد الأماكن المُقلدة للتاريخ، ولكنها لا تملك تاريخًا في الحقيقة.

خُلاصة مُجمعة

بينت المراجعة السابقة لمفاهيم المكان والفضاء أن كُلّ شيء مثلما يحتاج إلى زمان، لابد أن يكون له مكان؛ أيّ إنّه ينبغي أن يكون متواجدًا ضمن حاوية تحتويه، وأن كل ما في حياتنا: إما محتويًا لشئ، أو محتوىً للشئ، واعتدنا أن نُطلق عليهما في الحالتين أنهما مكان. إن السماء والأرض.. الأجرام السماوية والمجموعة الشمسية.. طفلاً جالسًا مع عائلته

أسفل شمسية على شاطئ البحر.. رصيف شارع واقع عليه مسمار صدئ، الحاسب الرقمي فوق ركبتي، كُلها في اللغة أماكن بمعنى الكلمة، ودون استثناء، ولذلك فإن فكرة استخدام كلمات من مثل اللامكان أو غير مكان لا تتناسب مع السياق العام للكلمة، التي لا يوجد إنسان على هذا الكوكب لا يستعملها؛ ليصف بها محتوى من وجهة نظر.

وإنما حينما تنمو لدينا الرغبة في التفريق بين مكان ومكان آخر، يُمكننا القول بأنه مكان إنما يفتقد إلى بعض الشروط، التي تحكمها العلوم المُختلفة، وكُلّ حسب ما يُمليه اختصاصه، سواء في الجغرافيا أم الإنسانيات أم علم النفس، وكذلك في العِمارة والعُمران.

وبعد أن استعرضنا مفاهيم المكان واللامكان، نكاد نُجزم بأنه لاوجود لهذا اللامكان، فكُل ما هو في العِمارة العُمران هو مكان، وإنما يختلف توصيفه بين مكان داخلي أو خارجي، مكان مفتوح أو مُغلق، مكان حضري أو فضاء حضري يتضمن عدة أماكن حضرية. ولن ينزلق هذا العمل إلى قضية طرح المُصطلحات، ففي مجال التصميم الحضري الفروق واضحة بين الفضاءات والفضاءات المفتوحة، والأماكن المفتوحة والأماكن الحضرية. وتظل بقية الأماكن تقبل التوصيف، بأنها فضاءات أو أماكن مفتوحة في المُطلق، ولكنها قد تفتقر إلى أن تكون فضاءات أو أماكن حضرية، هذا مع العلم بأن مجال التصميم الحضري بين أن هناك قوى مادية وأخرى لا مادية، تُسهل من توصيف الفضاءات والأماكن المفتوحة أو الحضرية.

تتعلق القوى المادية بما هو ملموس، سواءً أكان طبيعيًا أم من صنع الإنسان، وتحكمها أبعاد وضوابط ومعايير وأسس، في حين أن القوى اللامادية ترتبط بالإنسان تاريخه وتجاربه وسلوكه. وبمجرد أن تتواجد تلك القوى (أو بعضها) يتولد فضاءً مفتوح أو مكان حضري، ومن ثم لا يُمكن وسمها بأنها ليست أماكن.

وإن أردنا أن نُضيف مُصطلحًا يصف تلك الأماكن، فإنه يكفينا أن نُطلق عليها أماكن المدينة city place، وبعد ذلك نصنف تلك الأماكن بكُلّ ما تحتاجه من توصيفات مادية طبيعية أو من صنع البشر، واللا مادية حيت نتحدث عن التاريخية والعلائقية والهوية والشخصية، وهذا ما سيتناوله الباب الخامس بالتفصيل.

الباب الرابع: الناس والمكان في المدينة

"التصميم الحضري" هو العلم الذي تعدى مرحلة مناقشة البعد المادي لتخطيط المُستقرات البشرية الحضرية، ومن رؤية الفضاءات الحضرية المُطلقة إلى كونها أماكن حضرية ذات ملكية وأنشطة وأحداث إنسانية. هذا العلم حاول إيجاد ارتباط علائقي مُباشر بين الناس والمكان، وهي نقلة نوعية فكرية كانت جديدة، واتناولها هنا بعُمق.

استهلال

في بداية الستينات، في مجالات العلوم الإنسانية عمومًا، وفي مجالات التخطيط والتصميم الحضري بشكل رئيس، يُمكن القول بأن "المكان" مفهوم مهم، يُساعد على الإشارة إلى الانفراد في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. وقد ارتبط توصيف الهوية بمفهوم المكان، لدى العديد من المُعلقين، الذين يرون المدينة باعتبارها مجموعة من الأماكن وليست مجرد فضاءات لا معنى لها. ومن الرواد الذين تناولوا هذا المفهوم: كيڤين لينش، صورة المدينة (1960)، وكريستيان نوربرج–شولتز، *موضع عبقري: النوايا في العِمارة والعُمران* (1963) *وموضع عبقري: نحو علم الظواهر في العِمارة والعُمران* (1974) *ومفهوم المسكن* (1983)، وفريد لوكرمان، *الجغرافيا، باعتبارها الانضباط الفكري الرسمي، والطريقة التي يساهم بها في المعرفة البشرية* (1964)، وهارفي كوكس، استعادة الشعور بالمكان (1968)، ولورانس دوريل (1969) ومارتن هيدجر، *الشعر واللغة والفكر* (1971)، ويي–فو توان (1974) وإدوارد ريلف (1976) وهارولد بروشانسكي (1978؛ 1983)، وآموس راپاپورت، معنى البيئة المُشيدة: نهج التواصل غير اللفظي (1990)، ومايكل هوف (1990) وإيروين ألتمان وسيثا لو (1992) وفيليپ كوتلر (1993) ومارجريت رودمان (2003) وإدوارد كيسي، *العودة إلى المكان: نحو فهم متجدد (1993)*، *ومصير مكان: تاريخ فلسفي* (1997)، كريستين بوير، *مدينة الذاكرة الجماعية: صورها التاريخية والتسلية المِعمارية* العُمرانية (1994)، روجر مور وآلان غريف (1994) ودولوريس هايدن، *قوة المكان: المناظر الطبيعية الحضرية والتاريخ العام* (1995)، روبرت ساك، هومو جيوغرافيكوس (1997)، دورين ماسي *هندسة الطاقة والسياسة من الفضاء الوقت: هيتنر محاضرة 1998* (1999)، وجورجيا بوتينا واتسون

وإيان بنتلي (2007) ماريا ليويكا "مكان مرفق، ووضع الذاكرة: ريستورين (2008)، چون أجنيو، المكان والسياسة: الوساطة الجغرافية للدولة والمجتمع (1987) والفضاء والمكان (2011)، تيم كريسويل، المكان (2009) والمكان: مقدمة قصيرة (2013)، وماثيو كارمونا (2010) وتيم ريدفورد (2012).

مفاهيم ومُصطلحات

جدير بالذكر، أنه فيما يتعلق بمفهوم انفراد مدينة، فإن ثمة عدة مُصطلحات متداولة تستهدف تفسير العلاقة بين الناس والمكان في البيئة المُشيدة. وقد تكررت هذه المُصطلحات في عديد من مجالات المُمارسة المهنية، مثل: الفلسفة والجغرافيا البشرية، وجغرافيا المعرفة، وعلم نفس المكان، وعلم النفس البيئى، والتصميم البيئى، ونهج الظواهر، وعلم الاجتماع الحضري، ومجالات اختصاص العِمارة والعُمران: التخطيط والتصميم الحضري، وعِمارة وعُمران مناظر الأرض أو المشاهد. وتقع مجموعة من المراجعات ضمن بعض الأدبيات الغربية حول هوية وشخصية المدينة كمكان، وتستهدف تلك المراجعة تصنيف أفكار بعض المُنظرين والمُعلقين، في خمسة عشر مفهومًا ومجمعة في أربع فئات. أولاً–الهوية والشخصية: 1) الهوية الوطنية والإقليمية، 2) الهوية الحضرية، 3) هوية المكان، 4) شخصية [الحضر] المكان . ثانيًا: تمامًا مثل المنزل: 5) الارتباط بالمكان (المودة)، 6) الشعور بالانتماء إلى المكان، 7) الحنين للأماكن، 8) حب المكان [توبوفيليا]، 9) الشعور بالواقعية. ثالثًا: المكان كتجربة: 10) الشعور بالمكان، 11) ذاكرة المكان، 12) مفهوم القطع المُتحفية الحضرية. رابعًا: المكان كمعنى: 13) المعاني القائمة على المكان، 14) روح المكان، 15) موضع عبقري.

الهوية والشخصية

في العام 2005، وطبقًا لآراء ستيفن ليتلچون وكارين فوس (2008, p. 88) عندما تتطرق إلى السؤال: "من أنا؟"، فإنك تستكشف موضوع "الهوية الشخصية." أكثر من ذلك، يرى ليتلچون وفوس أن تكوين صورتك عن نفسك تنعكس منك كشخص، كما اعتقد أن مايكل هوف (2007, pp. 526-527) أن الفرق بين مكان ومكان آخر هو ناتج من الاستجابات العامية للمُشكلات العملية للحياة اليومية. وتُشير عالمة النفس ماريا ليويكا (2008, p. 111) أن الهوية هي سمة من سمات الشخص وليس المكان، كما أشارت لويكا (2008, p. 218) إلى قائمة بالأشياء المُحتملة لتحديد الهوية من مثل الحي والمدينة، وعبر المدينة والمنطقة

والبلد والعالم والإنسان. كما أنها تُشير إلى أن مقياس المكان يتراوح بين فرش المكان وتأسيسه وبعض الصفات البيئية الأخرى ليصل لحَتَّى غرفة ومدينة ومناظر الأرض أو منطقة. وأشار كيم دوڤي (2010, p. 3) إلى أن جميع الأماكن في حالة تغير مُستمر، وإنما هي مُعَرَّفة بما لا يتغير؛ مثل إحساسهم بالمكان وشخصيتهم أو هويتهم، والتي تُعتبر مُستقرة نسبيًّا. وهو يرى أن الأماكن تُختبر أساسًا من ناحية السياقات المُستقرة للحياة اليومية؛ فتلك السياقات اليومية وسيلة أساسية، تُمكن من تحقيق استقرار هوياتنا في هذا العالم، حتى أنه يرى أن السعي إلى حماية وخلق الشخصية الحضرية أو شخصية وحدة الجوار أصبحت قضية رئيسة للتنمية السكنية، ولفهمنا النظري للمكان. (Dovey, 2010, p. 57)

بل إن المخطط والمُصمم الحضري ماثيو كارمونا (2010, p. 121) يرى أن الهوية الفردية ترتبط بمسألة إضفاء الطابع الشخصي –ووضع طابع مُميز على بيئة الفرد. وارتبط المكان حسب باتسي هيلي(2010, p. 33) ارتباطًا وثيقًا بالمعنى، الذي يعطيه الناس لمحيطهم ولمدى قدرتهم على التأثير عليه؛ بل إنها تكون في الغالب نتيجة لمعنى محدد، وحسب القيمة التي ترد للناس من هذا المكان. والمكان حسب تيم ريدفورد (2012, p. 3) هو الجزء المؤثر على الهوية، حيث يرى أنه فيما يتعلق بالبشرية باعتبارها العنصر الرئيسي أو الأهم في الوجود، فنحن نرى مناظر (أو مشاهد) الأرض من وجهة نظرنا، وحتى الكيان الذي نسميه جمال البرية، فهو مجرد ترتيب سعيد من الأرض المرتفعة، والوادي والأنهار الجليدية والنهر والغابات والسماء، والتي تُناسب الإطار اللاواعي لمرجعيتنا تجاه الجمال: فالطبيعة تبني البني، ولكننا نحن الذين نقدم التكوين (Radford, 2012, p. 25). تتغير الشخصية الحضرية للمكان مع تغيير الزمن حسب ماريشيلا سيبا ومايكل پيتي (2014, p. 217) : فصول السنة ومرور اليوم والأحوال الجوية مما أدى من منظور مُختلف إلى المساهمة في تغيير شخصيتها، وتلك الشخصية هي أيضًا حُددت بواسطة الدستور المادي والرسمي للمكان. ويرى كيم دوڤي (2016, p. 128)، في سياق آخر، أن الشخصية تُطبق على الناس.

ويتتبع هذا العمل مسألة الهوية والشخصية من خلال أربعة عناوين رئيسة، هي: الهوية الإقليمية والوطنية وهوية الحضر وهوية المكان وشخصية [الحضر] المكان.

1. الهوية الوطنية والإقليمية

في العام 1983، وبروح علم الإنسانيات (الأنثروبولوجي)، يتصور بينديكت أندرسون (2006, p. 49) الهوية الوطنية باعتبارها "مُجتمعًا سياسيًّا"، كما أنه يتصورها أيضًا باعتبارها محدودة

بطبيعتها وذات سيادة على حد السواء. وهذا التصور يحدُث نتيجة أن أعضاء حتى أصغر دولة لن يعرفوا أبدًا معظم زملائهم الأعضاء، أو يلاقوهم، أو حتى يسمعوهم، ولكن في أذهان كُلٍّ منهم صورة لشركتهم.

في حين أنه يُمكن القول بأن الإقليمية والممارسة الإقليمية حسب جوني بالاسما (2006, p. 49) تفتح الإمكانات؛ لإنعاش عِمارة وعُمران المعنى– فالعِمارة والعُمران تدعم الهوية الثقافية لأولئك الذين يخدمونها. وتهدف العِمارة والعُمران في المقام الأول حسب بالاسما (1988, p. 26) طرح تساؤلات حول هل تشعر بأنك إنسان في هذا العالم؟ هل تهدف جعل تجربة وجودنا ذات أهمية وغرض أعمق؟ كما استشهد من ألدو ڤان إيك بأن العِمارة والعُمران يجب أن تُسهِل العودة للوطن. اعتقد بالاسما (1988, p. 28) أنه ينبغي على العِمارة والعُمران أن تكون قادرة على دعم موضعية وثقافية ورمزية هويتنا، ولكنه بدا مُنزعجًا من مفهوم الإقليمية بسبب دلالته الجغرافية والعرقية (الإثنولوجية). وبدلاً من ذلك، فهو يُفضل أن تتحدث إقليمية عن عِمارة وعُمران مكانية أو ذات ثقافة محددة.

في حين ينوه بالاسما (1988, p. 30) إلى أن مهمة العِمارة والعُمران في مُعتقد ألفار آلتو، كانت التوسط بين الإنسان والتقنية ودعم اندماجه الاجتماعي والثقافي. وينتقل بالاسما (1988, p. 32) بعد ذلك، طارحًا فكر "توحيد الأضداد،" وكيف تمكن بعض المعمارين، من أمثال: ألفار آلتو ولويس بانجان ومن بعدهما فرانك لويد رايت ولوكوربوزييه وتادو أندو وتشارلز كوريا من تحقيق الشخصية الإقليمية، والتي تنشأ من خلال استعمال المكونات المتناقضة للهوية الإقليمية، والتي هي حسب مايكل هوف (1990, p. 34) رد فعل جماعي للناس تجاه البيئة على مر الزمن.

كما تنشأ الهوية الإقليمية حسب هوف (1990, pp. 525-527) مُتعلقة بالاستجابات العامية للمشكلات العملية للحياة اليومية، ورد فعل جماعي من الناس على البيئة، والعناصر الخفية من المشهد الأصلي، وتأثير العولمة والتقنية والسياحة.

2. هوية الحضر

سوف يكون الخطاب التالي معنيًا بالبيئة العُمرانية المُشيدة سواءً أكانت في المدينة القديمة [التاريخية أو التقليدية] أو في المدينة المعاصرة الجديدة. ورغم أن المناقشة القادمة سوف تتعامل فقط مع العِمارة والعُمران الحضرية إلا أنه ينبغي التذكير بأن البيئات الحضرية المُشيدة المعنية في هذا العمل ينبغي أن تتمتع في المقام الأول بكُلّ ما يتعلق بامتلاك

إفرازات الحضارة والثقافة ومقومات التقدم والازدهار في مجالات الحياة كافة. إنها ليست مجرد بيئة مدينة ريفية أو بدوية، ولا هي مدينة لها تاريخ، ولكن ينبغي أن تكون إما مدينة تتسم بالتقليدية أو بالمعاصرة وتقع في البيئة الحضرية تحديدًا. لذلك، فإن الهوية التي ستكسب من هذه المدن لن تأتي من تراكمات الماضي ولكن أيضًا سوف تقوم على المبادئ التوجيهية للتخطيط والمصمم في المناطق الحضرية، والتي تحترم معايير الحاضر، فضلا عن أنها سوف تتبع الظروف المناسبة لتلبية احتياجات مستخدمي تلك المدن في الوقت الحاضر.

وجدير بالذكر، إن هوية الحضر في مجال علم النفس الاجتماعي البيئي حسب ماركو لالى (1988, p. 310) لها تأثير قوي على إدراك السكان للجودة الحضرية. وعلاوة على ذلك، فإنها تؤثر على تقيمهم للعناصر القائمة والمتوقعة في محيطها الحضري. ناقش في الآونة الأخيرة العديد من المُعلقين نظريات وممارس مسائل الهوية الحضرية والاجتماعية والمِعمارية العُمرانية في البيئة المشيدة، ومن هؤلاء ديفيد أوزال (1996) وريتشارد جينكنس (1996) وجيمس فيرون (1999) وأرتو هاپالا (2003) وكليف موجن (2003) و تشارلز جينكس (2005) وعلي تشيشمزانجي (2012).

ومعظم نظريات الهوية الحضرية حسب ديفيد أوزال (1996, p. 220) تتبع من نظريات مفهوم الذات والهوية الذاتية؛ فتلك النظريات يُنظر فيها إلى البيئة على أنها تابعة للحقيقة الاجتماعية ووساطة التأثير فقط في مفهوم "الذات." والمعنى أن المرء الذي يعيش في هذه البيئة هو وحده القادر على التأثير على هويتها. وتصنع عِمارة وعُمران الأبنية؛ حسب ريتشارد چينكس (1996, p. 24) هويات اجتماعية مُرتبطة بعِمارة وعُمران الكتلة المفردة، وإنما هي واقعة ضمن نطاق السلطة، مُنوهًا إلى أن عِمارة وعُمران الكتلة المُفردة أصبحت هي الوسيلة والغاية في السياسة. وتأسيسًا على نظرية مارتن هيدجر، التي تقول بارتباط الهويتين الحضريتين للمدينة والشخص، يُشير أرتو هاپالا (2003, p. 13) إلى أن هوية المدينة تنتج من هوية أولئك الذين يعيشون فيها، والعكس بالعكس.

وثمة من يرى هوية الحضر نتاج مِعماري عُمراني لتكوينات متكررة من كتل بنائية مفردة، مثل كليف موجن (2003) وتشارلز چينكس (2005)، فتُسهم المباني البارزة (الأيقونية) كرموز حسب چينكس (2005, p. 185) في تحديد صورة المدينة أو المكان. والهويات الحضرية حسب رأى علي تشيشمزانجي (2012, p. 308) نقلاً عن چيمس دي فيرون هي فئات اجتماعية، حيث يتم تعريف كل من الفضاء والمجتمع، وما يمكن أن يستتبعهما معًا

من حيث "الدور" و"النوع"، ففي حين يصف الفضاء دور فعل الحواصل في البيئة؛ فإن النوع يعبر عن الطريقة التي يُدمج فيها الفضاء ضمن سياقه. وبالتالي، فإن كلاً من الدور والنوع يهدفان تعزيز العلاقات التي تربط بين الفضاء والمجتمع. وبعبارة أخرى، يتم تطوير هذا كله من خلال مفهوم الهوية الحضرية نفسها.

3. هوية المكان واللامكان

ظهر مُصطلح هوية المكان في منتصف القرن الماضى في كتابات المخطط الحضري الأمريكي كيڤين لينش، في الستينيات والثمانينيات، ولدى المنظرّ الجغرافي الكندي إدوارد ريلف (1976). واستُخدم المُصطلح بواسطة عالم النفس البيئي الأمريكي هارولد بروشانسكي (1978) أو لعله هو الذي اكتشف المُصطلح المُرَكَب "هوية–المكان place-identity" في مطلع السبعينيات، وقد اشترك معه فى ذلك آبي فابيان وروبرت كامينوف (1983) فى تعريفهم لمفهوم الهوية. ويمكن القول بأن بداية المعرفة بمُصطلح هوية المكان كان من خلال فهم تأثير الصفات البصرية المُرسلة من هيكل المبنى/المباني وما ينعكس عنهما من معانٍ في الذهن عن (الشيء ومحيطه وتسلسل الأحداث من حوله)؛ فهوية المكان بدأت كعنصر من عناصر تحديد الصفات البصرية الفريدة لبيئة محددة، ومن خلال استجابة أجهزة التحكم في العين، إلى جانب رصد التأثيرات المُرسلة من بنية أو هيكل المبنى أو المباني، ومعانيها المُنعكسة من الجسم، حسب كيڤين لينش (1960, p. 1) في أدبيته *صورة المدينة*، حين أشار إلى أن ذلك يتعلق برصد محيط الشيء وبتسلسل الأحداث الذي تقود إليه، فلا شيء يُختبر في ذاته (Lynch, 1960, p. 8). وفي حين يرى آيان نيرن (1965, p. 3) أن منظر المدينة يُعطي الهوية أيضًا إلى الشعب. فإن إدوارد ريلف (1976, p. 34) يرى أن العلاقة بين المكان والمجتمع قوية جدًا ويُعزز كل منهما هوية الآخر، ويطرح تنويهًا بليغًا عن أن: الناس بأماكنهم، وأن المكان بشعبه، بيد أنه يلفت النظر إلى أنه من الناحية المفاهيمية قد ينفصل جزئي التنويه خاصة مع وجود تجربة يصعُب فيها التمييز بينهما.

كما أنه أشار إلى أن هوية المكان تعني التشابه المستمر والوحدة التي تسمح لهذا المكان بالتميز عن أماكن أخرى. وتتألف هوية المكان من توليفة مباشرة بين البعد المادي للمكان والأنشطة والمواقف والأحداث، فضلاً عن المعاني الفردية والجماعية التي تنبع من تجارب الناس ونواياهم حول هذا المكان، مُبينًا أن هناك ثلاثة عناصر أساسية لخلق هوية

الأماكن، هي: الإعداد المادي البدني–الجسدي الثابت، والأنشطة، والمعاني، مُبينًا أن هناك ثلاثة عناصر أساسية لخلق هوية الأماكن هي الإعداد المادي البدني–الجسدي الثابت والأنشطة والمعاني. (Relph, 1976, p. 45)

وارتبط المُصطلح بعد ذلك بعملية التذكر، ومدى استجابة البيئة لإظهار تمايزها من خلال اختلاف أمكنتها، بل ويتمتع كُل مكان بفرادة نابعة من حيويته ووجوده الشخصي المُستقلة، والتي بالتبعية تكون تابعة لشخصية من في المكان. كما أن اختبار المكان وعناصره مفردة أو مجتمعة، فضلاً عن تجربة العيش فيه، كل ذلك يُمكن من اكتشاف مغزى المكان، أكثر من مجرد النظر إليه باعتباره صورة جوية.

وكتب ريلف (1976, p. 47): إنه من الممكن تصور المدينة بأنها تتكون من المباني والأشياء المادية، كما هو موضح في الصور الجوية. وفي هذا السياق المادي من شأن المُشاهد الموضوعي لأنشطة الناس أن يراقب تحركاتهم بدقة بقدر ما يراقب عالِم الحشرات النمل، فبعضهم يتحرك في أنماط منتظمة، وبعضهم كائنات مُستهلكة وما إلى ذلك. ولكن الشخص الذي يختبر تلك المباني والأنشطة يراها ذات مغزى، وهذا يحدُث أكثر بكثير من كونه يراها أهي جميلة أم قبيحة، أمفيدة أم مُعيقة، منزل ومصنع وممتعة وغريبة. ويمكن القول أن هوية المكان حسب أعمال إدوارد ريلف (1976, p. 47) نقلاً عن فيل تيرنر وسوزان تيرنر (2006, p. 205) هي الجانب الخفي من الإحساس بالمكان، وهي تتبين عبر انعكاس سمات المكان على هوية المرء.

أصبح مُصطلح هوية المكان حسب كريستيان نوربرج–شولتز (1980, p. 10) عنصرًا أساسيًا في التعريف الذي يتناول المكان باعتباره جزءًا من وجود الناس. لقد تطور مفهوم هوية المكان مع الزمن، فأصبحت تُستخدم لتبين التمايز والاختلاف بين الأماكن، من خلال توليفة مباشرة بين البعد المادي للمكان والأنشطة والمواقف والأحداث، فضلاً عن المعاني الفردية والجماعية، التي تتبع من تجارب الناس ونواياهم حول هذا المكان.

ويعرّف لينش (1981, p. 8) الهوية باعتبارها تُحدد الشيء، الذي يُملي التميز والاختلاف عن شيء آخر والاعتراف به باعتباره كيانًا قابلاً للفصل، وهو مفهوم لا يعني المساواة مع شيء آخر، وإنما يأتي بمعنى الفردانية أو الوحدانية. والهوية في أدبية لينش *نظرية شكل جيد للمدينة* (1981, pp. 131-132) ، تُمكِّن من فهم إلى أيّ مدى، يمكن للشخص أن يتذكر مكان ما على أنه متميز عن الأماكن الأخرى–على أنه حيوي أو فريد من نوعه، أو على

الأقل ذو شخصية معينة، خاصة به، وهكذا ترتبط هوية المكان من وجهة نظره ارتباطًا وثيقًا بالهوية الشخصية "أنا هنا" أدعم "أنا."

أما هوية مكان الفرد the individual's place-identity حسب هارولد بروشانسكي (1983, p. 63) هي مرآة تعكس الواقع المادي، وأن الاعتراف المُستمر بتلك الهوية مع مرور الوقت يُعطي مِصداقية، ويُدعم الهوية الذاتية له أو لها. وقد عرَّف هوية–المكان من خلال مفهوم الإدراك المعرفي، اعتمادًا على رصد العلاقة بين النفس البشرية والبيئة المادية، علاوة على ذلك، فقد اعتبر أن الهوية كانت لها أبعاد شخصية، تُحدد الهوية الشخصية للفرد، وتتصل بالبيئة المِعمارية العُمرانية الحضرية. وكل هذا يحدث من خلال نمط مُعقد من المثل الواعية وغير الواعية، والمعتقدات، والتفضيلات، والمشاعر، والقيم، والمهارات التي تتعلق بالبيئة.

فهوية المكان حسب هارولد بروشانسكي وآبي فابيان وروبرت كامينوف (1983, p. 57) تُعد مفهومًا متعدد الاستخدامات، ويمكن بناء العديد من النظريات النفسية للعلاقات مع البيئة البشرية عليه. كما أشاروا (1983, pp. 59-60) أيضًا إلى أن هوية المكان هي جزء من هوية شخص ما يعيش في المكان؛ فالمكان في حد ذاته يُمثل هوية فرعية وجزءًا من ثقافة الإنسان، والتي تتكون من مدى الإدراك المعرفي، الذي يمكن أن يكون مفهومًا على نطاق واسع من الذكريات والأفكار والمشاعر والمواقف والقيم والأفضليات والمعاني ومفاهيم السلوك البشري، والخبرة المتعلقة بتنوع وتعقيد مُعدات البيئة المِعمارية العُمرانية.

ويرى مايكل هوف (1990, p. 187) أن العناصر المخفية في المشهد الأصلي لمناظر الأرض هي التي تحدد الهوية؛ مثل التضاريس ومجتمعات النباتات المحلية الباقية والتحوط القديم والحظيرة وحجر الرصف القديم حتى الأصول الطبيعية والثقافية وتغيير المستعملين، وتستند الهوية حسب هوف (1990, pp. 525-527) إلى مدى معرفة المرء بالجذور الثقافية للمكان. كما لا تتطور هوية المكان فقط من خلال العلاقات مع الناس، وإنما في سياق آخر يراه الأب للتسويق الحديث فيليب كوتلر (1993, p. 11) يحدُث من خلال تتبع الأماكن والمُنتجات والتي ينبغي تصميمها وتسويقها من منظور احترام الهويات والقيم الإنسانية.

وتُعتبر هوية المكان حسب برادلي يورچنسن وريتشارد ستيدمان (2001, p. 238) بمثابة إدراك الفرد المعرفي والمعتقدات والتصورات أو الأفكار التي تستثمرها الذات في وضع مكاني معين، وفي متابعة لآراء دافنا أويسرمان وكريستين إلمور وجورج سميث في العام

2002 أيضًا يتضح اهتمامهما بتأثيرات انعكاس هوية المكان على تغيير الأفراد لأنفسهم ليظهروا كما يُحبون أن يراهم الناس. (Oyserman, Elmore, & Smith, 2012, p. 76)

أما جورجيا بوتينا واتسون وإيان بنتلي (2007, pp. 4, 6) فيريان أن هوية المكان هي ظاهرة تبان على نطاق واسع، ويُعرفانها باعتبارها مجموعة المعاني المرتبطة بأي مشهد ثقافي معين يعتمد عليه أي شخص بعينه أو مجموعة من الناس في بناء هوياتهم الشخصية أو الاجتماعية. وتتبع هوية المكان أيضًا في مجال الجغرافيا حسب أريلد هولت–جنسن (1999, p. 221) من أن المكان قد أصبح يعني باعتباره خبرة ناتجة عن البشر– تدور حول تقييمهم للمواضع المادية الملموسة والنشاط البشري والمعنى.

وفي عصر استهلاك وثقافة العولمة، وحسب هيرنان كازسكيان وفاطيما بيرناردو (2012) هوية المكان هي حاجة أساسية تشمل جميع جوانب الحياة البشرية، وباتت مركزية في مجموعة واسعة من مجالات الدراسة المهتمة بفقدان الفردانية والطبيعة المتجانسة والمتكررة في العديد من الأماكن. إنها تناقش العلاقة بين المكان والمعاني الشخصية والرموز والشعور والتي هي من أجل المقيمين والمُستعملين.

ويُعرف الأشخاص بالأماكن التي يعيشون فيها حسب روبرت آدم (2012, p. 176) فيحددون الأماكن باختلافها. حيث يرى آدم أن هذين النوعين والذي أطلق عليهما الهوية identity والتعرف على الهوية identification مُتعارضان مع بعضهما البعض. وأصبحت هوية المكان حسب إيسيل كيماز (2013, p. 740) بعدًا هامًا للحياة الاجتماعية والثقافية في المناطق الحضرية.

وفي حين يرى عالم الإنسانيات مارك أوجيه (1995, p. 52) –الذي يستكشف العلاقات بين المجتمعات والفضاءات، وخاصة الفضاء العام– أن جميع علم الإنسانيات [الأنثروبولوجي] هو علم الإنسانيات من علم إنسانيات الآخرين للمكان– فالمكان التابع لعلم الإنسانيات هو الجوهر لمعنى الأشخاص الذين يعيشون فيه، وأيضًا مبدأ وضوح الكائن بالنسبة للشخص الذي يرصده أو يُشاهده. صك أوجي مصطلح "اللامكان" – في العام 1992 في كتابه باللغة الفرنسية الفرنسي *اللامكان: مقدمة في الحداثة الفائقة في علم الإنسانيات*، والذي نشر باللغة الإنجليزية في العام 1995. مستثنيً ا ما لا يُمكن تتبع علاقته بالناس بصورة علائقية أو تاريخية أو له صلة بالحفاظ على الهوية من كونه مكان (Augé, 1995, p. 64). مُعطيًا بعض الأمثلة توضح اللامكان (Augé, 1995, pp. 77-85):

واصفًا إياه باعتباره الفضاءات التي أنشئت حول المواقع المستخدمة في النقل أو العبور والتجارة أو الترفيه، أخذًا في الاعتبار العلاقة بين الناس وتلك الأماكن. أكثر من ذلك، هو يرى كُلّ الهواء "لا مكان،" وكذلك السكك الحديدية والطرق السريعة والكبائن، التي تسمى وسائل النقل (الطائرات والقطارات ومركبات الطرق) والمطارات والمحطات الهوائية وسلاسل الفنادق ومتنزهات الترفيه ومنافذ البيع بالتجزئة الكبيرة. وقد اعتقد أوجي (1995, pp. 78-79) أن ما له صلة أو ما يتعلق بالحفاظ على الهوية، يقع ضمن أساسيات تعريف المكان بصفته العلائقية والتاريخية: ومن ثم، فالفضاء الذي لايمكن تعريفه بصفته العلائقية أو التاريخية، أو بما له صلة بالحفاظ على الهوية لا يُعد مكانًا. وقد عرَّف المكان باعتباره ما يتردد الناس عليه، واللا مكان هو عكس المكان [أي ما لا يتردد الناس عليه]، مع ملاحظة أنه يُشير إلى أن اللامكان هو مكان له اسم، وهو يرى أن المكان واللا مكان هما بالأحرى أشبه بقطبين متعارضين، الأول: هو الأماكن التابعة علم الإنسانيات، والتي تعتبر في العموم محلية ومألوفة ومعروفة ومشغولة أو مسكونة وذات مغزى لكُلّ من شاغليها ومشاهديها، وهى "لم تُمح تمامًا أبدًا، وعلاوة على ذلك، فالثاني هي اللا أماكن، وهي تلك التي لم تكتمل أبدًا، وهي معيار القياس الحقيقي في عصرنا. ويرى مارك أوجيه (1995, p. 101) أن المكان التابع لعلم الإنسانيات يتشكل من الهويات الفردية، خلال تعقيدات اللغة والمراجع المحلية والقواعد غير المُعترف بها من المعيشة بالدراية أو التعلم بالخبرة know-how؛ فما هو ليس بمكان يخلق هوية مشتركة من المسافرين والعملاء أو سائقي يوم الأحد. كما أن اللامكان حسب أوجيه (1995, pp. 103-104) لا يُنشئ أبدًا هوية أو علاقات فردانية، وإنما مناطه فقط العزلة والتشابه. كما يرى أيضًا أنه ليس هناك مجال للتاريخ ما لم تتحول تلك الأماكن لِتُصبح عنصرًا من مشهد عادي في نصوص مسيئة.

4. شخصية المكان

المكان في الصورة المكانية الإدراكية يسبق ولادة الشخصية، إذ كيف يمكن للمرء وصف شيء غير موجود؟ كيف يُمكن إدراك شخصية ما ليس له وجود؟

يفكر المُصمم الحضري في تصميم المدينة باعتبارها مجموعة من الأماكن، فهو يُحدد في البداية وظيفة المكان، وبعد ذلك يبدأ في العرف على المُستعملين الذين سوف يستخدمون هذا المكان، وبالتالي يبدأ في البحث عن الموضوع الرئيس، الذي سيحكم الأحداث والملابسات التي سيحياها الناس في هذا المكان، وهذا يُعطي للمكان معني، وتمثل تلك

المسألة الخطوة الأولى لولادة الشخصية. وخلال التفكير في كل المُعطيات السابقة تتبادر إلى ذهنه إرشادات خلق شخصية المكان ليس فقط حسب قدراته الذهنية وإنما من خلال طرح بدائل يرى أنها تتلائمه مع طبيعة الناس والمكان باعتباره مجرد موقع جغرافي أو موضع مِعماري عُمراني، أو حتى يتعامل معه باعتباره موقف ومحيطه. ومن هنا يُضفي مُصمم على مكن إحساس الرزانة والسمو، ويهبه آخر الوحشية، ويتركه ثالث نهبًا للفوضى. ومع الوقت تتكون شخصية المكان عبر تراكمات الاستخدام والمُتغيرات الذي يتسبب فيها المُستعملين. فلا يُمكن القول أبدًا أن ثمة مكان احتفظ بشخصيته التي وضعها المُصمم إلى الأبد إلا إن كان المُصمم مُتمكن من أدواته. أما إن تركت الأماكن دون فكر مُسبق فأنه سيُصبح بمرور الوقت فاقد للشخصية، أو مسخ.

استخدم كريستيان نوربرج–شولتز (1971, p. 166) مُصطلح الشخصية ليدلل على معنى المكان، يرى أن كل شخصية ليست بسيطة، وأن الشخصية في عصرنا هذا بالتأكيد مُمتلئة بالتعقيدات والتناقضات، ولكن هذا لا يعني أنه ليس لها بني أو معنى. وهو يرى أن الفضاءات التي تحدُث فيها الحياة هي أماكن، بكُلّ معنى الكلمة، فالمكان هو الفضاء الذي له شخصية مميزة (Norberg-Schulz, 1980, p. 5). ويمكن القول بأن مُهمة المِعماري هي خلق أماكن ذات مَغزى، حيث إن ذلك يُساعد الإنسان على السكن. وهكذا، فالتعرف على المكان، يعني أنه ينبغي أو يكون مفتوحًا على شخصيته، أو حسب المُصطلح الذي ساقه لنا: "عبقرية المكان،" حيث يرى أنه لكي تملك مكانًا فإنه ينبغي عليك أن تُشارك خبرة الشخصية المحلية، وأخيرًا لتحترم المكان، فهذا يعني تكيف [أو تبنى] الأبنية الجديدة مع هذه الشخصية.(Norberg-Schulz, 1985, p. 63)

ويُشير كُلّ من إيفور صامويلز وچو كلارك (2008, p. 4)، في التقرير المعنون "حسب التصميم: التصميم الحضري في نظام التخطيط: نحو ممارسة أفضل (CABE)،" إلى أن تعريف الشخصية مرتبط بمكان له هويته الخاصة، وحيث الهدف هو: تعزيز الشخصية في مناظر البلدات ومناظر الأرض، من خلال الاستجابة إلى وتعزيز أنماط مُميزة مَحليًا للتنمية ومناظر أو مشاهد الأرض والثقافة. ولقد ربط صامويلز وكلارك (2008, p. 10) بين الشخصية والهوية، حين كتبا أن فهمهما هذا يُمثل مُفتاح فن صنع مكان جيد. وقد تجلى ذلك من خلال عمل المجلس في بوابة التايمز، حيث سُئِل الناس الذين يعيشون ويعملون في المنطقة، عما يعتقدون أنه يجعل المكان فريدًا وما يحتاجون إليه.

القرارات المتعلقة بالهوية والشخصية

إذًا فالتأثير لا يكون فقط من الناس على البيئة بل أن البيئة تؤثر بالضرورة على الناس وتُعيد صياغة هويتهم. وصياغة الهوية بهذا التحول الدراماتيكي يستلزم أن تكون هناك قوة مُسيطرة أعظم من القوى الأخرى. فإن كانت قوى الناس أعظم تأثيرًا من البيئة، فإنهم سينجحون في تغيير هويتها للتكيف مع رغباتهم. وإنما إن كانت البيئة راسخة فستُغير هي من هوية الناس. ويبدو هذا التحول في الهوية الحضرية واضحًا في العديد من بلدان العالم العربي من خلال التأثير الغربي الوافد على المدينة، ويظهر هذا التغير في الهوية ليس فقط على مستوى العِمارة والعُمران وإنما أيضًا يبدو جليًا في تغير مظاهر نمط الحياة اليومية. ومن الجدير بالذكر، أن هذا التحول يكون تدريجي، ويستمر في صمت، ويأخذ فترات طويلة، ويُغير في الثقافة بكل أشكالها، بداية من المأكل والملبس، ومظاهر التقنية والترف، وأيضًا يبدو بوضوح في تغير أنماط العِمارة والعُمران .

مرة أخرى، هناك نوعان من القوى التي لها تأثير كبير على الهوية العامة في منطقة حضرية، هي قوة الناس والطبيعة. بيد أن ليست بالضرورة أن يكون لكل مدينة هوية حضرية خاصة بها، فقد تتشابه هويات المدن في المناطق الجغرافية الواحدة إلى حد كبير، مثل المدن الأوربية أو مدن منطقة الخليج العربي. كما أن هناك مدن فقدت هويتها وتحولت لتتشابه مع هويات أخرى، أما الأصعب من ذلك كله أن تفقد بعض المدن هويتها، فلا تستطيع تمييز نقاط الانتماء. ليس فقط لأن القوى الخارجية أثرت عليها بشكل كبير، وإنما أيضًا لأن الناس الذين يعيشون في تلك المدن قد فقدوا كُلّ اهتمام في الحفاظ على هويتهم في جانب، كما أفتقدوا القدرة على خلق هوية جديدة تتلائم مع متطلبات العصر الحاضر، وباتت مدنهم تُمثل مسوخ بين ما كان وما هم عليه.

تظل فكرة الهوية الحضرية عبارة عن خدعة بشرية يلعب بها البعض للحصول على انتصار مُجتمعي ليس له مُبرر، وإنما هو يُعضد العصبية والعنصرية. ففي رأي أن مسألة الهوية هي فكرة نرجسية تعود بالإنسان إلى العصور الوسطى، التي تري فيها جماعة أنها أفضل من جماعة أخرى. وأن كلمة الانفراد التي يصكها مؤلف هذا العمل لتصف بها المدن الجديدة أفضل كثيرًا جدًا من مُصطلح الهوية. فالانفراد يعني التبدل والتغير وفق تغير الظروف والأحداث، وأن تُصبح كُل مدينة لها انفراداتها الحضرية حسب ما تُلبى من مُتطلبات حياتية آنية. في حين مُصطلح الهوية يدعو إلى التكرار والرتابة والملل، وحتى يُصبح البعض وكأنهم خارج الزمن سواء بأشكال عِماراتهم وعُمرانهم أو في ملابسهم ونمط

حياتهم. التشابه الموجود في كلمة الهوية يجعل من غير المعقول استخدامها في مجال العِمارة والعُمران، وخاصة في مجال فن المدينة [التخطيط والتصميم الحضري].

يركز هذا المجال أولا وقبل كُلّ شيء على الاختلافات وليس على أوجه التشابه، وكلما تمكن المصمم من خلق مدينة مميزة، سيكون هذا أفضل جدًا. وبالتالي، فإن الفكرة الأساسية في هذه المهمة هي كيفية التعامل مع تخطيط المدن وتصميمها، في كل مرة، من منظور آخر، ليس فقط من أجل تحقيق المبادئ الأساسية للتخطيط والتصميم، بل ينبغي أيضًا أن تضع معايير جديدة للتأجيل. ليس فقط الاختلافات المطلقة ولكن التي بنيت على موضوعات التفرد. المسألة ليست كامنة في أن الهوية الحضرية يجب أن تختفي، ولكن يجب أن تبحث عن الطريقة التى تمكن مدننا لتكون مختلفة عن المدن الأخرى. الغرض من التمايز هو الكامنة في مفهوم التفرد، الذي يركز على خلق عناصر جديدة لا علاقة لها بالماضي. استنادا إلى وجهات النظر الأيديولوجية، الرسمية، الراديكالية، أو الشخصية. تركز الحضارة المفردة على الأفكار غير الجوهرية التي تخلق مجتمعا أفضل، وهو ما يحقق متطلبات النماذج الفكرية والأبعاد الوظيفية والمورفولوجية والإدراكية والسلوكية والبيئية للمناطق الحضرية. أيضًا، والبحث في كُل مرة عن فكرة جديدة تحقيق التفرد، والذي يركز على رغبة الناس لخلق إحساسًا لطيفًا وغير مسبوق.

أعتقد أن شخصية المكان تشمل الناس والمعاني في نفس الوقت، والفصل بينهما أمر مستحيل. تكوينات المكان تستمد جوهرها من الإعدادات الطبيعية والفيزيائية، ولكن اكتمال الشخصية يحدُث من خلال وجود الناس في الأعمال والأحداث والمناسبات والترفيه والتنقل. وعلاوة على ذلك، فإن مصطلح الهوية الحضرية قد يستخدم لوصف البيئة المُشيدة على نطاق واسع، في مستوى التخطيط، مع مستخدمين غير معروفين، ولكن من المناسب استخدام مصطلح الشخصية الحضرية على المستويين المتوسط والصغير، في مستوى من التصميم. أيضًا، قد يكون من الممكن تخيل مسألة السرد الأدبي عندما يتصور المؤلف شخصية البطل في روايته.

وفي هذا السياق، يجب على المصمم أن يتخيل العناصر الرئيسية في المكان لتكوين شخصية المكان. قد تكون هذه الرؤية ناجحة في المثياس الذي يمكن للمصمم تحديد الأشخاص فيه، وبعد ذلك، عليه أن يتصور سيناريو الأحداث والحياة اليومية لخلق معاني المشهد النهائي. ولذلك، فإن آخر قضية هامة حول شخصية المكان كامنة ليس فقط في إمكانيات المصمم الحضري ولكن أيضًا في القواعد التي تحكم هذه الممارسة في العديد من

البلدان. وأخيرًا، فإن الناس الذين يعيشون ويزورون المكان سوف يلعبون دورًا أكثر أهمية في تكوين الشخصية الحقيقية.

تمامًا مثل المنزل

لعله من المناسب أن استهل القادم بسؤال يدور حول لماذا يمثل المنزل موضوعًا بارزًا في المسائل التي تناقش مسألة المكان؟ المنزل من المنظور الجسدي والعاطفي والنفسي هو مبعث الراحة، ومأوى الرعاية (Tuan, 1975, p. 154)، كما أنه الذي تحدُث فيه أكثر العمليات الخفية فى الحياة. فالمنزل "حيث تشعر أنك أنت نفسك (Tuan, 1975, p. 155)، وتعبير عن الأماكن التي تشعُر فيها أنك على قيد الحياة" (Alexander, 1979, p. 7). وتنشأ تلك الراحة على أساس شروط الملكية والحميمية والود والخصوصية والأمن والسلامة والحماية والاحترام والانتماء والألفة.

معنى الألفة حسب اعتقاد جون برينكرهوف جاكسون (1994, p. 158) أنها تجعلك تشعر أن كُلّ مكان هو كأنك المنزل، وهو الأمر الذي يعني أن أكثر مكان تشعر فيه بالألفة هو المنزل، أو أن شعورك فى منزلك يُعطى معنى الألفة. فى حين "المنزل" حسب تشارلز تشودري وحبيب رولز (2005, p. 3) يرونه المكان الذي ننتمي إليه. وبعد ذلك، تأتي أطروحات راحة الإنسان التي يستمدها من الناس والذكريات والمشاعر التي تتراكم مع مرور الوقت. وأعتقد أن المنزل يمثل الملاذ الذي تبقى لنا بعيدًا عن الخوف من الخارج وعدم الأمان والضوضاء والاغتراب. لذلك، في الثقافة الغربية، كلمة "الوطن" على ما يبدو مستمدة فيما يتعلق بمعنى البلدان.

في هذا الفصل أقترح أفكار أكثر تحديدًا عن لماذا لا يمكن تفادي دور المنزل من وجهة نظر العديد من المعلقين فيما يتعلق بالعلاقة بين المسكن والمكان. في هذا الفصل، تولدت آراء مكثفة للغاية حول العلاقات بين بيت الوطن في البيت. أعني المنزل كمسكن ومكان كبيئة للعيش. ألخص المشاكل الحالية من وجهة نظر هذه العلاقة التي يمكن فهمها فيما أسميه السؤالين الأساسيين فى مجال التصميم الحضري: ما هى العلاقة الحقيقية بين المسكن والمنزل؟ كيف يمكن التعامل مع هذه العلاقة لخلق مكان يحقق أعلى جودة لشاغليه؟

ومنذ منتصف السبعينات، قام مارتن هيدجر (1971)، وكريستوفر ألكسندر (1979)، وجوني بالاسما (1992)، وتشارلز تشودري وحبيب رولز (2005) بمناقشة كيفية ارتباط

المكان بمعنى المنزل:

- ناقش أموس رابوبورت (1969) في كتابه *شكل المنزل والثقافة* محاولة لخلق فهم أفضل لمحددات شكل المساكن، حيث درس دائمًا تأثيرات الثقافة في تصميم المسكن، النهج الخاص بالثقافة، وسياق الدراسات السلوكية البيئية، وركز على الشكل المحلي للبيئة المُشيدة، وخاصة على الأبنية والمُستقرات ذات الطابع المحلي التقليدي. بيد أنه لم يُهمل تأثيرات المناخ المحلي على البيئة، حتى أنه قال نحن نبني منازل للحفاظ على مناخ ثابت وإبعاد الحيوانات المفترسة. نحن ننمو، ونتجمع ونأكل الطعام للحفاظ على عملية التمثيل الغذائي لدينا على نحو متساوى [على قاعدة سوية كقاعدة السفينة]. (Rapoport, 1969, p. 19)

- يعرض مارتن هيدجر (1971) في *كتابه الشعر واللغة والفكر* محاولة لشرح طريقة التفكير للتعامل مع مشكلة البناء، أساسًا عن طريق أخذ مسألة السكن كمثال. ويعتقد هيدجر أن "العلاقة بين الإنسان والفضاء ليست سوى "سكن، " ثم أشار إلى الجانب الآخر من العلاقة، بما في ذلك "التفكير والتفكير الصارم (Heidegger, 1971, p. 155). وهو أيضًا يرى أن مكان السكن هو الشخصية الأساسية للوجود" (Heidegger, 1971, p. 161)، وكتب: البناء والتفكير، كُل بطريقته الخاصة، لا مفر منه من السكن،" فمحنة السكن الحقيقية تكمن في قلة التفكير في أسباب حقيقة أي مُشكلة كما كتب:

> *"... أن البشر يبحثون أبدًا عن طبيعة المسكن، وأنهم عليهم أن يتعلموا أكثر من أي وقت مضى أن يسكنوا. ماذا لو أن رجل مُتشرد أصبح هو المعني بتلك المسألة، هذا الرجل لن يُفكر في تلك المسألة إلا إن وقع هو نفسه في تلك المحنة؟ فبمجرد أن يفكر الإنسان في تشرده، فإن البؤس سينتهي. ضع هذا في الاعتبار بحق، فهو الاستدعاء الوحيد الذي يدعو البشر إلى مسكنهم.* (Heidegger, 1971, p. 177)

- أشار كريستوفر ألكسندر إلى أنه إذا كان لدى المصمم رغبة في صنع المباني العظيمة والبلدات العظيمة والأماكن الجميلة فإنه ينبغي عليه أن يتبع الطريقة الخالدة للبناء، ويعني ألكسندر فكرة أن البناء يجب أن يحترم المفهوم المركزي لكيفية بناء الأماكن التي تشعر الجميع أنهم يعيشون في منزل. كما كتب:

"... المباني التقليدية العظيمة في الماضي والقرى والخيام والمعابد التي يشعر فيها الإنسان أنه في المنزل، كانت دائمًا تُصنف من قبل الناس الذين كانوا قريبين جدًا من مركز تلك الطريقة. ليس من الممكن جعل المباني العظيمة أو المدن الكبيرة والأماكن الجميلة والأماكن التي تشعرك بأنك أنت نفسك، والأماكن التي تشعر فيها أنك على قيد الحياة، إلا من خلال اتباع هذه الطريقة. وكما سترى، فإن هذه الطريقة سوف تقود أي شخص يبحث عن ذلك إلى المباني التي هي نفسها كالقديمة في شكلها، والأشجار والتلال، وكما وجوهنا. (Alexander, 1979, p. 7)

في العام 1994، يرى جوني بالاسما (1994, pp. 14, 15) أن السكن له نفس وروح، بجانب صفاته الشكلية وقابليته للقياس الكمي. أيضًا المنزل هو تعبير عن الشخصية والعائلة، وهو مظهر من مظاهر الأنماط الفريدة للحياة. وهكذا، فجوهر المنزل هو أقرب إلى الحياة نفسها أكثر من كونه قطع متحفية. فهو ينظر إلى المنزل باعتباره حالة مُنتشرة ومُعقدة تجمع بين الذكريات والصور والرغبات والمخاوف في الماضي والحاضر. كما أن المنزل هو مجموعة من الطقوس والإيقاعات الشخصية والروتينات اليومية للحياة، وإسقاط للهوية، وترسم عوالم الحميمية والحياة العامة. ويتعلق الناس بالوطن أيضًا حسب تشارلز تشودري وحبيب رولز بسبب صلته الوثيقة بتجارب حياتهم الخاصة والاستخدام اليومي على مستوى يتجاوز بكثير مجرد البنية المادية. وهكذا، فإن مفهوم المنزل يوفر إمكانات غنية لفهم تجربة السلوك البشري، ويؤثر في السياق البيئي.

وتتضمن تلك المسألة أربعة جوانب أساسية، وهي: الارتباط بالمكان (التعلق/المودة)، والإحساس بالانتماء للمكان، والحنين للمكان، وحب المكان.

5. الارتباط بالمكان (التعلق/المودة)

يُمثل الارتباط بالمكان (المودة) ذروة العلاقة بين شخص أو جماعة أو طائفة بمكان محدد مهما صغر أو كبر هذا المكان، فحسب إيروين ألتمان وسيثا لو (1992, p. 2) ، يمكن أن يوصف الارتباط بالمكان باعتباره الرابطة الوثيقة بين الناس والأماكن، كما أنه يُسهم أيضًا في التعريف الذاتي الثقافي للفرد والجماعة علاوة على أنه يُحقق الاكتمال. ويرتبط هذا التعلق أحيانًا بأمور ذاتية أو طائفية أو وطنية أو حتى عنصرية، فيرى باربرا براون ودوجلاس بيركينز (1992, p. 280) أنه يشمل الجوانب الفردية والطائفية للهوية، ويوفر

الاستقرار والتغيير. كما يُعرفانه بأنه يتضمن الروابط ذات الخبرة الإيجابية، التي تحدُث في بعض الأحيان دون وعي، والتي يتم تطويرها مع مرور الوقت من الروابط السلوكية والعاطفية والمعرفية بين الأفراد و/أو الجماعات وبيئتهم الاجتماعية المادية.

وتوفر هذه الروابط إطارًا لكل من الجوانب الفردية والطائفية للهوية، ولها خصائص مُستقرة وديناميكية. ويمكن أن تشمل بيئات المنازل أو المجتمعات المحلية والأماكن الهامة والخبرة المباشرة ولكن قد لاتكون لها حدود محددة بسهولة. ولا يرتبط هذا التعلق فحسب بجودة المكان، أو ما يُمكن أن يُلبيه للمقيمين فيه أو الزائرين بقدر ما يرتبط بالذكريات، التي تتكون في حياة الناس خلال إقامتهم في المكان، فتراه ميليندا ميليجان (1998, p. 2) كظاهرة أنه أحد جوانب معنى البناء في البيئة المُشيدة، وتصفه بأنه الارتباط العاطفي الذي شكَّله الفرد ناحية موقع مادي، أعطى معنى من خلال التفاعل.

ويبدأ هذا الارتباط الفردي والجماعي بالمكان صغيرًا، وينمو حتى يصل إلى ذروته، حين تكتمل في ذاكرة المرء ما يجعل هذا المكان يمثل له عشقًا خالصًا. وترى ميليندا أن تلك الظاهرة تتضمن مكونين، هما: أ) الذكريات أو التجارب السابقة المرتبطة بموقع محدد، وتُطلق عليه "الماضي التفاعلي، ب) "التوقعات" أو التجارب المستقبلية، التي يتصورها أو يتوقع أن تكون ممكنة في الموقع، وتُطلق عليه الإمكانات التفاعلية للموقع.

ويتدرج ذلك الارتباط، فيمثل في قمته معنويًا الارتباط بالدولة أو الوطن الأم، ثم يلي ذلك الارتباط بالمسكن، الذي فيه العائلة والأسرة الأكبر، ثم يتفرع بين ارتباط بوحدة جوار أو حى أو منطقة سكنية بعينها. ويعود باربرا براون ودوجلاس بيركينز ومعهما جراهام براون (2003, 259) ليشيروا أنهم تناولوا في العام 1992 هذا المُصطلح باعتباره يتضمن روابط إيجابية دينامية، ولكن دائمة بين الناس والظروف الاجتماعية، التي تحظى بالتقدير مثل المساكن. ويحدث الارتباط بالمكان أو هذا التعلق والميل نحو المكان داخل الوطن وخارجه، فهو يُعطى فى مضمونه شعورًا بالآمان والاستقرار.

إن الإنسان بشكل عام وبطبيعته كائن مُنتم يُعطي أقصى ما عنده إن كان تحت غطاء يحميه، وهذا التعلق الذي يربطه بمكان ملكية أو عُصبة، ويُشعره بالأمان والانتماء، يرفع من درجة تعلقه بالمكان، حتى ليُصبح إخراجه منه قسرًا تعديًا على أبسط آماله، ويزداد التعلق والارتباط ويخفت بمقدار ما الفرح والألم الذي يتسبب فيه هذا المكان أو ينقله طوعًا

أو كرهًا لمستعمليه أو زائريه، إنما لحظات الرفض وخفوت التعلق تكون أكبر إن لم تكن مرتبطة بظروف النشأة والمواطنة، في حين يظل ذلك الارتباط قائمًا، مهما ساءت الظروف نتيجة لكونه يُمثل فكرة ترتبط بالمواطنة أو محل الميلاد وبيت العائلة. فيرى كل من باربرا وبيركينز (1992, p. 284) أن الاتصالات السلبية لمكان في الغالب هي التي تميز الارتباطات الفاشلة، والتي قد تكون اختُبرت من قبل مثل الاغتراب. كما تحدُث التحولات في الارتباط بالمكان من آيٍّ من الناس والأماكن أو العمليات النفسية المُتغيرة، مع مرور الوقت. كما أن اضطرابات الارتباط بالمكان تبدو في الغالب، من خلال تحولات ملحوظة في الارتباط بالمكان؛ بسبب تغييرات ملحوظة في الناس والعمليات أو الأماكن. إن الارتباط بالمكان حسب برادلي يورچنسن وريتشارد ستيدمان (2001, p. 238) هو عاطفة الفرد أو الارتباط العاطفي تجاه وضع مكاني.

6. الإحساس بالانتماء للمكان

حسب دانيال كيميس (1995)، في كتابه بعنوان "المدينة الصالحة والحياة الطيبة" مُقتبسًا عنه ديفيد سيمون (2016, p. 145) أن طريقة "الحياة الحضرية" تنطوي على شعور المواطنين الفرديين بجزء من المدينة لأنها توفر مكانًا لهم للانتماء (1995, p. 152). والمعنى أن الحياة الحضرية تقبل الأفراد مثلهم مثل المجموعات ليحيون في المدينة، وذلك عن طريق جعلهم ينتمون إليها بشكل أو بأخر. يعني الانتماء هو أن تكون: (أ) في المكان المناسب [الانتساب]، ويتضح ذلك من اقتباسين عن أونوريه دو بلزاك وهيرمان ميلفيل كما جاء في العام 1986 في صحيفة نيويورك تايمز: 1. نحن ننتمي ...مثل الأسماك في الماء. نحن في بيئتنا، و2. كما تتكيف بشكل جيد مع الغرض باعتباره شوكة واحدة الشق لنصب القش (2013, p. 88). (ب) المجموعة المُناسبة لتوجهاتك وتطلعاتك، (ج) من ضمن ممتلكاتك، (هـ) مرتبطًا بالشيء وطنيًا وعاطفيًا وفكريًا وأخلاقيًا وعرقيًا وسياسيًا واعتقادًا.

وهذا يعني أن يكون كُل شيء في موضعه، بشكل لا يحدُث معه تنافر، وهكذا، ينبغي أن يتواجد المرء في البيئة المُشيدة بما لا يجعله يشعر بالنفور من أي من أمكنتها. وهذا ما يخلق في الغالب عُنصر أمن للمُشاركة بين طرفي المعادلة: المُصمم والناس. وهو ما يتعلمه المُمارس في بدايات تعليمه الجامعي، وفي خلال فترة مُمارسته للمهنة.

ويحدث الشعور بالانتماء إلى المكان حسب لينش (1981, pp. 131-142) بسبب ملاءمته للشخص وثقافته، فيجعلهم على بينة بمجتمعاتهم المحلية، وماضيه، شبكة الحياة، فضلاً

عن الزمان والمكان الذي يتضمنهم. يعتبر لينش أن ملاءمة الموقع الثقافي للشخص هو مصدر الانتماء، والذي يمثل نتيجة للتعلق بجذور الشخص داخل وطنه. وهو الأمر الذي يعني أنه بالنسبة لأيّ غريب—فيما يتعلق بالبيئة التاريخية والثقافية—قد لا ينتمي بالضرورة إلى المكان الذي ذهب للعيش فيه. وهذا يعني أن الانتماء القائم على التنوع الثقافي والمجتمعي يُعد عامل رئيس في هذه المسألة.

فحسب ليلى سكانل وروبرت جيفورد (2010, p. 1)، يمكن تتبع معنى الارتباط العاطفي بالمكان من خلال تلك الدراسات التي سلطت الضوء على الضيق والحزن الذي أعرب عنه أولئك الذين أجبروا على الانتقال، أي الذين تركوا أماكنهم قسرًا. وبالتالي تم تطبيق هذا المُصطلح في علم نفس الكوارث واستخدام الفضاءات العامة ودراسة الإدراك الحسي البيئي وفهم السلوك المؤيد للبيئة. وجدير بالذكر أن هذا الارتباط يُشيد في بداياته ومع تغير الزمن هوية خاصة بالمُنتمين إليه، وتتغير تلك الهوية أو تظل ثابتة على مر الزمن بمقدار قوة تأثير المُقيمين أو المُنتمين للمكان. وفي هذا السياق، ينبغي تصور حال المُغترب خارج الوطن، فهو مهما امتلك من أشياء تجده في داخله يتعرض لحالة من نكران ذلك الامتلاك، لأنه، وفي كل الأحوال، لحظة انتقاله من بلد الاغتراب إلى الوطن الأم، يعرف بأنه سيترك كل شيء وراء ظهره. وهذا الأمر دائمًا يشبه ما يشغل بال المتصوفة والرهبان والذاهدين في الحياة الدنيا، فلديهم مقولة مشهورة وهي "أن الإنسان في تلك الدنيا مجرد محض ضيف،" ما يلبث أن يحيا فيها مهما بلغ به الأمر، إلا أنه في النهاية راحل لا محالة.

بيد أن هذا التفكير الذي يقترب من الزهد، من وجهة نظري، ينبغي أن يشمله إعجاز آيات الإعمار في الأرض، ليكتمل الإيمان، وإلا سيترك كُل الناس أماكن دنياهم دون رعاية.

ومن هنا على الإنسان الواعي أن يفصل بين التفكير الذي يجعله ذاهدًا في دنياه، وبين الرغبة في تحسين أماكن هو ينمتي إليها. والعقل الراجح يتعامل مع كل الأماكن باعتبارها أماكن قد يأتي يوم وسينتمي إليها، فيحسن هذا الإحساس، والذي سينعكس بدوره على جعل الأماكن أفضل. وهو أمر مرتبط بالقيم الأخلاقية السامية، وتأتي عند المسلمين تحت بند الإيثار، فأنا كل الأفضل هو لابد أن يتمتع به الآخرون، وأن تحب لأخيك ما تُحب لنفسك.

وفي السياق اقترح جليك شيلر وآخرون (1995, p. 60) مُصطلح "مذهب عابر الحدود الوطنية" Transnationalism ليصف العملية التي يقوم فيها المهاجرون بإقامة العلاقات التي تربط بين مجتمعاتهم الأصلية والمستقرات الحالي. ولعل ذلك يجعلهم يشعرون دائمًا

بعدم الانتماء، فلم تعد الأقليات العرقية حسب ديبورا فيليب (2007, p. 1142) وحدة محلية يكنها أن تندمج مع مسار الدولة التي يعيشون فيها، وهي ترى أن ذلك الأمر الذي يعقد الصلة بين مكان الإقامة وأفكار الانتماء المحلي والوطني.

"المنزل" حسب تشارلز تشودري وحبيب رولز (2005, p. 3) هو المكان الذي ننتمي إليه. وترتبط الهوية بانتماء المرء لمكان محدد يعرفه من خلال اختلافه الواضح عن مكان أخر، حسب ما كتب زيجمونت بومان:

> *إن المرء يفكر في الهوية كلما لم يكن المرء مُتأكدًا إلى أين ينتمي المرء، والمعنى أن أحدهم ليس متأكدًا من كيفية وضع نفسه بين التنوع الواضح؛ "فالهوية" هو اسم مُعطى؛ سعيًا للهروب من عدم اليقين المُشار إليه، فالهوية هي إسقاط حاسم لما هو مطلوب و/أو سعى لما هو عليه؛ أو بشكل أكثر تحديدًا هي تأكيد مائل لعدم كفاية أو عدم اكتمال هذه الأخيرة.*
> (1996, p. 19)

وكما ترى تالين إميلي (2006, p. 236) ، فإن هناك وجهة نظر متفشية بين المثقفين بأن التنوع قوة إيجابية في مجتمع عالمي؛ مما يشكل طريقة وجود تعزز الخبرة الإنسانية.

ويُعد مُصطلح التماسك الاجتماعي واحدًا من تلك المُصطلحات التي تتضمن مسألة الشعور بالانتماء إذ فهو يتعلق بالتفاعلات الرأسية والأفقية بين أفراد المجتمع على حد سواء التي تتسم بمجموعة من المواقف والقواعد التي تشمل الثقة، والشعور بالانتماء، والرغبة في المشاركة والمساعدة، فضلاً عن مظاهرها السلوكية. في حين يأتي الشعور بالانتماء حسب ليوني ساندروك وجيوڤاني أتيلي (2009, p. 222) من الارتباط مع الثقافات الأخرى، واكتساب القوة والرحمة من الإقامة بينهم والترابط مع الآخرين. ومن الأهمية بمكان الاعتراف بهذه المساحات وأماكن الاختلاط وتعزيزها. كما أنه من المفترض في علم النفس البيئي حسب إيسيل كيماز (2013, p. 740) أن الناس يسعون جوهريًا لتطوير الشعور بالانتماء إلى المكان. اعتقد أن تطوير هذا الإحساس يبدو فطري، والدافع إليه هو مدى ما يُمثله أي مكان لأي شخص، وأول تبرير لهذا الانتماء نابع ليس فقط من الملكية وإنما بمدى ما يُمثله من اطمئنان بأنه لن يخسره مهما مرّ الزمن أو تغيرت الظروف.

7. الشوق للمنزل والحنين للأماكن

عادة ما كنت أبدأ مُقدمات بعض فصول هذا الكتاب بشرح تعريفي للمفاهيم التي أناقشها،

وأرى أن مفهوم الشوق للمنزل يشبه مُصطلح الحنين للماضي، وهو مفهوم يشرح نفسه، فما من إنسان لم يتعرض لمثل تلك المشاعر. سواء حين كان لديه الإحساس بالاغتراب، أو حين يترك المكان وفيه جزء من قلبه، أم أو حبيبة أو ابنة صغيرة. ولذلك فالمرء يشعر بالحنين إلى الأماكن التي فيها جزء من ذاته، تلك التي ترك فيها من مشاعره، بعد أن ذاقت من رائتحه، ورائحة الذين ارتبط بهم.

يُشير آلان جوسو (1971, p. 27) إلى أن المكان هو قطعة من كلية البيئة، ويُمكن إدراكه بواسطة المشاعر؛ فنحن نحس بالحنين للأماكن ونتذكر الأماكن، فأصوات وروائح ومشاهد الأماكن، والتي تُطاردنا وتواجهنا غالبًا ما نقيس بها حاضرنا. ويعتقد جون برينكرهوف جاكسون أن الألفة تجعلك تشعر أن كل مكان هو كأنك المنزل. والإحساس بالوقت يجعلك تدريجيًا تزيد من سرعتك، مُعتقدًا أن إحساسنا بالوقت وإحساسنا بالطقوس يخلق إحساسنا بالمكان والمجتمع. كما كتب أن ثمة عاملان ساهما في التحول المبكر من الإحساس بالمكان إلى الشعور بالزمن في تنظيم مناظر الأرض: أ) ظهور السكك الحديدية بتواترها الدوري، وب) الغياب التام تقريبًا للعلامات الطوبوغرافية الدالة.

ويظل الحنين للمكان يُمثل جزءًا لا يتجزأ من سيمفونية الشعور بالحنين للمنزل، ويُمثل لقطة من مشهد مُصغر للحنين للبيئة التي قام المرء بزيارتها يومًا. ويزداد الحنين كُلما ازدادت درجات الانتماء إليه، بيد أن هذا الانتماء في حالة الحنين يتعلق تعلقًا مُباشرًا ليس بالاحتياج [مثل احتياج السمكة للماء] وإنما بالمشاعر وحيث تكون المحبة خالصة [مثل التعلق بمحبة الإله في المناطق المقدسة].

8. حب المكان (توبوفيليا

في قاموس وبستر الدولي الجديد تُعرف التوبوفيليا لفظيًا أو حرفيًا بأنها "حب المكان. فهو تجمع بين الكلمة اليونانية توبو أو أعلى، وتعني مكان، مع النهاية فيليا، وتعني الحب ممن/لأجل. وهو مصطلح يستخدم لوصف الشعور بالمكان أو الهوية بين شعوب معينة. مُعرفًا يي–فو توان (1974, p. 4) مُصطلح توبوفيليا بأنها الرابطة العاطفية بين الناس والمكان أو المُحيط، فمن وجهة النظر تلك، الشعور بالمكان وفق توان (1975, p. 75) نادرًا ما يحصُل لمجرد العبور، حيث أن معرفة المكان جيدًا تتطلب إقامة طويلة ومشاركة عميقة؛ فمن الممكن تثمين الصفات البصرية لمكان خلال زيارة قصيرة ... ولكن لمعرفة المكان جيدًا يجب أن تعرف ماضيه: فماضي المرء وماضي المكان مكرسين كليهما في معالمه

الدالة، والشعور بأن مكانًا يختلط بالذكريات والمشاعر، والتركيز المحدد للقصص المقدسة والمهينة، وأن المشهد كله هو جِماع من مثل هذه الأماكن، هو ما يعني الإحساس بالأرض.

9. الإحساس بالواقعية

المثالية هي عكس الواقعية؛ يتعامل المذهب الأول مع الواقع من خلال طريقة أكثر واقعية، مع التركيز على ما هو موجود، وفقا للحقائق الحقيقية، وليس كشيء غير محسوس أو متصور أو مفترض، استنادا إلى أفكار الفرد. وتتحقق المثالية عندما يتصور العقل البشري أن شيئا ما مثاليًا أو مُمتازًا [مع التركيز على ما يمكن أن يكون]. شعور الناس بالواقعية هو واحد من النهج الرائدة لتحديد هوية المكان وطابعه الحضري. هذه المسألة تحدث استنادًا إلى تحليل مفهوم الإحساس بالمكان.

تعامل عالم اللاهوت الأمريكي هارفي كوكس (1968, p. 423) مع هوية المكان أو الشخصية الحضرية من خلال مفهوم الإحساس بالمكان، مُشيرًا إلى أن الشعور بالاستمرارية أو الفضاء ضروري لتوليد شعور الناس بالواقعية، رابطًا بقوة بين وجود الإنسان في المكان وتشكيل الهوية الفردية. وهكذا يُضيف كوكس على توصيفات الهوية السابقة كافة، التي ارتبطت بالعلاقة بين الناس والمكان، وأن كليهما مرتبطين ارتباطًا أزليًا، وأن الناس هم الذين يضفون الهوية على المكان، وإنما هنا فالمكان هو الذي يُضفي الهوية، بل أنه من هذا المنظور هو الذي يُضفي الهوية الوطنية على المقيمين فيه. وفي مجال التنمية الشاملة، حسب وليام بلوم (1990, p. 52)، تصف الهوية الوطنية هذا الشرط؛ الذي يجعل كتلة من الناس تمتلك الهوية نفسها مع الرموز الوطنية – والتي قد استوعبت رموز الأمة.

وفي العام 2001 يشير كُل من جيل ستاينز ولويد بيتيفورد وتوماس ديز وعماد الأنيس (2013, p. 69) إلى أن معظم الناس يرون أنفسهم بريطانيين أو فرنسيين أو كنديين، وليس كأعضاء في "الجنس البشري" أو "المجتمع الدولي" المُجَرَد. أما بالنسبة للواقعيين، فإن المجتمع الوحيد الذي له أهمية في العلاقات الدولية، هو الدولة القومية. كما تعتبر الدولة ذات قيمة أخلاقية؛ لأنها أفضل شكل من أشكال المجتمع السياسى، الذي وضعه الجنس البشري، بعد. وخارج حدود الدولة القومية يكمن عالم الفوضى الدولية، حيث "القوة تصنع الحق". ولا يسعى الواقعيون إلى فك العمليات والممارسات، التي ينطوي عليها بناء، مثل: هويات المجموعات والمجتمعات المحلية، بل إنهم يأخذون الأمة كهوية مهيمنة ومجتمع محلي، على النحو المُعطى في العلاقات الدولية.

المكان كتجربة (أو خبرة)

بدأ في الستينيات اتجاه مختلف للتعامل مع هوية المكان؛ باعتبارها سمة أو خاصية تتولد عن الناس من خلال تجاربهم المُستمرة في الأماكن، فعلى حد سواء يتأثر كل من الناس والأماكن، من خلال التجارب الحاصلة في مكان محدد. والمقصود بالتجربة هنا فقط تكرار الحدث الحاصل في مكان مُحدد، إما بطريقة متشابهة في كُلّ مرة تحدُث فيها [إعادة التجربة كما هي]، أو تغيرها بتغير المؤثرات التي تحصل عليها من الناس والبيئة. وجدير بالذكر أن الخبرة شكل من أشكال الفكر (1975, p. 151). وفي الغالب حصول التجربة في كُلّ مرة كما هي تمامًا لا يحدُث إلا في الظاهر فقط، ففي كُلّ مرة يقوم بها الناس برحلة في مكان حتى لو تكرر ذلك عشرات المرات فإنه بالضرورة ن يصل حاصل يُغير من ملامح تلك الرحلة. وتظل هناك آلاف الروايات التي يُمكن سردها في رحلة ذات مسار واحد. حتى لو أن كثير منا يصرحون بأن رحلتهم إلى العمل تأخذ نفس المسار ولا جديد فيها، فهذا لا يعني أن الرحلة مُتكررة بنفس الحواصل التي حصلت في أي رحلة سابقة. ويمكن لكُل منا التحقق من كم رحلة تكررت أثناء ركوب سيارة أجرة، أو عند استعمال مترو الأنفاق، أو حتى عند السير على الأقدام من المنزل لحتى محل الحلاق. وفي كل خطوة يخطها الإنسان يكتسب فيها ما يُضيف لحاصل تجربته إما حسيًا أو معنويًا، في الظاهر أو في الباطن. وتظل تجارب البشر تمثل نهجًا لمُصممي البيئة الحضرية بشكل أو بآخر.

فتصميم المدينة حسب كيڤين لينش (1960, p. 503) يمكن أن يركز على الرحلة التي تواجه الناس في واقع المدن، وهو يرى هذه الرحلة كخبرة (أو تجربة) متتابعة. والجدير بالملاحظة أن ما يختبره كل منا في الواقع يتم اختيار شكله ولونه، بناءً على ما نعرفه حسب باري جرينبي (1981, p. ix) ، والذي يُضيف بأن هذا هو [ما يحدُث] بواسطة ما سبق أن اختبرناه. فبالتعرف على تجارب الناس وتحديد جذور وبنية أي مجتمع، يمكن تحديد هوية المجتمع الثقافية ومنها أيضًا يمكن تعرف هوية المدينة، التي تكونت عبر العصور التاريخية المختلفة، عبر الطابع والشخصية والتجارب الإنسانية وسلوك الناس والمعاني والصفات البصرية. بيد أن فريتز ستيل (1981, p. 173) يرى أن التوليفات الشخصية للمفاهيم والتوقعات والافتراضات والعادات والاهتمامات الاجتماعية والمخاوف الشخصية يمكن أن تمنع الناس من استخدام كل ما يوفره الموضع ومحيطه؛ حيث يشعر الناس أنهم يعرفون أنفسهم.

تُعطي البيئة المادية معنى من خلال المشاركة الشخصية، حسب تشارلز تشودري وحبيب رولز (2005, p. 13) ، فضلاً عن أن "تجربة الحياة الذاتية" تتأثر بشدة بالتفاعل مع

الآخر. وفي العام 2002 حسب استشهاد دافنا أويسرمان وكريستين إلمور وجورج سميث (2012, p. 69) عن روبين فيفوش (2011)؛ لأنه لديهم الكثير من الخبرة مع أنفسهم ومخزونًا ضخمًا من ذكريات السيرة الذاتية، ويعقبون بأن ذلك الشعور بمعرفة الذات جزئيًا يستند – في جزء منه – إلى افتراض إن الاستقرار الذي هو محوري في كل يوم (لطرح) نظريات حول الذات ونظريات (علوم الاجتماعية) أكثر رسمية حول الذات. ويمكن التعرف إلى تلك الخاصية من خلال مُصطلحات الإحساس بالمكان وذاكرة المكان والإحساس بالمكان يولد المعاني.

10. الإحساس بالمكان

بداية يمكن تعريف الإحساس حسب جيلز ديليوز (1990, pp. 19-20) بأنه كيان معنوي مُعقد وغير قابل للاختزال أو التسطيح، في حين يُعرفه كيڤين لينش (1981, p. 131) بأنه التفاعل بين الشخص والمكان، ويُلمح بأن أكثر اعتماد الحس يكون على الشكل المكاني [أو المحتوى الفضائي] والجودة والثقافة والمزاج والحالة والخبرة والغرض اللحظي للمُشاهد (1981, p. 142). وتستند الحواس المشتركة للمكان حسب تيم كريسويل(1981, p. 131) إلى الشفاعة والإنابة، فضلاً عن الوعي الحيوي للبيئة المألوفة وتكرار الطقوس والإحساس بالمودة على أساس تجربة مشتركة. ويعرّف كيم دوڤي (2010, p. 25) الإحساس بأنه الحدث الذي يربط المواد والأعمدة المُعبرة عن الحشد، وتشكل الأهمية المادية ومعنى المكان حسب دوڤي جانبان من الحدود التي هي الإحساس بالمكان.

ويرى بعض المُعلقين من مثل: كيڤين لينش (1960, 119) وإدوارد ريلف (1976, p. 64) وديفيد هومون (1992, 262) وجون برينكرهوف جاكسون (1994, pp. 157-158) وروبرتبروس هاي (1998, 7) وبرادلي يورچنسن وريتشارد ستيدمان (2001, p. 244) وبيتر نيومان وإيزابيلا جينينجز (2008, 6) وتيم كريسويل (2009, 169) وأريلد هولت–جنسن وليلى سكانل وروبرت جيفورد (2010, 1) وهيلى باتسى (2010, 34) أن الإحساس بالمكان هو: (أ) موضوع وثيق الصلة بتعزيز كُلّ نشاط إنساني يحدُث في المدينة، ويُشجع المقدمات التي تُثير الذاكرة، (ب) يُشير إلى أجواء البيئة الفريدة وشخصية مناظر الأرض (المشهد) أو المكان، (ج) تجربة مباشرة وحقيقية أو أصيلة من التركيبة الكاملة لهوية الأماكن، ليست عن طريق الوساطة أو التشويه، عبر سلسلة من الموضات الاجتماعية والفكرية التعسفية الاعتباطية، وإنما حول كيف ينبغي لهذه التجربة أن تكون، أكثر من كونها تتبع الاتفاقيات النمطية، (د) غرض مزدوج في الطبيعة، ينطوي على منظور تفسيري للبيئة، ورد فعل عاطفي على

البيئة، وهو ينطوي على توجه شخصي نحو المكان، بحيث إن فهم المرء للمكان ومشاعر المرء عن المكان، تنصهر في سياق المعنى البيئي، (هـ) تعبير يُستخدم كثيرًا من قبل المِعماريين، واستعاره المُخططون الحضريون ومُصممون الدواخل ومُتعهدو الأبنية المُجمعة والسكن المشترك، بحيث يعني الآن القليل جدًّا، (و) يستخدم كإصدار جديد لوصف جو المكان وجودة بيئته، (ز) صفات ذاتية (استشعار المكان لخلق المعنى الشخصي)، والسياق الاجتماعي في منطقة جغرافية، فضلاً عن روابط المجتمع وموروثات المكان. (ح) يتضمن: 1) الهوية (العلاقة بين الذات والمكان)، و2) الارتباط بالمكان (عاطفيًا)، و3) الاعتماد على المكان (إلى أي درجة يتعلق فيها المكان بأماكن بديلة من منظور السلوك، (ط) يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالممارسات المستدامة (على وجه الخصوص، حين الافتقار إليه أو غيابه)، (ي) يُشير إلى المعاني الأكثر غموضًا المرتبطة بالمكان مثل المشاعر والعواطف، التي يستحضرها المكان. وهذه المعاني يمكن أن تكون فردية، وتستند إلى السيرة الشخصية، أو يمكن أن تكون مشتركة. (ك) يرتبط بالخصائص الفيزيائية (المناظر الطبيعية للتاريخ الحضري)، والتخطيط المادي والتنظيم (روابط المرور، ومواقع الخدمات)، والعلاقات الاجتماعية (الأسرة والأصدقاء) وجذور التاريخ الشخصي في هذا الموقع)، (ل) يشمل المفاهيم الفرعية لهوية المكان والارتباط بالمكان والاعتماد على المكان، (م) نوع من التقارب بين التجارب الفيزيائية (الاستخدام والتصادم والنظر والسمع والتنفس) ومنشآت الخيال (إعطاء المعاني والقيم) وينتج من خلال تقدير النشاط الفردي والأشكال الاجتماعية. (ن) تعني ضمنًا كحشد أكثر من جوهر الشكل المادي أو المعانى المكانية التى تنشأ من بنائه واستعماله.

ويشير بعض المنظرين فيما بعد فترة السبعينيات من مثل إدوارد ريلف (1976, p. 26) وفريتز ستيل (1981, pp. 4, 12, 141) ومِعماري مناظر (مشاهد) الأرض مايكل هوف (1990, p. 34; 179) إلى أن الإحساس بالمكان: (أ) يُستخدم أحيانًا للإشارة إلى ما يمكن أن يُسمى بصورة أكثر دقة روح المكان، وأن كليهما (الإحساس بالمكان وروح المكان) مرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا. (ب) وأن تعزيزه يكون من خلال تجربة، تتحقق فيها الظروف المناسبة للناس، وبتدعيم المسؤولية البيئية، وخفض حدة تأثيرات التصميم الهادف. (ج) كما أنه ينشأ من خلال نسق من ردود الفعل، التي تُحفز تكيف الشخص، واستخدام نسق أو تجارب مُحددة مُتكررة، يسهّل من قدرة الشخص على زيادة إحساسه بالمكان أكثر،

مما لو تم تقديم تجربة واحدة فقط في المنطقة. (د) فالأشكال المحلية العامية للمدينة تتشكل من قبل العديد من القوى: محدد الطبيعة (القوى البيوفيزيائية والمناخ)؛ ثقافة والتاريخ الفريد من نوعه لكل مكان وزمان؛ دور السلطة المركزية، التي تفرض قراراتها هيكلاً تنظيميًا على المشهد. ويزداد تعزيز المُصطلح من خلال التعامل معه باعتباره يأتي من: (أ) كونه تكوينًا غير عادي من الفضاءات والأشكال الطبيعية أو من صنع الإنسان، (ب) استجابتنا للميزات التي هي بالفعل موجودة–إما بيئة طبيعية جميلة أم بنية مِعمارية عُمرانية مُصممة تصميمًا جيدًا. (ج) شيء يستخدمه المِعماريون لبث الحياة والتصميم في المدينة المركزية المتحللة. (د) شيء خلقناه بأنفسنا خلال الزمن. (هـ) تعزيز ما يمكن أن يسمى الإحساس بالأحداث المتكررة.

11. ذاكرة المكان

المدينة ومُخيلة البشر هما مبعث الذكريات وموطنها، مواطن المدينة تتكون لديه بالضرورة ذكريات يحتفظ بها من خلال ارتباطه اليومي بالمدينة، فكلما أمضى الفرد مدة زمنية طويلة وهو يعيش في المدينة، وكان لديه القدرة على المراقبة والمشاهدة بدقة، وأصبحت لديه القدرة متابعة المتغيرات اليومية والموسمية، فإن الذاكرة لديه ستمتلىء بكثير من المعاني التي يُسجلها عن بيئته.

يصف كيڤين لينش (1960, p. 1) المُشاهد المُراقِب باعتباره المواطن الذي كان لديه ارتباطات طويلة مع جزء من مدينته وصورته غارقة في الذكريات والمعاني. وتتكون الصور في مخيلة المواطنين بدرجات متفاوتة، خاصة إذا كانت مشاركتهم لكُلّ جزء من أجزاء المدينة اتخذت مساحة مداومة جعلته قادر على تذكر ما حصل فيها بمرور الزمن، ويمثل إفراز تلك الصور للسرد كلما تطلب الأمر ذلك خبرة حياتية مهمة.

فالمدينة في رأي لينش (1960, p. 3) ليست شيئًا مستقلاً في ذاته، وإنما إنها تُعرف عبر صور تتجمع في مُخيلة قاطنيها، حيث كُلّ مواطن لديه نصيب من المشاركة الحياتية الطويلة مع جزء من أجزاء مدينته، ويتم استيعاب هذه الصور في هيئة ذكريات ومعاني، واضعًا لينش (1960, p. 10) مفهوم الهوية ضمن المكونات التي تشكل صورة البيئة بجانب الهيكل والمعنى.

ومن أهم مُتطلبات المِعماري وكُل مخطط ومُصمم حضري أن يكون قدرًا على تخزين الصور في مخيلته عن مدينته، أو عن أي مدينة سيقوم بأيّ أعمال تطوير أو تصميم

تخصها. فذاكرة المِعماري تشبه من وجهة نظري ذاكرة المُمثل، فكليهما عليه أن يكون قادر على الاحتفاظ بمواقف مُختلفة، يستطيع أن يستعيدها عن اللزوم.

المدن ليست أماكن مُجردة مُستقلة ومُنفصلة بذاتها عن المُحيط الرحب، فيري يي–فو توان (1975, pp. 156-157) أن المدن هي شيء مادي ملموس وهي أماكن ومراكز المعني بامتياز ، كما أن المدينة هي بيئة تم إنشاؤها حصرًا للاستخدام البشري، مُخصصة لمعيشة اللص أو الغني البرجوازي. ولذلك فالمدينة عبارة عن مكان يُمكن النهل من حصيلة ما فيه على المشاع، ودون أي حواجز ، إلا ما افتعله البعض داخل بعض المدن، ومثلت حواجز اصطناعية فصلت بين ذاك وتلك. فالمدينة كما فيها أحياء ومستقرات يُمكن دخولها دون شروط، هناك أيضًا المجتمعات المُغلقة المُحاطة بأسوار لأثرياء القوم، وهناك أيضًا الشواطىء والأندية وأماكن لا يستطيع أن يدخلها كل المواطنين. وهنا أيضًا ستظل تلك الأماكن ذكرى في مُخيلة كثير من المواطنين. وإنما ذلك يتغير عبر الزمن، وليس هناك دلالات تُشير بثبات الغلق الكامل لشواطء أو أندية أو مجتمعات سكنية بأكملها. فكل مدينة لديها روح يستشعرها المواطنين، مهمًا كانت درجة تعليمهم أو قدراتهم الثقافية أو الاقتصادية، وتلك الروح مُتغيرة ومتأثرة بقاطنيها، وتتغير مع مرور الزمن دون شك.

منوهًا بيتر أيزمان (1982, p. 7) إلى أن "روح المدينة" اشتقها ألدو روسي من الجغرافيين الحضريين الفرنسيين، فبمجرد أن تأخذ هذه الروح شكل فإنها تُصبح العلامة في مكان، وتُصبح الذاكرة الدليل لهيكلها. فضلاً عن أن شكل المدينة هو دائما شكل وقت معين للمدينة حسب ألدو روسي (1982, p. 61)، وإنما قد تغير المدينة وجهها حتى في سياق حياة رجل واحد، وعلاوة على ذلك، في كثير من الأحيان تمحو المدينة ذكرياتنا لأنها تتغير. كما يرى روسي (1982, pp. 130-131) فإن ذاكرة المدينة هي الشخصية المميزة والمتميزة للمدينة، حيث روح المدينة يُصبح تاريخ المدينة وعلامة على جدارياتها. مُضيفًا، مُتعديًا أكثر من ذلك، فالمدينة في حد ذاتها هي الذاكرة الجماعية لشعبها، وكما هو الحال في الذاكرة، فإن المدينة هي موقع الذاكرة الجماعية. مُعتقدًا بأن الذاكرة الجماعية والطبيعة الفردية من التحف الحضرية في النهاية يشكلان نفس الهيكل الحضري.

وهكذا، تظل المُجتمعات المؤمنة أن تكون لمدينتهم تلك الروح الخلابة، المُستمرة من بدايات العصور الأولى لنشأتها حتى الآن، حاملة لتميز خاص في شخصية المدينة . فإن تطورت المدينة مع مرور الزمن، رغبة في أن تتوافق مع المُعطيات التقنية والمُعاصرة، فإن المُجتمع كله يتكاتف في أن يظل لديهم هذا الخط السحري من الارتباط بين الماضي

والحاضر، وأقلها إن لم يستطع الحفاظ على كامل الأبنية التاريخية ذات القيمة، فأنه يترك مكانًا مُهمًا للقطع المُتحفية التاريخية التي تحكي تاريخ المدينة القديمة، وتذكر الناس بما كان هناك. حتى أن تلك المُقتطفات من تراكمات الماضي تُعطي لزائر المدينة ، حتى وإن كان ليس من مواطنيها أو قاطنيها الدائمين، صورة عما كانت عليه تلك المدينة، وكيف كانت شخصيتها المُميزة. وفي النهاية كل ذلك يُعطي فردانية للمدينة التقليدية، قد لا تجدها على الإطلاق في المدن الجديدة التي لا تحمل ذاكرتها شيئًا من التاريخ، كما أنك أيضًا تلاحظ بدقة مسخ الشخصية لبعض المدن التي تخلت بالكلية عن تلك القيم الأثرية التي احتفظت بها بعض المدن على مر الزمن.

ونقلاً عن ماريشيلا سيبي ومايكل بيتي (2014, p. 218) فإن الذاكرة الجماعية حسب روسي هي علاقة المجتمع بالمكان، وأن تلك الفكرة تُساعدنا على فهم أهمية البنية الحضرية وعِمارة وعُمران المدينة التي شكلت تلك الفردانية.

إن الفضاءات ذات المغزى [أو التي لها معنى] حسب ستيفن كار ومارك فرانسيس وريفلين لين وأندرو ستون (1993, p. 20) هي تلك التي تسمح للناس بالربط بين المكان وحياتهم الشخصية والعالم الأوسع، وهي تتعلق بسياقها المادي والاجتماعي. وأضافوا: إن استخدام الفضاء العام بشكل مستمر مع ذكرياته العديدة يمكن أن يساعد على ترسيخ شعور الفرد بالمجتمع الشخصي في عالم سريع التغير. ويصبح المكان مُقدسًا من المجتمع المحلي، كلما تداخلت ذكريات التجربة الفردية والمشتركة. أما مدينة الذاكرة الجماعية حسب كريستين بوير (1994, p. 21) هي قراءة أفضل للتاريخ مكتوبة عبر السطح ومخبأة في تضاريس المدينة المنسية المنسية. فحسب دولوريس هايدن (1995, pp. 45-46) يمكن أن يُعزز تاريخ المشهد الثقافي [أو المناظر الطبيعية الثقافية] لأيّ مدينة الروابط بين مجالات متباينة من الممارسة، التي تعتمد على الذاكرة العامة، فضلاً عن أن الجهد الواعي لاستخلاص الذاكرة العامة يوحي بعمليات جديدة لتطوير المشاريع. وهكذا، يمكن القول أن ذاكرة المكان تعني باستمرار استقرار المكان باعتباره حاوية من الخبرات أو التجارب، التي ساهمت للغاية بقوة في حفظ ذكرياته الذاتيه. فضلاً عن أن "الذاكرة التنبيهية،" والتي ما زالت حية ترتبط بشكل عفوي مع المكان، وتجد في ذلك الميزات المُفضلة والموازية مع أنشطتها الخاصة؛ فهي تُغلف القدرة البشرية، وتضمن لها عامل التواصل مع كل من البيئات المُشيدة والطبيعية، التي تتشابك في المشهد الثقافي، كما أنها مفتاح قوة الأماكن التاريخية لمساعدة المواطنين على تحديد ماضيهم العام: إن الأماكن تُثير ذكريات المُطلعين

عليها أو العالمين بها، والذين شاركوا الماضي المشترك، وفي الوقت نفسه، غالبًا ما تستطع الأماكن مشاركة الماضي مع الغرباء المهتمين بالمعرفة عنهم في الوقت الحاضر. ويشير مُصطلح ذاكرة المكان حسب هايدن (1995)، نقلاً عن ماريا ليويكا (2008, p. 218)، إلى محتويات ذكريات الناس، ولكنه أيضًا يصف المكان، حيث يُمكن تذكر الأماكن من خلال آثارها، وأسلوبها المِعماري والعُمراني للمباني والنقوش على الجدران وما إلى ذلك. وتتابع ليويكا في السياق نفسه، مُستشهدة بهنري لفيفر شارحة مُصطلحه "التذكير الحضري"؛ حيث يشير لفيفر من قبل ليويكا إلى أن بقايا السكان السابقين في المكان قد تؤثر على ذاكرة الأماكن، إما مباشرة عن طريق نقل المعلومات التاريخية، أو بشكل غير مباشر– عن طريق إثارة الفضول وزيادة الحافز، لاكتشاف الماضي المنسي للمكان. واستخدمت ليويكا (2008, p. 222) ثلاثة مقاييس كمية للتعرف على مدى تأثير ذاكرة المدينة الجماعية على سكانها: الاهتمام المُعلن بتاريخ المدينة ومؤشر المعرفة بالمدينة (الأشخاص المشهورين والأحداث التاريخية، وأسماء الشوارع قبل الحرب)، والتحيز العرقي. وتُنهي ليويكا (2008, p. 226) بحثها بالتصريح بأن ذاكرة المكان هي ظاهرة اجتماعية.

12. القطع المُتحفية الحضرية والمكان

يرتكز هذا الجزء على مفهومين، والذي سبق أن قدمها ألدو روسي (1982, p. 29) في أدبيته *عِمارة وعُمران المدن*: أولهما–القطع المتحفية الحضرية urban artifacts، وهي كما يُبينها تتشابه والمدينة نفسها، فتتميزان من خلال تاريخهما المُمتد، وبالتالي من خلال شكلهما الخاص. وثانيهما– المكان The locus باعتباره حسب بيتر أيزمان (1982, p. 7)، تأسيسًا على فكر ألدو روسي، "مكونًا من مكونات القطع المُتحفية الفردانية." وتعني كلمة [لوكاس] في اللغة اللاتينية مكان، وهي تعني في تصور ألدو روسي "الموقع الذي يمكن أن يستوعب سلسلة من الأحداث،" كما أنه "يشكل في حد ذاته حدثًا،" وهو تعبير يأتي دلالة على "مكان فريد أو مميز، موضع سولوس." وإنما يمكن تعرف انفراده من العلامات التي تأتي بمناسبة وقوع هذه الأحداث، وهو المكان الذي تضع به العِمارة والعُمران أو الشكل طبعتها.

إذًا القطع المُتحفية الحضرية والمكان يُشكلان معًا كلية المدينة ، الأولى من خلال تواجدها بمُفردها أو تناثرها في أماكن المدينة نفسها، أما الأماكن فهي التي تستوعب في كُلّ الأحوال مسألة وجود القطع المُتحفية الحضرية. ومن خلالهما معًا يُمكن أن تتحول المدينة بكاملها إلى قطعة فنية حضرية. وذكر روسي (1982, p. 32) أن هناك شيئًا ما في

طبيعة القطع المُتحفية الحضرية تجعلها مشابهة جدًّا، وليس فقط مجازًا للعمل الفني، كما عرف أن القطع المُتحفية الحضرية بأنها هي إنشاءات مادية، ولكنها شيء مختلف عن المادة؛ رغم أنها حالة، فهي أيضا حالة. كما يشير إلى أن هذا الجانب من "الفن" في التحف الحضرية "يرتبط ارتباطًا وثيقًا بجودتها وتفردها وبالتالي أيضًا بتحليلها وتعريفها، مؤكدًا أن هذا الموضوع معقد للغاية، حتى خارج الجوانب النفسية، فالتحف الحضرية معقدة في حد ذاتها. وبينما قد يكون من الممكن تحليلها، فإنه من الصعب تعريفها.

والقطع المُتحفية الحضرية مُعقدة كما يعتقد روسي (1982, p. 57) ، كما أن لها مكونات وأن كل عنصر له قيمة مختلفة. وينبغي النظر في (أ) نوعية التحف الحضرية، وأن عنصرا أساسيا لفهم التحف الحضرية هو طابعها الجماعي. (ب) تشيد المدينة بكاملها، وتشارك جميع مكوناتها في دستورها باعتباره قطعة أثرية. (ج) تمثل المدينة تقدم العقل البشري، والمدينة وكل قطعة أثرية في المناطق الحضرية هي بطبيعتها الجماعية، حيث يهتم المؤرخون بالقطع الأثرية الحضرية في مجملها. (د) كما يجب الاعتراف كما يُشير روسى (1982, p. 101) بأن القطع المُتحفية الحضرية لها حياتها الخاصة ومصيرها.

والمكان، وفي سياق آخر تجده وقد أكد على الظروف والصفات غير المتمايزة داخل الفضاء، والتي هي ضرورية لفهم القطع المُتحفية الحضرية (Rossi, 1982, p. 103). ويعتبر روسي أن المكان هو المبدأ والسمة المميزة للقطع المتحفية؛ كما أن كل من مفهوم المكان والعِمارة والعُمران والبقاء والتاريخ تُساعدنا معًا على فهم تعقيد القطع المُتحفية الحضرية. كما يتصور المدينة باعتبارها قطعة أثرية، ومن هنا يمكن تتبع رؤيته عن كيف باتت المدينة تمتلك ما لا تملكه أي مدينة غيرها؛ فتتحقق انفراداتها. كما أنه يرى أن الفهم الأفضل لمفهوم المكان يساعد على فهم الخطوط العريضة، التي تحدد تفرد المعالم والمدينة والمباني، وبالتالي مفهوم الانفراد نفسه وحدوده، حيث يبدأ وينتهي؛ فهي تتبع العلاقة بين العِمارة العُمران ومكانها– مكان الفن – وبالتالي صلاتها بالموقع نفسه وصيغته الدقيقة على أنه قطعة أثرية فريدة يحددها المكان والزمان، بأبعادها الطوبوغرافية وشكلها، من خلال كونها مقر خلافة الأحداث القديمة والحديثة، عبر ذاكرتها؛ حيث ذكر روسي مفهوم "الانفراد" خلال التركيز على ما في المدينة من معالم حضرية؛ باعتبارها حوافز لمعرفة التاريخ. كما أشار إلى العلاقة بين الذاكرة الجمعية وانفرادية المكان (الموضع والروحّ) وعلامة المكان عبرت عنها المدينة، مع الحفاظ على طبيعة المدينة دون تغيير، فتلك العلاقة هي التي تحقق الانفراد لروح المكان (Rossi, 1982, p. 107) ، مُضيفًا في موضع آخر بأن الانفراد

الحضري يستمد عنايته دائمًا من تلك القطع المُتحفية الحضرية (Rossi, 1982, p. 113). وناقش روسي كيفية استمرارية القطع المُتحفية الحضرية من حيث الكيفية التي يُمكن بها دمج الشكل مع الوظيفة لاحتضان كثير من القيم المُختلفة والمعاني والاستعمالات.

وكتب ديفيد أوزال (1996, p. 219) موضحًا أن واحدة من المهام الأساسية لتفسير التراث كامنة في تعزيز شعور الزائر بالمكان وهوية المكان . كما أن تفسير التراث يمكن أن يلعب دورًا هامًا في تعزيز وعي الناس وفهم وتقدير الزمان والمكان.

المكان كمعنى

يرى ألدو روسي (1982, p. 101) أن جودة العِمارة والعُمران –جودة الإبداع البشري– هو معنى المدينة، وحسب لورا ميجليوريني ولوسيا ڤينيني (2001) في أدبيتهما باللغة الإيطالية والمعنونة، بعد ترجمتها إلى اللغة العربية *المدن والعلاقات الاجتماعية، مقدمة لعلم النفس في البيئات الحضرية*، نقلاً عن ماريشيلا سيپي ومايكل بيتي (2014, p. 217) تُعتبر التفسيرات الوظيفية والرمزية لعناصر المكان هي العوامل الأساسية لفهم معناه.

والمكان حسب ماريا ليويكا (2008, p. 211)، هو مفهوم أساسي في علم النفس البيئي، وهو فضاء له معنى. كما حسب أريلد هولت–جنسن (1999, p. 227) هو جزء من الفضاء الجغرافي، وغالبًا ما يُعرف على أنه أقاليم المعنى أو عقد من الأنشطة. والسعي إلى "معنى" المكان حسب كيم دوڤي (2010, p. 25)، هو مهمة مستحيلة، لأنها تؤدي إلى المُفارقة والتناقض؛ وتُستطيع اللغة تسمية هذا المعنى، وإنما تظل عاجزة عن تعريفه.

13. هوية المكان القائمة على أساس المعاني

تولد النوايا والخبرات والخيارات معاني الأماكن وتخلق الهوية، فمعاني الأماكن دائمًا حسب إدوارد ريلف (1976, p. 47) قد تكون مُتجذرة في الموقع المادي ومحيطه والأشياء والأنشطة؛ ولكن إلى جانب ذلك، فهي ملك للنوايا والخبرات البشرية. كما أضاف أن الشخصية والمعاني تُنسب إلى مناظر الأرض بواسطة المقصود من التجربة. (Relph, 1976, p. 122)

في حين يرى نوربرج– شولتز (1980, pp. 5-6) أن الإنسان هو هدف العِمارة والعُمران. فيسكُن الإنسان حين يتمكن من توجيه نفسه داخل حدود، والتعرف على نفسه داخل بيئة، أو باختصار، وعندما يختبر البيئة باعتبارها ذات مَغزى أو مَعنى، وبالتالي فإنه يرى أن المسكن يعني شيئًا أكثر من "المأوى،" وهذا يعني أن المساحات التي تحدث فيها الحياة

هي أماكن بالمعنى الحقيقي للكلمة. وحسب دافنا أويسرمان وكريستين إلمور وجورج سميث (2012, p. 69) الخيارات الكبيرة والصغير تُشعر بأساس الهوية والهوية المُتطابقة.

14. روح المكان

ثمة "أماكن مختلفة على وجه الأرض لها نفاذية حيوية مختلفة، اهتزاز مختلف، زفير كيميائي مختلف، قطبية مختلفة مع نجوم مختلفة؛ سمها ما شئت، ولكن روح المكان هي حقيقة عظيمة (Durrell, 1964, p. 6). سادت في السبعينيات نغمة روح المكان، ويتفق لورانس دوريل (1969) وإدوارد ريلف (1976) أن ثمة علاقة بين "جوهر المكان" و"ثقافة الناس" الذين يحيون في هذا المكان، في حين يرى كريستيان نوربرج شولتز أن الروح هي جو المكان. ويعتقد لورانس دوريل (1969, p. 156) أن روح المكان هي بعد كُلّ شيء مُحدد مهم للثقافة، التي تظهر على سبيل المثال في أوروبا في تذوق النبيذ والجبن وشخصيات بلدان مُختلفة. ولايعتقد دريل أن الشخصية اليونانية أو الإيطالية أو الفرنسية قد تغيرت، وكتب: طالما أن الناس يحافظون على مواليد يونانيين أو إيطاليين أو فرنسيين، فإن إنتاجهم الثقافي سيحمل توقيع المكان الذي لا لبس فيه. روح المكان حسب إدوارد ريلف (1976, pp. 48-49) هي الأهم في أي ثقافة، فالروح حتى مع التغيرات العميقة في الهوية مُستمرة، مشيرًا إلى أن خلق روح أو جوهر أي مكان ضروري للعيش في هذا المكان. تمثل الهوية السمات والخصائص الفيزيائية، ومظهر المكان ممثلاً في الأنشطة والوظائف والمعاني والرموز. وهكذا كتب ريلف (1976, p. 61) عن نتيجة تكون المدينة من مختلف الأماكن التي تناسب سياقها وتتماشى مع نوايا أولئك الذين خُلقت لهم، وأيضًا لا يزال لديها هوية مُتميزة وعميقة التي تنتج عن المشاركة الكاملة لمجموعة فريدة من نوعها من صناع المكان مع محيط معين. وهو يرى أن الأماكن –إذا خسرت الروح أو الجوهر– من كونه إحساسًا حقيقيًا في الوقت الحاضر إلى أماكن تفتقر تقريبًا إلى الشعور بالمكان وغير قادرة على قبول القيم الجماعية دون تدقيق (Relph, 1976, p. 68) ؛ مُعربًا عن ذلك بعلو الفن الهابط . كما حدث هذا في اعتقاده بسبب تقويض المكان لكل من الأفراد والثقافات، والاستبدال غير الرسمي للأماكن المتنوعة والهامة في العالم بفضاءات مجهولة الهوية وبيئات قابلة للتغيير (Relph, 1976, p. 143). ويرى نوربرج– شولتز (1971, p. 160) (أن استمرارية الروح في مكان تُشير ليس فقط إلى البيئة المُشيدة، وإنما إلى الجو الذي يمكن العثور عليه في الخصائص الطبيعية للموقع قبل فعل البناء، فالجو يتم الحفاظ عليه ضمن الشكل أو شخصية البناء. ويرى أن روح المكان هي التي تعطي الحياة للناس والأماكن، وهي ترافقهم

من الميلاد وحتى الممات، وتحدد طابعهم وجوهرهم. (Norberg-Schulz, 1980, p. 18)

15. موضع عبقري (عبقرية المكان)

كانت تترجم تلك العبارة اللاتينية عادة في القرن الثامن عشر على أنها "عبقرية المكان،" بمعنى تأثيراته. ويمس هذا الموضوع مُصطلح "عبقرية المكان" genius loci والذي تداوله الرومان حسب كريستيان نوربرج–شولتز (1980, p. 18) كمُعتقد تعبيرًا عن الأجواء المميزة distinctive atmosphere، ويراه جون برينكرهوف جاكسون (1994, p. 161) أيضًا أنه مجرد مُصطلح يصف أجواء المكان وجودة بيئته، وأن الجودة هنا مُرتبطة بمعنى الإحساس بالمكان. أو كما تناوله منظرين من مثل كيڤين لينش (1960) وألدو روسي (1966) وكريستيان نوربرج–شولتز (1979) وكريستوفر ألكسندر (1979) وماريا ليويكا (2008) باعتباره روح المكان spirit of place.

فيرى ألدو روسي (1982, p. 103) أن كُلّ موضع ومحيطه – situation الموضع– يحكمه مكان عبقري genius loci ولاهوت محلي ووسيط يترأس كل ما كان للكشف عن هذا الموضع. ويُشير نوربرج–شولتز (1980, p. 18) إلى أن كل كائن له "عبقرية" تحرس الروح، أما هذه الروح فهي التي تهب الحياة للناس والأماكن وترافقهم من الميلاد حتى الممات وتحدد شخصيتهم. منوهًا أنه على الرغم من أن بنية المكان ليست حالة أبدية ثابتة، وإنما أيضًا يمكن القول أن الاستقرار stabilitas loci لازم باعتباره شرط ضروري للحياة البشرية. ويرى نوربرج–شولتز (1980, p. 182) أن احترام عبقرية المكان لا يعني نسخ النماذج القديمة، وإنما يعني تحديد هوية المكان وتفسيرها بطرق جديدة تمامًا.

بيد أن جاكسون (1994, pp. 157-158) يرى أن الإحساس بالمكان ترجمة غير ملائمة وغامضة عن العبارة اللاتينية موضع عبقري؛ حيث رفضت ثقافتنا الحديثة فكرة الوجود الإلهي الخارق، في حين تراه ماريا ليويكا (2008, p. 212) يستخدم لوصف غير محسوس ولا يُمكن إدراكه، ولكنه بشكل عام مُتفق عليه من أجل تحقيق شخصية مكان فريدة.

الباب الخامس: مذهب التحضر المُنفرد

لا تقدر العِمارة والعُمران على فعل أيّ شيء من الذي لا تقدر عليه الثقافة. ونحن جميعًا نشكو من أننا نواجه بيئات حضرية متشابهة تمامًا. نقول نحن نريد خلق الجمال والهوية والجودة والتفرد. ومع ذلك، ربما في حقيقة الأمر توفر مُدننا ما نرجوه منها. وربما يوفر طابعهم الخاص أفضل سياق للعيش. ريم كولهاس (Coleman, 2007, p. 83)

استهلال

يدور هذا العمل حول كيفية الاستعانة بمفهوم "انفراد مدينة"؛ ليكون تيارًا لتصميم المدن اليوم. ويعبر هذا المُصطلح عن فكرة أن جودة المدينة هي التي ليس لها من مثيل، وينشأ هذا التمايز نتيجة الاستعانة بنماذج تصميم حضري فكرية جديدة، تجعل من كُلِّ مدينة تحقق فردانيتها عن المُدن الأخريات. والمعنى أن كل مدينة، تود أن تصبح مُنفردة، عليها أن تحمل أفكار تحدي جديدة، باعتبار أن تلك الأفكار ستشكل في كُلّ مرة حد التمايز. وعلى كل مدينة أن تكون ليس فقط كائنًا مختلفًا، وإنما أن تكون قادرَة أيضًا على تحسين نفسها ذاتيًّا عبر الزمن. إن غاية هذا المفهوم أن تُصبح المدينة غير مسبوقة، وليس لها مثيل ولا يُعلى عليها؛ الأمر الذي يعني في البدايات المبكرة لمراحل تخطيط وتصميم المدينة الجديدة ضرورة تأكيد إيجابية التفكير في الكيفية التي تمكن من البدء في وضع تصور جديد لأي مدينة جديدة، قبل التخطيط والتصميم؛ لِتُصبح فريدة من نوعها. إذًا فالهدف هو استكشاف نماذج فكرية جديدة، أو تطوير نماذج تقليدية سائدة، لتحقق المدينة حكايتها الوحيدة الخاصة بها وبساكنيها وبزائريها، وبما يحقق لهم عالم مدينتهم المنفرد، وجدير بالعناية استشراف طريقة، تمكن من اختيار الأجزاء ذات الصلة بهذا الانفراد، والتي تتفق مع المفهوم الذي يطرحه هذا العمل، وهو "بصمة مدينة".

مدينة التفرد أو انفرادمدينة

ويقترح العمل الحالي مفهوم "انفراد مدينة"؛ لا ليكون مصطلحًا جديدًا فحسب، وإنما أيضًا ليكون آلية يمكن الاستعانة بها في مجال التصميم الحضري، حيث يسمح هذا المُصطلح بتطوير نهج، يمكن من تعريف المدينة بحسب تعدد نقاط انفرادها عن المدن الأخرى، وينصب تركيزه على أن المدينة الجديدة ينبغي أن تتحرر من سيطرة النماذج الفكرية، التي تشكل سياجًا من الالتزامات – أو لنقل تبسيطًا هي تصنع سياجًا من تعود الأخذ من الفكر الغربي–، وأن تكون كُلّ مدينة حرة في أن يشارك أهلها في تدعيم ما قد يلائمها من خصائص تهبها انفرادًا خاصًّا بها. كما تُستخدم كلمة "انفراد" للدلالة على خاصية مُمتازة أو مُتميزة؛ لافتة للنظر. واستخدمها المِعماري والمُفكِر الإيطالي ألدو روسي كما أشار بيتر أيزمان (1982, p. 7) في مقدمة كتاب *عِمارة وعُمران المدينة* ليصف كيف أن العِمارة والعُمران تُعطي شكلاً من أشكال الانفراد للمكان؛ حيث يعتقد روسي (1982, p. 106) أن كينونة الانفراد تكمن فى الحدث، وفى الإشارة التى تُميز الحدث، فضلاً عن أنه يرى أيضًا أن انفراد أي عمل ينمو جنبًا إلى جنب مع مكانه وتاريخه، والذين يفترضان مُسبقًا وجود القطع المُتحفية الحضرية المِعمارية العُمرانية. (Rossi, 1982, p. 123)

ولابد أن يكون هناك توازنًا نسبيًا بين ما يرغبه سكان المدينة من ناحية، وزوارها القادمين إليها للعمل أو المتعة من ناحية أخرى. وعلاوة على أنه من الضروري الباب بين الأماكن المدينية، التي ينبغي أن يتوافر لها انفرادً خاصً نابعً من تاريخها العريق وعلاقات الناس بها، وتلك الأماكن الأخرى، التي تستمد منها انفراداتها، ويكون كلاهما مبنيًا على المعالم الجديدة المُتفردة من منظور التصميم – رغم أن ثمة تشابهًا ما يكون بسبب عصر العولمة – أو نتيجة لتلك البناءات، التي تصل إلى أن تكون رموزًا بنائية (أيقونيات)؛ فحسب ليزلي سكلير (2006, p. 6) الرمز Icon هو: (أ) صورة أو شخصية أو تمثيل؛ لوحة شخصية؛ رسم توضيحي في كتاب؛ صورة في الصلبة؛ تمثال. (ب) الكنيسة الشرقية. تمثيل لبعض الشخصيات المقدسة، والتى تعتبر نفسها مقدسة، وتكريم مع العبادة النسبية. كما عَرَّف العلامة الرمزية (إكونيسيتي) في العِمارة والعُمران بأنها مورد في الكفاح من أجل المعنى، بواسطة الأثار المترتبة، ومن أجل للسلطة،" مُعرفًا "التصميم الأيقوني في العِمارة والعُمران" في المصطلحات التالية: ثقافة لها صورة ثابتة ما يجب أن يكون عليه الكائن ... والأجيال اللاحقة من تلك الثقافة تبقي على بناء هذا الكائن بنفس الطريقة وبنفس الشكل.

مذهب التحضر

"مذهب التحضر" مُصطلح يشير إلى نمط حياة سكان المدينة، ويقدم هذا العمل مفهوم "التحضر المُنفرد" لإظهار نمط حياة مواطنين المدينة بشكل استثنائي. تتمحور فكرة مُصطلح "مذهب التحضر المُنفرد،" الذي يطرحه هذا العمل حول البحث عن تيار تصميم جديد، يمكن من خلاله وسم المدينة بأنها تمتلك أو لديها تمايز وانفراد حصري، وهو الأمر الذي لا يتطلب احترام الأخلاق الحميدة والقيم الإنسانية بقدر ما يحتاج إلى تطوير النظرة التقليدية للبناء المعاصر بما يتلاءم مع التنمية المجتمعية المحلية، وبما يتوافق مع فكر المجتمعات المتحضرة. ويؤكد هذا العمل على أهمية دور المصمم الحضري نحو ضرورة تقديم أفكار جديدة ومختلفة مبنية على نماذج فكرية مُبتكرة مُستمدة من الواقع المديني المُعاصر لخلق مدن جديدة منفردة، فكل مدينة هي عمل فريد من نوعه، وذلك تأسيسًا على مفهوم "مدينة عابرة النماذج الفكرية" الذي يطرحه هذا العمل ليكون نهج تصميم حضري لصنع "مدينة مُنفردة" ومتكافئة في القوى وليس لها نظير،" عبر تصور "بصمة مدينة." أما طموح مُصطلح "مذهب التحضر المُنفرد"، فاهتمامه الأول يكمن فى تأكيد الجودة التى لا يُمكن إدراكها حسيًا لأي مدينة مُقارنة مع مدن أخرى.

ويكون العمل لتحقيق ذلك الهدف من خلال الناس، أو بالأحرى من خلال كُلّ من تخطى الحدود؛ ليعيش أو يعمل أو يمارس أي أنشطة أخري تخُص المدينة. ولتحقيق ذلك، على الجميع أن يكونوا مشاركًين في الدفاع عن مصالح المدينة؛ باعتبارها قيمة عليا تتجاوز قيمة الفرد مهما بلغ شأنه، فالمدينة تُصبح من هذا المنطلق في بؤرة الاهتمام، ويُصبح الناس كافة في خدمتها. وهذا الأمر سيعود بالتبعية بالنفع على كل من لهم الحق في الحياة داخل المدينة، مهما اختلفت أزمنة تواجدهم. وسوف تحمي القواعد كل فرد بقدر محافظته على مصالح المدينة. فتلك إذًا إشكالية لأنها تحمل عديدًا من القضايا التي تحمل تناقضًا ظاهريًا، اختار هذا العمل منها مسألتين: تناقش الأولى العملية التي تمكن من خلق أي مدينة جديدة بحالة انفراد خاصة، وبحيث تختلف عن أي مدينة أخرى، والثانية تبحث في إمكانة الاستعانة بنماذج فكرية جديدة؛ لتكون هي المدخل لصناعة ذلك الانفراد.

إذًا فالغرض من هذا المخطوط هو إلقاء الضوء على مفهوم "مُصطلح مدن الانفراد،" متابعًا بحثه عن الاختلاف والتمايز، من خلال استخدام مُصطلح الانفراد؛ وكيف تبني المدن انفراداتها؟

تأسيسًا على المفهوم السابق، ستتبين المدينة مُنفردة، وستظل كذلك على مر الزمن ليتوارثها الأجيال، وينبغي أن تستمد المدن فردانيتها، وتختلف كما تختلف بصمات البشر، وإنما تكون تلك الفردانية وذلك الاختلاف في نطاق احترام طروحات الرواد الأوائل والمُحدثين مثل: باتريك جيدز ولويس ممفورد وتشارلز چينكس وإيريك فوكس ومايكل پيتي وستيفين مارشال، الذين يرون أن المدينة كائن حي يستجيب للظروف البيئية. وأيضًا حسب بيتر كولينز وبرونو تسيفي وسيجفريد جيديون الذين يرونها كائنًا عضويًا. وحسب علماء الاجتماع الحضري جورج ميد وماكس ويبر الذين يرون أنها كائن جبار، وحسب الدو روسي والأخوين كرير وجيفري برودبنت وآن فيرنز مودون الذين يرون أنها كائن مُتغير ومتبدل عبر الزمن، وفي حدود أن تظل المدينة مُحتفظة في كُلِّ مرة تتغير فيها بحالة انفراد تُميزها عن غيرها.

الجزء التالى من هذا العمل يناقش الجزء الأول من الإطار النظرى؛ إذ يبدأ بمناقشة المعضلات التى حددها كاميللو سيت، وألدو روسي، وكيڤين لينش وبولزا.

كيف تبني المدينة انفرادها؟

يعني مُصطلح "انفراد مدينة" ألا تكون تلك "المدينة" مثل أي "مدينة،" وأن تكون "كلتا المدينتان" مُختلفتين عن مدن ثالثة ورابعة، فضلاً عن ضرورة أن تصمم كل هذه المدن وغيرها أيضًا من المدن في بداياتها لتكون مُختلفة عن "المدن الأُخريات،" أما مرادفات "الانفراد"، فهي: الاختلاف والتميز والفردانية والخصوصية. ويعزز ما نقلناه عن چاك دريدا نقلاً عن سانچا إڤيك (2010, p. 444) رغبة هذا العمل في الانحياز لمُصطلح "الاختلاف"، حين أشار دريدا إلى أن مفهوم الاختلاف يكبح جماح مُصطلح الهوية الثابتة، والذي يتضمن في محتواه الاختلاف. أكثر من ذلك فهو مُصطلح مفتوح على معان مُختلفة وإعادة التفسيرات، وبالتالي فهو مفهوم يُعزز من ويُشجع على عدم التجانس والانفصال.

واختار هذا العمل المعنى الإيجابي للاختلاف؛ للخلاص من الصور النمطية والمُتكررة الناتجة عن الهويات البنائية الثابتة، بالنظر إلى ضرورة الانشغال بمسألة تحليل مضمون العمل البنائي بكامله، وعدم الاكتفاء بالظاهر من المعنى الذي يُعطيه البناء لأول وهلة. ويعتمد في ذلك على تأكيد أن كُلّ مدينة يجب أن تكون لديها القدرة على بعث حرية الاختلاف لدى صانعيها وساكنيها وزائريها؛ استنادًا إلى فكرة تمايز الفضاءات داخلها من المنظور الثقافي الاجتماعي، ومن ثم الأبنية التي تشكل تلك الفضاءات.

وجدير بالإشارة إلى أن إيريس ماريون يانج (1990, pp. 238-239) ترى في أدبيتها *الإنصاف وسياسة الاختلاف* أن الحرية تقود لتمايز المجموعات، وتشكيل مجموعات متقاربة بين بعضها البعض، فضلاً عن أن التداخل بين المجموعات في المدينة جزئيًا يحدُث بسبب تمايز الفضاء الاجتماعي مُتعدد الاستخدام. ومن ثم ينبع الاختلاف في كُلِّ مرة من عِمارة وعُمران المدينة، عبر فضاءاتها الحضرية ومبانيها المُختلفة، معنىً ومضمونًا، في الظاهر والباطن إيضًا، وهو الأمر الذي يُشير إلى ضرورة أن يكون هناك فكر الاختلاف والتمايز والانفراد لدى مصممي المدن في البدايات المُبكرة للانشغال بتصميم مدينة جديدة، بل ومن وجهة نظرنا، فإنه من الضروري أن ينظر المِعماري والناس للمدينة باعتبارها عملاً فنيًّا في المقال الأول.

المدينة عمل فني

بزغت العِمارة والعُمران في مُنتصف القرن التاسع عشر باعتبارها "فن علمي خالص" حسب هيجل، في الجزء الثاني من أدبيته *الجماليات: محاضرات في الفنون الجميلة، الصادرة في العام* (1842)، ومن بعده جون راسكن في أدبيته *المصابيح السبعة للعِمارة والعُمران*، والصادرة في العام (1849)، ورغم ذلك، إلا أن المسألة تطورت فيما بعد، فأصبح يُنظر إلى العِمارة والعُمران باعتبارها "فن علمي" بداية من عصر النهضة حسب العالم والمفكر الإيطالي ليون ألبرتي باتيستا.

ويرى ستيفن جرابو (1983) أن العِمارة والعُمران تجمع بين الفن والعلم معًا. ويُعد تصميم المدن أيضًا فنًا علميًا، وأن المدينة "عمل فني" ولعل هذا يكون من مُنطلق رصد عِمارة وعُمران بعض المدن ذات الشهرة، بما تمتلك من إمكانات فنية تملأ مجالاتها العامة. ومن أمثلة تلك المدن لندن وباريس وروما وڤينسيا. ومن الجدير بالذكر أن بعض المطورين في المناطق الحضرية والمهندسين المعماريين الطليعيين عرضوا أعمالهم في تلك المدن كقطع أثرية ومبانٍ مُبتكرة. أجل، وينبغي أن تتضمن العِمارة والعُمران الأفكار التقنية والإعلامية، وأن تكون أيضًا فنية جدًّا. وتُشير أولا سالميلا (2016, p. 184) في مقالة تتحدث فيها عن المدن الجديدة بين سنوات الحرب في أوروبا إلى أن الإيطالي كاميلو سيت (1889) يُعد من أوائل الذين تعاملوا مع المدينة باعتبارها عملاً فنيًّا، مُشيرة إلى بزوغ ذلك بزغ أثناء المناقشات التي دارت حول الاختلافات بين أدوار كُلٍّ من المِعماريين والمهندسين، فيما يتعلق بتخطيط وتصميم المدينة في القرن التاسع عشر. وبالرجوع إلى أدبية سيت

"تخطيط المدن" وفقًا للمبادئ الفنية والمنشورة في العام 1889، *تجده يُشيرإلى* أن مُخطط المدينة الناجحة فنيًا هو عمل فني، وليس مجرد مسألة إدارية. (Sitte, 1986, p. 260)

ويُعد تصميم المدينة حسب كيڤين لينش (1960, p. 1) "فن مرتبط بالزمن"؛ حيث بدا في اعتقاده أن تصميم المدينة باعتبارها بناءً ذا مقياس ضخم تشبه قطعة من العِمارة والعُمران. وكما يتبين حسب هشام أبوسعدة (2017, p. xv) في أدبيته *العمارة أبدًا: عالم العِمارة والعُمران عبر الفكر الغربي–مُصطح مُمتد*، أن مُصطلح العِمارة والعُمران ظل محتفظًا ببريقه؛ لكونه يدلل على عموم البناء في مستوياته كافة، سواءً أكانت تخطيطًا أم تصميمًا، ومقاييسه كافة من مبنى مفرد ودواخله ومحيطه الخارجي، أو ما يخُص مراكز المدن والمدن ذاتها، بل وتجده مُصطلحًا مُهتمًا بمكونات المستقرات البشرية كافة. مُبينًا (أبوسعدة) أنه منذ البدايات المُبكرة، تراوح تعريف العِمارة والعُمران بين أنها فن خالص وفن علمي وفن له روح . ولكن يبدو أن الاختلاف – حسب لينش– هو كامن في الزمن اللازم ليُدرك المشاهد من خلاله المدينة، ومن ثم يضع تصوراته عنها. وبالتبعية، يرى لينش (1960, p. 2) أن المدينة تحتاج إلى وقت أطول من العمل المِعماري لِتُدرك. كما يرى أن إدراكنا للمدينة هو إدراك ليس مُستمرًا، بل هو بالأحرى إدراك جزئي ومُتشظٍّ ومُختلط بشؤون مُختلفة، فكل إحساس تقريبًا هو ضمن عملية، والصورة هي مُركب من هذا كله.

واستخدم المعماري والمفكر الإيطالي ألدو روسي (1966) عبارة "انفراد مكان" حسب إشارة بيتر أيزمان (1982, p. 7) في مقدمة كتاب روسي *عِمارة وعُمران المدينة* لوصف كيف تُعطي العِمارة والعُمران شكل. حيث يعتقد روسي (1982, p. 106) أن الانفراد يكون في الحدث وفي العلامة، التي تميز هذا الحدث. ويذكر روسي هنا أهمية تاريخ المكان في التأثير على انفراده، بل أنه يرى أن الانفراد ينمو جنبًا إلى جنب مع المكان وتاريخه، ويأتى على ذكر القطع المُتحفية الحضرية المِعمارية العُمرانية، وكيف أنها من العوامل المهمة المؤثرة على المكان والتاريخ معًا، وأن كليهما يفترضان في ذاتهما وجود القطع المُتحفية الحضرية المِعمارية العُمرانية. (1982, p. 127)

وهكذا يتفق هذا العمل مع اعتقاد ألدو روسي، والذي ينقله بيتر أيزنمان (1982, p. 7) مقدمته، مُتحدثًا عن أن التاريخ الحضري يقود العملية التي يتم من خلالها طبع المدينة بشكل؛ حيث يمكن القول بأن كُلّ مدينة جديدة تحتاج دلالات ورموزًا للتمايز خاصة بها، ويمكن من خلالها تصنيف كُلّ مدينة وفق تنظيم وترتيب عناصر انفراداتها، والتي تكون أغلب موضوعاتها مُعبرة عن طبيعة سكان المدينة، وتوجههم الاجتماعي والثقافي وقدرتهم

الاقتصادية التنافسية، ودرجة مواءمة بيئة المدينة مع الطبيعة؛ وكل هذا يُمكن الحصول عليه من خلال تتبع تاريخ فكر المدن. ويعتقد روسي (1982, p. 87) أن العِمارة والعُمران والقطع المُتحفية الحضرية مُتشابهة، فهي تشكل معًا المدينة باعتبارها "عملاً فنيًّا،" كما أن المدينة الجميلة تملك "عِمارة وعُمرانًا جيدين"؛ لأنها تصنع الجمال الحقيقي عمدًا من تلك القطع المُتحفية الحضرية، وهو يرى أن عِمارة وعُمران القطع المُتحفية الحضرية تظهر في حيوية [دينامية] المدينة. (Rossi, 1982, p. 88)

وبالتالي، فإن الاستقلال النسبي للنظام المِعماري العُمراني الحضري أكثر أهمية من اعتبار المدينة التي تتبع مبدأ "الشكل يتبع الوظيفة"، والذي آثر على القطع المُتحفية الحضرية. ففي الواقع، الوظيفة لا تجلب الشكل؛ وأن التآثير يأتي من "الفردانية والمكان والذاكرة والتصميم نفسه (Rossi, 1982, p. 46)، متصورًا روسي المدينة باعتبارها قطعة أثرية، وبالتبعية يمكن تتبع رؤية روسي عن كيف باتت المدينة تمتلك ما لا تملكه أي مدينة غيرها؛ فتتحقق انفراداتها. كما أن روسي (1982, p. 107) يرى أن الفهم الأفضل لمفهوم المكان يساعد على فهم الخطوط العريضة التي تحدد تفرد المعالم والمدينة والمباني، وبالتالي مفهوم الانفراد نفسه وحدوده، حيث يبدأ وينتهي. إذًا، كما يضيف روسي، أنها تتبع العلاقة بين العِمارة العُمران ومكانها– مكان الفن – وبالتالي صلاتها بالموقع نفسه وصيغته الدقيقة على أنه قطعة أثرية فريدة، يحددها المكان والزمان، بأبعادها الطوبوغرافية وشكلها، ومن خلال كونها مقر خلافة الأحداث القديمة والحديثة، ومن خلال ذاكرتها. متصورًا روسي المدينة باعتبارها قطعة أثرية، وبالتبعية يمكن تتبع رؤية روسي عن كيف باتت المدينة تمتلك ما لا تملكه أي مدينة غيرها؛ فتتحقق انفراداتها.

كما يرى روسي (1982, p. 107) أن الفهم الأفضل لمفهوم المكان يساعد على فهم الخطوط العريضة التي تحدد تفرد المعالم والمدينة والمباني، وبالتالي مفهوم الانفراد نفسه وحدوده، حيث يبدأ وينتهي. إذًا، كما يضيف روسي، أنها تتبع العلاقة بين العِمارة العُمران ومكانها– مكان الفن – وبالتالي صلاتها بالموقع نفسه وصيغته الدقيقة على أنه قطعة أثرية فريدة، يحددها المكان والزمان، بأبعادها الطوبوغرافية وشكلها، ومن خلال كونها مقر خلافة الأحداث القديمة والحديثة، ومن خلال ذاكرتها. حيث ذكر روسي مفهوم "الانفراد" من خلال التركيز على ما في المدينة من معالم حضرية باعتبارها حوافز لمعرفة التاريخ، مُشيرًا إلى العلاقة بين الذاكرة الجمعية وانفرادية المكان (الموضع والروحّ) وعلامة المكان عبرت عنها المدينة، مع الحفاظ على طبيعة المدينة دون تغيير (Rossi, 1982, p. 107)، منوهًا

إلى أن تلك العلاقة هي التي تحقق الانفراد لروح المكان، مُضيفًا بأن الانفراد الحضري يستمد عنايته دائمًا من تلك القطع المُتحفية الحضرية (Rossi, 1982, p. 113). إن مسألة المدينة بوصفها عملاً فنيًا حسب اعتقاد ألدو روسي (Rossi, 1982, p. 33) نابعة من أنه يرى أن المدينة تقدم نفسها صراحة، وبطريقة علمية قبل كل شيء، فيما يتعلق بمفهوم طبيعة القطع المُتحفية الجماعية، كما أنه يرى أنه لا يمكن لأي بحث حضري أن يتجاهل هذا الجانب من المسألة.

ويُشير أيزنمان (1982, p. 4) إلى تصور روسي أن المدينة عبارة عن مُعطيات وحقائق في نهاية المطاف [يمكن رصدها في صورة بيانات] –قطعة مُتحفية أثرية–وينظر للمدينة كهيكل مُستقل بذاته، رافضًا بالكلية مبدأ أن الشكل يتبع وظيفة حسب استشهاد نان إيلين (1999, p. 25) الذي أكد فيه على أن البديل هو الاستقلال النسبي للنظام المِعماري العُمراني.

وقد تبنى روسي (1982, p. 32) عنوانًا، هو أن القطع المُتحفية الحضرية عملاً فنيًا، رافضًا لتأثير الوظيفة بشكل مُباشر على القطع المُتحفية، مُعتقدًا (1982, p. 46) أن التأثير يمكن أن يأتي من الفردانية والمكان والذاكرة والتصميم. وبالتالي، فإنه رفض التفسير الوظيفي للقطع المُتحفية الحضرية؛ لأن هذا التفسير يعيق من دراسة الأشكال ومعرفة عالم العِمارة والعُمران حسب قوانينها الحقيقية. وباختصار، رفض روسي مفهوم الوظيفية التي تُمليها التجربة المبهرة، وهو يعني، على وجه الدقة، هذا المفهوم الذي يركز على أن الوظائف تجلب معها الشكل، وتشكل في حد ذاتها التحف المِعمارية العُمرانية الحضرية والعِمارة والعُمران.

القطع المُتحفية الحضريةurban artifacts كما يُبينها روسي (1982, p. 29) تتشابه والمدينة نفسها، فتتميزان من خلال تاريخهما، وبالتالي من خلال شكلهما الخاص. والمدينة نفسها، فتتميزان من خلال تاريخهما، وبالتالي من خلال شكلهما الخاص. والقطع المُتحفية الحضرية مُعقدة حسب روسي (1982, p. 57) ، كما أن لها مكونات وأن كل عنصر له قيمة مختلفة. وينبغي النظر في (أ) نوعية التحف الحضرية، وأن عنصرًا أساسيًا لفهم التحف الحضرية هو طابعها الجماعي. (ب) تشيد المدينة بكاملها، وتشارك جميع مكوناتها في دستورها باعتباره قطعة أثرية. (ج) تمثل المدينة تقدم العقل البشري، والمدينة وكل قطعة أثرية في المناطق الحضرية هي بطبيعتها الجماعية، حيث يهتم المؤرخون بالقطع الأثرية الحضرية في مجملها. (د) كما يجب الاعتراف كما يُشير روسى (1982, p. 101) بأن التُحف الأثرية لها حياتها الخاصة ومصيرها.

وحسب بولزا (1972, p. 208) المدينة عبارة عن نظام من القطع المُتحفية، بل هي "عمل فني"، وينبغي أن يؤدي ذلك إلى ضرورة التعامل مع المدينة باعتبار أنها "منفصلة عن الطبيعة"، وكذلك "ينبغي أن يستمر اصطناعها كنوعية ذات مغزى." ولكن عِمارة وعُمران المدينة لا يُمكن الإشارة إليها باعتبارها فن كما تُشير البولزا (1972, p. 212) ، وإنما تخلق الشركات الكبرى المعالم المِعمارية العُمرانية باعتبارها جزء من صورتها الإعلانية.

أما بيتر أيزمان (1982, p. 7) فيرى المكان The locus – تأسيسًا على فكر ألدو روسي – "مكون من مكونات القطع المُتحفية الفردانية". حيث تعني كلمة [لوكاس] في اللغة اللاتينية مكان، وهي تعني في تصور ألدو روسي تعني "الموقع الذي يمكن أن يستوعب سلسلة من الأحداث"، كما أنه "يشكل في حد ذاته حدثًا"، وهو تعبير يأتي دلالة على "مكان فريد أو مميز، موضع سولوس"، وإنما يمكن التعرف إلى انفراده من العلامات، التي تأتي بمناسبة وقوع هذه الأحداث، وهو المكان الذي تضع به العِمارة والعُمران أو الشكل طبعتها. والمكان، وفي سياق آخر، حسب روسي (1982, p. 103) يؤكد على الظروف والصفات غير المتمايزة داخل الفضاء، والتي هي ضرورية لفهم التحف الحضرية. ويعتبر روسي أن المكان هو المبدأ والسمة المميزة للقطع المتحفية؛ كما أن كل من مفهوم المكان والعِمارة والعُمران والبقاء والتاريخ تُساعدنا معًا على فهم تعقيد القطع المُتحفية الحضرية.

وكان للمفكر الفرنسي هنري لفيقر (1991) نظرية شاملة وثاقبة عن أخطار النظام الاقتصادي الراهن على أيّ مدينة وبانت نظرته في أدبيته إنتاج الفضاء، والتي تعود إلى العام 1974، حيث يسأل لفيقر (1991, p. 73) في معرض نقاشه: ما إذا كانت المدينة عملاً تراكميًا أم فنيًا أم هي مُجرد مُنتج؟ مُفرقًا بين العمل الفني والمُنتج، وهكذا فالعمل في رأيه نقلاً عن أوسكار نيومان (1996, p. 161) هو عمل فني في حين أن المُنتج هو مُنتج يُستنسخ من عملية آلية. ويبين لفيفر –حسب رؤيته لما يحدُث في عملية التصنيع– طبيعة الاختلاف بين المدينة كمُنتج أو كعمل فني يظهر كعمل متكامل ناجم عن جهود الأجيال السابقة، عند مقارنته بين ما تُخلقه الطبيعة من إنتاجات مُتباينة، متكررة وليست مُستنسخة وما يصنعه الإنسان، حين يُقرر أن تكون هناك مدينة غير مُستنسخة، وإنما تبدو في النهاية متكررة. مُشيرًا إلى أن العمل يبدأ في المدينة ثم يتبين في مرحلة من المراحل. إنه يشبه ما يحدُث في إنتاج أيّ مُنتج صناعي، فتكرار العناصر ومكونات المدينة يحولها بشكل تلقائي إلى مُنتج، ولايجعلها عملاً فنيًا يتكون من وحدة واحدة. مُبينًا إلى أنه بالمقارنة مع الماضي، فإن المدن المُنتَجة حديثًا تُعطي مثالاً للتكرار المُمِل عن الفرق بين العِمارة والعُمران والتنظيم

الحضري، وحين تلعب التقنية دورًا في إنتاج فضاء حضري مُتجانس، تتحوّل فيه العِمارة والعُمران إلى مُنتج نموذجي تسهل عملية استبداله وبيعه وشرائه. اعتمد لفيفر (1991, pp. 118-119) في نظريته إنتاج الفضاء على العلاقة الوثيقة بين الفضاء والزمن، في ضوء أن تاريخ الفضاء سوف يشرح التنمية، ومن ثم ينبغي ألا ينأى تاريخ الفضاء– بأي شكل من الأشكال– عن تاريخ الزمن. وقد أعطى لفيفر "مدينة البندقية" كمثال باعتبارها نموذجًا للعمل الفني، فالمدينة غنية بتراثها وتاريخها، وتشكل وحدة متكاملة وعملاً تراكمياً أو فنياً بامتياز؛ فالوحدة والتناسق المِعماري العُمراني في مدينة البندقية لم تأت نتيجة تصميم مُنفرد لشخص واحد، بل جاءت نتيجة تراكمات تاريخية، ضمن قانون تنظيمي يراعي خصوصية المدينة ووضعيتها الجغرافية، والذي يجمع بين ثلاثة أشياء: الحاجة والرمزية والخيال. ونوَّه إلى أن الحياة اليومية في المدينة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بجميع الأنشطة وتطوق اختلافاتها ونزاعاتها كافة؛ فالمدينة هي مكان اجتماعهم ورباطهم وأرضهم المشتركة. (Lefebvre, 1991, p. 79)

كما أنه يعِّرف المدينة في العام 1968 بأنها: هي مكان الرغبة، ولو أننا نُحدد أيضًا أنها– في المقام الأول– اللا مكان الرغبة [اليوتوبيا]، والمكان الذي تموت فيه الرغبة من الرضا وتعود إلى الظهور من رمادها (Lefebvre, 1984, p. 204). كما أنه كان يتحدث عن أهمية أن تُصبح الحياة اليومية عمل فني! أن توظف الوسائل التقنية لتحويل الحياة اليومية! ويميز لفبفر "مستوى الانفرادات والخصوصية الشخصية" الذي يتم فيه اختبار الفضاء بشكل حسي بواسطة وهب الأماكن مع الصفات المُتعارضة، مثل المذكر والمؤنث أو المواتية وغير المواتية.

ويعتقد قليل من الأميركيين حسب ذكر كيڤين لينش (1984, p. 10) يعتقدون أن صناعة المدينة هي فن جميل، لكنه يرى أن المدن تخلق كائنات موضوعية ذات هدف، وفيما مضى كانت تُدار المدن وتُختبر، كما لو كانت أعمالاً فنية. ومع ذلك، فهو يرى أن المدينة هي المناظر الطبيعية المقصودة. ويعرِّف لينش "الفن" بأنه مُصطلح ينم عن قلة احترام، وإنما العفوية وقلة التقنن تعني شيئًا أصيلاً وطبيعيًا. ومن وجهة نظره، فإن هناك روابط مُختلفة بين ما هو مُفتقد إلى اللفتة الفنية وغير العلمي. مُتفقًا مع القول السائد بأن المدن الحديثة ليست أعمالاً فنية. وفي السياق ذاته، يرى لينش (1984, p. 11) أن المصمم لاينبغي أن يصمم المدن باعتبارها شاملة كلية من جميع جوانبها، وإنما ينبغي بدلاً من ذلك التعامل مع المدن بطرق جزئية، سواءً أكانت تظهر في مجموعة من السمات أم عن طريق الخطط العليا المُجردة. هذا المزيج الذي طال أمده، والمواد المُعقدة وواسعة النطاق والتصميم

الجماعي والحشد الجماهيري، ويجب أن تكون النتيجة التي لم تكتمل فريدة من نوعها بين الفنون، ولكنه يستدرك متسائلاً عما إذا كان هذا هو الفن أم لا.

بينما كان هناك من اعترض على هذا الاتجاه الذي يرى ضرورة التعامل مع المدينة بكاملها باعتبارها شكلاً من أشكال الفن، فالتصميم الحضري –الذي يتوازى مع تصميم المدن– حسب جون لانج (1994, pp. 71-72) يرى أن المدينة ينبغي أن تجمع بين الفن وحل المشكلات معًا، وذلك يقود إلى مفارقة، تُشير إلى أن النظر إلى التصميم الحضري باعتباره حلاً لمُشكلة لا يستبعد مسألة التصميم الحضري كفن، في حين أن النظرة التي تُشير إلى التصميم الحضري، كفن، مشكلته في أن المصممين الحضريين ينبغي أن يعالجوا المدينة باعتبارها شكلاً من أشكال الفن. وهكذا، يرى لانج أن التصميم الحضري باعتباره حل مشكلة عبارة عن وجهة نظر أوسع بكثير من النظر للتصميم الحضري باعتباره فنًّا.

بيد أنه قد يُنظر إلى المدينة أيضًا باعتبارها عمل فني نقلاً عن سارة نادال–ميلسيو (2008, p. 161) لكونها تجمع بين موضوع وهدف فكري (فلسفي) في نفس الوقت، وهي تُعلل ذلك بأنها أصبحت مدينة تتطلب "خبرة" لتحقيقها، فعنايتها هي فن المُشاركة حيث "لا شيء مفقود."

وإنما ينبغي أن يصبح التصميم الحضري حسب هشام أبوسعدة (2015, p. 144) مجال ممارسة مُتعدد الاختصاصات ويدعى "فن المدينة،" وأيضًا لعله ينبغي أن ينتشر ليصبح "فن علمي لعِمارة وعُمران المدينة.

ويلخص ويكشف [الجدول 1] و[الجدول 2] النموذج الذي يفترضه هذا العمل لمدينة انفراد وكذلك في النموذج الذي يتبع الفكر الغربي، وذلك من خلال تسعة عناصر أساسية، وهى: الزمن والمفهوم والفكرة والهدف والتحضر المُنفرد والقطع المُتحفية الحضرية الشخصية والرواد أو الطليعة في فى المدينة التقليدية. وهو ما يجعل الأماكن الحضرية مُثيرة للاهتمام، ويوجه الناس بها في العلن أو الأماكن العامة خاصتهم، ويعطي الناس المتعة والإثارة، والتمايز هو تنوع الأنشطة التي يدعمونها.

جدول 1: النماذج الغربية التقليدية ومدينة انفراد

الزمن	*الانفراد*	منذ القرن التاسع عشر (1889)
الفكرة		المدينة عمل فني وليست مجرد مسألة إدارية. (Sitte, 1986, p. 260)
المفهوم	2. يستمد اهتمامه من مفهوم القطع المُتحفية الحضارية. (Rossi, 1982, p. 113)	المدينة نظام قطع مُتحفية حضارية. (Rossi, 1982, p. 113) وهي كائن فني. (PULSA, 1972, p. 209)
الهدف		(أ) المدينة عمل فني ونظام حرفي (PULSA, 1972, p. 209). (ب) مُنفصلة عن الطبيعة وينبغي السعي إلى اصطناعها كجودة ذات مغزى (PULSA, 1972, p. 209). (ج) تاريخ الفضاء يفسر التطور (Lefebvre, 1991, p. 118. (د) لا ينبغي أن ينأى تاريخ الفضاء بأي شكل من الأشكال عن تاريخ الزمن. (Lefebvre, 1991, p. 119)
تحضر مُنفرد		(أ) التأثير على القطع الأثرية الحضرية يأتي من الفردانية والمكان والذاكرة والتصميم نفسه (Rossi, 1982, p. 113). (ب) عمل متكامل ناجم عن جهود الأجيال السابقة (Dewey, 2008, p. 161). (ج) الوحدة الأثرية المِعمارية العُمرانية هي نتيجة للتراكمات التاريخية ضمن قانون تنظيم يأخذ في اعتباره خصوصية المدينة وموقعها الجغرافي، (د) احتضان الممارسة والرمزية والخيال،" (ه) المدن تُنشيء الكائنات، وفي زمن تاريخي ما كانت تدار المدن وتُختبر كما لو كانت أعمالاً فنية (Lynch, 1984, p. 10). (و) تتطلب المدينة تجربة لتحقيقها كفن التقاسم والتشارك حيث لا يوجد شيء مفقود. (Nadal-Melsió, 2008, p. 161)
قطع مُتحفية		(أ) تستمد المدن صفاتها وخصائصها بالتركيز على التاريخ والشكل (Rossi, 1982, p. 29). (ب) المدينة عمل فني (Rossi, 1982, p. 32) (PULSA, 1972, p. 209). (ج) المدينة هي مناظر الأرض (أو المشاهد الطبيعية) المقصودة (Lynch, 1984, p. 10). (د) أكبر نظام قطع مُتحفية حضرية موجود حاليًا في المدينة (PULSA, 1972, p. 208). (ه) الدلالات الفردية والرموز. (Rossi, 1982, p. 127)
الشخصية		(أ) القطع المُتحفية الحضرية والعِمارة والعُمران هي واحدة ونفس الشيء (Rossi, 1982, p. 87). (ب) الاستقلال النسبي للنظام المِعماري العُمراني (1999, p. 25). (ج) المدينة الجميلة لديها "عِمارة وعُمران جيدة." (د) تصنع تصور واضح وحقيقي عن جمال القطع المُتحفيةالحضرية (Rossi, 1982, p. 87). (ه) دينامية المدينة (Rossi, 1982, p. 88) (و) الحياة اليومية في المدينة ترتبط ارتباطًا عميقًا بجميع الأنشطة، وتشملها بكُل خلافاتها وصراعاتها. (Lefebvre, 1991, p. 79)
الطليعة		Camillo Sitte, Nan Ellin (1999), PULSA (1972) Henri Lefebvre (1974), Kevin Lynch (1984) Oscar Newman (1996), and Sara Nadal-Melsió (2008)

جدول 2: النماذج الغربية التقليدية ومدينة انفراد

الزمن	*الانفراد*	(2016)
الفكرة		مدينة انفراد
المفهوم	1. يستمد اهتمامه من مفهوم القطع المُتحفية الحضارية المِعمارية والعُمرانية. (Rossi, 1982, p. 127)	المدينة مختلفة عن بقية المدن الأخرى: المدينة ليست مثل أي مدينة أخرى.
الهدف		مدينةرائعة بشكل استثنائى، والمدينة عمل فنى.
تحضر مُنفرد		(أ) يقود التاريخ الحضري للعملية التي يتم بها طبع المدينةبشكل مُنفرد، (ب) الانفراد في الحدث وفي العلامة التي تميز الحدث (1982, 106)، (ج) الانفرادينمو جنبًا إلى جنب مع مكانها وتاريخها بسبب وجود قطع مُتحفية حضرية [مِعمارية عُمرانية]، (د) علامات دالة ذات سمة فيزيائية رئيسة (Lynch, 1960, p. 78) ، (ه) وضوح الخلفية ضروري. (Lynch, 1960, p. 105)
قطع مُتحفية		دلالات فردية ورموز. (Rossi, 1982, p. 127)
الشخصية		(أ) شخصية ملحوظة غير تقليدية أو فريدة فى السياق الحضري. (ب) وتُعرب سماتها المادية عن أنها مدينة انفراد (Lynch, 1960, p. 105). (ج) تتبين في طبيعة السكان وتوجههم الاجتماعي والثقافي، (د) ذات قدرة تنافسية اقتصادية، (ه) وقدرة على التكيف البيئي. (Rossi, 1982, p. 127)
الطليعة		Kevin Lynch (1960), Aldo Rossi (1966), Peter Eisenman (1982), and Hisham Abusaada (2006)

الباب السادس– مسارات حول "مدن انفراد"

"انفراد مدينة،" مُصطلح يدفع به المؤلف ليُصبح مُشاركًا مع مُصطلحات ساهمت أزمنة طويلة في مجالات العلوم الإنسانية لتُصبغ وجود إنساني يتمتع بهوية وشخصية وتفرد مُختلف في كُلّ مرة. وإنما يُستخدم مُصطلح "انفراد" في هذا الكتاب دون مواربة، ويُقدم بمعناه الحقيقي المُباشر، في الواقع يحتاج المُستعمل الآن أكثر من أي وقت مضى مدن انفراد.

استهلال

يرتبط مُصطلح "مدن انفراد" في هذا العمل، بشكلٍ بارز، ارتباطًا وثيقًا بأربعة مسارات، هي: (أ) الوجود الشخصي والهوية والشخصية، (ب) غموض مُصطلح الهوية، (ج) الخصائص المُمَيزة (د) الانفراد. وهكذا، يبني هذا العمل مُنطلقاته من خلال استعراض تلك المُصطلحات؛ لوصف السمات أو الملامح المميزة لمدينة أو مجموعة من المدن، والتي يمكن من خلالها تحديد مدى ارتباط المدن ببعضها، أو انفراد مدينة أو أكثر بسمة أو بمجموعة من السمات المختلفة.

المسار الأول: الوجود الشخصي والهوية والشخصية

في القرن السادس قبل الميلاد، حسب ما أشارت أفا شيتوود (2004, p. 60) فإن هيرقليطس، الإبن لبلوسون أو كما يقول البعض من هيراكون، والذي كان إفسوسيًا. هذا المُفكر الإغريقي، نقلاً عن شيتوود (2004, p. 66)، ذكر: إنه من المستحيل أن يستحم المرء في ماء النهر الواحد مرتين، وتعني تلك المقولة أنه لا يوجد في الكون شيئان مُتطابقان، فالنهر ليس هو النهر، كما أن الشخص ليس هو نفس الشخص، كما لا يوجد شيء أو نفس يبقيان على حالهما. ولعله يمكن افتراض أن ما يفعله المرء لإظهار تفرده واضحًا على مر التاريخ وفي الحضارات الإنسانية، وهو ما يؤكد على أن فكرة الرغبة في الاختلاف ليست جديدة، وإنما هي مرتبطة بالوجود الإنساني كافة. ويُمكن تتبع ذلك الاختلاف من خلال تحليل ثلاثة مفاهيم، هي: (أ) الوجود الشخصي personality، والذي يُستخدم في العموم لتمييز إنسان عن إنسان آخر، (ب) الهوية identity، والتى يُبين كيفية الإندماج داخل المنظومة مع استمرار عناصر

التمييز، (ج) الشخصية character، وتتضمن عناصر التمييز المادي– الاجتماعي والمادي معًا. وتجدُر الإشارة إلى أهمية تتبع تعريفات المفاهيم الثلاثة؛ حتى يُمكن تحديد نقاط الربط بينها، ثم إبانة مدى ارتباط ثلاثتهم بمفهوم مُصطلح "الانفراد"، الذي يطرحه هذا البحث لرصد وتحقيق التمايز بين المُدن.

بالإشارة إلى مبادئ علم النفس الحديث، يمكن القول المُفكر الأمريكي وليام جيمس (1890, p. 459) يعتقد أن هوية الوجود الشخصي تتبع من تشابه واستمرارية مشاعرنا، أكثر مما تتبع من الحقائق المطروحة. ويعد جيمس أول من طرح مفهوم الذات في القرن التاسع عشر؛ حيث كان السؤال عن الهوية من مُنطلق "من نحن؟" وليس "من نكون؟" (حسب مُفكري اليونان) أو "ما الذي نعرفه؟" (حسب أرسطو)، وذلك يكون بتنحية فكرة الماهية والجوهر والتمييز بين الواقع والمظهر، فيظل السؤال "من هو الإنسان في ذاته؟"؛ فمُصطلح الوجود الشخصي Personality من وجهة النظر الحيوية المادية (Bio-Physical)، وحسب جوردون ألبورت (1937, p. 40)، يأتي مَعنيًا بصفات الشخص ذاته [السمات الشخصية]، وإنما بغض النظر عن الطريقة، التي ينظُر بها الناس الآخرون إلى صفاته الشخصية، أو حتى طريقة تقييمهم له من خلال تلك الصفات.

ويعرّف ألبورت (1937, p. 48) الوجود الشخصي بأنه الهيكل التنظيمي المُفعم بالحيوية [الدينامي] ضمن حدود تلك النُظم النفسية [الفسيولوجية] داخل الفرد، والتي توضح تعديلاته الفريدة من نوعها أو المتميزة لبيئته. أما في العام 1997 حسب ديفيد فندر (2013, p. 5) فهو مفهوم تأتي دلالته مُشيرة إلى أنماط السمات الفردية من فكر وعاطفة وسلوك، جنبًا إلى جنب مع الآليات النفسية –المَخفية أو غير المَخفية– وراء تلك الأنماط. والوجود الشخصي حسب جيرارد سوسييه (2009, p. 621)، وفي بعض الدراسات المُعجمية، واستنادًا إلى وجهة نظر ألبورت الحيوية الاجتماعية (البيوسوسيال)، يأتي هذا المفهوم باعتباره كُلّ الصفات والخصائص التي تميز السلوك والأفكار ومشاعر الأفراد.

ويعرفه دان ماك آدامز (2009, p. 12) بأنه تباين تفرد الفرد في التصميم التطوري العام للطبيعة البشرية، والذي يُختبر كنمط من الصِفات المُنفصلة والسمات المُميزة والتكيفات والروايات التي تُبين الحياة الذاتية، والتي تقع بشكل مُعقد في السياقات الاجتماعية والثقافة. ويتكون الوجود الشخصي حسب هيلين فيشر (2012, p. 229) من نوعين من الصفات، تجدهما مُختلفين اختلافًا جوهريًا، أولهما "الشخصية،" والتي تنبُع من الخبرات والمصالح [أو الاهتمامات] والقيم والقوى الثقافية، وثانيهما "الطبع" [أو لعله المزاج الشخصي]، والذي

يعتمد على الميول الإحيائية [البيولوجية]، والتي تُساهم في خلق أنماط مُتسقة من الشعور والتفكير والتصرف.

ومنذ القرن التاسع عشر وحتى الآن يعتقِد العديد من المُعلقين ومنهم وليام جيمس (1890, p. 459) وإريك إريكسون (1959, p. 1029) – والذين يُعدون حسب ساسكيا كونن وآخرون (2001, 3) أنهم الآباء المؤسسون لعلم نفس الذات والهوية – أن فكرة الهوية تعتمد، في المقام الأول، على "مفهوم الوجود الشخصي"، وأنها نابعة من الذات أكثر من كونها آتية من الخارج. والمعنى أن ارتباطها، في الغالب، يكون من خلال شخص يتبنى أو يعتنق [أو مجموعة من الأشخاص] يتبنون أو يعتنقون] تصورًا بأن المكان الذي يعيش فيه/أو يعيشون فيه (ويقدرونه أو يحبونه) هو مكان مُختلف، بل مُنفرد عن الأماكن الأخرى التي يحيها فيها الآخرون، وأنه كلما نمت عصبية المرء تجاه المكان، تزايد فكرهم؛ أن أمكنتهم هي الأكثر تمايزًا واختلافًا عن أماكن الآخرين، ويكررون تلك التصورات؛ حتى يرسخ في أذهانهم بالفعل ما ليس له وجود حقيقي.

وارتكازًا على مفهوم "ما وراء الطبيعة Metaphysics" ، ومنذ العام 1957، يتعامل المُفكر في التقاليد القارية وفكر التفاسير الألماني مارتن هيدجر (1969, pp. 8-9) مع الهوية باعتبارها خاصية للوجود، مُشيرًا في أدبيته المعنونة "*الهوية والاختلاف*" إلى أنه كان يُنظر إليها حسب بلوتينوس وليبنتز في فكر (فلسفة) الغرب باعتبارها وحدة، وكوحدة الشيء مع نفسه؛ حيث يرى بلوتينوس أنه بحكم الوحدة فالبشر هم كائنات، في حين يرى ليبنيز الهوية باعتبارها البساطة والفردانية، وباعتبارها قبل كُلّ شيء– التفُرد الذي ينشئه، مع مساعدة من مبدأ الهوية غير المُدركة أو التي لا يمكن التعرف إليها. وكتب هيدجر:

> *في كُلِّ مكان، وفي أيّ مكان، وكيفما اتفق نحن على صلة بكُلِّ أنواع المخلوقات، ونكتشف أن الهوية تجعلنا مُطالبين بأن نكون على ما نحن عليه، فإذا لم تُعلن مُطالبتها بذلك، فإن وجود تلك المخلوقات لا يمكن أن يتبين. وهو يُنهي هذه الفقرة بقوله: مجرد المطالبة بالهوية يعني التحدث عن وجود الكائنات.*(Heidegger, 1969, pp. 26-27)

بيد أن مُصطلح الهوية identity لم يظهر إلا في الخمسينيات مُرتبطًا بمجال علم الإنسانيات anthropology، فحسب توم ڤان مِيجل (2008, pp. 169-170) اِستُبدِل مفهوم الوجود الشخصي بالهوية من قبل إيريك إريكسون، والذي أُدخل بمعرفته إلى علم الإنسانيات

ليُصبح مُصطلح رئيس، منوهًا إلى تعريف إريكسون للهوية باعتبارها تُشير إلى وجود شخصي مُعدل بشكل جيد والذي ينبثق من نفسه أو: متطابقًا، ومُحددًا الذات بالذات نفسها أو بغيرها. ومُبينًا أن هذا المعنى للهوية ينبُع مباشرة من أصل المفهوم، وهو مُشتق من الكلمة اللاتينية identitat و/أو identitas والتي بدورها كانت مُشتقة من identidem، والذي يأتي شرحه بمعنى مرارًا أو تكرارًا (أدبيًا نفس ونفس) نقلاً عن سوكيفيلد (1999)، مُتابعًا مِيجل نقلاً عن سوفران (1992) بأن "التشابه" في هذا السياق يجب أن يُفهم بمعنى "على غرار" وليس كمفهوم موحد. مُحددًا إريك أريكسون (1968, pp. 24, 211) وجهة نظره في فكرة الهوية المرتبطة بالأنا الذاتية التي هي ليست أبدًا راسخة باعتبارها "إنجازًا"، وإنما هي إحساس إلى الأبد بمراجعة مُنقحة لواقع الذات داخل الواقع الاجتماعي.

ويصف هارولد بروشانسكي بمفرده (1978, p. 147)، وبالاشتراك مع آبي فابيان وروبرت كامينوف (1983, p. 57) الهوية على النحو التالي: أ) الأبعاد الذاتية التي تُعرف الهوية الفردانية لوجود الشخص في علاقته بالبيئة المادية، ب) بنية فرعية للهوية الذاتية للشخص، وتتكون من إدراك معرفي واسع النطاق حول العالم المادي، الذي يعيش فيه الفرد، ج) الإدراكات والذكريات والأفكار والمشاعر والمواقف والقيم والأفضليات والمعنى ومفاهيم السلوك والخبرة التي تتعلق بتنوع وتعقيد الإعدادات، التي تحدد الوجود اليومي لكل إنسان. د) ضباب الذكريات والمفاهيم والتفسيرات والأفكار، والمشاعر ذات الصلة حول الإعدادات المادية المحددة، وكذلك أنواع تلك الإعدادات.

ويعكس كُلّ من ماركو لالي وإيفور صامويلز وجو كلارك (1988, pp. 305-306) فكرهم حول علاقة الناس بمدنهم، حيث تمتلك المدن صورة واحدة مُقدرة بواسطة الخارج، كما أنها تمتلك أيضًا نوعًا واحدًا من الشخصية، التي لها تأثير أو عواقب على سكانها، والتي تُعطيهم نوعًا معينًا من الوجود الشخصي، بالإضافة إلى أنها تفي بوظيفة توفير تقييمات ذاتية إيجابية للمقيمين، وعلاوة على ذلك، فإنها تولد شعورًا من التفرد الأساسي، أو لعله من هذا المُنطلق يوفر انفرادًا لشخصية المدينة. وقد يكون ذلك التقييم الإيجابي عن صفات التفرد موجودًا فقط في تصور سكانها، فهناك عدد كبير من الصفات التي تُعزى إلى بلدة موجودة فقط في تصور سكانها.

والهوية في كتاب *العثور على الطريق: الناس والعلامات والعِمارة والعُمران* لبول آرثر ورومدي باسيني (1992, p. 87) هي السمة التي تسمح لنا بتمييز فضاء عن فضاء آخرى. وينبغي أن تتضمن عملية الهوية حسب ك من وليام جيمس (1890, p. 336) وإريك إريكسون

(1960, p. 38) وأنتيا چاك بسون–ويدينج (1983, p. 13) ونظرية الهوية الاجتماعية لجلينيس برياكويل (1986) واستنادًا لتلخيص ديفيد أوزال (1996, p. 221) أربعة جوانب هي: معنى التشابه أو التماثل أو استمرار التأمل مع الذات (التشابه/الاستمرارية) والتميز (التفرد) والكفاءة الذاتية واحترام الذات. وتعتقد كاثرين وودوارد (1997, p. 9) في أدبيتها *الهوية والاختلاف* أنه يمكن ملاحظة الهوية من خلال الاختلاف، كما أنها تُلاحظ من خلال الرموز ؛ على سبيل المثال السجائر التي يُدخنها كل جانب. فالهوية هي شِفرة تحدد عضوية المرء في مُختلف المُجتمعات حسب ستيفن ليتلچون وكارين فوس (2008, p. 89) –شِفرة تتكون من رموز ، من مثل أنواع مُعينة من الملابس أو المُمتلكات؛ والكلمات، مثل الأوصاف الذاتية أو الأشياء التي عادة ما تُقال؛ والمعاني التي تنسبها أنت والآخرين إلى هذه الأشياء .

على مدى الحياة، عندما يتفاعل المرء اجتماعيًّا مع البشر الآخرين، كما يرى ليتلچون وفوس أن هوية الشخص تتأسس في عينيك وأعين الآخرين، من خلال تعبيرك عن نفسك واستجابة الآخرين. وهكذا هم يضيفون بأن هناك بعدين لتحديد معنى الهوية، هما: الموضوعي؛ وإحساسك بنفسك [أو ما هو متعلق بمُصطلح الوجود الشخصي]، والمنسوب؛ أي ما يقوله الآخرون عنك. وتشمل الهوية أربع طبقات، هي: الشخصية عبر الاجتماعية خاصة، وسن القوانين/التشريع، والتفاعلات مع الآخرين، والطائفية عبر مُجتمعك.

ويرى ساسكيا كونن وآخرون (2001, p. 3) أن وليام جيمس وإيريك إريكسون يُدركون الذات والهوية كظواهر دينامية، فكليهما، أيضًا، يشملان الإدراك والعواطف والتصورات، والتي هي دائمًا جزءًا لا يتجزأ من علاقة الشخص مع السياق. فمنذ فترة طويلة من الزمن، وفي العام 2002 اعتقد باحثو الذات والهوية حسب دافنا أويسرمان وكريستين إلمور وجورج سميث (2012, p. 70) أن الذات هي نتاج للحالات والظروف التي يمُر بها المرء وهي مُشَكِل للسلوك في تلك الحالات، كما أنهم يعرفون مفهوم الهوية كوسيلة لفهم بعض جوانب مفهوم الذات أو جزء منه. (Oyserman, Elmore, & Smith, 2012, p. 73)

وفي هذا السياق تمثل الهوية بشكل عام مجموعة من المعلومات التي تُشير إلى الصفات والأفكار والمبادئ التي تميز فرد عن فرد آخر أو مكان عن مكان آخر، وهي وسيلة إثبات الشخصية character. وتركز الشخصية بشكل خاص حسب ريتشارد سينيت (1988, p. 9)، ونقلاً عن كيم دوڤي (2016, p. 128)، على الجانب طويل الأجل من تجربتنا العاطفية. فهي مُعبرة عن الولاء والالتزام المُتبادل، أو من خلال السعي لتحقيق أهداف طويلة الأجل، أو عن طريق ممارسة الإشباع المتأخر؛ من أجل نهاية مستقبلية. مُعرفًا كيم

دوڤي (2010, p. 9) الشخصية باعتبارها تضُم معًا، وفي الوقت نفسه، الشعور الاجتماعي والمادي لوحدة الجوار، والمنزلق بسهولة من المكانية إلى الاجتماعية؛ فضلاً عن أنه حينما تُصبح الشخصية مُرمزة وفق رموز التصميم الحضري، أو حسب مواثيق خاصة بمجموعة من السمات الرسمية، فإن الشخصية تتحول هنا لِتُصبح ثابتة، وتنخفض لتُصبح رسومًا كرتونية. ولعله يمكن أن نُدلل هنا بالشخصيات الكارتونية في عالم ديزني، والتي لها سِمات مُنفردة وخاصة بها، مثل شخصية ميكي ماوس.

المسار الثاني: التباس مُصطلح الهوية

مُصطلح الهوية حسب ماكس بلاك (1952)، غير مُدْرَك، حيث يرى بلاك أن التشابه لحد التطابق يعني أن الشيء واحد، ولا يمكن تسمية أو وصف شيئين متطابقين بهوية واحدة، فالمبدأ إذًا إذا كان (أ) و(ب) مُختلفين (عدديًا)، فيجب أن تكون هناك خاصية واحدة على الأقل موجودة في أحدهما ولا يملكها الآخر. كما أنه من المستحيل على شيئين اثنين مُنفصلين أن يكونا مُتطابقين على حد السواء. ويعتزم هذا العمل تبني تلك الفكرة لإثبات أنه، حتى إذا كانت المدن الجديدة التي تنشأ – وإن كانت تتضمن ملامح وصفات متقاربة – فإنها بالضرورة لن تكتسب الهوية نفسها، وإنما سيُمنكها أن تمتلك روح الانفراد، إذا ما أضيف إليها ما يمُيزها عن غيرها من المدن الأخرى. ولعل هذا السبب الذي جعل هذا العمل يتبنى مُصطلح انفراد مدينة، بديلاً عن هوية أو شخصية المدينة. ويُشير دوجلاس كيلنر (2003, pp. 246-247) إلى أن الهوية أصبحت اليوم لعبة مُنتقاة بحرية، وهي عرض مسرحي للذات؛ حيث يمكن للمرء أن يقدم نفسه في مجموعة متنوعة من الأدوار والصور والأنشطة، غير مُبالٍ نسبيًا بما يخُص التحولات والتقلبات والتغيرات الدرامية.

ويرى كلا من دوجلاس كيلنر وزيجموند بومان أن الهوية لا زالت مُشكلة. مُفترضًا بومان (1996, p. 18) وأنه وإذا كانت "مشكلة هوية" الحداثة هي كيفية بناء الهوية والحفاظ عليها صلبة ومستقرة، فإن مشكلة هوية ما–بعد الحداثة تكمن –في المقام الأول– في كيفية تجنب التثبيت والحفاظ على الخيارات مفتوحة. وتُصبح الهوية في الحال حسب ريم كولاس (1997, p. 1257) وكأنها منارة ثابتة وغير مُحددة: فهي تستطيع تغيير موقفها أو النمط الذي تنبعث منه فقط على حساب كلفة زعزعة الاستقرار.

ورغم أن مُصطلح الهوية لا يزال حسب ديفيد باكنجهام (2008, p. 1) يُمثل موضوعًا غامضًا وزلقًا، فضلاً عن أن المفارقة للهوية الرئيسة تكمُن في المُصطلح نفسه. فعلى الرغم

من أن الجذر اللاتيني للكلمة يحمل معنى "نفسه،" إلا أن المُصطلح ينطوي على كُلٍّ من التشابه والاختلاف. وجاء المُصطلح في الموسوعة الدولية للعلوم السياسية حسب برتراند بادي وديرك بيرغ سكلوسر وليوناردو مورلينو (2011, p. 1131) باعتباره مُصطلحًا غامضًا ومفهومًا مثيرًا للخلاف. كما أشارت سانچا إفيك (2010) إلى أن فكرة الهوية هي "ظاهرة في تحول مستمر،" رافضة "مذهب الماهية essentialism،" أو الاعتقاد بأن للأشياء مجموعة من الخصائص التي تجعلها على ما هي عليه كما جاء في إعلان أوديني الذي ظهر في العام (2007). والأكثر من ذلك، أن الهوية حسب ما عرفها چاك دريدا، ونقلاً عن سانچا إفيك (2010, pp. 443-444) ليس لها معنىً محدد، فهي مُفردة مثلها مثل مفاهيم كثيرة متداولة؛ "الأمة" و"المنطقة" و"الدولة" و"الحدود."

المسار الثالث: الخصائص المُمَيزة والانفراد

نوَّه إريك إريكسون (1959, p. 1029) عن أن ثمة علاقة متبادلة بين الهوية والشخصية، وذلك يشير إلى موضوعين أساسيين، أولهما معني بمسألة استمرار التأمل داخل الذات [الاستمرارية الذاتية]، وثانيهما يركز على التقاسم المُستمر [الضروري] للسمات والخصائص المميزة الضرورية مع الآخرين. ويُمكن القول بأن التعريف العام للهوية يرتبط بجوهر الشيء أو حقيقته في الظاهر، وحيث يكون الاختلاف الخارجي فقط هو السبب في تمييز كُلٍ من المرء أو الشيء عن غيرهما. وحسب مقال هارولد بروشانسكي وآبي فابيان وروبرت كامينوف (1983) المعنون "المكان–الهوية: التنشئة الاجتماعية للذات في العالم الاجتماعي المادي" فإن هوية المدينة هي التي تصف المدينة التي تميز نفسها بالكلية عن غيرها من المدن الأخرى. فالهويات حسب ما جاء في العام 2002 نقلاً عن دافنا أويسرمان وكريستين إلمور وجورج سميث (2012, p. 69) هي السمات والخصائص والعلاقات الاجتماعية والأدوار وعضوية المجموعات الاجتماعية وهي التي تحدد من يكون المرء، كما أنهم يرون أن الهويات يمكن أن تركز على الماضي– ما كان صحيحًا لمرءٍ بعينه، أو ما هو صحيح الآن أو في المستقبل– وما يتوقعه المرء أو يأمل أن يُصبح عليه، ما يُشعر به المرء التزامًا ليحاول أن يكون، أو ما يخشى أن يُصبح عليه؛ فالهويات هي توجيه، إذ أنها توفر عدسة صنع المعنى، وتركز اهتمام المرء على بعض الميزات، ولكن ليس الميزات الأخرى في السياق المُباشر. كما أنها تُشكل المفهوم الذاتي للمرء، علاوة على ذلك، فهي تصف ما يتبادر إلى الذهن، عندما يفكر المرء في نفسه.

الباب السابع: البعد الأخلاقي والقيم الإنسانية

كما هو مبين في موسوعة الإنترنت للفلسفة "النسبية الأخلاقية هي الرأي القائل بأن الأحكام الأخلاقية صحيحة أو خاطئة فقط بالنسبة إلى وجهة نظر معينة (على سبيل المثال، ثقافة أو فترة تاريخية)، وأنه لا توجد وجهة نظر فريدة من نوعها تعلو وجهات النظر الآخرى. وكثيرًا ما ارتبط هذا الأمر بمطالبات أخرى عن الأخلاق، ولا سيما الفكرة القائلة بأن الثقافات المختلفة كثيرًا ما تُظهر قيم أخلاقية مختلفة جذريًا؛ إنكار وجود قيم أخلاقية عالمية يتشاطرها كُلّ مجتمع إنساني؛ والإصرار على أن نمتنع عن إصدار أحكام أخلاقية على المعتقدات والممارسات التي تتسم بها ثقافات أخرى غير ثقافاتنا." [إمريس ويستاكوت (2017)]

استهلال

خلُص الفاصل السابق إلى أن ثمة مجموعتين لتحديد هوية المدينة: تخُص الأولى الهوية المجتمعية وتتضمن هوية سلوكيات الناس والأحداث والأنشطة المكانية، في حين تكون الثانية ذات صلة بالبناء المِعماري العُمراني المادي، وتتضمن هوية المكان وكتلة المبنى المفرد. وبما أن الهوية الاجتماعية تحدثت بإسهاب عن سلطة الهوية – وكيف يُمكنها أن تتحكم في شكل مدينة بعينها أو حتى مكان أو مبنى – فلعلها أصبحت مدخلاً مهمًا لفض مسألة توجيه الهوية، بناء على سلطة أو رغبة تُخالف المعايير الأخلاقية.

فحسب لورانس ڤالي (1992, pp. 3-4) *في أدبيته "العِمارة والسلطة والهوية الوطنية"*، نقلاً عن نيلسون جودمان في مقاله "كيف يُعطي المبنى معنى؟" أننا ينبغي أن نأخذ في اعتبارنا كيف يمكن لعمل معماري محدد أن يحمل معنى، قبل أن نكون قادرين على التصدي لمسألة ما يُمكن أن يعنيه هذا المبنى، فثمة مبنى قد يتحول بسبب طرق لا علاقة لها بكونه عملاً معماريًا، فعبر مؤسسة معينة يمكن لهذا البناء أن يكون رمزًا مُعبرًا عن ملجأ للحماية، أو تعبيرًا عن حكم إرهابي أو الكسب غير المشروع.

يجيب هذا الفاصل عن السؤال التالي: في عالم العِمارة والعُمران، هل يرتبط البعد الأخلاقي بتقديم مبادئ ممارسة مهنية أخلاقية؟ أم أنه يمكن أن يُمثل إضافة لمعايير البناء؟ ويتناول هذا الباب تعريف الأخلاق، انتقالاً إلى التحدث عن العلاقة بين العِمارة والعُمران والأخلاق في الفكر الأوربي عند بعض المفكرين الغربيين وفي مجال الممارسة المهنية مركزًا على أخلاق التصميم.

ويتتبع هذا الباب علاقة العِمارة والعُمران والأخلاق من خلال ثلاث حركات فكرية هي الحداثة وما بعد الحداثة والوحشية الجديدة. وينتقل بعد ذلك لتتبع تلك المسألة من خلال مناقشات وحوارات عن المبادئ التي أرساها أهم المفكرين الغربيين، وهنا تُثار مجموعة من التساؤلات حول: كيف يمكن التسليم بأن أي من هذه المبادئ يبدو أخلاقي وأي واحدًا منها يبدو غير أخلاقي؟ وهل اتباع مبدأ محددًا من تلك المبادئ يلغي المبادئ الأخرى؟ ومن هو الذي يُمكنه الحكم على أي عِمارة وعُمران بأنها أخلاقية أم غير أخلاقية؟

انتقالاً إلى التسليم بأن هناك بعض المبادئ التي يُمكن استخلاصها من القيم الإنسانية لتكون مرشِّدا فقط للتصميم.

الأخلاق

كلمة الأخلاق باللغة الإنجليزية ethics مُشتقة من روح الكلمة الإغريقية ethos، والتي تعني الشخصية، وهي عبارة عن نظام من المبادئ الأخلاقية، التي تحكم على الأفعال الإنسانية أهي جيدة أم سيئة، صواب أم غير صواب؛ وهي قواعد السلوك فيما يتعلق بفئة عمل إنساني معين، حسب قاموس أكسفورد الوجيز. والأخلاق Ethics حسب مانويل فلاسكواز (2006, p. 8) هي مجموعة من مبادئ السلوك، تحكم على فرد أو جماعة، مميزًا بينها وبين الفضيلة Morality، والتي يعتبرها المعايير التي يملكها الفرد أو المجموعة حول ما هو صحيح أو غير صحيح، أو خيِّر وشرير. فهناك ثلاثة أنماط من الأخلاق حسب وارويك فوكس (2000, p. 389) هي: أخلاق الفضيلة، وعلم الأخلاق وأخلاق التبعية، وهي متعلقة بثلاثة أمور: بث الخصال في الشخصية؛ وتحديد المبادئ التي نلتزم باحترامها في سلوكنا، بصرف النظر عن المخاوف بشأن العواقب؛ وتوخي المنفعة، بمعنى تحديد أنواع النتائج، التي يجب أن نسعى لتحقيق أقصى قدر (من الشكل الأكثر شهرة من التبعية هو النفعية، الأمر الذي يجبرنا على تعظيم السعادة العامة).

وخصائص الأخلاق نسبية، وتختلف باختلاف الثقافات حسب إدوارد ويسترمارك (1932) ؛ فتختلف الثقافات اختلافًا كبيرًا في ممارساتها الأخلاقية. ولعلنا يُمكن أن نُدلل على ذلك عبر معيار الخصوصية، والذي يرتبط في الفكر الغربي بأخلاقيات التعامل مع الآخرين عبر التفاعل الذي لايتعدى حقوق الآخرين. أما في العالم العربي، فهو مرتبط بالعلاقة بين الرجل والمرأة، وظهرت معالجاته البنائية تستهدف التفريق بين الجنسين من خلال استخدام المشربيات والأحواش السماوية الداخلية. إنما حسب إمريس ويستاكوت (2017)، في موسوعة الإنترنت للفلسفة، فإنه غالبًا ما تظهر الثقافات قيمًا أخلاقية مختلفة جذريًا؛ وإنكار وجود قيم أخلاقية عالمية يتشاطرها كُلّ مجتمع إنساني؛ والإصرار على أن نمتنع عن إصدار أحكام أخلاقية؛ بشأن المعتقدات والممارسات، التي تتسم بها ثقافات أخرى غير ثقافاتنا. بيد أنه، ورغم تلك الاختلافات، فإن الأخلاق ليس لها علاقة بجماعة أو ثقافة أو ديانة بعينها دون أخريات، فتجدها في الأعراف كافة، منذ بدء تاريخ البشرية حَتَّى عصرنا هذا.

العلاقة بين العِمارة والعُمران والأخلاق

يمكن القول بإن العلاقة بين العِمارة والعُمران والأخلاق في الفكر الأوربي، حسب ما جاء في معرض حديث لويس كان، في مقابلة حصرية عن فكرة الأمانة، ثم ومرورًا لبيان أثر الأخلاق في العِمارة والعُمران، حين قال نقلاً عن باتريشيا كامنجز لود (1990, p. 84): أعتقد في عِمارة صريحة، وأن البناء نضال وليس معجزة، وعلى المِعماري أن يُقر ويعترف بذلك. كما بانت حسب باري واسرمان وباتريك سوليفان وجريجوري باليرمو (2000, 57-58) (2000, pp. 57-58) وتوم سبيكتور (2001, p. IX) وإيريك چ. فوكس (2008, p. 189) تنويهات عن العلاقة بين الأخلاق والعِمارة العمران فيما بين 2000-2003، متفقين على أن العِمارة والعُمران اختصاص تصميم وتخطيط في مستوى وانضباط أخلاقي في مستوى آخر.

وفضلاً عن ذلك، فإن منتجاتها تثير تساؤلات أخلاقية حول طريقة عيش مُستدامة، وهي ليست مجرد مسألة تقنية، وإنما هي مسألة أخلاقية، تبحث في المعايير الحاكمة لتصرفات البشر، إن كانت ملائمة أم غير ملائمة. وحسب توماس فيشر (2000, p. 123) فالعِمارة والعُمران فرع من فروع علم الجمال، وليس من علم الأخلاق، وأمست من منظور دراسة الأخلاق تنسحب على المِعماريين أنفسهم، وليس على مُنتجاتهم، وعلى التصرفات وليس على صفات المباني.

أما على مستوى الممارسة فيحيا المِعماريون اليوم ويعملون حسب معتقدات توم سبيكتور (2001, p. IX) في مهنة فعالة وإنما ضعيفة، فالمهنة تفتقر اليوم وحسب رأيه لهيمنة أخلاق التصميم. وعن أدبية وارويك فوكس *الأخلاق والبيئة المشيدة* ننقل الفئات الست الكبرى للأخلاق في مجال اختصاص العِمارة والعُمران، وهي: الأشكال الأساسية للسلوك المهني، والتأثير المادي للمُنتج في الممارسة المعمارية، والتأثير النفسي للمبنى على الأشخاص، الذين لديهم اتصال مباشر معها، مما يمكن أن نسميه التناسب الثقافي أو صدى الرمزية، والتأثير المادي على البيئة، وما يمكن أن نسميه تصميم بناء مناسب أو صالح.

ثلاث حركات فكرية

يظل هناك عدم وضوح حول حقيقة العلاقة بين العِمارة والعُمران والأخلاق، ويقدم هذا الفاصل بعض المراجعات الفكرية لثلاث حركات للعِمارة والعُمران الأولى والثانية منها حركتى الحداثة وما–بعد الحداثة متتبعين آراء تشارلز چينكس، ومن ثم ما جمعناه عن بعض الآراء عن الحركة الثالثة فى مدرسة الوحشية. ولعل نقد هذه الحركات يمكنه أن يقدم بعض الإشارات حول ماهية تلك العلاقة. فبدت الانتقادات كافة في كثير من الأحيان على أنها تمسن موضوع الأخلاق بشكل غير مباشر في نقد الحداثة، وبشكل مباشر في ما–بعد الحداثة والوحشية الجديدة.

1. حركة الحداثة

ظهرت عِمارة وعُمران الحداثة، في البداية، مفترضة إمكانة وجود هوية جيدة، تبقى في المكان على مر الزمان، وقد أعلن تشارلز چينكس (1977, p. 9) وفاتها في سانت لويس بولاية ميسوري في 15 يوليو 1972، في الساعة 3.32 بعد الظهر (أو هناك)، حينما أعطيت الضربة القاضية التي تهدف إلى إنهاء معاناة مخلوق جريح بواسطة الديناميت لنموذج بروت–إجوي سيئ السمعة. ويبقى السؤال هنا: هل كانت حركة عِمارة وعُمران حركة الحداثة التي ملأت الدنيا بأعمال رواد عِظام حركة تُعتبر غير أخلاقية أم أن المسألة محض وجهات نظر تتعلق بالعمل المِعماري والعُمراني من الناحية الفنية؟

– فعلى الرغم من أن بروت–إجوي باعتباره مُجتمعًا سكنيًا حداثيًا قد نال جائزة المعهد الأمريكي للمِعماريين عند تصميمه في العام 1951 فإن تشارلز چينكس (1977, p. 9) كان قد نعى الحداثة، حين كتب ساخرًا عن أن هذا المجمع السكني العام – والذي بُني

ليكون دائمًا في مواجهة المشكلات المجتمعية – أدى إلى ارتفاع نسبة الجريمة فيه مقارنة بغيره من الأبنية السكنية، التي لم تُشيد تحت مظلة الحداثة، فهذا المبنى قد تعرض مرارًا للتخريب، رغم أن الهدف من بنائه كان بقصد ترسيخ قيم محددة عند شاغليه، عن طريق مفهوم القدوة الحسنة؛ الأمر الذي كان من وجهة نظر چينكس يتعارض مع ذلك الطراز المِعماري العُمراني؛ لأن تلك الأفكار الساذجة المأخوذة من فلسفات التعقل والسلوك والسببية كانت حسب معتقداته لاتعقلية، شأنها شأن الفلسفة ذاتها.

– في حين أعلنت أدا لويس هاكستبل (1981, p. 17) عن موت الحداثة المِعمارية العُمرانية، التي كانت سائدة في حقبة عشرينيات الألفية الثانية، والتي كانت قد جاءت بمعرفة أساطين رواد العِمارة والعُمران، وبالتزامن مع انتهاء حقبة الأساتذة من مثل فرانك لويد رايت وميس ڤان در روا ولوكوربوزييه. لقد دمُرت الحداثة الثقافة المحلية، حسب ما ذكر تشارلز چينكيس (1987, p. 29)، وكان هذا التدمير كنتيجة لتأثير أربع قوى مشتركة، هي: العقلنة والبيروقراطية والتنمية التي كانت على نطاق واسع، والطراز الدولي الحديث. كما أخفقت عِمارة وعُمران الحداثة (Jencks, 1987, p. 33) من وجهة نظره، في كونها أسلوبًا للتشييد، أو من أجل عِمارة وعُمران المدن؛ لعدم قدرتها على خلق عِمارة وعُمران، تتواصل مع المستعملين والجمهور في سياق المدينة والتاريخ.

– وهكذا يرى تشارلز چينكيس (1987, 37) أن عِمارة وعُمران الحداثة على مستوى الإسكان الشامل وبناء المدن بوجه خاص قد أخفقت في التواصل مع ساكنيها ومُستخدميها. فهؤلاء الذين نبني لهم، من وجهة نظره، لا يعنيهم الطراز، كما أنهم حتى قد لا يفهمون معنى طراز، وربما أيضًا لا يدرون حَتَّى كيف سيتعلمونه.

– فعِمارة وعُمران الحداثة هي الطراز الدولي العالمي، والذي ينبع من حقائق وسائل البناء الجديدة، الكافية لمجتمع صناعي جديد هدفه التحول عبر المجتمع في مذاقه والتركيب الاجتماعي على حد سواء، وهو يرى أن الحداثة في العِمارة والعُمران قد عززت أيديولوجية التصنيع والتقدم، والحداثة (1987, p. 45). الأكثر من ذلك، تبدو الحداثة حسب چينكس (1992, p. 43) تقدمية في العِمارة والعُمران ولكنها رجعية في الاختصاصات الأخرى.

– ويُشير إيلي حداد (2009, p. 497) لما ذكره چينكس عن الأهداف الاجتماعية للحركة الحديثة، والتي تم اختراقها بواسطة المصالح التجارية، وها هنا تم تفريغ أشكالها من

المحتوى الأصلي. حيث يُشير چينكس إلى أن المحاولات البطولية التي قام بها الحداثيون لإنشاء لغة عالمية تعبر عن أهداف اجتماعية أكبر وتفضي إلى تحقيق أهداف اجتماعية أكبر قد باءت بالفشل.

2. *حركة ما- بعد الحداثة*

تُعد مُنتجات البناء لعِمارة وعُمران حركة ما–بعد الحداثة حسب اعتقاد تشارلز چينكس (1977, p. 70) صور تمتلك شفرات مِعمارية عُمرانية تقليدية وحديثة وتقييمها، يكون من الأفراد والنخبة وفق فهم نظرة كُلّ منهم لها؛ فكُل منهم يفهمها وفق تجربته ودرجة اختصاصه.

– فحسب چينكيس، تتسم عمارة وعمران ما–بعد الحداثة بالترميز المزدوج، ومعناه وجود صورتين أو أكثر أو وجهات نظر معبر عنها في نص أو أي عمل فني آخر. ويعتقد چينكيس (1986, p. 7) أن أفضل أعمال ما–بعد الحداثة هو تركيزها على سمتي الترميز المزدوج والسخرية. وهو يرى (1986, 19) أن واحدة من الآثار المترتبة عنها بين أشياء أخرى أن على المِعماري تجاوز تشفير مبانيه، مُستخدمًا علامات واستعارات شعبية، وإن كان يريد لعمله التواصل على النحو المنشود والبقاء مدى الحياة، فعليه تغيير شفراته؛ فالترميز المزدوج حسب چينكيس (1992, p. 13) هو استراتيجية لتأكيد وإنكار هياكل السلطة القائمة في الوقت نفسه، وإدراج الأذواق المختلفة والأشكال المقابلة للخطاب الفكري. وقد قصد چينكيس أنه في الغالب ما تتجاهل تلك العِمارة والعُمران ذوي الخبرة، أو أنها متحيزة للنوايا والمزاج–على العكس مما يُفترض أن تكون عليه أي عِمارة وعُمران في أن تتمثل تجربة مقطوعة موسيقية متجانسة (سيمفونية) أو عمل فني.

– ونقلاً عن نان إيلين (1999, p. 110)، يشرح فيليب جونسون (1978) الذي ذكره جولدبرجر (1983) عن أننا اليوم، ونحن في نهاية الحداثة، نقف في نقطة تحول كما عرفناها، فاليوم لدينا مواقف جديدة وتعددية جديدة واعتقاد جديد في كثير من التيارات المتدفقة في آنٍ واحد؛ مُتعللاً بأن اليوم لا توجد يقينية، إنما نحن في حاجة إلى رغبة جديدة لاستخدام التاريخ والرموز، فلا نريد لكُلّ شيء أن يبدو، وكأنه صندوق زجاجي بعد الآن.

– وفي نقلة نوعية نعت أدولف لوس (1908)–وهو ممن يُطلقون على أنفسهم نقائيين– الزخرفة بأنها تُعد جريمة أخلاقية: ووصفها بأنها من سمات الهمجية والكبت الآثم

(1988). وحسب جيمينا كاناليس وأندرو هيرشر (2005, p. 236) أول صرخة معركة ضد الزخرفة ظهرت في واحدة من سلسلة من المقالات المكتوبة بمناسبة معرض فيينا اليوبيل في العام 1898 بعنوان "السيارة الفاخرة."

3. حركة الوحشية

يحاول هذا الفاصل باختصار تتبع موضوع الأخلاق في العِمارة والعُمران، من خلال حركة الوحشية، وهي مدرسة واتجاه فني لايهتمان بالمضمون، وإنما يقصدان أن تدعي في الظاهر الصدق والبعد عن الزيف والتكلف خلال التركيز على القيم الأخلاقية الرفيعة. ويكون الاهتمام الشكلي مُنصبًا على توفير المتعة البصرية للمُشاهد بشكل نابع من تحقيق الإشراق والتألق، ويبقى اهتمام الحركة قاصدًا المعالجة الفنية بألوان صارخة وصاخبة وطفولية وعفوية بسيطة، وكان متبعوها يستعينون أيضًا بالألوان المتنافرة من منطلق الرغبة في تحقيق تكوين تشكيلي عفوي، مركب من مجموعة عناصر متنوعة، مع إظهارها من خلال ألوان صاخبة صافية ذات تضاد قوي.

– انتقلت حركة الوحشية دون ترتيب إلى بريطانيا وصارت معروفة بمذهب عِمارة وعُمران الوحشية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وفي منتصف القرن العشرين كحركة فكرية أوربية، وليست طريقة تصميم–استمرت ما بين 1970-1950–مناهضة لأعمال مِعماريين ما–بعد الحرب.

– ونقلاً عن ألكسندر كليمينت (2011, p. 7) أشار هانز أسبلاند إلى أن هذا المُصطلح قد صُك في العام 1950 في سياق وصف أعمال زملائه بينجت إدمان ولينارت هولم. حيث جاء حسب جوليا جاتلي وستيوارت كينج (2016, p. 149) مشتقًا من الكلمة الفرنسية خرسانة خام be´ton brut كمفتاح أصولي لحركة الوحشية الجديدة.

– استُخدمت الكلمة بمعرفة أليسون وبيتر سميثسون (1953, p. 342)، لوصف سكنهم الخاص في تشيلسي فضلاً عن مبناهم السكني في حي سوهو في لندن، كما جاء في مقالهم المنشور في دورية التصميم المِعماري في ديسمبر من العام 1953، أن المبنى مصمم ليكون عبارة عن مزيج من المأوى والبيئة، فضلاً عن أن يكون هيكله مكشوفًا كليًا دون تشطيبات داخلية كلما كان ذلك متاحًا.

– أصبح العام 1955 كما ذكر ستيف بارنيل (2011, p. 51) عامًّا رئيسًا للوحشية الجديدة في العِمارة والعُمران، والتي استمرت حتى عمل بانم الرائع والمعنون *الوحشية الجديدة:*

"أخلاق أم جمال"، والذي يوثق للحركة في العام 1966 بمجرد أن انتهت صلاحيتها. وتركزت أهم سمات الحركة في استخدام الخرسانة الخام بطبيعتها، دون إضافة أيّ تشطيبات أو دهانات خارجية، وجاءت في مواجهة عِمارة وعُمران مكعب الوظيفيين الأبيض، الذي يُعد من أبطال ما قبل الحركة الحديثة، حين يُطلى الطوب بطلاء أبيض ليتبين المبنى، كأنه آلة بسطح من الخرسانة. والسبب الذي جعل الوحشيين يفعلون ذلك، كان رغبتهم في إظهار أنهم أمناء وصادقون مع أسطح المواد بترك الطوب دون دهان أو جلي، ويبقى سطح الخرسانة مكشوفًا أو معرضًا للرؤية، فتترك السطوح ظاهرة مع عدم ملء فواصل ما بين مواد البناء.

– كما كتب ستيف بارنيل، حسب الوحشيين، إن الأخلاق هي الصدق في المواد والبنية: الهيكل والإنشاء – وتظهر ما تم بناؤه وكيف تم هذا البناء. تلك الجماليات جاءت بالتزامن مع معرض الحياة والفن وبروت الفن حسب چان دوبوفيت. كما أن تسخير تلك الصفات البصرية [من الحبيبات والجلاء والقتامة] – حسب استعارة بارنيل عن رؤية بانم – بأنه كان لتعزيز أثار الحالة، التي استهزأت بالتوافقات الإنسانية للجمال؛ من أجل التشديد على العنف والتشويه والغموض وكمية محددة من "الفكاهة السوداء"؛ لكي يُصبح الابتكار التخريبي حاضرًا.

– وحملت حركة الوحشية الجديدة في العام 1955 حسب رينر بانم (1997, p. 11) ثلاث مزايا هي: تعبيرًا نقيًا للبناء واستعمال صريح للمواد وتُقيم المواد على حالها. مؤكدًا بانم (1966, p. 134) من منظور أخلاقي أن الوحشية الجديدة تعد حركة لم تخترق الإطار الجمالي المرجعي.

– ويُشير ألكسندر كليمينت (2011, p. 7) إلى أنه مُصطلح يصف نمطًا محددًا من عِمارة وعُمران الحداثيين وله أصل غير محدد. ويرى كليمينت أن لوكوربوزييه–الأب لعِمارة الحداثة من أهم معماريها، وهو أيضًا الأب لعِمارة وعُمران الوحشية–، ومعه لويس كان وپول رودلف وألفار آلتو وكينزو تانجي، ومن أشهر أعمالهم: كنيسة رونشان، فرنسا (1950-1954) ووحدة السكن في مارسيليا، (1952) من تصميم لوكوربوزييه؛ ومشروع الممر الذهبي (1952) ومبنى هونستانتون نورفولك (1954) في لندن من تصميم أليسون سميشون وبيتر سميشون؛ وكنيسة الصلبان الثلاثة، والكنيسة اللوثرية في ڤوكسنيسكا، إيماترا، فنلندا من تصميم ألفار آلتو (1958)؛ ياماناشي مركز الإذاعة والصحافة في كوفو، اليابان بمعرفة كينزو تانجي (1969)؛ ومركز ييل للفن الإنجليزي من تصميم لويس كان (1974).

وهنا يُثار التساؤل الأهم، الذي يتمحور حول: هل يمكن الحكم على مدى صدق عِمارة وعمران الوحشية من عدمه، من منظور أخلاقي، عبر متابعة أهم السمات الحاكمة لها كما يُبينها [الجدول 3].

جدول 3: حركة عِمارة وعُمران الوحشية الجديدة.

(Clement, 2011, p. 7) (Samuel, 2007, p. 47) (Collins, 2004, p. 344) (Banham, The New Brutalism: Ethic or Aesthetic?, 1966, p. 357) (Webster, 1997, p. 142)

عِمارة وعُمران	السمات والخصائص	السمات والخصائص [المعلقين الغربيين]	
كتلة المبنى الرئيسة	أن يتضح الثقل النسبي للمبنى، وتتكون من أحجام هندسية مترابطة مع بعضها كليًا بشكل متوازن ومتداخلة بشكل فني ومثير عاطفيًا.	متميزة واستثنائية ومثيرة، وبالمثل كأي شكل من أشكال العمارة التي بانت قبلها، فهي قابلة لتوليد العواطف المتطرفة والجدل المحتدم.	رينار بانم
التشكيل	يُبرز التضاد.	قررت أن أصنع الجمال من التناقض، وسوف أجد تتمته وإرسائه باللعب بين الفظاظة والجودة والدقة والمصادفة.	لوكوربوزييه عن فلورا صمويل
المخطط المرسوم	إمكانية وسهولة القراءة.	ليس من ثمة لغز، كما أنه لا توجد رومانسية، وليس هناك غموض حول الوظيفة والمسارات	رينار بانم
مواد البناء	الإظهار بشكل واضح وصريح.	يمكن للمرء أن يرى مما كان قد صنع هونستانتون بل وكيف يعمل، وليس عن أن ثمة ملاحظات أخرى يمكن معرفتها عدا لعب الفضاءات.	
		ليست معنية بالصدق وبناء المواد ولكنها جاءت على أساس برنامج اجتماعي كما وجدت ملتزمة بخلق عمارة ذات صلة اقتصاديًا وبيئيًا وثقافيًا.	قاموس وبستر
السطوح	إظهار الصفات البصرية الكلية التي ما زالت تحمل بصمة دقيقة للإطار الخشبي الذي صُبت فيه.	انتهاء المشكلات باستخدام التقنية الحديثة فلم تعد الصورة البصرية الكئيبة التي كانت تصنعها ألواح الخشب القديم في صب الخرسانة.	بيتر كولينز 2004

عِمارة وعُمران	السمات والخصائص	السمات والخصائص [المعلقين الغربيين]	
أنظمة إنشائية	جداريات حاملة وأشكال معمارية توحي بثقل وزن المبنى.	قاعة مدينة بوسطن، ماساتشوستس 1968.	كالمان وماكينيل ونولز 1968
فتحات	أشكال غير مألوفة موضوعة بشكل عشوائي غير مرتب.		
الوظيفة	مخفية خلف الشكل والمعالجة.		
الدواخل	ذات زوايا حادة ومنفرجة.		

ويبقى السؤال: هل ما حصل في السابق، وأفرز معه حركة الوحشية الجديدة، وبعد حل مشكلات التقنية والممارسة العملية وانتهاء صلاحيتها، يُثبت أن توجه الحداثيين القدماء كان أكثر صدقًا من توجهات مِعماريي اليوم؟ والحديث هنا تحديدًا عن تلك الأبنية التي تُغطيها الدهانات والطلاءات والتركيبات، التي تكاد تخفي ليس فحسب مواد البناء وطريقة الإنشاء، وإنما أيضًا تخفي التعبير الوظيفي للبناء وشكله العام.

تساؤلات وحوارات

فماذا إذًا عن حركة العِمارة والعُمران الجلدية، التي تخفي البناء كليًا وراء غطاء؟ وماذا عن عِمارة وعُمران سيادة المرئيات، والتي كانت بدايتها في ثلاثينيات القرن الفائت، وبانت في حركة الحداثة وحركة الحداثة المتأخرة وحركة ما–بعد الحداثة، وحركة ما– بعد بعد– الحداثة أو حركة التفكيكية؟ مع الأخذ في الاعتبار أن عِمارة وعُمران سيادة المرئيات غايتها دعم الجمال والتفرد، مع فرد مساحة للخيال عند مُبتكريها اعتمادًا على أفكارهم المُبتكرة، إنما لم يأت أحد ليقول إنه يُمكن تصنيفها؛ باعتبارها عِمارة وعُمران أخلاقية. فعلى سبيل المثال: هل يمكن القول بأن العِمارة والعُمران، والتي صُنعت بالفعل لتُظهر الإنشاء هي عِمارة وعمران أخلاقية، في حين أن التي تخفيه تفتقر إلى الأخلاق؟ وهل يُمكن القول بأن العِمارة والعُمران التي تتبنى مبدأ: الشكل يتبع الوظيفة، والتي صكّها هوراشيو جرينوه في حقبة الحداثة والتصميم الصناعي في مدرسة الباوهاوس، ومن بعده لويس سوليفان: مبدأ الشكل أبدًا لا يتبع الوظيفة هي عِمارة وعُمران تبدو أخلاقية؟ وهل مبدأ الشكل يتبع التدفق، والتي

صكها فان در رين تخلق عِمارة وعُمران غير أخلاقية؟ أو هل ما كتبه فرانك لويد رايت عن أن مبدأ الشكل يتبع الوظيفة، كان ذلك يعد سوء فهم، فالشكل والوظيفة شيء واحد، امتزجا في رباط روحي، ومن ثم يعد هذا المبدأ غير أخلاقي أيضًا؟

وماذا عن ما كتبه فيليب چونسون عن مبدأ الشكل دائمًا يتبع الشكل وليس الوظيفة؟ مع الأخذ في الحسبان الشعار الجامع للعلاقة بين كُلّ من الشكل والعاطفة، بدلاً من العلاقة بين الشكل والوظيفة، والذي قد صاغه هارتموت إسلينجر (2014) عن أن الشكل لا يتبع الوظيفة، وإنما أنه يتبع مبدأ الشكل يتبع العاطفة.

وفي هذا السياق، يمكن التعامل مع مبدأين متناقضين، أطلق أولهما ميس ڤان در روا: مبدأ الأقل هو الأكثر، وثانيهما لروبرت ڤنتوري مبدأ الأقل هو المُمل؛ حيث تبدو تلك المسألة في مجال البحث العلمي معضلة، فأيهما يمكن وصف المبنى لِتُشير أنه تابع للأخلاق، هل تحقيق الزهد والتقشف عبر البساطة؟ أم أن البساطة التي تسبب الملل هي عمل غير أخلاقي، أم أن كليهما في الواقع لا يتعلق بفعلة أخلاقية؟ وثمة تصنيف أخلاقي آخر، يمكن أخذه في الحسبان، ويبدو أن له علاقة بمسألة الأخلاق متعلق بموضوع عِمارة وعُمران أخلاقية، وأخرى عِمارة وعُمران غير أخلاقية. إن ذلك الموضوع هو من قبيل التفرقة بين عِمارة وعُمران، تُحقق أبعاد تلبية احتياجات مستعملين بعينهم، وأخرى لا تُحقق ذلك، كما أن تلك العِمارة والعُمران قد تأتي أحيانًا غير ملائمة لثقافة مجتمع بعينه، فتُفقده هويته وشخصيته، وأحيانًا أخرى قد تأتي لِتُدعم هويته وشخصيته.

ولعل مراجعة سريعة لبعض أنماط العِمارة والعُمران خلال أعمال رواد، في هذا المجال، يُمكن أن تُدلل على أن هذا التوجه الناعت العِمارة بأنها أخلاقية أم غير أخلاقية قد يكون صحيحًا مرّة، كما أنه قد يكون غير صحيح مرّات أخرى كثيرة، كما نتابع فى الأمثلة التالية: أ) عِمارة وعُمران تعبيرية أوربية اكسبريشناليزم (1903-1925) المبنى كمجسم، إيريك ميندیلسون فى ألمانيا وجاودي فى إسبانيا؛ ب) عِمارة وعُمران تعبيرية جديدة نيو اكسبريشناليزم (1964-1975)؛ الإنشاء هو المحقق لاستمرارية التشكيل، ألفار آلتو. ج) عِمارة وعُمران تكعيبية جديدة كيوبيزم (1912) الحقيقة مختبئة وراء الهيئة، چوزيف جوكار وإميل كراليسك وفرانك لويد رايت.

ومن ثم ينبغي إدراج النقاش السابق عن العلاقة بين العِمارة والعُمران والأخلاق ضمن ثوابت أي عمل مِعماري عُمراني، بل والقول إنه حوار تابع لمدى أمانة المِعماري في تنفيذ

متطلبات مجتمعه لتحقيق حياة أفضل. أما المتغيرات، والتي لا يمكن محاسبة المِعماري على أنه اتبعها من الناحية الأخلاقية البحتة، فسوف تكون تابعة لاختياره للنماذج الفكرية مثل: النظريات والمدارس والتيارات والاتجاهات، ويرى هو دون غيره أنها تتلاءم الآن، مع ما يريد تقديمه من أعمال. ولذلك، فإن المعايير الأخلاقية تفيد بأن على المِعماري – في المقام الأول – أن يكون وفيًّا لتعريفات العِمارة والعُمران عن المنفعة والمتانة والجمال والاقتصاد، وليس في اختيار النموذج الفكري الملائم، وهذا أيضًا ما أشار له بيتر أيزنمان (1988, p. 570) من أن مسعى ماركس ڤيتروڤيوس بوليو عن المنفعة والمتانة والجمال لا يزال كامنًا في جذور المفهوم الحالي للعِمارة والعُمران. وقد اعتبر ڤيتروڤيوس (1999, p. 13) في بيانه المكتوب أن العِمارة والعِمارة نشاط عقلي وروحي وطريقة في العمل، وأسلوب للبناء بتفكير ومنطق؛ ومُعتمدًا النظام والترتيب والتناغم والتناسب والاستقامة والاقتصاد.

وهكذا، يبدو الطرح السابق بديهيًّا إلى حد كبير؛ فالكُلّ يعلم–أو لعله ينبغي أن يعلم – الآثار المادية والنفسية والمجتمعية الثقافية والبيئة والطبيعية من البناء على مستعملي البناء، إنما المسألة التي تدور حول أن احترام ذلك الشيء من عدمه يُعد مُخالفة أخلاقية، ينبغي أن يُعاقب عليها القانون، فإن ذلك لعله يشكل ضربًا من المستحيلات. أما العقاب الأخلاقي هنا فجل تركيزه كان – أو لعله تركز – على الالتزام الموكل به المعماري تجاه موكله أو صاحب العمل.

أما النظر في أنه ينبغي سن عقاب قانوني تجاه مخالفة المِعماري في مبناه آداب المهنة من الناحية الشكلية أو المنهجية، فهذا أمر يصعُب إلى حد كبير إدراجه تحت مسائل قانونية. وإنما جاء على مرّ التاريخ، وباختلاف المجتمعات والثقافات، كان ولايزال هذا الأمر في غالب الأحوال متروكًا لضمير المِعماري، ويمكن أن يتعدى ذلك لأهواء المِعماري، وأحيانًا قد يكون عائدًا إلى التركيب النفسي والشخصي للمِعماري في بيئة محددة، ذات ثقافات محددة. فضلاً أن تلك الأمور الأخلاقية من الصعوبة بمكان تحديد إن كانت مقصودة، أم هي ناتج ضعف فكري لمِعماري بعينه، أو لعلها ناتج ضعف جيل كامل من المِعمارين؛ نتيجة لحال التعليم أو قلة التربية أو الثقافة.

كيف يمكن القول بأن انتهاك القوانين ذات الصلة وإضافة الطوابق السكنية لزيادة ارتفاع المباني هو خرق أخلاقي؟ ربما ينظر المرء إلى هذه القضية على أنها انتهاك؛ لأن المالك مع هذه الطوابق الإضافية تسبب في تغيير النمط المتجانس وشخصية المكان. وفي

الوقت نفسه، وعلى النقيض من ذلك، يرى آخر أن المالك بفعلته قد أضاف قيمة اقتصادية له، فضلاً عن حله لمشكلة الحاجة إلى السكن، حتى وإن كان هذا يتنافى مع القانون، فهناك خلاف بين المهندسين المعماريين.

فكيف يُمكن الحكم على أخلاق أيّ مِعماري بأنه استمد لمبناه شخصية أو لمدينته هوية لا تتلاءم مع شخصية السياق الطبيعي أو المجتمعي، الذي يبني فيه؟ وكيف يُمكن تقدير أن هذا المِعماري عبث بأخلاق المبنى حين تجاهل استخدام نظرية بعينها، أو أنه فضل عنها نظرية أخرى في سياق آخر، أو حَتَّى أنه كان قد ابتكر نظرية جديدة، وباتت لم تعد تتناسب مع الزمن؟ كيف نتهم مِعماري بعينه لأنه خالف الأخلاق الحميدة باختياره نظرية التفكيكية، على سبيل المثال، في مبناه وتجاهل نظرية الوظيفية أو نظرية العضوية؟ وكيف يُمكن الحكم أيضًا على أن هذا المِعماري أو غيره بأنه أو أنهم ليس لديه أو لديهم أخلاق؛ لأنه أو لأنهم لم يتبع أو لم يتبعوا طريقة جديدة في البناء قد تحقق أيّ منفعة، وأنه هو أو هم قد استخدم أو استخدموا طريقة أخرى منفعتها أقل؟ وبالتالي، ورغم أن البعد الأخلاقي يمكن قياسه ظاهريًا واتخاذ قرار سريع بأن كل ما سبق هو انتهاك أخلاقي، فإن هذه المسألة في مجال العِمارة والعُمران مُعقدة؛ حيث تتشابك هذه المبادئ؛ فإن قلنا: إن ثمة ثوابت ومتغيرات يمكن التعامل معها من منظور الجماليات إذًا، فتلك المبادئ أصبحت تعتمد على وجهات نظر، وإن عدنا فقلنا: إن ثمة أبعادًا أخرى، يمكن الحكم عليها بمعايير كمية، يمكن قياسها، مثل: خفض التكلفة وتوفير الطاقة وتوفير المساحات الدُنيا، أو أن هناك قيمًا إنسانية، ينبغي الاسترشاد بها لأنها تلتزم بالثوابت التراثية أو تتلاءم معها، فإن فكرة القول بأن تلك المخالفات ذات العلاقة بالقيم الإنسانية–والتي لها علاقة بأفكار البناء– تُعد أخلاقية أم غير أخلاقية تظل بحاجة لإعادة نظر من منظور القيمة.

ماهية القيمة حول المفاهيم والدلالات

يُستخدم مفهوم القيمة في مجال اختصاص العِمارة والعُمران ارتكازًا على محورين: أ) التعامل مع القيم من منطلق كونها تشير إلى مفهوم عام، ارتبطت محدداته بمخرجات مجالات العلوم الفلسفية والدينية والمجتمعية والاقتصادية والنفسية وعلوم الإنسان كافة. ب) طرح إمكانات التعامل مع القيم، كمفهوم شديد الخصوصية، يتلاءم مع المجال المِعماري العُمراني في حيز محدداته المكانية والزمنية؛ فالقيمة ذات علاقة بتقدير الشيء وتثمينه والقيام مقامه وتقويمه، كما جاءت عند بعض المنظرين العرب، مثل: ابن منظور والفيروز آبادي وابن

فارس والراغب الأصفهاني. أما القيمة في الاصطلاح فجاءت حسب ناثان .pp ,1981) (1025-1026 في قاموسه الموسوعي للتعليم والتدريب الصادر في باريس والمنشور في العام 1981، باعتبارها بناءً على تقدير معين، هي: السمة المميزة لخاصية شخص أو شيء في حد ذاتهما؛ خاصية شخص أو شيء بالنظر إلى تجسيد قيمة معينة. وتبقى القيم دائمًا من ضمن العناصر المشاركة لتحقيق منفعة مجتمعية عامة، كما أنها معايير يستخدمها عامة الناس لتقييم الأفعال والناس والأحداث. وأشار إلى تعريفاتها علماء الاجتماع، مثل: ماكس شيلر وكلايد كلوكهون وروبن وليامز وميلتون روكيتش فيما بين الأعوام 1969– 1979. وكتب عنها المفكرون المعاصرون مثل: ناجارازن (2006) وكريستين ميلاني فوكلير (2009) وموهان ديبارما (2014)، ويمكن تتبع تعريفات القيم الإنسانية في الفكر الغربي المعاصر حسب [الجدول 4].

جدول 4: القيم الإنسانية في الفكر الغربي المعاصر(1028 – 2014)

(Kluckhohn, 1951, p. 395) (Rokeach, 1969, p. 3) (M.Williams, 1979, pp. 15-46) (Zavalloni, 1980, p. 74) (Naagarazan, 2006, p. 2 and 3) (Vauclair, 2009, pp. 62-63, 65) (Debbarma, 2014, pp. 181-183, 187) (رزفيبر 2001، 6)

التاريخ	الرواد	السمات	أمثلة
قبل 1928	ماكس شيلر	مبدأ إرشادي	الأمانة
		قيمة نوعية	الثبات
		قيمة فنية أو نقدية	شيء محدد
		هدف	السعادة
1951	كلايد كلوكهون	مفهوم ضمني أو صريح	سمات فرد أو جماعة
			تحديد تأثيرات الأوضاع والوسائل ونهايات الفعل المتاحة
1961	ميلتون روكيتش	القدرة على توحيد المصالح المتنوعة	في جميع العلوم المعنية بسلوك البشر
1979	روبن وليامز	توجهات انتقائية.	المصلحة والسرور والّعجاب والتفضيلات والواجبات والالتزامات الأخلاقية والرغبات والحاجات والمتطلبات والإعراض أو الكراهية والنفور والمفاتن ومواطن الجاذبية.
1980	جيرت هوفستد	لبنات ثقافة أساسية.	لشرح الاختلافات الثقافية.
	زافالوني	له دلالات عديدة متباينة.	

التاريخ	الرواد	السمات	أمثلة
1990	بشتانوفسكس	معايير: أوامر وتوصيات مبنية على قواعد معرفة مُسبقة تضبط بعض جوانب الانفعال.	قل الحقيقة، لا تحسد، واعتن بالوالدين.
		مبادئ: مُتطلبات أخلاقية أعم تتعلق بكُلّ خط انفعال الإنسان، وتلتحم بوعيه الأخلاقي وصفاته.	العدالة المجتمعية والوطنية.
2001	جان بول ريسيفير	مُعتقدات وقناعات.	موضوع سيكولوجي: إنسان وحدث وسلوك أو شيء.
			توجيه رغبات المرء واتجاهاته نحو موضوعات سيكولوجية، والتي تُحدد طبيعة سلوكه تجاهها: القبول والرفض واللامبالاة والتعاطف والتحامل.
2006	ناجارازن	مبادئ توجيهية.	تعزيز الرفاه والصالح أو يمنع الضرر.
			نموذج فكري حول ما هو مقبول.
		مُعتقدات عاطفية.	مُنتسبة للتجارب وتوجه الخيارات والقرارات والأفعال.
		مقاييس.	لوزن الخيارات.
2009	كريستين ميلاني فوكلير	مبادئ موجهة.	تُصيغ وتُشكل حياة الأفراد.
		أهداف مُحفزة.	تحدد ما هو المفيد وما هو الضار بالنسبة للمجتمع.
		مفهوم.	تبحث عن المرغوب.
		أهداف ظرفية.	وتُناقش المرغوب فيها.
2003	موهان ديبارما	صفات ومعتقدات.	يتم تقسيمها داخل مُجتمع مُحدد.
		ثوابت أخلاقية.	توجه السلوك الإنساني في المجتمع.
		مفهوم مركزي.	في العلوم الاجتماعية.

بيد أن لفظة القيم كمصطلح لم تظهر كمباحث مستقلة فى مجال العلوم الإسلامية، وحسب محمد الكتاني (2004) وسيف عبد الفتاح (2007) خالد الصمدي (2008) وفتحي حسن ملكاوى (2008) ينظر إلى القيم باعتبارها معايير ثابتة حاكمة تتخلل كُلّ أنماط النشاط الفكري والمادي للإنسان، في حين ارتبطت القيم بعملية العُمران في التاريخ العربي القديم، على مستوى المدن، فظهرت فكرة المدن الفاضلة عند الفارابي، وظهرت عند العلامة

ابن خلدون فى مقدمته. وبقدر ما تعبر مبادئ القيم عن الانفعال الفردي والمجتمعى، إذا تم رصدها على مستوى الأحداث والأنشطة، فإنها تعبر كذلك عن سمات النتاجات البنائية للعِمارة والعُمران، إذا ما تم رصدها على المستوى البنائي. وهكذا، فمبادئ القيم يمكن أن تعمل باعتبارها معايير مِعمارية عُمرانية، وأن مجمل المعايير والمبادئ يكونان معًا الوعي الأخلاقى؛ فمبادئ القيم هى ضوابط مجتمعية وأطر لبلورة التوجهات وتقديم التوصيات، التى ينبغى اتباعها، عند التعرض للبناء من منظور علاقته بالقيم المُجتمعية، سواءً أكان ذلك فى مراحل مراجعة وتقويم النتاج المبنى القائم أم فى مراحل وضع الأسس، لما ينبغى أن يكون عليه النتاج الجديد. ويمكن تتبع تعريفات القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي المُعاصر حسب [الجدول 5].

جدول 5: القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي العربي المُعاصر

(عمارة بلا تاريخ) (الكتاني 2004، 45) (الصمدي، القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر 2008) (المانع 2013، 24) (بن حميد 2013).

التاريخ	الرواد	ماهية القيمة	أمثلة
1990	محمد عِمارة	مسألة دينية خلقية مُستمدة من التكليف الإلهي والوحي الديني والرسالة السماوية.	ترتبط قيمة الجمال في الغرب بالغريزة، وإنما ترتبط في الإسلام بالكمال
		روح سارية في جوانب الفكر وفي أنماط الانفعال، وتميز العلم النافع.	
		تُمثل مقاصد فقه المعاملات، وتمثل محور مُباشر لانفعال وتفكير الإنسان.	
		معايير ثابتة وخالدة تجمع بين حقوق الإنسان وحقوق الله وتوازن بين المادة والروح.	
2004	محمد الكتاني	منظومة متكاملة صادرة عن خالق هذا الكون والمُتصرف فيه بحكمته، وذات علاقة عضوية بين أجزائها، ولها آليات يحرك كُلّ منها الآخر.	محكومة على المستوى المنهجي بقانون التفاعل بين أجزائها.
2007	سيف عبد الفتاح	رؤية معرفية ومنهج بحث ونظر وأدوات تعامل وتناول، وهي ضوابط سعي وسلوك.	
2008	خالد الصمدي	القيم فطرة ربانية وترسخ مفهوم الاستخلاف.	
		خلاصة شريعة نزلت حسب الوقائع والأحداث مُستجيبة لمُشكلات الناس.	
		مُنفتحة على سائر الأمم والشعوب ينهلون منها، فتقوم سلوكياتهم وتُعدل من اتجاهاتهم.	

	فتحي حسن ملكاوي	ثلاثية التوحيد والتزكية والعُمران وهي منظومة للقيم العُليا.	الرؤية الإسلامية للعالم، وتُشتق منها سائر القيم.
2013	مانع بن محمد المانع	القيم مُتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل عند المُسلم.	البر والأمانة والصدق والأخوة والتعاون والوفاء والصبر والحياء والنصحوالرحمة والصبر والحوار واحترام الآخر.

خاتمة

يُمكن القول أن المؤلف قد قدم في محاولة سابقة ترتيبًا لبعض مبادئ القيم وفق خمس علاقات أساسية تعبر عن العلاقة بين الإنسان والعِمارة والعُمران كالتالي: أولاً: مبادئ حول العلاقة بين الإنسان والمكان: الإدراك الحسي والبساطة والتركيب/المقياس الإنساني والتكيفية بين الإنسان والمكان. ثانيًا: مبادئ حول العلاقة بين الإنسان والمجتمع: المعاملات والعلاقات الإنسانية، المجتمعية والعائلية مقابل الفردية والاستقلال، المكانة المجتمعية الثقافية والاقتصادية ومكانة المرأة والطفل والخصوصية والتوازن بين الخصوصية والعمومية. ثالثًا: مبادئ حول العلاقة بين الإنسان والعِمارة والعُمران المجتمعي: الملكية ورموز الملكية ونمط الحيازة والمنفعة المشتركة والمشاركة المجتمعية أو المشاركة الشعبية ورضا المستعملين، رابعًا: مبادئ حول العلاقة بين الإنسان والعِمارة والعُمران الحضاري: القيم المتجهة نحو التعبير عن الذات والتفرد والتمايز والمحافظة والصيانة، وإعادة التأهيل، الثقافة الخارجية والانفتاح على العالم الخارجي، خامسًا: مبادئ حول العلاقة بين الإنسان واستمرارية العِمارة والعُمران: الإدامة والاكتفاء الذاتى من الموارد البشرية والطبيعية والتوازن أو التحكم البيئى والأمن والأمان والحماية.

ناقش هذا الفصل مسألتين ذات صلة فيما يتعلق بمفاهيم التفرد الحضري ومدن التفرد.

– تتعلق المسألة الأولى بالبعد الأخلاقي في العِمارة والعُمران، وانتهت بضرورة التركيز على حالة الممارسة المهنية، وإنما ليس على مشكلة تصميم المدينة ومكوناتها. وبناء على ذلك، ركز هذا الفصل على أنه لا يوجد شيء يُمكن أن يُطلق عليه العامة والمختصين "عِمارة وعُمران أخلاقية" أو غير أخلاقية" من وجهة نظر التصاميم المبتكرة. في حين

أن أخلاقيات ممارسة المهنة تتعلق فقط بموقف وسلوك المصمم ولا تتعلق بسمات أو مكونات مادية. فكل شيء في عملية التصميم عامة، وخلق منتجات البناء خاصة، يعتمد في المقام الأول على مدى إبداع المصمم، وبناء أفكاره ومفهوماته والنماذج والاتجاهات الفكرية المُتبعة. ومن ثم يمكن لكل مصمم أن يفعل ما يترائى له طالما أنه لا يتعارض مع متطلبات واحتياجات العميل والمكان ويتبع مبادئ التصميم التي تم ذكرها في المبادئ التوجيهية والقوانين التي تحكم منظومة التحضر. حَتَّى لو اختلف المصمم مع بعض أو كل هذه الاعتبارات فلا يمكن وصف عمله بأنه غير أخلاقي، ولكن يمكن إبداء ملاحظة بأنه مصمم يفتقر إلى الإبداع؛ من وجهة نظر المُقيم.

– المسألة الثانية هي أن مبادئ القيم هي بمثابة معايير، فضلا عن كل المبادئ والمعايير التي تشكل جنبا إلى جنب مع الوعي الأخلاقي. ثم تمثل مبادئ القيم قواعد وأطر مجتمعية لصياغة الاتجاهات وتقديم التوصيات التي ينبغي اتباعها أثناء تعرض البناء من منظور علاقته بالقيم المجتمعية. سواء في مراحل مراجعة وتقييم إنتاج المبنى الحالي أو في مراحل وضع الأسس لما يجب أن يكون عليه المنتج الجديد. ويتطلب التعامل مع بنية المجتمعات العربية التقليدية، على مستوى مساحاتها المكانية المحدودة والممتدة، ومستوى سياقها، تحديد بعض المبادئ التي تنطوي عليها عملية البناء. وتعمل هذه المبادئ كمعايير فعالة، وقوانين، وقوى تحفيزية، أو عناصر أساسية في مراحل الإعداد للبناء، وعند اقتراح أفكار التخطيط والتصميم أو لتقييم الأداء النهائي لأعمال البناء لهذه المجتمعات البشرية. وأن التعامل مع عِمارة وعُمران المجتمعات العربية التقليدية على مستوى حيوزها المكانية المحدودة والممتدة، وعلى مستوى محيطها الحيوي المباشر يتطلب التعرف على بعض المبادئ الداخلة في عملية البناء؛ حيث تعمل هذه المبادئ كمعايير للفاعلية أو باعتبارها قوانين أو قوى محفزة أو عناصر ضرورية جوهرية لمراحل الإعداد للبناء، وعند طرح أفكار التخطيط والتصميم أو تقويم الأداء النهائي لتشكيل أعمال البناء لهذه المجتمعات البشرية.

الباب الثامن: نماذج فكرية غربية سائدة

إنه عصر الرغبة فى تحرير الإنسان من رغباته؛ ليجد كُل شيء مُحققًا، قبل أن يتمناه.

استهلال

يبدو أن تأثير العصر الصناعي الذي بدأ في ثلاثينيات القرن الماضي هو الذي دعا هنري لفيفر وغيره للكتابة عن أن: الحدث الكبير في السنوات القليلة الماضية هو أن آثار التصنيع على المجتمع الرأسمالي المعدل سطحيًّا من الإنتاج والممتلكات قد أسفرت نتائجها عن: حياة يومية مُبرمجة في محيطها الحضري المناسب. وأدت هذه العملية إلى تفكك المدينة التقليدية والتوسع الحضري. وعلى الرغم من مرور كُلّ تلك السنوات ونحن اليوم فى العام 2017 يظل السؤال هل تأثير العصر الصناعى هو الذي أدى إلى تفكك المدينة التقليدية والتوسع الحضري؟ وهل تسبب أيضًا في وجود مدن جديدة مُستنسخة ومكررة ومُنتجة بشكل بعيد كُلّ البعد عن العمل الفني المطلوب في المدن؟

لذا، فإن هذا الباب سوف يركز على مناقشة المراحل الفكرية الست فى تخطيط المدن وتصميمها التى ازدهرت منذ تسعينيات القرن الأخير (الماضى). وهذه المراحل تتضمن: مدن المعلوماتية (1989)، ومدينة علامة تجارية (1990)، ومدينة ذكية (1997)، ومدن كونية/عابرة الثقافة (2003)، ومدن تنمية عضوية حضرية (2010)، ومدينة عظيمة (2010).

وقد استهل كُلّ نموذج فكرى مفهومه على أساس واضح للمدينة على النحو التالي: يعتبر الأول المدينة كيان تقني معلوماتي [التقنية هي المجتمع]، ويناقش الثاني المدينةكسلعة [ويهتم بصنع الأماكن الشهيرة]، والثالث يُحقق في مدينةريادة الأعمال [المدينةعبارة عن كائن مشهور]، ويتناول الرابع المدينة باعتبارها موقع تعدد الثقافات واختلافاتها [عن الاختلاف والتنوع]، والخامس يعتني بمدينة التمكين [صنع المدينة من قبل الناس والعكس بالعكس]، وأخيرًا المدينة أمام مزاج العصر [الغموض].

كل هذه العوامل تُدعم المدن لتصبح مدن كبيرة وصالحة للعيش، لأنها يمكن أن تصبح مدن الانفراد. وقد يكون من المفيد هنا أن نذكر أنصار المدن على مر العصور؛ حيث يكون لفكر كل مدينةهدف أن تكون مدينة خاصة.

المدينة كيان تقني معلوماتي

ابتكر مانويل كاستلز تخطيط المدينة المعلوماتية العالمية؛ بناءً على مفهوم فضاء التدفقات، وتحدث فيها عن التفاعلات عن بعد لمساهمة شبكة المعلوماتية والتقنية الحديثة في عصر المعلومات وعصر التقنية الثقافية. أسَّس كاستلز (1998, p. 311) أدبيته عصر *المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة*، والمُتضمنة ثلاثة أجزاء. إلا أن هناك نوعين من التحديات الكلية الأساسية في النظام العالمي الحالي يُشيران إلى عصر المعلومات، هما: أ) الهوية كمصدر للمعنى؛ ب) عولمة الاقتصاد والتقنية والاتصالات.

وربط كاستلز (1997, p. 3) بين تلك التحديات في عالم من التدفقات العالمية من الثروة والسلطة والصور، ذاكرًا أن: البحث عن الهوية، الجماعية أو الفردية، المسندة أو التى شيدت، يُصبح المصدر الأساسي للمعنى الاجتماعى. مُضيفًا أن الهويتين الدينية والعرقية كانتا جذور المعنى منذ فجر التاريخ. وهكذا، أصبحت الهوية المصدر الرئيس، وأحيانا الوحيد، للمعنى في فترة تاريخية، اتسمت بتدمير المُنظمات على نطاق واسع، ونزع الشرعية عن المؤسسات، وتلاشي الحركات الاجتماعية الرئيسية وأشكال التعبير الثقافي السريع. كما نوَّه أن الناس ينظمون المعاني، ليس حول ما يفعلونه، وإنما على أساس ما هم عليه، أو يعتقدون أنهم عليه. فالمعنى إذًا من وجهة نظره تابع لأهواء الناس وحسب ما يرونه مناسبًا لهم. ولكنه يلفت النظر إلى أن هناك – في عصر المعلومات – تضادًا بين ما يراه الناس في هويتهم التاريخية المميزة وما تريده الشبكة العالمية لتبادل المعلومات، فتحدث على حد قوله أن تنظم مجتمعاتنا حول معارضة ثنائية القطب بين الشبكة والذات.

ويُعد كاستلز (1997, p. 5) صاحب نقلة فكرية نوعية في نظرته للمدينة باعتبارها كيان تقنى ومعلوماتى مؤثر على التغيير الاجتماعى فى سياق عالمى، فهو يرى أن التقنية هى المجتمع، وأن المجتمع لا يمكن فهمه أو تمثيله دون أدوات تقنية. وكان ذلك بعد حقبة الثورة الرقمية، وما أحدثته ثورة تقنية المعلومات في مجال العولمة من تغير اجتماعي وثقافي وتقني، غيَّر بالتبعية من شكل المدينة. وهكذا، أثرت العولمة على هوية مجتمع المدينة. فمنذ ثمانينيات القرن الفائت بزغ نظام اقتصادي عالمي جديد متعدد الأقطاب

والمراكز، من أهم مرتكزاته، تدفق القيم بمعناها الاقتصادي وتدفق المعلومات، وتنظيم شبكات تتداخل فيها المصالح والمصائر بحيث لم يعد ممكنًا فصل قلب النظام عن محيطه.

وقد عرَّف كاستلز (1997, p. 6) الهوية في أدبيته "*سلطة الهوية*" باعتبارها منشأ لمعنى وخبرة الناس في إشارة للعناصر الاجتماعية الفاعلة، مُتحدثًا عن عملية بناء المعنى على أساس سمة ثقافية، أو مجموعة مترابطة من السمات، وبهذا المعنى تظل لها أولوية على غيرها من مصادر المعني. كما أنه يرى أن كُلّ نمط من عملية بناء الهوية يؤدي إلى نتائج مختلفة في تكوين المجتمع. (Castells, 1997, p. 8)

في عصر المعلومات، ولدت الظروف التقنية الجديدة عدة مصطلحات حسب كاستلز (1997, pp. 21, 500): 1) مجتمع المعلومات: يؤكد دور المعلومات في المجتمع. 2) المجتمع المعلوماتي: هو شكل محدد من التنظيمات الاجتماعية التي يصبح فيها توليد المعلومات وتجهيزها ونقلها المصادر الأساسية للإنتاجية والسلطة. 3) الشبكة: عبارة عن مجموعة من العقد المترابطة. وهي أسواق البورصات، ومراكز الخدمات المتقدمة التابعة لها، في شبكة التدفقات المالية العالمية، وهي المجالس الوطنية للوزراء والمفوضين الأوروبيين في الشبكة السياسية التي تحكم الاتحاد الأوروبي، وهي حقول الكوكا وحقول الخشخاش والمختبرات السرية، وشرائط الهبوط السري، وعصابات الشوارع والمؤسسات المالية؛ لمكافحة غسل الأموال في شبكة الاتجار بالمخدرات التي تخترق الاقتصادات والمجتمعات والدول في جميع أنحاء العالم، وهي: أنظمة التلفاز، وأستوديوهات الترفيه، وبيئات الرسومات الحاسوبية، وفرق الأخبار، والأجهزة النقالة التي تولد، وتحيل، وتلقي الإشارات في الشبكة العالمية لوسائط الإعلام الجديدة على جذور التعبير الثقافي والرأي العام في عصر المعلومات. مجتمع الشبكة، وهو ما يعادل مجتمع عصر المعلومات الذي ينظم وظائفه وعملياته المهيمنة حول الترابط الشبكات. وجدير بالذكر، أنه داخل شبكة معينة ليس للتدفقات مسافة، أو المسافة نفسها بين العقد. وبالتالي، تختلف المسافة (المادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية) لنقطة أو موضع معين بين صفر (لأي عقدة في الشبكة نفسها) ولانهائية (لأي نقطة خارج الشبكة). 4) الوضع المعلوماتي للتنمية: نمط جديد من التنظيم الفني الاجتماعي.

وقد أفرز مجتمع المعرفة مدن المعلوماتية، وحسب الموقع الإلكتروني atributosurbanos صاغ مانويل كاستلز هذا المصطلح "المدينة المعلوماتية" لتحديد الواقع الحضري الناتج عن شكل جديد من أشكال التنمية الاقتصادية، المتصلة بعملية إعادة هيكلة الرأسمالية

المتأخرة، وفرضيته هي أن التفاعل بين الشكل المعاصر للإنتاج ونموذج التنمية المعاصرة ولدت أشكالاً اجتماعية ومكانية جديدة، وكلاهما يتزامن في مدينة المعلوماتية، وهي بيئة حضرية تتميز خصائصها الرئيسية بالمرونة والاستقطاب الاجتماعي والتجزؤ.

ويرى كاستلز (1998, pp. 70, 81) أنه بنهاية هذه الألفية، تشابك ازدياد المعلوماتية مع تزايد عدم المساواة والاستبعاد الاجتماعي في جميع أنحاء العالم، وأن ما يبدو أنه ظاهرة عالمية هو نمو الفقر، ولاسيما الفقر المدقع.

والمدينة الإعلامية الجديدة والناشئة، كما يراها كاستلز (1989, p. 199) ليست نتيجة لتطبيق تقنيات جديدة على الأشكال والعمليات المكانية، بل هي التعبير المكاني عن طريقة التنمية الإعلامية الجديدة، التى تساهم بشكل حاسم فى توسيعها وتقنياتها الجديدة.

واعتبر كاستلز (1996, p. 411) أن سلطة المدينة العالمية حُشدت من خلال شبكات العولمة. فظاهرة المدينة العالمية – وفي أعلى تسلسل هرمي لها – لا يمكن اختزالها في عدد محدود من الأنوية الحضرية، فهي عملية تربط الخدمات المتطورة والمراكز المنتجة والأسواق في شبكات عالمية مع كثافة مختلفة، وبنطاق مختلف، وفق أهمية نسبية للأنشطة الموجودة في كُلّ منطقة في مواجهة مع الشبكة العامة، وداخل كل بلد تتغير عِمارة وعُمران الشبكات لمراكز إقليمية ومحلية، ويصبح النظام برمته مترابطًا على الصعيد العالمي.

والمدينة العالمية، حسب كاستلز (1996, p. 417)، ليست مكانًا بل عملية. كما أنه شرح أن تلك العملية ترتبط عن طريقها مراكز إنتاج واستهلاك الخدمات المتقدمة والمجتمعات المحلية المعتمدة عليها عبر شبكة عالمية، مع التقليل من شأن الروابط مع المناطق النائية في الوقت نفسه، على أساس تدفقات المعلومات.

هذا النموذج الفكري حسب ديفيد كلارك (1991, p. 480): أ) يتيح فرصًا جديدة لإدامة الرأسمالية ومواصلة تطويرها، وبالتالي، ب) من أجل الحفاظ على الانقسامات الاجتماعية والمكانية، التي تتأتى بالضرورة ولا محالة. مجتمع المعرفة حسب پيتر جون لور وچوهانس جاكوبس بريتز (2007, pp. 390-391) يستند إلى مفهوم البنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصالات، والذي يشمل: أ) تقنية المعلومات والاتصالات والربط وب) المحتوى وقابليته للاستخدام، ج) والهياكل الأساسية الأخرى غير تقنية المعلومات والاتصال، د) والقدرة البشرية العقلية، والتى – بالإضافة إلى ذلك – يمكن استخدامها كمعايير أساسية لتقييم التقدم، الذي يحرزه بلد ما تجاه هذا المجتمع.

ومن منظور آخر، يرى وولفجانج ستوك أن مدن المعلوماتية (2011, p. 964) هي التي تتمتع بسوق عمل متطور بشكل خاص، يتسم بالدخل والاستقطاب الوظيفي، وتميل إلى إعطاء وظائف عالية الأجر للموظفين المؤهلين تأهيلاً عاليًا؛ فهو يرى أن مدن المعلوماتية لديها هيكل مؤسسة محددة، فضلاً عن وسائل الترفيه ومرافق التسوق جذابة كافية. وفي بناء مدن المعلوماتية، ينبغي وضع الإرادة السياسية في المقام الأول للبدء في مثل هذا المشروع، وتمويل خطواته الأولى أمر ضروري. وهو يرى أن المناطق الغنية بالمعلومات تصنف من ضمن المدن العالمية، والتي تتمتع بخصائص مماثلة ومستقلة عن مواقعها وثقافتها، شاملة المراكز المالية، مع توفير عديد من الفعاليات الثقافية؛ فضلاً عن منحهم اللون المحلي. (Stock, 2011, p. 968)

ويبني وولفجانج ستوك (2011, p. 964) وأجنس ماينكا وآخرون (2014, p. 1715) على فكر مانويل كاستيل (1989, 348) مُبينين أن هناك جانبان لوصف مدن المعلوماتية، هما: فضاءات الأماكن (المكونات المادية للنسيج الحضري مثل المباني والشوارع) ومساحة التدفقات (تدفقات الأموال والسلطة والمعلومات). كما أشار ستوك (2011, pp. 995-966) وأجنس إلى بعض مؤشرات قياس مدن المعلوماتية العالمية من مثل: 1) مؤشر التنمية البشرية (إيتش دي أي) (1992)، 2) مؤشر تنمية تقنية المعلومات والاتصالات (أي سي تي)، 3) مؤشر جاهزية عمل الشبكة (إن أر أي) (2009)، 4) اقتراح ستوك لمؤشرات قياس خاصة به يمكن أن نُطلق عليها مؤشرات وولفجانج ستوك (2011, p. 979) ، 5) مؤشر إيه تي كيرني (2012) للمدن العالمية.

ويمكن تلخيص تلك المؤشرات على النحو التالي:

- اهتم المؤشر الأول بقياس التنمية البشرية على مستوى الأفراد: أ) متوسط العمر المتوقع للسكان عند الميلاد، ب) معدل الأبجدية للبالغين، ج) نسبة التلاميذ والطلبة في فئاتهم العمرية، د) نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (بمتوسط القوة الشرائية للدولار).
- اهتم المؤشر الثاني بالمعرفة والمعلومات من خلال البنية التحتية والاستخدام والقدرات: أ) البنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصالات والوصول إليها: المهاتفة الأرضية والمتنقلة وعرض النطاق الترددي للإنترنت لكل مستخدم، نسبة الأسر المعيشية التي لديها حواسيب والوصول إلى الإنترنت. ب) استخدام تقنية المعلومات والاتصالات: مستخدمو الإنترنت لكل مقيم ومستخدمي النطاق العريض عن طريق الهاتف الثابت والمتنقل. ج) القدرات في مجال تقنية المعلومات والاتصالات: معدل الأبجدية للبالغين،

ونسبة التلاميذ والطلاب في الفئة العمرية لكل منهم (ولكن، على عكس مؤشر التنمية البشرية، يؤخذ في الاعتبار التعليم الثانوي والعالي فقط).

- اهتم المؤشر الثالث بالبيئة والجاهزية والاستخدام، ويميز بين الجاهزية والاستخدام الفعلي، مُشيرًا إلى الحكومة الإلكترونية.
- اهتم المؤشر الرابع بتجميع عديد من المؤشرات وتصنيفها في مجموعات: أ) البنية التحتية: تقنية المعلومات والاتصالات؛ مدينة المعرفة؛ مجموعات المعرفة: الجامعات والعلوم والمتنزهات وغيرها، ومراكز المعرفة: خريجي الجامعات والأداء، وتأثير منشورات الإس تي إم؛ براءات الاختراع (فضاءات تبادل المعلومات وجهًا لوجه)؛ توفير المعرفة الواضحة عن طريق المكتبات الرقمية؛ إدارة المعرفة على مستوى المدينة؛ التعليم؛ وسائل النقل العامة؛ والمطار. ب) سوق العمل: العمال في المهن، التي تعتمد على المعرفة، والعمال في المهن الإبداعية، والاستقطاب الوظيفي واستقطاب الدخل لصالح الرواتب العالية؛ والخبراء. ج) الهيكل التنظيمي: (عدد وأهمية مقدمي الخدمات، التي تتطلب رؤوس أموال ضخمة، عدد وأهمية الشركات ذات المعرفة العالية (صناعة التقنية الفائقة)، عدد وأهمية الشركات في اقتصاد المعلومات، عدد وأهمية الشركات الإبداعية. د) مدينة عالمية: عدد السكان؛ (حجم رأس المال: دوران البورصة والسلطة: مجموع أرباح الشركات، التي يوجد مقرها في المدينة، والربط المعلوماتي في مجال الأعمال التجارية)، والتنوع الثقافي والمؤسسات الفردية للأجانب، و"تأثير المغناطيس (أو لعله يقصد مدى تأثير عناصر الجذب في المدينة). ه) الإرادة السياسية: برامج لبناء مدينة إعلامية؛ والحوكمة الإلكترونية. و) عوامل الموقع الناعمة: عدد الزوار الأجانب ومرافق الترفيه (الثقافة والرياضة)؛ المعالم المِعمارية العُمرانية الجاذبة، وضفاف نهر جذابة؛ ومراكز التسوق.
- اهتم المؤشر الخامس بقياس المشاركة العالمية للمدن عبر خمسة أبعاد: النشاط التجاري ورأس المال البشري وتبادل المعلومات والخبرة الثقافية والمشاركة السياسية. (ATkearney, 2012)

– النشاط التجاري: مقر الشركات العالمية الكبرى ومواقع شركات الخدمات التجارية الكبرى وقيمة أسواق رأس المال في المدينة، وعدد المؤتمرات الدولية، وتدفق السلع عبر الموانئ والمطارات (الترجيح: 30 في المئة).

– رأس المال البشري: يقيم قدرة المدينةعلى جذب المواهب بناء على التدابير التالية: حجم السكان المولودين في الخارج، وجودة الجامعات، وعدد المدارس الدولية، وعدد الطلاب الدوليين وعدد السكان الحاصلين على شهادات جامعية (الترجيح: 30 %).

– تبادل المعلومات: يبحث مدى انتشار الأخبار والمعلومات داخل المدينة وخارجها. وقد أعيد تشكيل هذا البعد ليشمل مقياسين جديدين، هما: إمكانة الوصول إلى القنوات الإخبارية التلفازية الرئيسية (استبدال التغطية الدولية فى الصحف المحلية الكبرى)، ووجود شبكات المعلوماتية العنكبوتية [الإنترنت] (الحصول على نتائج جيدة عند البحث عن اسم المدينة باللغات الرئيسية). وتم توسيع مقياس ثالث، وهو عدد مكاتب الأخبار الدولية، ليشمل 10 شبكات تلفزيونية رئيسية. ولم يتغير مستوى المقياسين الأخيرين للرقابة، ونسبة المشتركين في النطاق العريض (الترجيح: 15%).

– التجربة الثقافية: تقيس عوامل الجذب المتنوعة، بما في ذلك عدد الأحداث الرياضية الكبرى التى تستضيفها المدينة، وعدد المتاحف وأماكن أداء الفنون ومختلف مؤسسات الطهي، وعدد المسافرين الدوليين، وعدد العلاقات بين المدن المتأخية (الترجيح: 15 %).

– المشاركة السياسية: تراجع كيفية تأثير المدينة على حوار السياسات العالمي الذي يقاس بعدد السفارات والقنصليات والمراكز الفكرية الكبرى والمنظمات الدولية والمؤسسات المحلية ذات النطاق الدولي، الذي يقيم في المدينة وعدد المؤتمرات السياسية التي تستضيفها المدينة (ترجيح: 10 %).

المدينة هي سلعة [صنع الأماكن الشهيرة]

في السنوات الثلاثين الماضية حسب ميريام جرينبرج (2000, p. 230)، واجهت المدن "ضغوطًا تنافسية" و"أزمات هوية"؛ ولذلك بدأت وكالات المدينة والشركات القائمة على المدينة في توظيف استراتيجيات العلامة التجارية؛ لإعادة وتسويق مدنهم. والهدف من ذلك هو التعامل مع المدينة باعتبارها "سلعة"، وهذا يحصُل من خلال تغيير المدينة المادية "الحقيقية" لتتوافق مع الصورة المثالية للمدينة ذات الأسماء التجارية وتسهيل جعل المدن سلعة. ففي تسعينيات القرن الماضي ظهر نهجًا مُبتكرًا للتعامل مع المدن، باعتبارها مُنتجات بناء مَبنية على فكرة الحملات التجارية المُتلاحقة والبارزة لتسويق المدن. وبالتركيز على مفهوم العلامة التجارية حسب جراهام هانكينسون وفيليبا هاوكينج (1993, p. 10) هي مُنتج

أو خدمة تصنع تمايزًا من خلال مكانتها، وتنسيبًا للمنافسة مع الغير، وحسب شخصيتها التي تضم مزيجًا فريدًا من الصفات الوظيفية والقيم الرمزية. كما ركزوا على مفهوم العلامة التجارية، الذي تم تعريفه في قاموس أوكسفورد الإنجليزي (2000)، يُشير في الفعل للعلامة التجارية إلى فعل الوسم مع علامة تجارية أو اسم مميز. هو تحديد المُنتج أو الشركة المصنعة واستخدام العلامات التجارية الحديد لوضع علامة على جلد حيوان يحمل علامة ملكية أو جلد مجرم يحمل علامة تدل على وصمة عار دائمة"

والهدف هو التعامل مع المدينة باعتبارها سلعة، ويحدث ذلك من خلال تغيير المدينة المادية الحقيقية لتتوافق مع الصورة المثالية للمدينة ذات الأسماء التجارية.

وأصبح يُطلق على وسم (أو دمغ) المدينة بعلامة تجارية حسب جراهام هانكيسون (2004, p. 111) أنه "إنصاف العلامة التجارية brand equity"، ويكون ذلك دلالة على المدخول الاقتصادي للمدينة في المستقبل، حيث تتركز الإشكالية في كيف يُمكن صنع مدينة تحقق عائدات استثمارية عالية عبر استيفاء توقعات الزوار والمستثمرين. ويكتب ميكاليس كافاراتزيس (2004, pp. 55-56) نقلاً عن عن أشورث 1990 وفوجد 1999 وكوتلر وآخرون 1999 أن تعريف الماركات والعلامات التجارية يُظهر علاقة العلامة التجارية بأهداف تسويق وإدارة وصورة المدينة. ويُضيف حسب أشورت وفوجد 1990 وكوتلر 1999 وفيرميولن 2002 وورينيستو 2003 أنها: توافق السمات التي تلبي مُتطلبات احتياجات المدينة لتكون مدبرة بحيث تجعل المدينة فردية من نوعها، وتوفير نقطة انطلاق لمدينة التسوق مُشَكِّلة إطارًا متينًا يمكن من خلاله إدارة صورة المدينة، هذاً وإن كانت حقًا صورة المدينة تحتاج لتخطيط وعلامة تجارية فالمدينة تلبي الاحتياجات الوظيفية والرمزية والعاطفية.

ومن أهداف العلامة التجارية للمكان حسب جريجوري أشورث (2009, p. 9) أنها تحمل فكرة اكتشاف أو إنشاء التفرد، والتي تميز مكان عن أماكن أخر ومن أجل الحصول على قيمة علامة تجارية تنافسية. وذكر سيمون أنهولت (2010, p. 1) إنه يبدو أنه لا يوجد أي مُصطلح أكثر إشكالية من "العلامة التجارية/التوسيم أو الدمغ" نفسه، ووصفه بأنه مُصطلح بعيد المنال. وعلاوة على ذلك، كتب: أن العديد من المساهمين يشعرون بأن هذا المفهوم الجديد لا يزال بحاجة إلى تحديد. ويبدو أيضًا أن نظرية العلامة التجارية حسب أنهولت (2010, p. 3) قد وصلت أخيرًا إلى حكومات المدن والبلدان من خلال المُمارسة التجارية، وذلك عن طريقين هما: السياحة وتسويق الصادرات. أما مُصطلح دمغ/وسم المكان حسب

أنهولت (2010, p. 7) فهو وسيلة لجعل الأماكن شهيرة، ولعله يُمكن الاعتماد عليه والقول أن مُصطلح دمغ المدينة هو أيضًا وسيلة لجعل المدينة مشهورة.

ويمكن التعامل مع فكر 'علامة تجارية' من خلال النقاش السابق باعتبار أنها مسألة تابعة لصُنع المدينة باعتبارها سلعة محددة أنشئت لخدمة مواطن محدد ومعروف أو مجموعة من المواطنيين بعدالة وإنصاف، مع ضرورة عمل تمييز لتلك المدينة عن المدن المنافسة لها في نفس المجال أو المحيط الجغرافي المحلي والدولي، مع إضافة أبعاد أخرى للمدينة تميزها بطريقة أو بأخرى عن غيرها من المدن المُصممة لتلبية نفس الحاجة أو الغرض، وعلاوة على العناية بالتعبير البصري واللفظي والسلوكي لتصميم نموذج مُنفرد يصنع مدينة انفراد.

مدينة ريادة فى الأعمال [المدنية كيان يعاد امتلاكه]

يظهر التقرير السنوى لليونسكو رقم 38، فى سنة 1984 أن "عولمة التحضر هى حقيقة جديدة". ولأول مرة – كذلك – فى التاريخ الإنسانى، فيما قبل عام 2000م، يشير إدوارد جليسانت إلى أن "سوف يكون سكان المدن فى العالم أكثر بكثير من سكان الريف"، كما أنه أشار إلى: "إن السلالة التقنية والثقافية والمالية لدى أنظمة حضرية مختلفة تعد عاملاً محوريًّا" (Glissant, 1984, p. 29). وهو يرى ذلك بوضوح خلال الخبرات العالمية، مستدلاً بقوله: "إن النجاح والفشل فى المدن ليس مرتبطًا بالتخطيط أو الجوانب الأخلاقية للمشروعات (وإنما يرتبط بالخصائص الجوهرية لهذه المشروعات). إلا أنه يربط بين "تناسبها" و"السياق التقنى المحلى والإدارى والمالى للمشروعات". وقد صرح بأن هذا الشىء" التقدم المضطرب الهائل ظل مميزاً لصناعته فى تلك الحقبة، وغدا أكثر من كونه ضروريًّا من وجهة نظر الأزمات الاقتصادية والموقف المالى الضعيف للتجمعات السكانية الحضرية فى العالم الثالث. فى حين أن التطوير السكانى [الديموجرافي] والحضرى حدث فى سياق الأزمات الاقتصادية، وسوف يكون عدم التوازن فى توزيع السكان مرافقًا لحدوث فجوة قابلة للاتساع فى توزيع الثروات. فيبدو اهتمام بعض الباحثين في العقدين الأولين من الألفية الثالثة مُتزايدًا، كمسار لاقتصاد سكني أفضل جدًا (السعادة القصوى)، من مثل إيان بيج (1999, p. 795) ومن بعده روبرت ج. هولاندز (2008) وتايو نام وتيريزا پاردو (2011) وشانون بوتون وآخرون (2013) أناليسا كوتشيا (2014) وريتنو ساسانيتا، وآخرون (2016)، مُعلنين اقتراح مقاييس للمدن الذكية ضمن هذا الاهتمام، والذي يدور حول "تحسين أداء المدن"

و"تعزيز قدرتها التنافسية"، مقارنة بالمدن الأخرى، فيرى بيج (1999, pp. 798-799) أن قدرة المدينة التنافسية تتشكل من خلال التفاعل بين خصائص المدن كمواقع ونقاط القوة والضعف لدى الشركات والعوامل الاقتصادية الأخرى النشطة فيها.

ويستشهد بيج (1999, p. 800) بست سمات، تعتبر إشارة إلى اقتصاد حضري تنافسي، نقلاً عن مقالة بيتر كريسل المعنونة "مُحددات القدرة التنافسية الحضرية"، والمنشورة في العام 1995، والتي تشمل الأهداف النوعية والكمية معًا، وهي: (أ) أن تكون الوظائف التي تم إنشاؤها عالية المهارة وذات دخل مرتفع، (ب) أن يتطور الإنتاج نحو السلع والخدمات الحميدة بيئيًا، (ج) أن يتركز الإنتاج في السلع والخدمات ذات الخصائص المرغوبة، مثل: مرونة الدخل المرتفع للطلب، (د) أن يكون معدل النمو الاقتصادي مناسبًا لتحقيق العمالة الكاملة، دون توليد الجوانب السلبية للأسواق المُضطربة، (هـ) أن تتخصص المدينة في الأنشطة، التي سَتُمكنها من السيطرة على مستقبلها، (و) الاختيار من بين العقود الآجلة البديلة بدلاً من قبولها بشكل سلبي، (ز) أن تكون المدينة قادرة على تعزيز مكانتها في التسلسل الهرمي الحضري.

وجدير بالذكر، أن ريتنو سوسانتي وآخرين (2016, p. 195) يرون أن هناك فرقًا بين النمو الذكي smart growth والمدينة الذكية smart city، فإن كان النمو الذكي يلعب دورًا "كوعاء" من الطبيعة المادية للمناطق الحضرية، فإن المدينة الذكية تُشكل جزءًا من "محتوى" هذه المناطق. ففي مقدمة أدبية بعنوان "كيف تجعل مدينة عظيمة" كتب چوناثان ويتزل أن النمو الذكي يعني تأمينًا أفضل فرص للنمو، مع حماية البيئة وضمان تمتع جميع المواطنين بالازدهار، فهم يفعلون أكثر مع جهد أقل، ويفوزون بالدعم من أجل التغيير، من خلال تحقيق النتائج بسرعة. ويشير شانون بوتون وآخرون (2013, p. 3)، في هذه الأدبية، إلى أن النمو الذكي يعتمد على نهج استراتيجي، يحدد أفضل فرص النمو ويغذيها ويخطط لها؛ بحيث يمكن للمدينة والمناطق المحيطة بها أن تتكيف مع متطلبات النمو التى ستحققها، وأن تدمج التفكير البيئي، وأن تضمن تمتع جميع المواطنين بالازدهار في مدينتهم. ويُضيف أن كُلّ مدينة ستكون لديها نقاط انطلاق مختلفة، ولكن كُلّ واحدة ستُقررّ أيًّا من القطاعات يمكن أن يدعم فيها النمو ليكون أفضل من غيره، ومن ثم ينبغي التركيز عليه بشدة قبلهم (2013, pp. 5, 8). ومن المرجح أن يكون ذلك القطاع مرتبطًا بالنمو الاقتصادي؛ خاصة إذا كان تطوره مرتبطًا بمجموعات مختلفة من الشركات، موزعة من قطاع إلى قطاع آخر، ولعل الميزة الأولى هي البحث عن قدرة المدن الاقتصادية التنافسية، ويعتمد هذا على

مفهوم 'نمو ذكي smart growth'، والذي يعني على وجه التحديد التخطيط لما ينتظرنا. وقد أشار شانون بوتون إلى أن المدن التي توسعت دون تخطيط عَمّت فيها الفوضى، فضلاً عن المزيد من عرقلة التنمية والإضرار بجودة حياة المواطنين والبيئة.

وقد ولِد مفهوم "المدينة الذكية" واعتُمِد– حسب أناليسا كوتشيا (2014, p. 14)– من قبل عديد من المؤسسات، مثل: المفوضية الأوروبية والاتحاد الأوربي ومنظمة التعاون والتنمية فى الميدان الاقتصادي OCED، وما إلى ذلك، وكان ذلك من أجل تحقيق الأهداف المحددة في بروتوكول كيوتو [العاصمة القديمة لليابان]. وبطبيعة الحال، يُشير بعض المنظرين إلى غموض مفهوم المدن الذكية، فمن العقبات الرئيسة، كما تُشير أناليسا كوتشيا، في تحديد هذا التعريف غموض المعاني المنسوبة إلى كلمة "ذكية"، وإلى تسمية "المدينة الذكية"؛ خاصة فيما يتعلق بالمدينة الذكية والمدينة الرقمية.

وتُضيف كوكشيا (2014, p. 17) مُسترشدة بكتابات تايو نام تيريزا باردو (2011, p. 283) بأن مفهوم المدينة الذكية واسع وغامض ولايوجد تعريف فريد لها، فهو يشمل عديدًا من جوانب الحياة الحضرية، مثل: التخطيط الحضري والتنمية المستدامة، والبيئة وشبكة الطاقة والتنمية الاقتصادية والتقنيات والمشاركة الاجتماعية.

ويبين تايو نام وتيريزا باردو (2011, p. 284) ما ينتمي للمدن الذكية من خلال ثلاثة تصنيفات: أ) التقنية: المدينة الرقمية والذكية وواسعة الانتشار والسلكية والهجينة والمعلوماتية، ب) الناس: المدينة المُبدعة ومدينة التعلم والمدينة البشرية ومدينة المعرفة، ج) الجماعة المحلية الذكية.

وسبقهم روبرت ج. هولاندز (2008, p. 303) بقوله إنه مفهوم يتبع "ظاهرة العلامات الحضرية"؛ بسبب افتقاره للدقة التعريفية، كما كتب: "إننا لا نعرف سوى القليل عما يسمى بالمدن الذكية، ولاسيما فيما يتعلق بما تكشفه تلك العلامة من ناحية الاعتقاد الفكري [أيديولوجية] الظاهر، فضلاً عن الباطن [أو المُخبأ تحت الجلد]. كما أنه وضع تعريفًا للمدن الذكية فى مُستخلص بحثه مُبينًا أنها المدينة، التى تُفهم على أنها "تغير التقنية الفائقة في "مدينة ريادة في الأعمال"، وهي تُشير إلى بعض المبادئ العامة، التي تجعلها أكثر تقدمًا وشمولاً.

وهناك عدة شروط واعتبارات يجب العناية بها، حسب روبرت هولاندز (2008, p. 314) عند الرغبة في الحصول على مدينة ذكية، بناء على مفهوم تقنية المعلومات:

- اختلاف المدن كافة إلى حد ما في تاريخها وتكوينها الاقتصادي والسياسي والإرث الثقافي، وكذلك تأثرها بالحدود الوطنية وسياسات الحكومة الأصلية وقوانينها.
- اتساع نطاق عدم المساواة والاستقطاب الاجتماعي، حيث تُعمق تقنية المعلومات الانقسامات الاجتماعية في المدن، بدلاً من رفع مستويات المعيشة لجميع سكان المدن.
- الاعتراف بأن الناس هم رأس المال البشري، حيث إن تقنية المعلومات بمفردها لا يمكن أن تتحول تلقائيًا وتحسن المدن.
- القدرة على التكيف مع تقنية المعلومات؛ بحيث يمكن استخدامها اجتماعيًا بطرق، تمكن تعليم وتثقيف الناس وإشراكهم في نقاش سياسي حول حياتهم الخاصة والبيئة الحضرية، التى يسكنونها، فالمجتمعات الذكية لا تنشأ تلقائيًا.
- الحاجة إلى وجود تحول حقيقي في ميزان القوى بين استخدام تقنية المعلومات، من قبل رجال الأعمال والحكومة والمجتمعات والناس العاديين، الذين يعيشون في المدن.
- تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والاستدامة.

إن مفهوم المدن الذكية، حسب تقرير لجنة تقنية مشتركة من المنظمة الدولية للتوحيد القياسي (إسو) واللجنة الكهروتقنية الدولية (إيك) (ISO/IEC JTC (2015, p. 2، هو مفهوم ونموذج جديد، بيد أنه ينطبق على الجيل الجديد من تقنيات المعلومات، مثل: إنترنت الأشياء والحوسبة السحابية والبيانات الكبيرة والفضاء/تكامل المعلومات الجغرافية، لتسهيل التخطيط والبناء والإدارة والخدمات الذكية من المدن. ويمكن أن تُفيد تنمية المدن الذكية في التنمية المتزامنة والتصنيع والمعلومات والتحضر والتحديث الزراعي واستدامة تنمية المدن. والهدف الرئيسي لتطوير المدن الذكية هو متابعة: مناسبة الخدمات العامة وحساسية إدارة المدينة وقابلية العيش وذكاء أو قدرة البنى التحتية وفعالية الشبكة على المدى الطويل.

ويتابع التقرير تعريفاته لمُصطلح المدن الذكية/والمُستدامة بأنها:

- المدينة التي تُحقق التكامل الفعال بين النظم المادية والرقمية والبشرية في البيئة المُشيدة؛ لتوفير مُستقبل مُستدام ومُزدهر وشامل لمواطنيها.
- المدينة التي تتصف بالابتكار؛ لأنها تستخدم تقنية المعلومات والاتصالات وغيرها من الوسائل؛ لتحسين جودة الحياة وكفاءة التشغيل والخدمات الحضرية والقدرة التنافسية، مع ضمان تلبيتها لاحتياجات الأجيال الحالية والمقبلة باحترام، إلى جانب الجوانب

الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

- المدينة التي تزيد بشكل كبير من وتيرة التحسن فيها، من حيث نتائجها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية (الاستدامة)، والاستجابة لتحديات، مثل: تغير المناخ والنمو السكاني السريع، وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي... من خلال تحسين جذري لكيفية: عمل المجتمع، وتطبيق أساليب القيادة التعاونية، العمل عبر التخصصات ونظم المدينة، واستخدام معلومات البيانات والتقنيات الحديثة... من أجل توفير خدمات أفضل ونوعية الحياة لأولئك المعينين بالمدينة (المقيمين، الشركات، الزوار)، الآن وفي المستقبل المنظور، دون حرمان الآخرين من هذه المزايا، أو تدهور البيئة الطبيعية.

المدينة هي مكان تعدد الثقافات [الاختلاف والتنوع]

المدينة الكونية عبر الثقافات، هي مدينة الاختلاف والتنوع التي يسكنها أشخاص من بلدان كثيرة مُختلفة، وتعزز لهم الحياة الأفضل، من خلال قبول فكر التنوع، وهى حسب تعريف ليونى ساندروك (2003, p. xiv) المدينة التى يوجد فيها قبول أصيل وارتباط مع مساحة احترام "الغريب" (من الخارج والأجنبي...)؛ حيث توجد إمكانة العمل معًا في مسائل المصير المشترك وإقامة ثقافات ومجتمعات هجينة جديدة. وترتكز الفكرة الرئيسة لهذه المدن على مفهوم التعددية الثقافية. إن التنوع الثقافي حسب أولف هانرز (1996, pp. 56-57) يعتمد على: الحق الأخلاقي في حضارة المرء، بما في ذلك التراث الثقافي والتفرد الثقافي؛ الميزة البيئية (الإيكولوجية) للتوجهات المختلفة والتكيف مع الموارد البيئية المحدودة؛ والمعارضة الثقافية للسيطرة السياسية والاقتصادية من قبل النخب وتفاوتات السلطة، والإحساس الجمالي والتجربة الممتعة من مختلف وجهات النظر العالمية، وطرق تفكير الحضارات الأخرى في حقوقهم؛ وإمكانية المواجهة بين الحضارات التي يمكن أن تؤدي إلى إجراءات ثقافية جديدة؛ وبداية الإبداع؛ وتمويل المعرفة الإدراكية حول طرق السفر حول الأشياء. ويتجاوز نهج التعددية الثقافية، وذلك حسب جودي بلومفيلد وفرانكو بيانشيني (2002, p. 6) ، الفرص واحترام الاختلافات الثقافية القائمة، ويتعداه إلى التحول التعددي في الفضاء العام والثقافة المدنية والمؤسسات؛ ولذلك فهو نهج لا يعترف بحدود ثقافية ثابتة، ولكنه يتعامل معها باعتبارها في حالة من التغير وإعادة صياغة. كما أنه نهج يستهدف تيسير الحوار والتفاهم المتبادلين بين الأشخاص ذوي الخلفيات الثقافية المختلفة.

وبالتبعية، تحتاج المدن التي تتبع هذا النهج إلى وضع سياسات تعطي الأولوية لتمويل للمشاريع، التي تتقاطع فيها الثقافات المختلفة "وتلوث" بعضها البعض وتختلط. فضلاً عن

ذلك، ينبغي لحكومات هذه المدن أن تُعزز الإخصاب المُتبادل عبر جميع الحدود الثقافية بين "الأغلبية" و"الأقليات" و"السائدة" و"الفرعية" والثقافات والمحليات والطبقات والأديان والتخصصات والأنواع كمصدر للابتكار الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي. ويُمثل التنوع حسب سوزان فينشتين (2005, p. 3) المبدأ التوجيهي الجديد لمخططي المدن، والذي يأتي بديلاً عن منهج الباب بين المناطق المتجانسة، والذي يُمثل – كما تقول سوزان فينشتين– العقيدة الحاكمة فى التصميم الحضري.

وهي تُشير إلى أن التنوع يجذب رأس المال البشري ويشجع الابتكار ويضمن الإنصاف والمساواة في الوصول إلى مجموعة متنوعة من الجماعات. علاوة على ذلك، فإن الميزة التنافسية للمدن، وبالتالى النهج الواعد لتحقيق النجاح الاقتصادي كامن فى تعزيز التنوع داخل المجتمع، والقاعدة الاقتصادية والبيئة المُشيدة. ونشرت سوزان فينشتين (2010) أدبيتها بعنوان *"المدينة العادلة: المبادئ والتقديرات"* ، وأشارت فيها إلى ثلاثة مبادئ أساسية، تحكم تخطيط المدن، هي: التنوع والديمقراطية والعدالة (الإنصاف).

وترى إميلي تالين (2006, p. 234)– بناء على نهج تخطيط المدن – أن "التنوع" في شكله الحصري يركز على "الهوية العرقية أو التوجه الجنسي"، فضلاً عن أنه يمكن توسعته ليصف "الظروف الحضرية العشوائية والفوضوية"؛ فالمدينة من وجهة نظرها هي مكان الاختلاف والتنوع والمساواة فى نهاية المطاف. وكان رأيها تأسيسًا على كتابات هنري لفيفر (1991) وديفيد هارڤي (2000)، ثم ارتكازًا على آراء آلان چاكويس ودونالد آپليارد (1987) اللذين يريان أن "التنوع" ضرورة للحياة الحضرية.

كما أنها ترى إن تنوع سكان أي مدينة مفيد جدًّا لأربعة أسس نظرية متمايزة ومترابطة للتنوع، هي: حيوية المكان والصحة الاقتصادية والاستدامة والعدالة الاجتماعية. وكتبت أن التنوع المكاني هو حجر الزاوية في وصفات الإصلاح الحضري، وأنه ينبغي أن يكون هناك تنوع مُختلط بين الناس والوظائف مكانيًا. (Talen, 2006, pp. 236-240)

والتحضر، حسب جوانا هادجيكستاندي (2007, p. 5154) ليس مُصطلحًا متجانسًا بل إنه مصطلح معقد ومتعدد الأوجه، ويتخذ موضعًا مركزيًا على مر التاريخ. وكانت المدن دائمًا هي المواقع الرئيسة للاتصالات عبر الثقافات، مثل: التجارة المحلية والمسافات الطويلة ونقل الابتكارات، كما كانت المراكز التي يتم فيها إقامة علاقات القوة السياسية والاقتصادية والحفاظ عليها. وفي داخل المراكز الحضرية، تقوم الثقافات المتعددة بتطوير وتفاعل وخلق التغيير الاجتماعي، كما أن المدينة هي المكان الذي يقود الناس عادة فيه

التطورات الاقتصادية والتقنية، فضلاً عن التجارب الفنية والفكرية، ويسهم الأجانب والعناصر الثقافية الخارجية في القدرة الإبداعية لهذه الابتكارات.

ونشأ مفهوم المدن الثقافية بمعرفة فيل وود وتشارلز لاندري (2008) – نقلاً عن تقرير المجلس الأوربي (2013, p. 23)– في البحوث التي حللت الروابط بين التغير الحضري والتنوع الثقافي، وعرضت إطارًا مفاهيميًّا جديدًا لإدارة التنوع في السياقات الحضرية؛ فالمدن متعددة الثقافات في هذا التقرير، هي المدن التي لديها سكان متنوعون شاملون الناس من مختلف الجنسيات والأصول، ومع لغات أو أديان/ معتقدات مختلفة؛ فمعظم المواطنين يعتبرون التنوع موردًا لا مشكلة، ويقبلون بأن جميع الثقافات تتغير؛ لأنها تواجه بعضها البعض في الساحة العامة. ويدعو مسؤولو المدينة علنًا إلى احترام التنوع وهوية المدينة التعددية. (Council of Europe, 2013, pp. 25-26)

وتكافح المدينة بنشاط التحيز والتمييز، وتكفل تكافؤ الفرص للجميع، عن طريق تكييف هياكلها الإدارية ومؤسساتها وخدماتها لاحتياجات السكان المتنوعين، دون المساس بمبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية وسيادة القانون. وفي إطار الشراكة مع رجال الأعمال والمجتمع المدني والمهنيين، فى مجال الخدمات العامة، تقوم المدينة المشتركة بين الثقافات بتطوير مجموعة من السياسات والإجراءات؛ لتشجيع المزيد من الاختلاط والتفاعل بين المجموعات المختلفة. ويساعد المستوى العالي من الثقة والتماسك الاجتماعي على منع الصراعات والعنف، وزيادة فعالية السياسات، وجعل المدينة جذّابة بالنسبة للأشخاص والمستثمرين.

ويقدم لاندري ووود (2008, pp. 321-324) خمس مبادئ للمدن متعددة الثقافات، هي: القيادة وصناعة المدن وإدارة المدينة والمواطنة والجسور والاختلاط. كما قدموا عشر خطوات نحو مدينة مُتعددة الثقافات (2008, pp. 324-326)، هى: (1) إصدار بيان عام بأن المدينة تفهم صراحة بأنها تتبنى نهجًا مشتركًا بين الثقافات، واتخاذ إجراء مبدع لرمز الانتقال إلى حقبة جديدة. (2) استعراض المهام الرئيسية للمدينة، من خلال عدسة تعددية الثقافات، وإنشاء بعض المشاريع التجريبية. (3) التعلم من أفضل الممارسات في أماكن أخرى، من خلال السياسيين وصانعي السياسات والمجموعات المتعددة الأعراق من قادة المجتمعات المحلية الشباب. (4) التدريب على لغة الأغلبية، دون إغفال لغات الأقليات. (5) تشجيع الأشخاص، أصحاب الأرواح المتفانية على بناء الثقة والتفاهم بين الثقافات. (6) إقامة شبكة علاقات دولية بين المدينة والمدن الأخرى. (7) البحث عن طريقة لتمديد تعدد الثقافات من خلال عدسة تعدد الثقافات. (8) الشروع في برنامج للتدريب اهتمامه بالتوعية بين الثقافات، وتشجيع

القطاع الخاص على المشاركة. (9) إنشاء منتدى استشاري بين الأديان. (10) الشروع في المبادرات الترحيبية ومشاريع الاستكشاف الحضري.

عرَّف هانك ساڤيتش (2010, p. 43) الكونية بأنها تنطوي على القدرة على تبني السمات العرقية الدولية أو الثقافية أو المتعددة. إذًا، فالعلمية لا تتشكل من مخزون العناصر الدولية التي عقدت داخل المدينة، ولكن تتشكل في تدفقها من حولها، وهذا التدفق يمكِّن الناس والأفكار من التعميم في جميع أنحاء المجتمع الحضري. وفي أغلب الأحيان، يشجع التفاعل بين الثقافات التسامح والتعددية والقدرة على استيعاب أساليب الحياة المختلفة. عرَّفت لين مانزو (2011, p. 14) المدن عبر الثقافات بأنها "المكان الذي يوفر فرصًا، ليس فقط للتعبير المكاني للهويات الثقافية المتعددة، ولكن الأهم من ذلك هو اجتذاب وجهات النظر العالمية المختلفة، وتمكين المواجهات الثقافية الجديدة والممارسات المكانية من الظهور".

صناعة المدينة بواسطة الناس: تنمية حضرية عضوية

يصنع الناس مدينتهم وينبغي تمكينهم من ذلك؛ حيث يسير مبدأ التنمية الحضرية العضوية – حسب پترا شيلدرز (2010, pp. 29-33)، جنبًا إلى جنب، مع مهمة إدارية أخرى، وهي تمكين الناس من صنع مدينتهم. وأضافت قائلة: "إن المواطنين هم القوة الدافعة في خلق المدينة والحفاظ عليها وإدامتها، حيث ينبغي تيسير إمكاناتهم لتحقيق إمكاناتهم الفريدة، بروح وكرامة". الأكثر من ذلك، أن الناس يصنعون المدينة بكل من معنييها المكاني والاجتماعي: أجل، هذا يحدُث بشكل فردي، ولكنه أيضًا يحدُث بصفة خاصة بين المجموعات، ويجب أن يُعطى لهم الحق الأساسي للقيام بذلك، كما يرونه مناسبًا؛ حيث يمكن تفعيل كل من الإحساس المكاني والاجتماعي ليُصبح جماعيًّا عبر المسؤولية الخاصة، التي تحرر المواطنين من أعبائهم، فيشعرون بمسؤوليتهم تجاه مدينتهم. بيد أن التخطيط الحضري العضوي كما كتبت بيترا شيلدرز (2010, pp. 33-34) يقضى على عيوب المدينة المخططة بالكامل، والمُعتمدة على فكرة وحيدة ونظام وحيد غير مرن يمكن التنبوء به؛ مما أدى إلى فشل ذريع في القرن العشرين تجاه المدن المخطط لها من قبل؛ فالتخطيط الحضري العضوي هو الحل في الحالات التي يكون النمو فيها ليس عاملاً مؤثرًا، وهو تخطيط يتبنى تقسيمًا جديدًا للأدوار، المنوط بها التخطيط بين الحكومة والمطورين والمواطنين، والأطراف الأخرى التي تدخل في صناعة التخطيط الحضري العضوي. وبدأ أدري دويفستيجن الديمقراطي الاجتماعي والسياسي الهولندي في حزب

العمال، وعضو مجلس مدينة ألمير السابق تصوره في أن الاعتماد على الذات هو القاعدة، مُشيرًا في مقابلة مع أرجن أوسترمان (2015, p. 104) إلى أن التحفيز لنشر بناء المنازل الفردية هو الأهم، حيث يرى أن الناس يجب أن تشكل منازلهم وبيئتهم الاجتماعية، بدلاً من الاستمرار في توفير المُنتج السكني من أعلى إلى أسفل، والذي يحصّل من قبل المطورين التجاريين ورابطات الإسكان على حد سواء.

المدينة في مقدمة مزاج العصر [الغموض]

تساعد الاستشهادات التي نُقلت عن ويندت (2000, p. 4)، بعد مراجعتها في النسخة الأصلية من أدبية چين چاكوبس [نُشرت النسخة الأصلية في (1993)]، في رصد أسباب موت وحياة المدن الأمريكية العظيمة، إذ إنها تتساءل بداية عن كيفية عمل المدينة في الحياة الحقيقية؟ وما مبادئ التخطيط المعززة للحيوية الاجتماعية والاقتصادية؟ كما تحاول أن تفهم النظام الاجتماعي والاقتصادي المعقد وراء اللانظام، الذي يبدو في المدن، علاوة على ما يحدث من استمرار الناس في الشارع فترات طويلة. حيث تُعقب چاكوبس بأنه إن كانت لهم بيوت ملائمة، فإنهم لن يتركوها ويملأوا الشوارع، كما أن المدينة دون قلب قوي وشامل، تميل إلى أن تصبح مجموعة من المصالح، المعزولة عن بعضها البعض.

كما تساءل مايك هيرد (2014)، في جريدة الجارديان، عما يجعل مدينتك خاصة جدًّا؟ مقترحًا أن تكون ثمة مناقشات بين كُلّ الناس على وجه الأرض؛ ليطرح كُلّ منهم رأيه عن أهم شيء بادرت به مدينته؛ لتتسم بشخصية فريدة عن بقية المدن الحضرية. وطرح تقريرًا أعدته مؤسسة مدينة ماكنزي (2013, p. 1) تساؤلاً عن كيفية جعل المدينة عظيمة؟ وقدم التقرير على عهدته مجموعة من الخطوات، التي وضعها قادة التخطيط لجعل المدينة عظيمة للعيش والعمل.

رغم أن سؤال جاري وارنابي (2009, p. 413) : ما الذي يجعل من مدينة عظيمة؟ كان دليلاً على تعدد الأدبيات الكثيرة التي تتحدث عن المدن العظيمة، إلا أن هانك ساڤيتش (2010, pp. 42-45) يجده مُصطلحًا فضفاضًا يعاني من الغموض؛ مؤسسًا تقريره من منظور سياسي عبر تتبع آراء رؤساء بعض المدن؛ فمنهم من قرر عظمة مدينته بناء على عظمة التصميم (مينابوليس)، وأشار ثانيهم إلى أن (سول) عظيمة لتوافر الخدمات المجتمعية، التي تمتلكها، في حين قرر ثالثهم أن عظمة (باريس) آتية من جودة الحياة.

كما قدم ساڤيتش أربعة عناصر؛ ليحكم بها على عظمة أي مدينة، وأطلق عليها الفورسيز (4Cs) وهي: العملة (أو الميزان الاقتصادي) والكونية (أو تعدد الثقافات)، والتركيز

(أو عدد السكان) والجاذبية، مقررًا أن حكم تلك العوامل الأربعة ليس نهائيًا، ومُبينًا بأمثلة من التاريخ القديم كيف استمدت المدن عظمتها من امتلاكها لموارد خاصة بها، وبناءً على الميزان الاقتصادي، فعلى سبيل المثال، كانت كل من أثينا وروما تمتلكان أسطولاً بحريًّا جعل الأولى تُهيمن بالتجارة والثانية تُهيمن بالقوة العسكرية.

وفي المقابل، وتأسيسًا على تلك القوة، حققت كل مدينة منهما إنجازاتها: فكانت في أثينا الفكر [الفلسفة] والدراما والعِمارة والعُمران في معظم أنحاء العالم، في حين كانت في روما الأشغال العامة وبناء الطرق والعِمارة والعُمران، تمثل الإسكندرية موقعًا محوريًا للباحثين عن المعرفة من كل دول حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا بينما كانت البندقية "بوابة الشرق الأوسط" تمثل تعبيرًا عن الكونية وتعدد الثقافات.

وتعتمد فكرة المدن المركزة على قدرة الصناعة والناس على تركيز أنشطتهم داخل موقع محدد ومحدود، والذي يعود إلى النظريات الاقتصادية حول قرب الصناعات المتخصصة واستخدام الأراضي المُختلطة والمجموعة الاقتصادية. وهو يرى أن الكاريزما نداء سحري، يولد الحماس والإعجاب أو التقديس. ويستند هذا النداء إلى استحضار شعور تجاه شخص أو كيان. كما أن "الخصائص الكاريزمية" أيضًا يمكن نقلها عن طريق الرموز والأشكال المكانية.

أما المدن العظيمة، حسب ديفيد سوزوكي (2014)، فهي التي ترحب بالتنوع العرقي وتُدعم وتشجع الفنون، وذات مسارات للحصول على رأس مال، يمكن أن يُستثمر لتحفيز روح المبادرة والابتكار والاستفادة من البيئات الصحية، التي توفر الهواء والماء النقي، ويلخص رؤيته عبر تحليله لنوعين من المدن الأمريكية: الرائدة والجديدة:

كما تبين استبانة أجرتها مؤسسة ساساكى، اشترك فيها ألف مواطن من سان فرانسيسكو وشيكاغو وأوستين ونيويورك وبوسطن وواشنطن دي سي، حول أكثر الأشياء التي يحبونها في مدينتهم، وكانت تلك الأسئلة قد غطت معظم الأنشطة المتعلقة بحياة المدن، وفي نهاية الاستبانة، قرروا أنه من المفيد جلب أكثر عدد من الناس للمدن؛ لأن الحياة الحضرية أمر أساسي لحياة أكثر استدامة. كما ترى إيرين بيدريلو (2015)، بناء على تلخيص نواتج حوارها مع إيثان كنت – النائب الأول لمشروعات الفضاءات العامة في نيويورك، أن المدينة العظيمة ليست المدينة للعيش فيها فحسب، بل إنها أيضا المدينةالقادرة على الحب.

وفي تقرير *فرصة لنمو مدينة عظيمة* (2015, p. 10)، تكمن قوة مدينة ميسيسوجا في شعبها وكيفية الاستفادة من موهبة موظفيها في إدارتهم لأعمال المدينة، حيث إن صنع

المكان في تلك المدينةهو الشيء المثالي الذي يجذب إليها استثمارات ضخمة. كما أن عظمة تلك المدينة مُستمدة من الازدهار الاقتصادي، المعتمد على التقنية والطاقة، من خلال عمل نظام المترو، الذي يقيس كفاءة المدينة الأمريكية، حيث احتلت مدينة سان فرانسيسكو فى العام 2014 مرتبة عالية نتيجة الازدهار الاقتصادي، حيث يتم تغذية اقتصاد المدينة من قبل ريادة الأعمال ووسائل إعلام اجتماعية، وتطبيقات الجوال، وبرمجيات مستندة لأنظمة تخزين المعلومات، وتصميم أنظمة الحاسوب والنشر الدائم على شبكة المعلوماتية، والتقنيات النظيفة، وإجراء البحوث الطبية، والمبنية كذلك على اقتصاد إبداعي وعلمي.

اليوم في بعض النماذج الأوروبية في الفكر الغربي

يمكن القول بأن الأبعاد الاجتماعية والثقافية أساسية لتطوير والحفاظ على انفراد أي مدينة – بدءًا من توفير سياق مُجتمعي محلي لخلق خلفية ثقافية لفهم وتفسير كيفية عمل المدينة، وفق تعدد مكوناتها واختلاف أمكنتها، وانتهاءً بمراجعة النماذج الفكرية الغربية، وانتقاء أفضلها أو الدمج فيما بينها؛ لخلق شخصية توحي بانفراد المدينة.

ومن ثم، فعلى المِعماري أن يلتزم بكل ما يحقق الجودة، ليس من وجهة نظره، وإنما من خلال المعايير التي قدمها المنظرون على مر الزمن. ومن ثم يصبح عليه الالتزام بالمعايير الحاكمة كافة لتصنيف المدينة؛ باعتبارها مكانًا يذهب الناس للعيش فيه على أفضل ما يكون هذا العيش، مُحترمًا اعتبارات المدينة كعمل فني له مدخل معلوماتى [التقنية هى المجتمع]، وأنها مواءمة [أى تجعل الأماكن شهيرة] كما أنها ذات مشروع [مدنية تعيد امتلاك شىء]، وإنها مكان عابر الثقافات [الاختلاف والتنوع]، كما أنها ذات نفوذ [يصنع المدنية ويكسبها قوتها من سكان والعكس صحيح]. وأخيراً فى هذا العمل تكون المدينة ذات طابع لكل العصور [الغموضِ]. ورغم كل هذه السنين التى مرت، وأننا الآن فى عام 2017، فإن السؤال لازال قائمًا عما إذا كان تأثير العصر الصناعى هو الذى قادنا إلى تفكيك المدينة التقليدية ومفهوم التمدد الحضرى هل هو الذى يسبب أيضًا حضور المدن الجديدة التى تم إعادة نشأتها ومضاعفتها وإنتهاجها فيما يتجاوز الإطار الفنى المطلوب فى هذه المدن؟ لذا، فإن هذا الباب سوف يركز على مناقشة المراحل الفكرية الست فى تخطيط المدن وتصميمها التى ازدهرت منذ تسعينيات القرن الأخير (الماضى)... وهذه المراحل تتضمن: المدن المعلوماتية (1989)، ومدن علامة تجارية (1990)، والمدن الذكية (1997)، والمدن الكونية/مدن عابرة الثقافة (2003)، ومدن تنمية عضوية حضرية (2010)، ومدن عظيمة (2010).

إن القوائم [الجداول من رقم 6 وحَتَّى 12] الداعمة في هذا العمل تشير إلى بعض النقلات الفكرية التى بدأت فى آواخر القرن الماضى، وتصف الكيفية التى يمكن بها للمدينة أن تكون مختلفة أو ذات انفرادية. وهذه الجداول (القوائم) تمثل ستة مخططات وتساعد فى شرح وتفسير معنى "مدينة انفراد"، والذى يشتق اهتمامه من "تخطيط المدخل المعلوماتى التقنى، والبنية التحتية للمدينة المعلوماتية العالمية، والمدن التنافسية، والمدن عابرة الثقافات، وعظمة السكان، والمدن التى تمتلك طابع كُلّ العصور (الغموض). وهذا يعنى أن مدينة ما يمكنها أن تمتلك المعلوماتية الكونية، والعلامة التجارية، ويمكنها أن تكون ذكية، وعالمية (كونية)، ويسكنها كثيرون، ويمكن أن تكون عظيمة.

جدول6: النماذج الفكرية الغربية المهيمنة من منظور مفهوم "مدن انفراد."

الزمن	الانفراد	(1980)
المكان		مدينة عالمية معلوماتية [Global & informational city]
الفكرة		التقنية هي المُجتمع. (Jorgensen & Stedman, 2001, p. 5)
المفهوم	1. يستند اهتمامه من البنية التحتية لتقنية المعلومات والإتصالات	المدينة ليست مكان بل عملية. (Brown & Perkins, 1992, p. 417). المدينة كيان معلوماتي تقني.
الهدف		تقييم التقدم الذي يحرزه بلد ما تجاه هذا المجتمع.
تحضر مُنفرد		(أ) الأدوات التقنية لفهم وتمثيل المُجتمع (Jorgensen & Stedman, 2001, p. 5). (ب) مُجتمع المعرفة والمناطق الغنية بالمعلومات (Tuan, 1975, p. 968). (ج) المُجتمع المعلوماتي، (د) ومُجتمع الشبكة (Jorgensen & Stedman, 2001, pp. 21, 500) ، (هـ) بنية تحتية واتصالية لتقنية المعلومات والاتصالات، (و) المحتوى القابلة للاستخدام، (ز) التوصيل المادي للبنية التحية، (ح) القدرة الفكرية البشرية (Lor & Britz, 2007, pp. 390-391). (ط) المراكز المالية، والعديد من الفعاليات الثقافية باللون المحلي. (Tuan, 1975, p. 968)
قطع مُتحفية		هيكل المؤسسة والترفيه الكافي ومرافق التسوق جذابة. (Tuan, 1975, p. 964)
الشخصية		(أ) تأثير المدينة على التغيير الاجتماعي في السياق العالمي، (ب) الحصول على سوق العمل والاستقطاب الوظيفي والوظائف عالية الأجر للموظفين المؤهلين تأهيلاً عاليًا. (Tuan, 1975, p. 964)
الطليعة		Manuel Castells (1997), and David Clark (1991), Peter Johan Lor and Johannes Jacobus Britz (2007), and Wolfgang Stock (2011), and Agnes Mainka et al., (2014)

جدول7: النماذج الفكرية الغربية المهيمنة من منظور مفهوم "مدن انفراد."

الزمن	الانفراد	(1990)
المكان		مدينة علامة تجارية [City branding]
الفكرة	2. يستمد اهتمامه من الاقتصاد	(أ) حملات تجارية متتالية وبارزة لتسويق المدن، (ب) الحصول على قيمة العلامة التجارية التنافسية.
المفهوم		المدينة سلعة، جعل الأماكن شهيرة. (Dovey, 2010, p. 7)
الهدف		– تغيير "المدينة المادية" الحقيقية لتتوافق مع الصورة المثالية للمدينة ذات الأسماء التجارية.
تحضر مُنفرد		– تعزيز (أ) إنصاف في العلامة التجارية؛ (ب) القيمة للمنظمات والمستهلكين فيما يتعلق بالأنشطة؛ (ج) ارتفاع عوائد الاستثمارات. تلبية توقعات الزوار والمستثمرين. (Hankinson, 2004, p. 111)
قطع مُتحفية		سمات تساعد المدينة لتلبية الاحتياجات الوظيفية والرمزية والعاطفية. (Ashworth, 2009, p. 9) (1996, pp. 55-66)
الشخصية		– وكالات المدن، الشركات القائمة على المدن بدأت في استخدام خطط العلامات التجارية لإنشاء وتسويق مدنها. (Greenberg, 2000, p. 230)
الطليعة		Graham Hankinson and Philippa Cowking (1993), Miriam Greenberg (2000), Kavaratzis (2004), Ashworth (2009), and Simon Anholt (2010)

جدول 8: النماذج الفكرية الغربية المهيمنة من منظور مفهوم "مدن انفراد"

الزمن	الانفراد	(1980)
المكان		مدينة عالمية/مُتعددة الثقافات [Cosmopolis/Transcultural Cities]
الفكرة		(أ) التفاعل بين الثقافات (Savitch, 2010, p. 43). (ب) المدينة هي "مكان الاختلاف والتنوع والمساواة في نهاية المطاف. (Talen, 2006, p. 234)
المفهوم	3. يستمد اهتمامه من تفاعل الثقافات	تفاعل الثقافات Transculturalism.
الهدف		تبادل الحوار والتفاهم المتبادل بين الناس من خلفيات ثقافية. (Bloomfield & Bianchini, 2002, p. 6)
تحضر مُنفرد		(أ) تعزيز حياة أفضل بقبول فكر التنوع (Hannerz, 1996, pp. 56-57) (Fainstein, 2005, p. 3)، (ب) التحول التعددي فى الفضاء العام والثقافة المدنية والمؤسسات (Bloomfield & Bianchini, 2002, p. 6). (ج) المبادئ التى تحكم تخطيط المدن هى: التنوع والديمقراطية والإنصاف (Fainstein, 2010). (د) مكان الحيوية والصحة الاقتصادية

		والعدالة الاجتماعية والاستدامة (Talen, 2006, pp. 236-240). (هـ) الاتصالات عبر الثقافات (Hadjicostandi, 2007, p. 5154). (و) التطورات الاقتصادية والتكنولوجية فضلا عن التجارب الفنية والفكرية (Hadjicostandi, 2007, p. 5155). (ز) مبادئ مدينة متعددة الثقافات: "القيادة، صناعة المدن، إدارة المدن، المواطنة، الجسور والاختلاط." (Landry & Wood, 2008, pp. 321-324)
قطع مُتحفية		– تنوع المكان. (2006, 236-240) (2013, 25-26) (2008)
الشخصية		(أ) يسكنها أشخاص من مُختلف البلدان، (ب) بعض الأمثلة على مدينة كوزموبوليس[1]. (جـ) تشجيع التسامح والتعددية والقدرة على استيعاب طرق مختلفة للحياة. (د) تمكين الناس والأفكار لتعميم في جميع أنحاء المجتمع الحضري (Savitch, 2010, p. 43). (هـ) خلق التغيير الاجتماعي. (Hadjicostandi, 2007, p. 5154)
الطليعة		Leonie Sandercock (2003), Ulf Hannerz (1996), Jude Bloomfield and Franco Bianchini (2002), Susan S. Fainstein (2005; 2010), Emily Talen (2006), Joanna Hadjicostandi (2007), and Phil Wood Charles Landry (2008), and (Council of Europe 2013)

جدول 9: النماذج الفكرية الغربية المهيمنة من منظور مفهوم "مدن انفراد"

الزمن	الإنفراد	(1997)
المكان		مدينة ذكية [Smart city]
الفكرة	جـ. يستمد اهتمامه من االتنافسية	(أ) المدينة هي روح المبادرة. (ب) المدينة هي كائن مشهور.
المفهوم		التقنية الفائقة من مدينة ريادة في الأفعال. (Hollands, 2008, p. 303)
الأهداف		(أ) تحقيق الأهداف المحددة في بروتوكول كيوتو (Hollands, 2008, p. 303). (ب) إدماج التفكير البيئي. (ج) يتمتع جميع المواطنين برخاء مدينتهم. (Hollands, 2008, p. 303), (Susantia, Soetomoa, Buchoria, & Brotosunaryo, 2016, p. 195)
تحضر مُنفرد		الاقتصاد الحضري التنافسي: (أ) الوظائف العالية المهارة والدخول المرتفع. (ب) السلع والخدمات الجيدة بيئيا ذات الخصائص المرغوبة. (ج) الأنشطة التي تسيطر على المستقبل. (د) العقود الآجلة البديلة بدلا من قبولها بشكل سلبي. (هـ) تعزيز مكانة المدينة في التسلسل

[1] الإسكندرية: مركز اتصال طالبي المعرفة من المناطق المحيطة عن طريق البحر الأبيض المتوسط وفي جميع أنحاء شمال أفريقيا. البندقية: بوابة إلى الشرق الأوسط والشرق (2010, 43). لوس أنجلوس: تدفقات كبيرة من المواطنين الأمريكيين من الشرق والغرب الأوسط والجنوب، وكانت الهجرة إلى الحزام الشمسي، وهي تحتضن قيم الحرية والديمقراطية والحركة الصاعدة (2010, 45) سان فرانسيسكو حيث التعددية المفرطة تسود: (أ) التسامح المُتبادل أمر ضروري، (ب) والتعلم الاجتماعي أمر لامفر منه، (جـ) والابتكار مُحتمل والديمقراطية عمل شاق. (2010, 45)

		الهرمي الحضري (Begg, 1999, p. 800). (و) المدن والشركات والوكالات الاقتصادية. (Begg, 1999, pp. 798-799)
قطع مُتحفية		(أ) التقنية: الرقمية، الذكية، في كل مكان، السلكية، الهجين، مدينة المعلومات. (ب) الناس: الإبداع، التعلم، البشرية، المعرفة المدينة. (Nam & Pardo, 2011, p. 284)
الشخصية		(أ) الجيل الجديد لتقنية المعلومات. (ب) جزء من محتوى المناطق الحضرية. (Susantia, Soetomoa, Buchoria, & Brotosunaryo, 2016, p. 195)
الطليعة		Peter Kresl (1955), Ian Begg (1999), Robert G. Hollands (2008), Taewoo Nam & Theresa A. Pardo (2011), Jonathan Woetzel (2013) to Annalisa Cocchia (Cocchia, 2014) ، Retno Susantia (2016).

جدول 10: النماذج الفكرية الغربية المهيمنة من منظور مفهوم "مدن انفراد"

الزمن	الإنفراد	(2010)
المكان		المدينة من قبل الناس: التنمية الحضرية العضوية [Organic urban development]
الفكرة		– مبدأ تنمية حضرية عضوية جنبًا إلى جنب مع إدارة أخرى.
المفهوم	5. يستمد اهتمامه من الناس	– يصنع الناس مدينتهم، وتكون قادرة على أن تجعلهم يصنعونها.
		– تمكين المواطنين بشكل فردي وكمجموعة بالمعنى المكاني والاجتماعي: (أ) لصُنع المدينة، (ب) دفع القوة لخلق المدينة والحفاظ عليها واستدامتها، (ج) السعي لتحقيق إمكاناتهم الفريدة، بروح وكرامة. (Schilders, 2010, pp. 29-33)
تحضر مُنفرد		(أ) القضاء على عيوب المدينة المخطط لها مُسبقًا (Schilders, 2010, p. 33). (ب) مدينة مخططة بالكامل تشكل أكبر فشل فى التخطيط (Schilders, 2010, p. 34). (ج) تقسيم الأدوار المقترحة بين الحكومة والمطورين والمواطنين والأطراف الأخرى المشاركة فى التخطيط الحضري العضوي. (Oosterman, 2015, p. 104)
قطع مُتحفية		هيكل المؤسسة والترفيه الكافي ومرافق التسوق جذابة.
الشخصية		(أ) المسؤولية الخاصة، (ب) تحرير المواطنين من أعباءهم وإبلاغهم بمسؤوليتهم تجاه مدينتهم.
الطليعة		Adri Duivesteijn, Petra Schilders (2010), and Arjen Osterman (2015)

جدول 11: النماذج الفكرية الغربية المهيمنة من منظور مفهوم "مدن انفراد"

الزمن	الانفراد	---
المكان		مدينة عظيمة
الفكرة		(أ) ما الذي يجعل مدينة عظيمة؟ (Savitch, 2010, p. 42) (Warnaby, 2009, p. 413).(ب) المدينة ساخنة (تدفق الناس ورأس المال)، (ج) مدينة باردة (نوادي الجاز، والمهرجانات الفنية)، (د) مدينة عالمية، (هـ) مدينة العالم. ملحوظة: العظمة: هي ضربة حظ وعشوائية. (Savitch, 2010, p. 42)
المفهوم	6. يستمد اهتمامه من التنافسية	فضفاض ويعاني من الغموض. (Savitch, 2010, p. 42)
الهدف		(أ) عظمة التصميم: مينيابوليس، (ب) توفر الخدمات المجتمعية، (ج) جودة الحياة، (هـ) "قدرة الصناعة والناس على تركيز أنشطتهم على موقع محدد (Savitch, 2010, p. 43). (و) اتصال الأعمال، (ز) خدمات المنتج.
تحضر مُنفرد		(أ) "العظمة الحضرية" [Cs4]: "العملة، كوزموبوليتانيسم، (ب) التركيز والكاريزما (Savitch, 2010, p. 43). (ج) المدن المركزة (Savitch, 2010, p. 43):(أ) قرب الصناعات المتخصصة؛ (ب) الاستخدام المختلط للأراضي؛ (ج) العمل في مجموعات اقتصادية.
قطع مُتحفية		(أ) [Cs4]: العملة (أو الاقتصاد) والكونية (أو التعددية الثقافية) والتركيز (أو السكان) والجاذبية (Savitch, 2010, pp. 43-44).(ب) الخصائص الكاريزمية يمكن نقلها عن طريق الرموز والمكانية النماذج. (Savitch, 2010, p. 45)
الشخصية		(أ) الفلسفة والدراما والعِمارة والعُمران [أثينا]، (ب) الأشغال العامة وبناء الطرق والعِمارة والعُمران [روما]. (ج) النقطة المحورية لطالبي المعرفة من المناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط وفي جميع أنحاء شمال أفريقيا [الإسكندرية]، (د) بوابة إلى الشرق الأوسط وتمثل تعبيرًا عن كوزموبوليتانيسم والتعدد الثقافي: كبوابة إلى الشرق الأوسط والشرق [فينيسيا] (2014). (هـ) عالم الهجرة والكاريزما، [نيويورك]. (Savitch, 2010, pp. 44,45)
الطليعة		Gary Warnaby (2009), Hank Savitch (2010), and David Suzuki (2014)

الباب التاسع: 92 عامًا من هليوبوليس إلى الرحاب

في مصر، بعد أكثر من 112 عامًا وأكثر من ثلاثين أسلوب مِعماري عُمراني للمدن الجديدة، فإن هيليوبوليس، التي بنيت في عام 1905 كبلدة تابعة، لا تزال أفضل مدينة لأنها تجسد مبادئ الانفراد والتحضر المُنفرد. معظم المصريين يعتقدون أن هذا الانفراد ينبع ليس فقط من أفكار المصممين ولكن أيضًا من رؤية فريدة من نوعها لمدير المشروع، بارون إدوارد إمباين. ومن ناحية أخرى، لا أحد يعرف لماذا المصممين المعاصرين يفتقدون القدرة على التوصل إلى الأفكار التي تجعل المدن الجديدة لديها هذا الانفراد.

استهلال

خلُص الطرح النظري إلى أن مسائل "الانفراد" تلك تتبين في جانبين: أولهما: يخُص التصميم المِعماري العُمراني على مستوى المباني المُفردة [والواجهات المُجمعة] باعتبارها رموزًا (أيقونات) تبقى على مرِّ الزمن كعلامات تفرد، ويُطلق عليها القطع المُتحفية الحضرية artefacts، وثانيهما: يناقش الانفراد المؤسس على أن المدينة يجب عدم التعامل معها، باعتبارها مُنتجًا، يبدأ وينتهي لحظة انتهاء المُصَمِم من وضع الخطط المرسومة مُسبقًا، وإنما ينبغي التعامل مع المدينة باعتبارها عملاً فنيًّا تراكميًّا مُستمرًّا، له بداية وليست له نهاية حتمية وحيدة، فيضع المُصمم بدايات رسومه، ويستكمل الناس المُشاركة في البناء حسب الخطة الموضوعة، وإنما بوازع من شخصية الذين يعيشون في هذه المدينة. وهكذا اختار مؤلف هذا العمل أن تكون مسألة استكشاف الانفراد –على أرض الواقع– عبر مقارنة بين مدينتين مستقرتين؛ حيث اتفق بعض المبحوثين على أنهما متشابهتان من حيث فكرة مدن الضواحي. وعلى الرغم من أن الزمن بينهما يصل لحوالي 92 عامًا إلّا أن كلتاهما تفتحان المجال للنقاش حَتَى الآن، وهما: مدينة الرحاب (1997) وحي هليوبوليس [مصر الجديدة] (1905). وعلى الرغم من أن الفجوة الزمنية بين هاتين التجمعين السكنيين تقريبًا حوالي 92 عامًا إلا أن من 90٪ من المشاركين في الاستبانة بينوا اليوم، في العام 2017، إلى أن كليهما مبنيين على فكرة مدن الضواحي.

من المعضلات البحثية لمقابلة المشاركين

في مجلة الأهرام الأسبوعية الصادرة على شبكة المعلوماتية العنكبوتية، في العام (2005)، يؤكد عادل مختار رؤية العديد من المصريين أن مصر الجديدة هي ضاحية. ورأى أن مصر الجديدة بدأت "واحة في الصحراء،" وتحولت إلى "ضاحية سكنية فريدة،" حيث كتب: "يجب أن ينظر المعماريون المعاصرون إلى مصر الجديدة كنموذج للتنمية الحضرية." وفي هذا السياق، كتب جاكوب جاردولينسكي (2010, p. 7) في مشروع تقرير معهد إيث ستوديو، معهد مدينة بازل المعاصر (2010)، بعنوان "مدينة هليوبوليس في مدينة" يشير إلى ما يقوله مختار أن مصر الجديدة هي ضاحية.

يبدو أن هذه المعلومات غير صحيحة، ولم ينتبه إليها الكثيرون، فعلى الرغم من أن أندريه ريمون (2000, p. 331) ذكر أن مصر الجديدة هي ضاحية، فإنه حسب أجنيسكا دوبروولسكا وجاروسلاو دوبروولسكي (2006) في كتابها المعنون *مصر الجديدة: ولادة جديدة لمدينة الشمس*، يُشيران إلى أن إدوارد إمبان رغم محاولته اتباع رؤية إيبينزر هوارد (1889)، والتى تدور حول فكرة المدينة الحدائقية، لكنه فضل إنشاء "بلدة تابعة" satellite town بالقرب من القاهرة. وفي نفس السياق، فإن مجمع الرحاب السكني الجديد يتبع التجمع الحضري الجديد المعروف بالقاهرة الجديدة، ويقع على بعد 15 دقيقة من مدينة نصر ومصر الجديدة شرق محافظة القاهرة. إلّا أن كلتيهما تفتحان المجال للنقاش حَتَى الآن، حيث تربط بينهما نقاط تشابه تتركز فى: (أ) كلتيهما أنشئتا خارج نطاق القاهرة العاصمة، (ب) كلتيهما يُمثلان امتدادين لكتلة حضرية قائمة، (ج) كلتيهما يتمتعان بتنوع وتوافر الخدمات والمناطق الخضراء والمطاعم وأماكن التنزه، (د) كلتيهما تتمتعان بفاعلية مسارات حركة السيارات وسهولة التنقل على الأقدام.

في حين أن هليوبوليس عبارة عن منطقة سكنية مفتوحة، بدون أسوار أو بوابات (لاتتجاوز 5888 فدانًا –2.318 هكتار، وصُممت للأوروبيين الذين كانوا يعيشون في مصر، فى ذاك التاريخ (2000, p. 331). كما يبدو الاختلاف أيضًا فى أن عِمارة وعُمران الأبنية المُفردة الأبنية المُفردة في مدينة الرحاب تميل للنمذجة الغربية، التابعة لتيار الحداثة، في حين أنها في هليوبوليس تتميز بالابتكار؛ فهي ذات طراز إسلامي وزخارف تُعطي المدينة سحرًا، حسب أندريه ريمون (2000, p. 331)، والذي كتب عنها أيضًا أنها "بالتأكيد لها أسلوبها الخاص." كما استخدم في تصميم الواجهات "الزخارف العربية والبناء على الطراز المغاربي الجديد، ... للحفاظ على أصالة بعينها. (Raymond, 2000, p. 338)

ومن ثم يُمكن القول، من وجهة نظر المؤلف، بأنها تكاد تشبه العمل الفني الذي تحدث عنه كاميلو سيت وألدو روسي، فيما يجب أن تكون عليه المدينة؛ حيث تتمتع ضاحية هليوبوليس بمجموعة من القطع المُتحفية الحضرية مثل: (أ) قصر البارون إمبان المستوحى من تصميم معبد هندوسى أو قصر هيندو، من تصميم ألكسندر مارسيل، (ب) كنيسة البازيليك، المُصممة لتكون مثل آيا صوفيا في القسطنطينية، إسطنبول، من تصميم الكسندر مارسيل، (ج) ميدان تريومف: جدار الفن والعمود الروماني.

ومن خلال تحليل المخطط العام للتخطيط العمراني لمدينة الرحاب، والذي صممه المخطط المصري محمود يسري، بدا أنه يتبع الأسس الفكرية نفسها للنماذج التقليدية التي ركزت بشكل أساسي على توزيع استخدامات الأراضي في تدرج هيكلي للمكونات الأساسية؛ والخدمات، والمساحات الحضرية، والطرق.

ومن الملاحظ أن اتجاهات التنمية الهيكلية قد ركزت على تصنيف المشاريع المتكاملة وقطع الأراضي، دون الدخول في تفاصيل الاهتمام بجودة الأماكن أو الخبرة الشخصية، التي تنتج من تسلسل الأماكن. ويبدو أن هذا المجتمع قد تجاهل فكر الانفراد الذى قدمه روسي (1982) والتي ترى أن جودة الخلق الإنساني هو معنى المدينة. علاوة على ما قدمه جون لانج (2007) في كتابه *التصميم الحضري: تصنيف الإجراءات والمنتجات* بأن تصميم المدينة يجب أن يبدو وكأنها عمل فني، وتُعد قطعة قطعة.

بالإضافة إلى ما يعتقده چون برنكيرهوف چاكسون (1994, p. 161) أن المكان العبقرى هو مجرد مصطلح يصف "الجو المحيط بالمكان، وجودة البيئة. كذلك، يرى الخصائص المرافقة "للإحساس بالمكان" أو تلك الآراء التى عبر عنها كيڤين لينش (1960)، وألدو روسى (1966) وكريستيان نوربرج–شولتز (1979) وكريستوفر ألكسندر (1979) وماريا ليويكا (2008) بأنها "روح المكان."

كذلك، تتجاهل مدينة الرحاب الخبرة التى تنتج من الأماكن، والتى يراها كيڤين لينش مصدر نوعى غير ذى مصداقية، كما ذكر فى كتابه "صورة المدينة الرحلة" كخبرة ناجمة (1984, 503). وهذا يكمن "فيما يعبر عن خبراتنا الواقعية المنتقاة والتى تتشكل وتتلون بما نعرف". وحسب آراء بارى جرينياى (1981, p. ix)؛ حين أضاف بأن "ذاكرة المكان" – حسب ملاحظة دولوريس هايدن (1995, pp. 45-46) تتسم بأنها "المثابرة المستقرة للمكان كحاو للخبرة أو كمستودع لها، يساهم بشكل قوى للغاية فى ذاكرتها الجوهرية" والتى نؤمن بأنها مفتقدة.

الأبعد من ذلك، أنه يبدو أن غياب مفهوم "الانفرادية،" وتصميم المدينة باعتبارها عملاً فنيًا، والتصميم الخاص بالمدينة قطعة قطعة، كما أشار جون لانج (1994, p. 23) بأنه مصدر نوعى غير ذى مصداقية فى كتابه: "التصميم الحضرى، تصنيف الإجراءات والمنتجات" إن النقطة الأخيرة التى توضح الاختلافات الجوهرية بين هليوبوليس ومدينة الرحاب، تنبنى على البعد التحولى فى شكل الأبعاد، لاسيما التحولات الاجتماعية بمرور الزمن، والتى نتج عنها تغيرات تنظيمية، ليس فقط فى النسيج الحضرى، ولكن أيضًا فى التشييد. وهذه القضية لم تحدث بشكل نهائى فى هليوبوليس، حيث أن النسيج الحضرى بها كان شديد الالتصاق بها وعلى نطاق واضح.. إلاأنه حدث فى مجال الأنشطة الفردية، مثل متنزه الميريلاند، والمبانى التى تقع خلفه، وكذلك المبانى التى تقع أمام المتنزه، والتجمعات المتعددة فى منطقة الكوربة.. وفى حين أن مدينة الرحاب لم تمر بخبرات هذه التحولات، فإنه ليست هناك بنايات ذات رفاهية أو ذات تميز معمارى، أو حتى علامات حضرية رمزية، يمكن أن تتغير بمرور الوقت.

من معضلات البحث إلى حوار استجابات العينة: مناقشة

استلزم البحث في البداية إجراء مقابلات شخصية مع بعض المواطنين المُقيمين والزائرين لِمُستقرة بشرية مِصرية، من الجيل الثالث للمدن المِصرية الجديدة، وعرفها الناس باسم "القاهرة الجديدة،" وتقع في الجهة الشرقية من مدينة القاهرة العاصمة، وتقدر مساحتها بحوالي 28 ألف هكتار، وتضُم ستة تجمعات معروفة بالتجمع (الأول حُتَى الخامس)، ومعها مديمة "الرحاب" ومدينة "مدينتي." اتُخذ قرار الإنشاء في العام (2000)، وهي في الوقت الحالي؛ أي في العام 2017، تكاد تكون مُكتملة البناء، ويقطنها حسب الموقع الإلكتروني لهيئة المجتمعات العُمرانية الجديدة، ووفق التوقعات، في نهاية فترة الإنشاء حوالي 4.9 مليون نسمة. اختار هذا البحث مدينة الرحاب (1998) (90 هكتار/200 ألف نسمة) لاختبار هذين العنصرين، وكان الحوار الدائر ضمن استطلاع رأي مائة مُقيم وزائر من المصريين والعرب والأجانب[2]، ومن تتراوح أعمارهم بين العشرين والسبعين عامًا. وجاءت النتائج على النحو التالي:

[2] وقدم المهندس محمد الرافعي في رد على شبكة التواصل الاجتماعي رؤية خاصة عن عوامل "انفراد مدينة الرحاب "عن غيرها من المُستقرات الحضرية الجديدة كالتالي: (أ) شبكة طرق جيده ومُتدرجه، (ب) شبكة مشاة مُناسبه جدًا للتنزه. (جـ) فصل مناطق السكن والخدمات بنسبة كبيرة، فيما عدا بعض المجموعات السكنية المجاوره للسوق التجاري. (د) تنوع الخدمات وارتفاع مستواها؛ نظرًا لتواجدها المُبَكِّر في المراحل الأولى من تنمية المدينة ، وبسبب الاستثمار المباشر للمطور العقاري في إيجاد وتشغيل هذه الخدمات ذاتيًا في البدايات، وقبل بيعها لمُستثمرين

أولاً: (10٪) من المبحوثين يرون أن مدينة الرحاب مُختلفة، وتنفرد بشيء غير متواجد في التجمعات الأخرى الواقعة، ضمن مدينة القاهرة الجديدة. ويتمثل الاختلاف في أفضلية توفير الخدمات وتكاملها والإدارة والصيانة والأمن داخل المدينة المُحاطة بأسوار ومداخل مُحددة، علاوة على أن بعض الفيلات، يقوم كُلّ مالك بتصميمها كما يتراءى له. وتعليق الباحث هنا: أن تكامل الخدمات وحسن الإدارة والصيانة والأمن، وما شابه كُلّها مسائل هي بطبيعة الحال يجب أن تتواجد في أيّ مدينة، وإلا كانت مدينة قاصرة عن تلبية مُتطلب أساسي، وهي وإن كانت تُعتبر إيجابيات، وإنما لاتندرج تحت اعتبارات الاختلاف أو الانفراد.

هناك خمسة شرائط تجعل المدن "دينامية وأمنة وإنسانية"، حسب أدبية چان چاكوبس (1961) *موت وحياة المدن الأمريكية الكبرى* وهي (2000, pp. 143-221): (أ) توليد التنوع، (ب) استخدامات أولية مُختلطة، (ج) كتل صغيرة لتشجيع المشي، (د) مزيج من المباني القديمة والجديدة التي تلبي احتياجات المستأجرين ذوي الدخل المرتفع والمنخفض، (ه) تركيز الكثافة لخلق كتلة حيوية حرجة. أما مسألة الانفراد التي يقصدها هذا البحث فمرتبطة تحديدًا–بجانب هذه الشروط وغيرها–بعناصر المدينة المِعمارية العُمرانية المُفردة .وتحديدًا كما يُشير كيڤين لينش (1961) في أدبيته *صورة المدينة* عن الانفراد الناتج عن الوضوح والخلفية figure-background clarity (2013, p. 105) ، وحسب ما جاء ضمن مبادئ علم نفس الجيشطالت Principles of Gestalt Psychology. (2015, p. 13) (2007, p. 25)

ثانيًا: (90٪) يرون أنها لا تختلف كثيرًا عن التجمعات الأخرى؛ حيث أكد المبحوثون أن الكُتل البنائية عبارة عن "استنساخ reproduction" لنماذج نمطية "prototypes،" إذ عبر أحد المبحوثين على أن تلك النماذج النمطية "تُعطي مكانًا لا مكان له،" وكان ذلك تعليقًا على مقولة سيدة من الزائرين أشارت فيها إلى أن المباني السكنية هي عبارة عن استنساخ من بعضها البعض، حيث لا يوجد مبني له شخصية مُتفردة تميزة ولا تجعله مُختلفًا أو

خارجيين. (ه) قدمت المدينة "نموذجًا فريدًا جدًا" في مُنتج عقاري "لا يوجد له مثيل تقريبًا،" فمساحات السكن تناسب شرائح المُجتمع كافة: اجتماعيًا واقتصاديًا، وهو الأمر النادر حدوثه في كثير من التجمعات السكنية الخاصة، فنحن نرى إما تجمعات مُخصصه للشرائح العليا من فيلات وقصور، أو نرى تجمعات إسكان للدوله، فالمدينة بها وحدات سكنية تبدأ من (80 م^2)، وتتدرج لتصل لفيلات سكنية فاخرة بمساحات بناء تتعدى ال (500 م^2)، وبالتالي فالتركيبة السكانية للمدينة هي أقرب ما تكون للمدينة العامة. وفي تقديري أن هذا يخلق وضعًا متزنًا وحياة طبيعية. وثمة أسباب ترفع من كفاءة "انفراد المدينة،" إذا ما تم التخلص من المُشكلات العالقة بها، مثل: (أ) مواقف السيارات غير كافية بالنسبة للمجموعات السكنية، حيث يَضطر عدد كبير من السكان لاستخدام طرق السيارات للانتظار، وهذا يخصم من نهر الطريق، ويتسبب في انخفاض السيولة المرورية. (ب) تحدُث الاختناقات المرورية حول مناطق الخدمات؛ بسبب عدم توافر أماكن انتظار كافية للخدمات. (ج) شبكة المشاة ضعيفة وغير فعالة في نقل الحركه للمناطق الحيوية، وإن كانت مناسبة جدًا للتنزه فقط.

شاذًا، فالتطابق والشذوذ مرفوضان، أما الاختلاف والتشابه والتفرد والانسجام فمقبولان، وهذا غير مُتحقق، وأكملت "لا تعجبني مدينة الرحاب اطلاقًا." ثالثًا: بيد أن أهم ملاحظات الاختلاف عند الذين يرونها مدينة مُختلفة، تتمثل في: (أ) أن المساحات الخضراء المزروعة مُختلفة عن المدن الأخرى، من ناحية زيادة المساحة والتنسيق الحدائقي، الذي يهب المكان اتساعًا، حيث يُشير (85٪) إلى "إنها مدينة ترفيهية في المقام الأول،" في حين اختلف البعض (15٪) في أن هذا التوافر لايُعطي انطباعًا بأنها مُستقرة سكنية، كما أنه لا يُعطي أيضًا أي انطباعٍ بأنها ضاحية سكنية مثل الضواحي الأمريكية. (ب) (100٪) ذكروا أن الأبنية الدينية (المساجد والكنائس) متوافرة مساحةً وتشكيلاً لخدمة كُلّ وحدة جوار سكني، وإنما (60٪) يرون أنها تكاد تكون مُتشابهة، حَتّى أن المُشاهد لتلك الأبنية. وكما ذكر (25٪) لا يكاد يلحظ أي انفرادات، بل إن (10٪) يرونها مُحبطة وليست مُبتكرة، كما أن (5٪) يجدونها لا تتلاءم مع معايير الانفراد ، التي يعرفها المعماريون الممارسون، ومنهم ما ذكره كيڤين لينش في أدبيته *شكل مدينة جيد* تحديدًا. (ج) (80٪) يعتقدون أن هناك تنوعًا في الأسواق التجارية المُغلقة ومطاعم الوجبات السريعة. (د) (60٪) يرون أنها تعاني من صعوبة التنقل على الأقدام Lack of Walkability نتيجة لمسافات السير بين الأنشطة، علاوة على عدم وجود اتصالية جيدة بين المباني السكنية وشبكة الطرق المحلية Lack of Connectivity، ويرى (40٪) أن فكرة الدوّارات المُتكررة تُعيق انسيابية الحركة؛ خاصة في ساعات الذروة. (هـ) (30٪) يرون أن المدينة تفتقر للاستخدامات المُختلطة بالمفاهيم المُعاصرة. حَتَّى الآن، يبدو أن المبحوثين وجهوا دفة الأسئلة ناحية البعد التنميطي typological dimension، ومركزين على توزيعات استعمالات الأراضي والتنوع في الأنشطة.

رابعًا: وهذا ما دعى إلى طرح مجموعة الأسئلة التالية، لمن يرون أنها بالفعل مُختلفة وظيفيًا وخدميًا بدأت بسؤالين صريحين: وماذا عن الاختلاف المِعماري؟ أو ما الذي يُدركه المُشاهد حسيًّا وبصريًّا على وجه التحديد؟ وكان السؤال المُباشر: هل تجد من ضمن المناطق المفتوحة الترفيهية والتجارية والمساجد ومنطقة المطاعم ما يُميزها عن غيرها من الأنشطة نفسها، في أيّ تجمع آخر في القاهرة الجديدة أم أنه مُجرد تصميم لنشاط محدد مُشابه لكل ما رأيته من قبل؟ حيث: (أ) (60٪) من المبحوثين يرون أن النماذج البنائية (ويقصدون عِمارة وعُمران الكتلة المُفردة والواجهات المُجمعة) جميلة جدًّا ويقولون: إن العمائر كُلها تتكون من خمسة طوابق، في حين (15٪) يرون أنها مُتشابهة وتقليدية، والبقية (25٪) يرون أنها سيئة، وتكاد تتشابه مع الإسكان الشعبي، وأنها تُمثل تكرار يبعث على

الملل. بيد أن تعليقًا لزميلة مِعمارية من زوار المدينة كان: "أنها لربما تكون أشكال من العُمران، والتي صُدرت إلينا على أنها الأفضل، ولكنها ليست الأمثل لتُعبر عن ثقافتنا أو عاداتنا الإنسانية غير ذلك". وهذا ما يتوافق بالكلية مع أن المُصمم الحضري يستعين بالنماذج الفكرية الغربية Western European paradigms.

خامسًا: وفي نقلة نوعية، لفت نظرنا أن (75٪) يفهمون أن المقصود بمعنى الاختلاف يأتي مُتمركزًا في اكتمال الخدمات وتوافر المناطق الخضراء، وإنما كان (95٪) لديهم التباس بشآن المقصود بمعنى انفراد مدينة، فكانت إشارة الباحث من خلال سؤال: هل تجدون في المدينة عِمارة وعُمران كتلة، يُمكن اعتبارها "قطعة فنية حضرية" artefacts، أو حَتَّى أنها تصل لتكون رمزًا بنائيًّا iconic؟ (أ) (80٪) أجابوا بالنفي، و(ب) (20٪) التزموا الصمت. ومع علامات التعجب التي كانت في الوجوه، تساءل بعضهم (40٪): هل يجب أن تكون المدينة الجديدة بها آثار تاريخية؟

وهنا جاءت أسئلة الباحث على النحو التالي: 1) هل تجد في مدينتك شيًا تراه، يُمكن أن يصنع تاريخ المدينة، ويُميزها من ناحية الشكل كأن يشبه ساعة بيج بن في لندن، أو برج پيزا المائل في إيطاليا؟ فكانت الإجابة (100٪) بمُطلقًا أبدًا. 2) هل تتمتع المدينة بفكرة أنها تنافسية وعالمية؟ وكانت الإجابة: (أ) (70٪) بأنها محلية وليست عالمية، ولكنها بالتأكيد تنافسية لما تملكه من خدمات متكاملة ومناطق ترفيهية، (ب) (30٪) لا يرونها تنافسية بالمرة. 3) أما عن تعدد الثقافات وتنوع السكان والزائرين؟ فكانت الإجابة أيضًا: (أ) (60٪) أن المدينة تضُم سكانًا من العالم العربي، وهم يعيشون بشكل طبيعي ومتسق معهم، (ب) في حين يرى (40٪) أن نسبة الأجانب لا تتعدى (2٪) في المدينة. 4) هل تجد المدينة ذات تقنية معلوماتية مُتقدمة (أو ذكية) ؟ فكانت الإجابة أيضًا: (أ) (85٪) يرون أنها تتمتع بكل وسائل التقنية والراحة من طرق وشبكات بنية أساسية مُتقدمة، (ب) (15٪) يرون أنها ليست مدينة ذكية؛ حيث لاتتوافر بها شبكة الكترونية عنكبوتية تربط كامل المدينة، كما أن المباني تقليدية وغير خضراء.

سادسًا: واختصت المجموعة الثانية من الأسئلة برؤيتهم عن مرحلية البناء ومساهمة السكان فيها، أم أن المُجتمع كامل التخطيط والتصميم والتنفيذ من البداية، فكان: (أ) (96٪) أشاروا بأن مشاركة السكان شبه معدومة، واستطردوا بأن البناء تقوم به الشركة المالكة وفق نماذج بنائية متكررة، كما أن البناء يتم على مراحل بالنسبة للأحياء، وإنما البناء المعماري تقوم به جهة تصميم واحدة [فنحن لا نريد عشوائيات]. (ب) (4٪) يرون أن هناك بعض

المشاركة في البناء في منطقة الفيلات، ولكنها غير ملحوظة. وبعد تأمل، استقر الرأي أن النتائج ستكون أكثر دقة، إذا جاءت الأسئلة بصيغة المقارنة بين حالتين: واحدة منهما مشهورة ومعروفة للجميع، آخذين في الحُسبان التوقع المُسبق بأن نسبة غير قليلة سوف تميل بدافع "مبدأ حب المكان Topophilia"، وحسب يي–فو توان (1974, p. 4) – ولن نقول العصبية والتحيز – من اختيار المكان الذي يحيون فيه، وعلى وجه الخصوص من بين كبار السن المُتعاطفين مع هليوبوليس، ومن الشباب المُتحيزين لمدينة الرحاب، ولهذا كلما استشعرنا نبرة تحيُز لافت للنظر، أدركنا أنه يجب التغاضي عن أخذ الرد في الحُسبان.

وبغض النظر عن ذلك، جاءت النتائج مُخالفة للتوقعات، حيث بدا أن الأغلب الأعم من المبحوثين (83٪) من كبار السن والشباب، رجال ونساء، يرون أن مدينة الرحاب هي الأكثر قبولاً من هليوبولوليس، في حين ترى البقية (17٪) أن عبق المكان في هليوبوليس ما زال يجذبهم للذهاب؛ للاستمتاع بما فيها من أماكن تبعث على الحميمية. وإنما انتفى عامل الاستعجاب حين جاءت إدارة المكان (23٪) والأمن (19٪) والمناطق الخضراء (15٪) والبنية التحتية (خدمات ومرافق) (12٪) في مُقدمة ترتيب الأسباب التي قادت الأغلبية لاختيار مدينة الرحاب، في حين أخذت تلك العوامل فيما يخُص هليوبوليس بالترتيب: الإدارة صفر٪. والأمن (2٪) والمناطق الخضراء (4٪) والبنية التحتية (2٪).

وعلى الجانب الآخر، تبين أن الإعجاب بهليوبوليس جاء حسب ترتيب الأسباب على النحو التالي: توافر القطع المُتحفية الحضرية (22٪) والعِمارة والعُمران (18٪) والتجربة الإنسانية (15٪) ومسارات حركة المشاة (14٪) والمدينة كعمل فني (14٪). وأخذت الأسباب نفسها ترتيبًا أقل في مدينة الرحاب كالتالي: توافر القطع المُتحفية الحضرية (0٪) والعِمارة والعُمران (6٪) والتجربة الإنسانية (3٪) ومسارات حركة المشاة (6٪) والمدينة كعمل فني (1٪). أما بقية الأسباب، فكانت في مدينة الرحاب ثم هليوبوليس كالتالي: شبكة الحركة الآلية: (8٪–3٪) والتقنية (7٪–0٪) وتراكم ومرحلية البناء (0 ٪– 6٪).

ولعل أهم نتيجة، والتي يجب أخذها في الاعتبار، بالإشارة إلى افتراض البحث، والذي يعتقد أن – فى حالة مدينة الرحاب– العوامل الرئيسية التالية: توافر القطع المُتحفية الحضرية، والبناء التراكمي على مراحل: والعِمارة والعُمران والمدينة كائن فني، هي التي تهب الانفراد للمدينة قد أخذت ترتيبًا متأخرًا، وفي حين جاءت الإدارة والأمن والبنية التحتية والتقنية في المقدمة، وانقلب الحال بالإشارة إلى هليوبوليس، فاتخذت تلك الأسباب الترتيب المُتقدم. وقد تركت تلك النتيجة انطباعًا قويًا لدى الباحث بأن ساكن المدينة اليوم، في

العصر ما بعد التقني–المعرفي، وباعتبارها كمُنتج يوفر ضرورات الحياة المُعاصرة يأتي قبل التفكير في المدينة، باعتبارها عملاً فنيًّا. وأن العوامل الأساسية التي يبني المواطن عليها آراءه ليس لها علاقة بتصميم المدينة المادي، وإنما هي تتعلق بأمنه ومدى نجاح الإدارة في تلبية مُتطلباته واحتياجاته الأساسية، وبعدهما مباشرة في الترتيب، تأتي مُتطلبات الحياة المُعاصرة. وهذا أيضًا ما دعا مُخططو المُدن لابتكار نماذجهم الفكرية المُعاصرة، بدءًا من السبعينيات حَتَّى الآن؛ ولم يتجاهلوا – جنبًا إلى جنب – تلك المراحل الفكرية؛ أى أقصد مدن المعلوماتية وعلامة وذكية، وتأتي في مرحلة تالية مُدن للشعب ومتعددة الثقافات والمدينة العضوية للناس وبالناس. ولذلك اتجهنا بالتبعية بالأسئلة، تدفعنا الرغبة نحو التعرف إلى مدى أهمية مسألة "انفراد المدينة،" موضوع هذا العمل، وبدا في الظاهر أن الإجابات التالية تُشكك في النتيجة الأولى؛ فرغم أن 70٪ من المبحوثين أكدوا أن صورة مدينة الرحاب تفعل في ذاكرة المُشاهد ما تفعله هليوبوليس تمامًا، إلا إنها في الأولى تأتي نتيجة أسباب مُختلفة تمامًا عن الأسباب التي تتركها الأخيرة. فعلى سبيل التأكيد، أشار 85٪ إلى أن الرحاب مع مرور الزمن ستترك انطباعًا أعظم تأثيرًا من أي مدينة جديدة أو قائمة أخرى.

ورتب المشاركون وجهات نظرهم فيما يتعلق بمحددات التفرد على النحو التالي: (أ) توافر النماذج الفكرية المُعاصرة (35٪)، (ب) العِمارة والعُمران ذات الدلالات والرموز (27٪)، (ج) وجود قطع مُتحفية حضرية (20٪)، (د) إشراك المُستعمل في مراحل التصميم (9٪)، (هـ) التصميم على مراحل (5٪)، (و) غياب النماذج الفكرية التقليدية (4٪)، ويستعرض الأنماط التى تجعل أى مدينة "مدينة انفراد".

وجدير بالذكر هنا الملاحظة بأن المواطن في العصر الحاضر يبني طموحاته كافة على مُعطيات نماذج العرب الفكرية المُعاصرة، ويرفض تمامًا هيمنة نماذج فكرية تقليدية. ويتضح ذلك من حقيقة أنه رغم الأغلب الأعم من المُشاركين في استطلاع الرأي أكدوا أهمية وجود العِمارة والعُمران المُتفردة والقطع المُتحفية الحضرية لتحقيق "الانفراد"، إلا أن تلك المُحددات أخذت ترتيبًا مُتأخرًا في إجابتهم عن أسباب انفراد مدينة الرحاب. بيد أنهم، في سياق آخر، أشاروا إلى أنها عناصر مهمة للانفراد من منظور الفن الخالص، حِتِى أنهم يعتقدون أنه لكي تظهر المدينة باعتبارها كائن فني، وإنما وعلى حد قولهم: "نحن نبحث عن الأولويات؛ أمن وإدارة وحياة عصرية، يأتي بعدها الفن والجمال،" مقاطعًا أحدهما: "أما إن استطعت توفير ذلك كله، فلن نرفض بالقطع." وقادت تلك النتائج إلى أن

نكون أكثر حرصًا على الاستماع لآراء البعض مُتعدين مدينة الرحاب وهليوبوليس، موجهين سؤالاً مُباشرًا: كيف يستشعر المشاهد–المقيم والزائر– في وجدانه شيئًا عن المدينة المِصرية الجديدة في الوقت الحاضر؟ ووجهنا الإجابة نحو اختيارين: فكانت النتيجة أن 85٪ يرون أن المدن المِصرية يغيب عنها الانفراد، فهي صور مُتكررة عن بعضها البعض، وبالتأكيد هي غير مُبتكرة ولاتُضاهي المدن الغربية، أو حتى المدن المِصرية التاريخية. وكان السؤال الثاني: ما الأسباب الكامنة، وراء غياب تأثير فردانية المدينة الجديدة على الوعي الجمعي لسكان المدينة. (80٪) يرونه بسبب أن هذه المدن لم تعد قادرة على تلبية متطلبات العصر الحديث، وبما يتماشى مع مؤشرات وقواعد مفهوم الانفراد، و(20٪) يعتقدون أنه بسبب غفلة مقصودة في مراحل التخطيط والتصميم، المرتبطة بمراحل ظهور التفرد على مستوى بنية المدينة.

خاتمة

ولعل الجزء النظري، وما تبعه من استطلاع رأي مبني على المقابلات الجماعية والمشاهدات المُباشرة أفرز يقينًا لدى الباحث بأن مسألة الانفراد تلك مسؤلية مجتمعية، وليست مسألة فردية، يقوم بها المِعماري. والمعنى أنه يجب أن تكون لدى غالبية الشعب برامج محفزة لإبانة مفاهيم الاختلاف والتنوع والإنفراد، فكيف يُمكن إنشاء مدن مِصرية جديدة، تتمتع بما هو موجود في مدينة القاهرة الفاطمية؟ وكيف يُمكن أن تُصبح تلك المدن شبه مدن، مثل: ڤينيسيا وروما ولندن وباريس؟ وبطبيعة الحال لن تكون الإجابة هنا مدرسية أو تتبع أهواء، بقدر ما أن المسألة تحتاج بالفعل لإعادة البحث عن انفرادات تلك المدن المُتمثلة، بشكل أساسي، في أن عِمارة وعُمران المدينة يجب التعمل معها باعتبارها قطع مُتحفية حضارية مُتشابهة، ومن ثم البحث عن الكيفية، التي يُمكن بها تجاوز الفردية في التصميم والعبور، نحو وضع مُخطط مُتكامل يتبع نهج تصميم حضري عابر الاختصاص.

الباب العاشر: تغيير المسارات

مدينة عابرة النماذج الفكرية، وليس لها مثيل ومنقطعة النظير–بصمة مدينة، أو مدينة بصمة. ذلك ما يجب أن يبحث عنه بصدق ليس فقط المُصمم الحضري، وإنما أيضًا المُستعملين للمدينة كافة.

لماذا يجب تغيير المسارات؟

خلُصت هذه المخطوطة إلى فكرتين أساسيتين، هما: أن التقدم العلمي قادم لا محالة بقوة، وأن تأثيراته على تصميم المدن حتمية، وأن تصميم المدينة المصرية اليوم اعتمادًا على الاتجاهات الفكرية التقليدية في الفكر الغربي بمفردها أصبحت لا تكفي؛ خاصة وإن كان الهدف هو خلق مدن انفراد؛ فقد اِستُحدثت اتجاهات مُبتكرة باتت سائدة في الفكر الغربي، بداية من طفرة فكر الاستدامة، ومرورًا بالمدن المَعلوماتية ومُتعددة الثقافات والذكية، حَتّى المدن العظيمة التي تجمع بين تلك الاتجاهات كافة في بوتقة التنافسية والتقنية، حتى أن فكرة الدمج بين تلك النماذج الفكرية المؤثرة والتعامل معها، ضمن مجالات اختصاصها الفردي لم يعُد مُلائمًا، بل بات التكامل المَعرفي والخروج بنتائج هجين مُبتكرة، هو الأساس في تصميم أيّ مدينة جديدة.

وهكذا بات طرح كيفية الاستفادة من نهج تصميم عابر الاختصاص يُمثل مسألة رئيسة في البحث العلمي، في مجال الاختصاص. في حين ناقشت الفكرة الثانية مسألة "انفراد مدينة،" والمعنية بأن تظهر المدينة أمام قاطنيها وزائريها بشكل يجعلها مُختلفة عن آيّ مدينة أخرى. وخلُصت النتائج النظرية التي ناقشت هذه المسألة أن الانفراد لا يأتي فقط من مُجرد وصف المدينة؛ باعتبارها سلعة أو إعلامية أو معلوماتية أو مخططة طبيعيًّا بالناس وللناس أو ذكية أو مُستدامة، بقدر ما بات الاحتياج ضروريًّا إلى وجود دلالات مِعمارية عُمرانية، تُبرز هذا الانفراد. فتواجد تلك النماذج الفكرية كافة مسألة أصبحت بديهية، بل وتفرضها ظروف الحاضر ومُتطلبات المُستقبل، وباعتبارها أساسيات يجب تحقيقها في المدينة، مثل: المنفعة والمتانة والجمال والاقتصاد والتقنية والمعلوماتية. ويستخلص الحوار النظرى أن هذه القضايا المتعلقة بـ"الانفرادية" تأتى من جانبين: الأول، التصميم المِعمارى على مستوى المبانى الفردية [وواجهاتها] لرموز (أيقونات)، والتى تظل

بمرور الزمن علامات على التفرد، ويطلق عليها قطع مُتحفية حضرية. والثانى يكمن فى التفرد فى أنه لاينبغى أن تعامل المدينة على أنها منتجن يبدأ وينتهى بنهاية المصمم من توضيحه الإجراءات المخطط لها، ولكن لأقرب يجب أن تعامل على أنها قطعة تكاملية من الأداء الفنى. وقد كان لذلك بداية دون أن تكون له نهاية حتمية. ويضع المطور أصول رسومه، ويشارك الناس فى التشييد، طبقا لما وضع من خطة فحسب، ولكن طبقا لما ينبع من شخصية الأفراد الذين يعيشون فى هذه المدينة.

في العصر الحاضر، التاريخ والاجتماع والثقافة والاقتصاد والتسويق والإدارة والسياسة والتقنية والمعلومات هي دعائم أساسية – إنما ليست الوحيدة – التي يُمكن بها استخلاص ثلاث هويات أساسية للمدن، هي: الهوية الحضرية (المدينة عمل فني ومُتعددة الثقافات) والهويةالاقتصادية (المدينة سلعة وذكية) والهوية المعلوماتية والإعلامية (مدينة التدفقات والاتصالات). وتُمكن تلك الهويات بالارتكان إليها من فحص العلاقات واستخلاص ثلاث دلالات للمدن الحضرية، ممثلة في: الجودة الحضرية urban quality والمعرفة الحضرية urban knowledge والسلطة الحضرية urban power، وبصورة مثالية، فإنها كلها يمكن أن تُخرج، في نهاية المطاف، شخصية مركبة لمدينة انفراد the city of singularitys.

إن العلاقات البينية بين السلطة والجودة والمعرفة تحيل إلى إمكانات استشراف المستقبل، من خلال تعزيز القدرة على التفكير والتعبير والعمل. بالإضافة إلى ذلك، يتطلب مفهوم المدينة الجديدة ليس فقط تحفيز جميع التخصصات المِعمارية العُمرانية، وما يرتبط في مجالات الدعم الأخرى، وإنما يتضمن أيضًا محاولة لاستخدام نهج تصميم عابر الاختصاص، وهذا يعني تجاوز خطوة العمل المشترك لتقديم منتج جديد، والعبور لخلق عمل فني مُختلف لديه انفراد.

ثلاثة مفاهيم أساسية

ولعل هذا التفكير يحتاج إلى مراجعة بعض النماذج الفكرية الحديثة في مجالي تخطيط المدن وتصميمها، ليس فقط لإظهار المعايير الرئيسية في كل منها، بل كذلك في تحديد أماكن الانفراد، والبحث عن كيفية اختيار كل هذه المبادئ لدعم انفراد مدينة.

تمثل المدينة مصدر السعي من أجل تحقيق تحضر مُنفرد singular urbanism؛ فصنع مدينة انفراد city of singularity وجعلها مدينة بصمة city imprint يكون عبر تفعيل ممارسة التصميم الحضري المبنية على الفهم الدقيق لوظيفة المدينة وطبيعة ساكنيها،

ويكون ذلك من خلال التركيز على مستويين، هما: أفكار البناء المِعماري العُمراني المبتكرة والتجسيد العياني لقيم الحياة اليومية الفعلية لسكان المدينة؛ وجعل الاثنين يلتقيان؛ لخلق معانٍ خاصة بكل مدينة، فالهدف في الأساس ليس صنع مدينة ذات هوية – بشكل فني أو كسلعة أو معلوملتية عالمية أو ذكية أو متعددة الثقافات أو ذات تخطيط طبيعي أو ذكية – إنما الهدف صنع مدينة مُتكافئة ومُتعادلة في نقاط القوة Equipollent city، ليس لها نظير بما يُميزها عن غيرها من المدن الأخرى Peerless city، خلال تقديم أفكار مبتكرة مبنية على ثلاثة مفاهيم أساسية، هي: قابلية التغيير Changeability وقابلية الانفراد Singular-ability وقابلية التطويع (الطواعية) Malleability.

- يعني مُصطلح مدن قابلة للتغيير Changeability City أن يكون التعامل مع المدن باعتبارها كائنات دينامية متحولة وليست ساكنة، وأن أية تغييرات فيها تكون ناتجة عن رغبة مستعمليها بمفردهم، ومع المطورين الحضريين الذين يعدونها، والذين يقومون بتعديلها في المستقبل، كلما استدعت الحاجة ذلك التغيير.
- في حين يعني مُصطلح مدن قابلة للتفرد Unique ability City بخلق حياة استثنائية، يريد الناس تحقيقها في المدينة، أو أنها تأتي للتعبير عن القدرة، التي يمتلكها بعض أصحاب المصلحة بكافة أطيافهم في المدينة، سواءً أكانوا مخططين ومصممين أم كانوا مسؤولين وإداريين أم قاطني المدينة أنفسهم لخلق التفرد viability of exclusivity، ويكون ذلك حسب ما يملكون من قدرات ومهارات فائقة في مستويات البناء المشيد كافة: في مستوى المدينة ووحدات الجوار والأماكن والكتلة المفردة.
- مدن قابلة للتطويع أو مدن الطواعية Malleability City تعني جودة الشيء في التشكل إلى شيء آخر دون كسر، مثل سهولة تشكيل الطين، وهو مُصطلح مستمد من علم المواد، والمقصود أن تكون المدينة قابلة للتغيير بسهولة.

أولا وقبل كل شيء

على مستوى الممارسة، من الضروري احترام جميع المبادئ العامة وذات الاختصاص التي ظهرت في مجال التصميم الحضري مثل الاستدامة والتنوع والديمقراطية والعدالة الاجتماعية والصحة الاقتصادية والاتصالات عبر الثقافات والتطورات التقنية والتجارب الفنية والفكرية وحيوية المكان وقيادة فريدة وصناعة وإدارة المدن والمواطنة واستيعاب الغرباء.

ومن هذا المنطلق تتابع شرائط الوصول لمينة بصمة على النحو التالي: (أ) الناس هم الذين يخلقون الانفراد، هم أصحاب المكان، أما الذين من خارج المكان فليس لديهم نفس الظروف لخلق مدينة انفراد، فهم يجهلون قيم ساكنيها. (ب) تفهم إدارة المدينة وتجربتها كعملية وليس كمنتج: وبشكل بارز هي عبارة عن مجموعة عمل فني تراكمي، بالإضافة إلى كونها مكان لحل المشكلات التي حدثت في البداية ونمت بمرور الوقت؛ وخلق وحدة تحترم الخصوصية والموقع الجغرافي. (ج) تصور تاريخ المدينة لطباعة شكل، ولتوضيح الشكل والخلفية في الوقت الحاضر، ولكي يكون الجيل القادم فعال على قدم المساواة. (د) خلق القطع المِعمارية العُمرانية المُتحفية الحضرية باعتبارها مباني رمزية لتحقيق: الانفراد، مكان مثير للإعجاب [مكان عبقري]، ذاكرة حية، علامة تجارية ملحوظة. وإلى جانب كل هذا؛ جعل المدينة/ الموقع مُختلفين من وجهة نظر التخطيط والتصميم. (هـ) المدينة هي تجربة سيمفونية مختلفة ومهيمنة، بل هي فن التقاسم حيث لا شيء ينبغي أن يكون مفقودًا. (و) إنشاء الخصائص الطبيعية للمعالم الحضرية التي يمكن تكييفها مع الموقف ومحيطه situation: الممارسة والرمزية والخيالية. (ز) صياغة أحداث المدينة كسلعة تنافسية للتكيف مع الأنشطة الثقافية –مع اللون المحلي، وكذلك لتلبية توقعات الزوار والمستثمرين. (ح) تفعيل مبادئ الحق في المدينة: العدالة والإنصاف، وخلق مدينة عالمية قادرة على التعددية الثقافية والتنوع العرقي واستيعاب الغرباء. (ط) تحقيق جودة الحياة لتكون صالحة للعيش وقادرة على الحب lovability، وتوفير الخدمات على نطاق المجتمع المحلي والفوائد لبيئات صحية توفر الهواء النظيف والمياه والدعم، وتشجيع الفنون. (ى) إيجاد الدافع لخلق مدينة فائقة الجاذبية مع التصميم الذي يتبع نظام هندسي مرن ومختلف. (ك) تطبيق تشريعي ملتزم بتطبيق أخلاقيات ممارسة المهنة. (ل) رفع قدرة المدينة على التنافس مع المدن الأخرى اجتماعيًا وغير رسمي وتقنيًا واقتصاديًا، من خلال عدة نقاط أساسية، وهي: منتجات وخدمات ممتازة؛ أنشطة تسيطر على المستقبل؛ تعزيز التسلسل الهرمي الحضري؛ ريادة الأعمال، ووسائط التواصل الاجتماعي، والتطبيقات المتنقلة، وحزم البرمجيات القائمة على البرمجيات، ونظم تخزين المعلومات، وتصميم نظم الحاسوب، والنشر على الإنترنت. تنشيط مجتمع المعرفة؛ أدوات تقنية لفهم وتمثيل المجتمع؛ توافر البنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصالات: ورفع القدرة الفكرية والمراكز المالية؛ تحقيق طفرة اقتصادية تستند إلى الطاقة المتجددة والتقنيات النظيفة والحيوية؛ (ح) مراعاة التوازن الاقتصادي والدخل المتميز على أساس توفير عوائد استثمارية وقدرات تنافسية عالية من خلال تشجيع الوصول

إلى رأس المال الاستثماري لتحفيز روح المبادرة والابتكار من خلال البحوث القائمة على فهم طبيعة الاقتصاد العلمي الإبداعي والابتكاري وارتفاع عوائد الاستثمارات.

نهج عابر النماذج الفكرية التقليدية

وهو الأمر الذي يستهدف تقديم نهج جديد، يُطلق عليه هذا العمل "نهج عابر النماذج الفكرية التقليدية"، وهو يُفضي في النهاية إلى نظرية المدينة بصمة. وتحمل تلك النظرية في محتواها هدفًا تنويريًّا للمطور الحضري (المخطط والمصمم)، عند التعامل مع المدن القائمة والمدن الجديدة على حد السواء، وهو يدفع بكُلّ مدينة بما تمتلك من مواطن القوة أن تكون مكافئة للمدن الأخرى، وإنما كل مدينة ينبغي أن تكون غير قابلة للمضاهاة، وأن يكون ليس لها نظير unmatched city بين المدن الأخرى.

ولكي يتحقق ذلك، على المدينة أن تحقق متطلبات تحقيق الهوية الحضرية، مثل: التاريخ والثقافة والشخصية والطابع والتجربة الإنسانية والسلوك البشري والتمسك بالمعاني والصفات البصرية والخدمات المجتمعية العامة. وينبغي عليها تحقيق متطلبات متطلبات المدينة علامة تجارية، مثل: التسويق والاقتصاد المتوازن والاستثمار الضخم والقدرة التنافسية، وأيضًا تحقيق كل شرائط المدينة المعلوماتية، مثل: توفير شبكة من تعقيدات العلائق الاجتماعية والاقتصادية، ومراعاة مفهوم التدفقات: وتدفق رأس المال والمعلومات والتقنية والتفاعلات التنظيمية والصور والأصوات والرموز، مع الأخذ في الاعتبار بأن تلك التدفقات ليست عنصرًا للتنظيم الاجتماعي فحسب وإنما تعني أيضًا التعبير عن العمليات المهيمنة على حياتنا الاقتصادية والسياسية والرمزية.

فضلاً عن تطوير الصفات والمعاني، التي تلائم العصر مجتمعة، والخاصة بمكان وزمان محدد، بجانب تفعيل القدرة على استيعاب التجارب الثقافية الخارجية، فإن بداية على الممارس المهني أن يأخذ بعين الاعتبار القضايا المتعلقة بموضوعات، مثل: القيم الإنسانية والأخلاق السامية وهوية المدينة والمدينة علامة لتتلاءم مع متطلبات ورؤى مستعملي المدينة، الذين يحيون فيها ويعرفون إنها ليس فحسب ملكًا لهم، بل هي أيضًا تُشكل جل ممتلكاتهم. ومن ناحية أخرى، على الجهات المسؤولة عن تمويل صنع المدينة، ثم إدارتها بعد ذلك أن يأخذوا في اعتبارهم تلك المسألة بعناية.

ويركز مفهوم "بصمة مدينة" على ضرورة أن يفهم سكان المدينة وزائريها شخصية المدن القائمة– والحفاظ عليها– أو ابتكار شخصية واضحة المعالم للمدن القائمة أو المدن

الجديدة، من خلال خبراتهم الشخصية والمعيشية لفترات تسمح لهم بذلك، وتكون خالية من السلبيات وتعزيز الإيجابيات. وحيث إن أهم سؤال يطرحه المطور الحضري يستهدف تعريف ماهية تلك المدينة التي يتعامل معها–وما جوهرها–إن كانت قائمة أو جديدة، وما دورها الفاعل في مشروعات التنمية المستقبلية، وينبغي عليه أن يضع رؤى، لا تحيد كثيرًا عن تنفيذ تلك الماهيات، مع الاحتفاظ بالقدرة على توفير المرونة للتطوير–إما للحفاظ على الهوية إن تطلب الأمر ذلك، أو تغييرها وطرح هوية جديدة بعلامة جديدة – مؤمنًا أن المستقبل تتغير ملامحه بسرعة، كما يُبين [الجدول 13].

جدول 13: النموذج الفكري لمدينة انفراد في فكر هذا الكتاب.

الزمن	الانفراد	(2016)
الفكرة		مدينة عابرة النماذج الفكرية: مدينة بصمة
المفهوم	٥. يستند اهتمامه من نهج تصميم عابر الاختصاص	تقديم أفكار مبتكرة مبنية على قابلية التغيير والقدرة على إحداث انفراد ومرونة.
الهدف		إنشاء مدينة انفراد ومتكافئة في القوى وليس لها من نظير.
تحضر مُنفرد		(أ) طفرة اقتصادية: توازن اقتصادي ودخل متميز. (ب) رأس مال استثماري: تحفيز روح المبادرة والابتكار واقتصاد علمي مبتكر وريادة أعمال. (ج) الحق في المدينة. (د) مدينة عالمية. (هـ) تعددية ثقافية، (و) جودة الحياة: خدمات ومنافع على نطاق المجتمع المحلي لتوفير بيئات صحية. (ز) تشجيع الفنون. (ح) مدينة جاذبة: جاذبية الناس تخلق الانفراد.
قطع مُتحفية		عِمارة وعُمران مباني شهيرة، ودلالات فردية ورمزية، ومجال عام وأحداث وناس.
الشخصية		(أ) المدينة عمل فني، (ب) طاقة متجدة، (ج) تقنيات نظيفة، (د) عوائد استثمارية. (هـ) قدرات تنافسية، (و) عدالة وإنصاف، (ز) تنوع عرقي، (ح) استيعاب الغرباء، (ط) قادرة على الحب، (ك) نظام هندسي مرن.
		اقتراح المؤلف في العام 2016 .

فلكي تُحقق أي مدينة انفرادها، ينبغي أن يُنظر إليها من بداية التحضير حتى الانتهاء، حسب مُتطلبات الاختلاف، وباعتبارها تشكل وحدة متكاملة وعملاً تراكميًّا أو عملاً فنيًّا ناجمًا عن جهود الأجيال السابقة، غنية بتراثها وتاريخها، بمعنى عدم انفصال تاريخ المكان

عن الزمن. وأن تلك المدينة لم تأت نتيجة تصميم مُنفرد لشخص واحد، بل جاءت نتيجة تراكمات تاريخية ضمن قانون تنظيمي يراعي خصوصية المدينة ووضعيتها الجغرافية، والذي يجمع بين ثلاثة أشياء: الحاجة والرمزية والخيال، وأن تكون مدينة غير مستنسخة وغير مكررة، كما يحدث في الإنتاج الصناعي.

خاتمة

هذه المخطوطة توضح أن مفتاح "مدن انفراد" يكمن فى كيفية تنشيط كل الجوانب التاريخية والرمزية والثقافية والاقتصادية والإنسانية فى توازن متسق وتقريبى فى الوقت نفسه.

– ويتمثل الجانب الأول فى التاريخ، والذى يكون ملائمًا لرسم الخطوط لما ينبغى على التاريخ الحضرى للمدينة الجديدة أن يكون عليه. (أ) التاريخ يقود العملية، التى تكون بها (لمدينة ذات بصمة فى أسلوب ثابت ومتسق، بكل موضوعاته، وفاعليه، والذين يعبرون عن طبيعة المقيمين، وتوجههم الاجتماعى والثقافى، وحالتهم الاقتصادية التنافسية، ودرجة التناغم بين بيئة المدينة وجودة المدينة. (ب) يتم تفسير التاريخ خلال العلاقات الحادية بين الذاكرة الجمعية للأحداث وانفراد المكان. (ج) التاريخ يساعدنا على فهم درجة التعقيد التى تكون عليها القطع المُتحفية الحضرية– التى تشتق الانفرادية الحضرية ملامحها منها– والتى تكون فى المستقبل ملامحها الحضرية، وتعمل كمحفزات ومزايا لمعرفتها فيما بعد، ومعاملاتها على أنها رموز حضرية.

– ولذلك، تصبح هذه الرموز هي الجانب الثانى، الذى: (أ) يوفر تميزًا هائلاً لطبيعة كُلّ مدينة على حدة. (ب) يمكن تنظيمه حسب عناصره المتفردة. ويتصل الجانب الثالث بكيفية التعامل مع الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتقنية المعقدة، ذات الصلة بالجوانب المعمارية والعمرانية.

إن تصميم أى مدينة جديدة تستلزم خطة مرنة، تعطى أولوية عليا للحاضر والمستقبل. ولذلك، فإن مدخل "التصميم المتعدد التنظيمات" يجب أن يستخدم، واضعًا فى اعتباره: الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتقنية، جنبًا إلى جنب، مع الجوانب العمرانية والمعمارية. إن الخطة الناجحة، فى هذا الصدد، يجب أن تراعى ما يلى: (أ) تبنى تعدد الثقافات، المعتمد على الاختلافات العرقية دون تمييز، ومتضمنًا تحفيز المواطنة والحق فى الاختلاف. (ب) امتلاك خطة طموحة، تكفل حماية حقوق الأجيال المستقبلية. (ج) زيادة

القدرة التنافسية عبر استثمار القدرات ذات الكفاءات التقنية العالية. (د) دعم مبادئ التخطيط الاجتماعى– الثقافى فى جوانبها المختلفة. إداريًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا (المبادئ التقليدية)، واقتصاديًّا وتقنيًّا. (هـ) عمل خطة مرنة تخصص بها أولوية عليا للحاضر والمستقبل.

ولعل بعض المفاتيح الأساسية لجعل المدينة العربية الجديدة المعاصرة مدينة بصمة؛ وبما تحمل من هوية منفردة ومواطن قوة وتمايز، هي: أ) ازدهار اقتصادي مُعتمد على الطاقة المُتجددة والتقنيات النظيفة والحيوية، ب) ميزان اقتصادي ومدخول متميز مبني على توفير عائدات استثمارات وقدرات تنافسية عالية، جـ) تشجيع مسارات الحصول على رأس مال استثماري؛ لتحفيز روح المبادرة والابتكار، عبر إجراء البحوث المبنية على فهم طبيعة الاقتصاد العلمي الإبداعي والابتكاري، د) الاستفادة من موهبة موظفي المدينة في إدارة أعمال المدينة: ريادة الأعمال ووسائل إعلام اجتماعية وتطبيقات جوال والبرمجيات المستندة لمجموعة برامج الحاسوب، وأنظمة تخزين المعلومات، وتصميم أنظمة الحاسوب والنشر على شبكة المعلوماتية: هـ) تفعيل مبادئ الحق في المدينة: العدالة والإنصاف، وخلق مدينة كونية عالمية قابلة لتعدد الثقافات والتنوع العرقي واستيعاب الغرباء، و) تحقيق جودة الحياة؛ لتكون المدينة قابلة للعيش ومدينة قادرة على الحب، وتوفير خدمات مجتمعية عامة والاستفادة من البيئات الصحية التي توفر الهواء والماء النقي ودعم وتشجيع الفنون، ز) التحفيز لخلق مدينة ذات جاذبيةُ مفرطة بتصميم، يتبع نظامًا هندسيًّا مرنًا ومختلفًا، ح) تطبيق تشريعي يلتزم بتطبيق أخلاقيات ممارسة المهنة، ط) الاعتماد على أن من يصنع التفرد هم أصحاب المكان، وليس من ساقتهم الظروف لابتكار تفرده للمدينة وهم لا يعلمون عن قيم ساكنيها شيء.

فإن اختار العالم العربي أن يكون له مُعتقد فكري، يضع حجر أساس لتخطيط وتصميم مدنًا متفردة ذات شخصية، فإنه من الضرورة بمكان الالتزام بأن القضايا الأخلاقية في المقام الأول مُتعلقة بآداب ممارسة المهنة. والمعنى أنه لا توجد معايير أخلاقية تحكم أفكار وآراء وتوجهات العلاقة مع البيئة المُشيدة، سواء أكانت على مستوى عِمارة وعُمران الكتلة المفردة، أم كانت على مستوى الأحياء ووحدات الجوار السكني، أم كانت حتى على مستوى المدينة بكاملها.

وتحقق تلك المستويات هوية مَدينية مُنفردة، لتظل ثمة هويات أخرى يُمكن التعامل معها بشكل منفرد: هوية الكتلة والمكان والناس– والأخيرة هي الأهم في منظومة عملية التخطيط والتصميم الحضري؛ ففي كُلّ مرة يكون التعامل مع تلك الهويات بما تحتاجه من

معايير وتصميم، والتي ترتكز على تفعيل مبادئ القيم الإنسانية عامة ومبادئ القيم الإنسانية، التي قد أفرزها الإطار الفكري والحضاري للمجتمعات، على مستوى الفكر المعاصر.

اليوم، قد يتشابه القبول بأن التخطيط والتصميم الحضري على مستوى العالم نتيجة لارتباطه بموضوعات إنسانية، لا يمكن التخلي عنها مثل الاقتصاد والسياسة والاجتماع بأنها أمر حتمي ومُلزم، وإنما تظل ثقافة المجتمعات، بما فيها من قيم وتقاليد مبتكرة – تدفعها إلى السطح تجارب الحياة اليومية – تعد مُفتاحًا للحكم النهائي على صياغة معايير جديدة، تمكن من الوصول إلى انفراد مديني مختلف، بل ومتغير من مدينة لمدينة أخرى، وهو ما يتطلب فتح آفاق لطرح أفكار تخطيط وتصميم غير مسبوقة وتطبيقها بشكل يتلاءم مع استمرارية تفردها.

الباب الحادي عشر: تمامًا مثل التصميم الحضري

أقر بأن هذا الكتاب وعلى مدار أكثر من مأتي صفحة لم يأت بجديد، وإنما اعتبره سرد موجز عن بعض مما قرأته في أدبيات المُفكرين والطليعة منذ ستينيات القرن الفائت؛ من يعملون على تصميم المدن الجديدة وإعادة تأهيل المدن القديمة؛ وهم ما زالوا يبحثون في موضوعات اكتشفها الرواد منذ زمن بعيد، وما زلنا نتمسك بها. إذًا فإن كان الهدف هو معرفة إن كان ألدو روسي وكيڤين لينش وكريستيان نوربرج شولتز وغيرهم قد أتوا بكُلٍ ما نستعمله اليوم، والغاية هي ماذا أتى به رجال اليوم، فهذا يكفي.

وهكذا يحصر هذا العمل خلاصته الأخيرة في أن تخطيط وتصميم المدن الجديدة يحتاج إلى تعزيز ما يُعطى للمِعمارين من مخططي ومصممي المدن الموهوبين المساحة؛ لتقديم أفكار جديدة، تتلاءم مع متطلبات انفراد المدينة العربية المُعاصرة، ويمكن أن يكون ذلك عبر التفاهم مع صانعي القرارات العليا وأصحاب رؤوس الأموال وأصحاب المصالح، بل وكل الأطراف المعنية، للقبول بالالتزام بأهم الموضوعات العالمية في المقام الأول؛ كأن تكون المدن رقمية وإنتاجية وقيمية ومستدامة وذكية وللجميع – وهي نماذج فكرية غربية بامتياز – والاتجاه للعناية بأن تكون الأفكار معاصرة ومبنية على تصميم حضري هجين عابر الاختصاص، بطرح نهج فكري عابر لتلك النماذج الفكرية.

والمعنى أنه لابد من الاستفادة من معطيات القيم الإنسانية الحضارية التقليدية والمعاصرة، والمزج بينهما للخروج بقيم إنسانية تتلاءم مع الحاضر؛ حتى وإن لم تكن لها سوابق تاريخية. ويعتمد ذلك الطرح على ثلاثة مناحٍ: معنى أولاها بجانب اقتصادي رأسمالي، يعتمد المدينة مشروعًا استثماريًا ضخمًا يولد عوائد متمايزة، دون الإخلال بمبادئ القيم الإنسانية التقليدية وفهمها من منظور معاصر. وثانيها معنى بجانب المعنى الإداري والتنظيمي والتشريعي، الذى يجعل من المدينة كائنًا منظمًا محكومًا بشرائط، لا تغفل مسائل الهوية والتفرد والانفراد. وثالثها بنائي مِعماري عُمراني لا يعتمد فحسب على النماذج الفكرية الغربية – وإن كانت بحق نماذج عبقرية، ولامجال لمناقشة مدى أهميتها وتأثيرها على مسار تاريخ فكر فن المدينة. ومن ثم، يصبح على المِعماري المخُطط والمصمم أن يأخذ

من تلك النماذج الفكرية، بما تحمل من حركات ومدارس فكرية مجتمعية، فضلاً عما أفرزته من نظريات ونهوج وتيارات مِعمارية عُمرانية؛ لِتُصبح مدخلاً لصياغة تيار تصميم جديد عنايته بتخطيط وتصميم المدينة عامة، والمدينة العربية على وجه الخصوص. ومنه انطلاقًا لتوسيع دائرة تقديم نظريات، لها علاقة بشكل وتشكيل مستويات التصميم؛ بدءًا من المسكن والمكان وانتهاءً بالمدينة؛ وهو ما يسميه هذا البحث "نهج مدينة عابرة النماذج الفكرية،" آخذة من النماذج الفكرية المتاحة – العربية والغربية – وتقديم نموذج فكري عربي معاصر، يضع في اعتباره شرائط تطوير مدينة بصمة، مُعتمدًا في ذلك على فتح المجال لأن يطرح أصحاب المصلحة من مخططين ومصممين وإداريين ومستثمرين ومستعملين دائمين مقيمين وزائرين أفكار جديدة عبر رؤى جديدة، مع احترام فكرة أن أي مدينة انفراد جديدة، تحتاج للجهد والوقت.

ومن الدروس المستفادة لهذا العمل، والتي سيكون لها إسقاط مباشر على ممارسة المهنة، هي أن تعليم اختصاص عِمارة وعُمران المدن، في مجال التخطيط والتصميم الحضري، يحتاج إلى المزيد من تأكيد تعليم وتعلم كيفية تقديم أفكار جديدة على عدة مستويات: المستوى الأول المختص بطرح أفكارًا جديدة عن انفراد المدينة عبر كلية صورتها. والمسألة هنا متعلقة بموضوع تصميم المدينة مع احترام التوجهات الاقتصادية والاستثمارية والترفيهية، ويتعلق المستوى الثاني بوحدات التخطيط الأساسية، فكل حي ووحدة جوار ينبغي أن يكون لها انفراد نابع من انعكاسات تغير أنشطتها، ويحترم المستوى الثالث مفهوم المجال العام للمدينة بتفعيل مفهوم الانفراد في الفضاءات الحضرية، والأبنية المجمعة المطلة على تلك الفضاءات، مع الاهتمام بانفراد مسارات الحركة للسيارات والمشاة، في حين يكون اهتمام المستوى الرابع بانفراد كتلة المبنى المفرد وكيفية صنع كتل ذات انفراد رمزي ومستمر مع الزمن لتُصبح (أيقونة معمارية عمرانية) Iconic Architecture، أو قطعة مُتحفية حضرية urban artefact.

في عالم التصميم الحضري [زائد]

في مجال التصميم الحضري زائد (يو دي بي) Urban Design Plus ينبغي احترام بعض السمات الأساسية لخلق أجواء حضرية مُحيطة مُناسبة. وتتأثر عِمارة وعُمران الأجواء بخمسة مسائل هي السياق الحضري والأداء والسلطة والاستمرارية والعواطف. (أ) عِمارة وعُمران الأجواء موجودة في كُلّ الأماكن، وقد يتأثر شعور المشاهد ليس فقط بعِمارة وعُمران

هذا المكان وإنما أيضًا بما يتعلق بكافة الأشياء الموجودة في سياقه. (ب) ينبغي أن يكون تركيز التصميم الحضري زائد على عِمارة وعُمران المكان مراعيًا خلفية ومقدمة المجال العام، فكل منها يجب أن يكون مثيرًا للاهتمام جدًا في الأوقات كافة. وفي المقابل ينبغي على المصمم ترك المساحة الحرة للمشاهد للتفكير في اختيار الخلفيات والمقدمات وفقًا لوعيه ومزاجه. (ج) تخلق عِمارة وعُمران المكان مزاجًا، وقد تؤثر على الطريقة التي يُدرك بها أو يُفكر فيها المُشاهد في المكان. فسلطة تأثير خلفية عِمارة وعُمران المحيط ستظل مُستمرة سواءً إن اختار المُشاهد ذلك أم لم يختره. (د) عِمارة وعُمران الأجواء لا تعتمد فقط على الاستمرارية، وحيث تتأثر الاستمرارية بكافة الكائنات الموجودة في المكان جنبًا إلى جانب مع عِمارة وعُمران المُحيط. (هـ) العاطفة هي حالة غريزية طبيعية، ومُستمدة من ثلاثة أشياء الظروف المحيطة أو المزاج أو العلاقات مع الآخرين.

62 عامًا من التصميم الحضري

في مجال العِمارة والعُمران في بعض العوالم النامية، عدد قليل من المخططين والمصممين يبدو وكأنهم يحيون في كهف مظلم– يظهر ضوء الصباح في الأفق لبضع ثوان، ثم يعود المكان إلى حالته الكئيبة مرة أخرى. وأعتقد أن الممارسة المهنية في مجال العِمارة والعُمران في بعض هذه البلدان تختلف عن الممارسة في الدول الأكثر تقدمًا. وهذا واضح ليس فقط في استخدام أو إنتاج النماذج المعاصرة للتخطيط والتصميم الحضري ولكن أيضًا في القدرة على تطبيق قواعد وثوابت ومعايير التصميم بشكل مناسب.

وتمثل القاهرة الفاطمية في العاصمة التاريخية المصرية، فضلا عن المباني الأخرى في بعض الأماكن التقليدية في مدينة القاهرة، أماكن ازدهار الفكر المِعماري العُمراني. فيبدو فيها تأثير "الضوء المبهر" الذي ذكرته في وقت سابق لا يزال يُحدث في أولئك الذين يسيرون فى هذه الأماكن لهفة لتكرار الزيارة، وهذا يحدث بسبب أجواء تلك الأماكن. ويحدث هذا الجو ليس فقط بسبب المباني الفردية ولكن كأثر لتكوين البناء المِعماري العُمراني مع الأماكن المفتوحة والحضرية، وكذلك من الأحداث والأنشطة التي وقعت في هذه الأماكن.

بدأت العِمارة المِصرية مُشرقة في مختلف العصور التاريخية والزمانية والمكانية. فقد كان الانفراد واضح. اليوم، أيّ، في فترة الحداثة، بعض الأماكن بدأت تفقد بعض من انفرادها.

فبمجرد وصول الحداثة إلى أفق مصر، بدأت سيطرتها على بعض المهندسين المعماريين المصريين البارزين. في غضون سنوات قليلة، لم يتمكن أحد من أن يهرب من

قداسة وقوة النموذج الغربي من الحداثة، التي توسعت بلا هوادة ليس فقط في المدن الجديدة ولكن أيضا في الأماكن التقليدية. ظلت العِمارة المِصرية مُستمرة منذ ذلك الحين، منذ الخمسينيات، ولم تتوقف حتى الآن، فيما يتعلق ليس فقط ببنية المباني الفردية ولكن أيضًا بان آثارها على التخطيط الحضري وتصميم المدن، في مجملها وعلى كُلٍّ من مكوناتها.

ومن الجدير بالملاحظة أن بعض المِعماريين المصريين في هذه الحقبة من الحداثة، وعلى مدى أكثر من سبعين عامًا، على المستوى الأكاديمي وفي الممارسة المهنية الاحترافية، قد انحرفوا عن جوهر مبادئ التخطيط والتصميم. وبدأوا في استخدام تصاميم متشابهة للمباني. فجأة، ظهرت نماذج مشوهة، التي ليس لها علاقة بنظرية الوظيفية أو بنظرية أو مبدأ الحداثة. وتجاهل هؤلاء المِعماريون مبادئ الحداثة، مما أدى إلى التكرار والملل. واستمر الحال على هذا المنوال منذ الخمسينيات، ولم يتوقف إلى الآن، ليس في عِمارة وعُمران الكتلة المُفردة فحسب، وإنما أيضًا على مستوى تخطيط عِمارة وعُمران المدن ومكوناتها. ورغم بزوغ عديد من النماذج الفكرية المتعددة في مستويات التخطيط، إلا أننا لم نجد منها نموذجًا فكريًّا وحيد، يجوب الآفاق، عدا نموذج المجاورة السكنية لكلارنس بيري في العام 1963، وأكد ما بعدها من نماذج فكرية أن المدينة شجرة، وأن تكوينها في محلات مُتدرجة بين الهيكل ومعابر الحركة والانتقال والفضاءات الحضرية.

حَتَّى حين بزغ نجم تصميم المدن أو علم التصميم الحضري، وحين اهتم الغرب المتقدم بالعلاقة بين الناس والمكان، وأن مسألة التخطيط الهيكلي المتكامل باتت من التاريخ، فانتهى عصر المُخطط الأوحد، الذي يمتطي صهوة جواده، ويضع مُخططًا لمدينة جديدة بين ليلة وضحاها. والقول الحق، هو أن التصميم الحضري دخل مِصر كما يدخل الغرباء، وظل فيها غريبًا، ولعله سيظل؛ رغم انتشاره كالنار في الهشيم على مستوى الجامعات والمعاهد الفنية والمراكز البحثية، حَتَّى ظننت لحظة أن المعنيين بالأرض سيورثون هذا العلم أرض المَعمورة ومن عليها.

إنني لم أبدل رأيًا أبدًا، وأعتقد أنني لن أفعل ذلك في القريب العاجل، إلا أن هذا العلم "التصميم الحضري،" بكُلّ ما يحتوي من أبعادٍ تهتم بشؤون العلاقة بين الناس والمكان، لم يدخل الممارسة المهنية الحقيقية؛ إلا قليلاً (وذرًا للرماد في العيون). أما الدليل على ذلك فهو عِمارة وعُمران امتدادات القاهرة العاصمة وداخلها، وخروجًا نحو المدن الجديدة ومدن الضواحي–إن جاز التعبير– وهذا بجانب المشرعات التي تظهر في كُلّ حين وتملأ الأرجاء؛ وعلاقتها وثيقة بالسكن والترويح. حَتَّى حينما ترى المحافل العلمية والمنشورات والرسائل

العلمية، المُمتلئة بالغث والسمين، فلن تجد مشروعًا وحيدًا في الواقع، يستعير ما جاء في هذا العلم، وهو الذي تحور وتطور وأصبح اليوم في عامه الثاني بعد الستين، وبحساب أن يوم مولده كان في العام 1956، وأن مخاضه جاء بمعرفة جوزيب سيرت وسيجفريد جيديون وكيڤين لينش وجان جاكوبس وآخرين في مؤتمرهم، المُنعقد في جامعة هارڤارد؛ ليُناقشوا أول ظهور لهذا المُصطلح، وبيان أن اهتمامه كان بتصميم المدن. الأكثر من ذلك، أنه إذا التفتنا إلى كم الأدبيات التي يُناقشها المِعماري المِصري (مُخططًا ومُصممًا) للنماذج الفكرية المُستحدثة، مثل: الاستدامة والمدينة البصمة والمدن المعلوماتية والمدن الذكية والمدن الخضراء، ستظن هم أهلها، وأنهم هم الذين ابتكروا تلك النماذج الفكرية. وحين تلتفت بعنقك ذات اليمن وذات الشمال، لن تجد مشروعًا وحيدًا، يُمكن وصفه بأنه مُستدام أو علامة أو معلوماتي أو ذكي أو أخضر.

الأجواء هي البعد الخامس

يتمثل الانفراد بين المدن في هذا العمل في كيفية تفعيل الجوانب التاريخية والرمزية والثقافية والاقتصادية والإنسانية والأخلاقية، واحترام التعددية الثقافية، التي تقوم على الاختلافات العرقية دون تمييز، والتي تشمل تعزيز فكر المواطنة. وينبغي أن تكون للمدينة أيضًا خطط طويلة المدى [استراتيجية]، تنظر إلى المستقبل وحقوق الأجيال القادمة، واعتبار أن التنافسية المبنية على الاستثمارات التي تدعم القدرات التقنية الفائقة هي العنصر الحاسم في التنمية. ومن ثم، ينبغي إنشاء خطة مرنة ذات أولوية عليا للحاضر والمستقبل، من أجل إنشاء مدينة تتسم بالترابط، وينبغي أن تعزز مبادئ التخطيط الحيوية الاجتماعية: الإدارية والاجتماعية والثقافية (الشعبية) والاقتصادية والتقنية. وينبغي أن يبدأ بناء المدن على مفهوم نهج التصميم عابر الاختصاص–والتجديد الذي يفهم النظام الاجتماعي والاقتصادي المعقد وراء الاضطراب أو الفوضى الحضرية، والذي يبدو في بعض البلدان النامية، سواءً أكانت مدن تقليدية أم مدن جديدة.

على ما يبدو، فإن مصطلح الجو/أجواء أو المشاعر الشخصية يمكن التعامل معها كحالة فردية حسب الحساسية والموضوعية والذاتية؛ وعادة ما تأتي تأثيراتها قبل لحظات سابقة من مرحلة الوعي، وتحدُث تجاه شخص أو فضاء أو مكان أو موقف أو أشياء رائعة. ربما، تحصل أيضًا تجاه المباني والمناظر الطبيعية الاصطناعية والأعمال الفنية أو الأدبية أو حتى الألعاب. يولد هذا الشعور مشاعر خاصة تنشأ فجأة وما تلبث أن يغمرها وجود

نفوذ فردي أو نتيجة لعدة قوى خارجية. كلاهما يحدث بشكل منفصل أو جماعي حتى النشوة، تليها التمتع، الارتياح، القبول، والرغبة في العيش في هذا الجو مرارا وتكرارا. وعلى النقيض من ذلك، في أوقات أخرى وفي أماكن أخرى، يتعرضن البعض لأذى بسبب مشاعر الاكتئاب أو الظلام. هذا كان موضوع كتابنا، كيف يُمكن تحقيق الانفراد من خلال خلق أجواء تُشعر المرء ليس فحسب بالنشوة والبهجة، وإنما تفرض عليه مشاعر خلابة تُشعره كأنه في بيته، وتضيف متعة تجعله يشعر في كل مرة أنها تحدث له أول مرة.

وتلك مهمة المُصمم المِعماري الذي تُسند إليه مهمة خلق مدينة (أو مكان) جديد، فيبدأ التفكير بكُل ما أوتى من العلم والدراسة والموهبة في كيفية الاستفادة من النماذج الفكرية الجديدة، وبما يتواءم مع مُعطيات بيئته والناس الذين سيحيون في هذا المكان.

الموضوع رغم بساطته في الحكي، ورغم توافر العديد من الدراسات والأدبيات الغربية، وأيضًا المشروعات المُنفذة بالفعل على مستوى العالم، إلا أنه في بعض مناطق العالم النامي يبدو ،كأنه موضه لم يسبق له مثيل. ونظرة واحدة لأي مشرع لمدينة جديدة، تتبعه ابتسامة، ما الفرق بينه وبين عشرات المدن التي في الجوار القريب.

ويظل السؤال، لماذا لا تتمتع تلك المدن بالانفراد؟ لماذا لا نستشعر أجوائها كما نستشعر أحواء المدن العظيمة على مر التاريخ، في الشرق والغرب؟ وهل يُمكن اعتماد الجو ليكون هو البعد الخامس الباعث على انفراد المدن الجديدة؟

قائمة المراجع

Abel, C. (1982). Architecture as Identity, I: the Essence of Architecture. In M. Herzfeld, & M. D. Lenhart, *Semiotiqs 1980* (pp. 1-12). New York and London: Plenum Press.

Abrams, M., & Harpham, G. (2011). *A Glossary of Literary Terms.* Boston, Massachusetts, United States: Cengage Learning.

Abusaada, H. G. (2015). *The Art of the City: Refutation of Intellectual Discourse as an Introductory to Knowledge Enlightenment.* South Africa: Partridge Africa, A Penguin Random House Company.

Abusaada, H. G. (2017). *Architecture Evermore: The World of Architecture Via the Western Thought an Extended Term.* (A. Elshater, Ed.) South Africa: Partridge Africa, A Penguin Random House Company.

Adam, R. (2012). Identity and Identification: The Role of Architectural Identity in a Globalised World. In H. Casakin, & F. Bernardo (Eds.), *The Role of Place Identity in the Perception, Understanding, and Design of Built Environments* (pp. 176-193). Bentham Science Publishers.

Agnew, J. A. (1987). *Place and Politics: The Geographical Mediation of State and Society.* London: Allen and Unwin.

Agnew, J. A. (2011). Space and Place. In J. A. Livingstone (Ed.), *The SAGE Handbook of Geographical Knowledge* (pp. 316-330). London: SAGE Publications Ltd. doi: http://dx.doi.org/10.4135/9781446201091

Alexander, C. (1979). *The Timeless Way of Building.* Oxford, United Kingdom: Oxford University Press.

Allport, G. W. (1937). *Personality: A psychological interpretation.* New York: Holt.

Altman, I., & Low, S. M. (Eds.). (1992). *Place Attachment.* New York and London: Plenum Press.

Ana Sugranyes; Charlotte Mathivet. (2010). Cities for All: Articulating the Social-Urban Capacities. In *Cities for All, Proposals and Experiences*

towards the Right to the City (pp. 13-20). Santiago, Chile: Habitat International Coalition (HIC).

Anderson, B. (2006). *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism.* London: Verso.

Anderson, B. (2014). *Encountering Affect: Capacities, Apparatuses, Conditions.* UK: Ashgate Publishing.

Anholt, S. (2010). Definitions of place branding –Working towards a resolution. *Place Branding and Public Diplomacy*, 1-10.

Arthur, P., & Passini, R. (1992). *Wayfinding: People, signs, and architecture.* New York: McGraw-Hill Book Co.

Ashworth, G. (2009). The Instrument of Place Branding: How is it done? *European Spatial Research and Policy, 16*(1), 9-22.

ATkearney. (2012). *2012 Global Index and Emerging Cities Outlook*. Retrieved 7 10, 2017, from https://www.atkearney.com/research-studies/global-cities-index/2012

Augé, M. (1995). *Non-Places: Introduction to an Anthropology of Supermodernity.* (J. Howe, Trans.) London and New York: Verso Books.

Badie, B., Berg-Schlosser, D., & Morlino, L. (2011). *International Encyclopedia of Political Science.* SAGE Publications.

Banham, R. (1966). *The New Brutalism: Ethic or Aesthetic?* London: The Architectural Press.

Banham, R. (1997). *A Critic Writes: Selected Essays by Reyner Banham.* London, England: University of California Press.

Bauman, Z. (1996). From Pilgrim to Tourist – or a Short History of Identity. In S. Hall, & P. d. Gay (Eds.), *Questions of Cultural Identity* (pp. 18-36). SAGE Publications Ltd.

Begg, I. (1999). Cities and Competitiveness. *Urban Studies, 36*(5-6), 795-809.

Berlage, H. P. (1908). *Grundlagen und Entwicklung der Architektur, vier Vorträge gehalten im Kunstgewerbe museum zu Zürich.* Zürich: Berlin J. Bard.

Bloom, W. (1990). *Personal Identity, National Identity, and International Relations.* Cambridge: Cambridge University Press.

Bloomfield, J., & Bianchini, F. (2002). *Planning for the Cosmopolitan City: A Research Report for Birmingham City Council.* Leicester: Comedia, International Cultural Planning and Policy Unit.

Böhme, G. (1993). Atmosphere as the Fundamental Concept of a New Aesthetics. *Thesis Eleven, 36*, 113-126.

Böhme, G. (1998). Atmosphere as an aesthetic concept. In G. Confurius (Ed.), *Constructing Atmospheres* (Vol. 68, pp. 112-115). Daidalos.

Böhme, G. (2000). Acoustic Atmospheres: A Contribution to the Study of Ecological Aesthetics. *The Journal of Acoustic Ecology, 1*(1), 14-18.

Böhme, G. (2005). Atmosphere as the subject matter of architecture. In H. &. Meuron, & P. Ursprung (Ed.), *Natural History* (pp. 398–407). London: Springer Science & Business Media.

Böhme, G. (2010). On beauty. *The Nordic Journal of Aesthetics, 39*, 22-33.

Böhme, G. (2013). Atmosphere as Mindful Physical Presence in Space. *OASE Journal for Architecture*, 21-32.

Böhme, G. (2014). Urban Atmospheres: Charting New Directions for Architecture and Urban Planning. In C. Borch, *Architectur, Architectural Atmospheres – On the Experience and Politics of Architecture* (pp. 42-59). Basel, Berlin and Boston: Birkhäuser.

Borch, C. (2015). The Politics of Atmospheres: Architecture, Power, and the Senses. In C. Borch, *Architectural Atmospheres: On the Experience and Politics of Architecture* (pp. 60-89). Basel: Birkhauser.

Bouton, S., Cis, D., Mendonca, L., Pohl, H., Remes, J., Ritchie, H., & Woetzel, J. (2013). *How to Make a City Great?* McKinsey: McKinsey & Company.

Boyer, C. (1994). *The City of Collective Memory: Its historical Imagery and Architectural Entertainments.* Cambridge, Mass: The MIT Press.

Broadbent, G., Bunt, R., & Jencks, C. (Eds.). (1980). *Signs, Symbols and Architecture.* New York: John Wiley and Sons.

Brown, B., & Perkins, D. D. (1992). Disruptions in Place Attachment. In I. Altman, & S. Low (Eds.), *Place Attachment* (pp. 279-304). New York: Plenum Press.

Buckingham, D. (2008). Introducing Identity. In D. B. Learning (Ed.), *Youth, Identity, and Digital Media* (pp. 1-24). Cambridge, MA: The MIT Press.

Butina-Watson, G., & Bentley, I. (2007). *Identity by Design.* Routledge.

Canales, J., & Herscher, A. (2005). Criminal Skins: Tattoos and Modern Architecture in the Work of Adolf Loos. *Architectural History*(48), 235-256.

Carmona, M. (2010). *Public Places, Urban Spaces: The Dimensions of Urban Design.* Routledge.

Carr, S., Francis, M., Rivlin, L. G., & Stone, A. M. (1993). *Public Space.* Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Casakin, H., & Bernardo, F. (Eds.). (2012). *The Role of Place Identity in the Perception, Understanding, and Design of Built Environments.* Bentham Science Publishers.

Casey, E. S. (1993). *Getting Back into Place: Toward a Renewed Understanding of the Place-World.* Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press.

Casey, E. S. (1996). How to Get from Space to Place in a Fairly Short Stretch of Time: Phenomenological Prolegomena. In S. Feld, & K. Basso (Eds.), *Senses of Place* (pp. 13-52). Santa Fe: School of American Research Press.

Casey, E. S. (1997). *The Fate of Place: A Philosophical History.* Berkeley: University of California Press.

Castells, M. (1996). *The Rise of the Network Society* (Edition history: Blackwell Publishing Ltd., Ie, 1996 ed., Vol. I). London: Blackwell.

Castells, M. (1997). *The Power of Identity, The Information Age: Economy, Society and Culture, Vol. II.* Cambridge MA; Oxford, UK: Blackwell.

Castells, M. (1998). *The End of the Millennium, The Information Age: Economy, Society and Culture, Vol. III.* Cambridge, MA; Oxford, UK: Blackwell.

Castels, M. (1989). Social Movements and the Informational city. *Hitotsubashi Journal of Social Studies*(21), 197-206.

Cayne, B. S. (1998). *The New Lexicon Webster's Dictionary Of The English Language.* New York: Lexicon Publications Inc.

Chaudhury, C. D., & Rowles, H. (2005). Between the Shores of Recollection and Imagination: Self, Aging, and Home. In C. D. Chaudhury, & H. Rowles

(Eds.), *Home and Identity in Late Life: International Perspectives* (pp. 3-18). New York, NY: Springer Publishing Company.

Cheshmehzangi, A. (2012). Identity and Public Realm. *Procedia-Social and Behavioral Sciences, 50*, 307-317.

Chitwood, A. (2004). *Death by Philosophy: The Biographical Tradition in the Life and Death of the Archaic Philosophers Empedocles, Heraclitus, and Democritus.* USA: University of Michigan Press.

Clark, D. (1991). Book reviews. *Progress in Human Geography, 15*(4), 480-482.

Clement, A. (2011). *Brutalism: Post-War British Architecture.* Ramsbury, Marlborough, Wiltshire: The Crowood Press Ltd.

Cocchia, A. (2014). Smart and Digital City: A Systematic Literature Review. In R. P. Dameri, & C. Rosenthal-Sabroux (Eds.), *Smart City: How to Create Public and Economic Value with High Technology in Urban Space* (pp. 13-43). Cham: Springer International Publishing AG.

Colebrook, C. (2002). *Understanding Deleuze.* Australia: Allen & Union.

Coleman, N. (2007). *Utopias and Architecture.* New York: Routledge.

Collins, P. (2004). *Concrete: The Vision of a New Architecture* (2nd ed.). London: McGill-Queen's University Press.

Council of Europe. (2013). *The intercultural city step by step: Practical guide for applying the urban model of intercultural integration.* Strasbourg Cedex: Council of Europe Publishing.

Cox, H. (1968). The Restoration of a Sense of Place. *Ekistics*, 422-424.

Crang, M. (1998). *Cultural Geography.* London: Routledge.

Cressewll, T. (2017). Towards Topopoeties: Space. Place, and the poem. In B. B. Janz (Ed.), *Place, Space and Hermeneutics* (pp. 319-332). Orlando, FL, USA: Springer.

Cresswell, T. (2009). Place. In N. Thrift, & R. Kitchen (Eds.), *International Encyclopedia of Human Geography* (Vol. 8, pp. 169-177). Oxford: Elsevier.

Crystal, D. (2014). *Words in Time and Place: Exploring Language Through the Historical Thesaurus of the Oxford English Dictionary.* Oxford: OUP Oxford.

Dahl, N. O. (1997). Two Kinds of Essence in Aristotle: A Pale Man is Not the same as His Essence. *The Philosophical Review, 106*(2), 233-265.

Debbarma, M. (2014). Importance of Human Values in the Society. *International Journal of English Language, Literature and Humanities, 11*(1), 181-195.

Delanda, M. (2006). *A New Philosophy of Society- Assemblage Theory and Social Complexity.* London and New York: Continuum.

Deleuze, G. (1990). *Logic of Sense.* New York: Columbia University Press.

Deleuze, G., & Guattari, F. (1987). *A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia.* London: Athlone.

Desolneux, A., Moisan, L., & Morel, J.-M. (2007). *From Gestalt Theory to Image Analysis: A Probabilistic Approach.* New York: Springer Publishing Company.

Dewey, J. (1938). *Logic: The Theory of Inquiry.* New York: Henry Holt and compony.

Dewey, J. (2008). *The Later Works of John Dewey, 1925-1953: 1934, Art as Experience* (Vol. 10). (A. Boydston, Ed.) Carbondale, Illinois: Southern Illinois University Press.

Dovey, K. (2010). *Becoming Places, Urbanism/Architecture/Identity/Power.* London and New York: Routledge.

Dovey, K. (2016). *Urban Design Thinking: A Conceptual Toolkit.* New York: Bloomsbury Publishing.

Dufrenne, M. (1973). *The Phenomenology of Aesthetic Experience.* Evanston, Illinois, United States: Northwestern University Press.

Durrell, L. (1964). *Studies in Classic American Literature.* London: Heinemann.

Durrell, L. (1969). *Spirit of Place Letters and Essays on Travel.* London: Faber & Faber.

Egan, K. (2014). Film Production Design: Case Study of The Great Gatsby. *Elon Journal of Undergraduated Research in Communications, 5*(1), 5-14.

Eisenman, P. (1982). Editor's Introduction by Peter Eisenman. In A. Rossi, *The Architecture of the city* (D. Ghirardo, & J. Ockman, Trans., pp. 3-11). Cambridge: Massachusetts and London, UK: Oppositions Book, The MIT Press.

Eisenman, P. (1988). En Terror Firma, in Form; Being Absence: Architecture and Philosophy. *Pratt Journal of Architecture*(2), 111-121.

Ellin, N. (1999). *Postmodern Urbanism.* New York: Princeton Architectural Press.

Elshater, A. (2015). The Principles of Gestalt Laws and Everyday Urbanism: A Visual Tactic of City Potentialities. *The International Journal of the Constructed Environment, 5*(3), 1-19.

Entrikin, J. N. (1989). Place, Region and Modernity. In J. A. Agnew, & J. S. Duncan (Eds.), *In The Power of Place* (pp. 30-43). Winchester, MA: Unwin Hyman.

Entrikin, J. N. (1991). *The betweenness of place: Towards a geography of modernity.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Erikson, E. (1960). The Problem of Ego Identity. In M. R. Stein, A. J. Vidich, & D. M. White (Eds.), *Identity and Anxiety: Survival of the Person in Mass Society* (pp. 37-87). Illinois: The Free Press of Glencoe.

Erikson, E. (1968). *Identity, youth and crisis.* New York: W. W. Norton.

Erikson, E. H. (1959). *Identity and the Life Cycle; Selected Papers.* New York: International Universities Press.

Fainstein, S. S. (2005). Cities and Diversity: Should we want it? Can we Plan for it? *Urban Affairs Review, 41*(1), 3-19.

Fainstein, S. S. (2010). *The Just City: Principles and Distinctions.* NY: Cornell University Press.

Farinelli, F. (2003). *Un'introduzione ai modelli del mondo.* Turin: Einaudi.

Fisher, H. (2012). Temperaments Dimensions. In J. Brockman, *This Will Make You Smarter* (pp. 229-231). London: Random House.

Fisher, T. R. (2000). *In the Scheme of Things: Alternative Thinking on the Practice of Architecture.* Minneapolis: University Of Minnesota Press.

Fivush, R. (2011). The development of autobiographical memory. *Annu Rev Psychology*, 559-582.

Fox, E. J. (2008). preface. In M. Spector, M. D. Merrill, J. v. Merriënboer, & M. P. Driscoll (Eds.), *Handbook of Research on Educational Communications and Technology* (Third Edition ed., pp. xxviii-xxxii). New York: Taylor & Francis Group.

Fox, W. (2000). *Ethics and the Built Environment.* London and New York: Routledge.

Funder, D. C. (2013). *The Personality Puzzle* (2 ed.). New York, NY: Norton.

Gardolinski, J. (2010). *Heliopolis: City in a city.* ETH Studio Basel Contemporary City Institute.

Gatley, J., & King, S. (2016). Editorial. *Fabrications- JSAHANZ, 26*(1), 1-3.

Glassman, E. L., Scott, J., Singh, R., Guo, P. J., & Miller, R. C. (2015). OverCode: Visualizing Variation in Student Solutions to Programming Problems at Scale. *ACM Transactions on Computer-Human Interaction (TOCHI), 22*(2), 1-35.

Glick-Schiller, N., Basch, L., & Blanc-Szanton, C. (1995). From immigrant to transmigrant: theorizing transnational migration. *Anthropological Quarterly, 68*, 48-64.

Glissant, E. (1984). The urban explosion. (pp. 24-30). The UNESCO Courier 38.

Greenberg, M. (2000). Branding Cities: A Social History of the Urban Lifestyle Magazine. *Urban Affairs Review, 36*(2), 228-263.

Greenbie, B. (1981). *Spaces: Dimensions of the Human Landscape.* New Haven: Yale University Press.

Griffero, T. (2014). *Atmospheres: Aesthetics of Emotional Spaces.* (S. D. Sanctis, Trans.) England: Ashgate Publishing Limited.

Griffero, T. (2016). Atmospheres and Felt-bodily Resonances. *Studi di estetica, XLIX*(IV), 1-49.

Gullberg, J. (2016). Voids and Bodies: August Schmarsow, Bruno Zevi and Space as a Historiographical Theme. *Journal of Art Historiography*, 1-20.

Gussow, A. (1971). *A Sense of Place: The Artist and The American Land.* San Francisco: Friends of the Earth.

Haapala, A. (2003). The urban Identity: The City as a Place to Dwell. (V. Sarapik, & K. Tüür, Eds.) *Proceedings of the Estonian Academy of Arts Vol. 14*, 13-23.

Haddad, E. (2009). Charles Jencks and the historiography of Post-Modernism. *The Journal of Architecture, 14*(4), 493-510.

Hadjicostandi, J. (2007). Urbanism/Urban Culture. In G. Ritzer, & G. Ritzer (Ed.), *The Blackwell Encyclopedia of Sociology* (pp. 5154-5159). Australia: Blackwell Publishing.

Hadot, P. (1995). *Philosophy as a Way of Life: Spiritual Exercises from Socrates to Foucault.* UK: Wiley-Blackwell.

Hankinson, G. (2004). Relational Network Brands: towards a conceptual model of place brands. *Journal of Vacation Marketing, 10*(2), 109-121.

Hankinson, G., & Cowking, P. (1993). *Branding in Action.* London, UK: McGraw-Hill.

Hannerz, U. (1996). *Transnational Connections: Culture, People, Places.* London: Routledge.

Hay, R. B. (1998). Sense of place in a developmental context. *Journal of Environmental Psychology*(18), 5–29.

Hayden, D. (1995). *The Power of Place: Urban Landscapes as Public History.* Cambridge, Mass: MIT Press.

Healey, P. (2010). *Making Better Places.* New York: Palgrave Macmillan.

Heidegger, M. (1969). *Identity and Differences.* (J. Stambaugh, Trans.) New York: Harper & Row, Publishers, Incorporated.

Heidegger, M. (1971). *Poetry, Language, Thought.* (A. Hofstadter, Trans.) New York: Harper and Row.

Herd, M. (2014, 1 27). *What makes your city so special?* Retrieved 7 23, 2015, from www.theguardian.com: http://www.theguardian.com/cities/2014/jan/27/guardian-cities-website-welcome

Herzfeld, M., & Lenhart, M. D. (1982). *Semiotiqs 1980.* New York and London: Plenum Press.

Hiss, T. (1990). *The Experience of Place.* New York: Alfred A. Knopf.

Hollands, R. G. (2008). Will the real smart city please stand up? Intelligent, progressive or entrepreneurial? *City, 12*(3), 303-320.

Holt-Jensen, A. (1999). *Geography - History and Concepts: A Student's Guide.* London: SAGE.

Hough, M. (1990). *Out of Place: Restoring Identity to the Regional Landscape.*

New Haven: Yale University Press.

Hough, M. (2007). Prenciples for Regional Design. In M. Larice, & E. Macdonald (Eds.), *The Urban Design Reader* (Second Edition (2013) ed., pp. 525-533). Routledge.

Huxtable, A. L. (1981). Is modern architecture Dead? *The New York Review of Books, 28*(12), 17-22.

Ionescu, V. (2016). Architectural Symbolism: Body and Space in Heinrich Wölfflin and Wilhelm Worringer. *Architectural Histories, 4*(1), 1-9.

ISO/IEC JTC 1. (2015). *Smart cities.* Switzerland: Information technology.

Ivic, S. (2010). The Assembly of European Regions' Udine Declaration: Contradictory approaches to European and regional identities. *European Urban and Regional Studies, 17*(4), 443–446.

Jaaniste, L. O. (2010). The Ambience of Ambience. *A Journal of Media and Culture, 13*(2). Retrieved from http://www.journal.media-culture.org.au/index.php/mcjournal/article/view/238

Jackson, J. B. (1994). *A Sense of Place, a Sense of Time.* New Haven: Walker Art Center.

Jacobs, J. (2000). *The Death and Life of Great American Cities* (First Edition, 1961 ed.). London: Pimlico.

Jacobson-Widding, A. (1983). *Identity: Personal and Socio-cultural : a Symposium.* Stockholm: Almqvist och Wisksell.

James, W. (1890). *The principles of psychology.* New York: Holt.

Jencks, C. (1977). *The Language of Postmodern Architecture.* New York: Rizzoli.

Jencks, C. (1986). *What is Post- Modernism?* New York: Academy Editions.

Jencks, C. (1987). Postmodern and Late Modern: The Essential Definitions. *Chicago Review, 35*(4), 31-58.

Jencks, C. (1992). The Post-Modern Agenda. In C. Jencks (Ed.), *The Post-modern reader* (pp. 10-39). New York: St. Martin's.

Jencks, C. (2005). *The Iconic Building- The Power of Enigma.* London: Frances Lincoln.

Jenkins, R. (1996). *Social Identity.* London: Routledge.

Jenner, R. (2013). Ambient atmospheres: Exhibiting the immaterial in works by Italian Rationalists Edoardo Persico and Franco Albini. *Interstices: Journal of Architecture and Related Arts*, 13-24.

Jorgensen, B., & Stedman, R. (2001). Sense of place as an attitude: Lakeshore owners' attitudes toward their properties. *Journal of Environmental Psychology,*, 233–248.

Kahn, L. (1957). Architecture is the thoughtful making of spaces. *Perspecta*(IV), 2-3.

Kavaratzis, M. (2004). From city marketing to city branding: Towards a theoretical framework for developing city brands. *Place Branding, 1*(1), 58–73.

Kaymaz, I. (2013). Urban Landscapes and Identity. In M. Özyavuz (Ed.), *Advances in Landscape Architecture.* InTech, Chapters Published.

Kazig, R. (2016, avril 27). *Presentation of Hermann Schmitz' paper, "Atmospheric Spaces".* Retrieved avril 30, 2017, from Ambiances [En ligne]: http://ambiances.revues.org/709

Kellner, D. (2003). *Media Culture: Cultural Studies, Identity and Politics Between the Modern and the Post-modern* (First published 1995 ed.). London and New York: Routledge.

Kemmis, D. (1995). *The Good City and the Good Life.* Houghton Mifflin Co.

Kluckhohn, C. K. (1951). Values and value orientations in the theory of action: An exploration in definition and classification. In T. P. (Eds.), *Toward a General Theory of Action* (pp. 388-433). Cambridge: MA: Harvard University Press.

Koolhaas, R., & Mau, B. (1997). Bigness. In R. Koolhaas, & B. Mau, *S,M,L,XL* (pp. 494-516). New York: Monacelli Press.

Kotkin, J. (2013). *What Is A City For?* Singapore University of Technology and Design . Dover Drive, Singapore: Lee Kuan Yew Centre for Innovative Cities.

Kotler, P., Asplund, C., Rein, I., & Haider, D. (1993). *Marketing Places Europe: Attracting Investments, Industries, Residents and Visitors to European Cities, Communities, Regions and Nations* (2nd ed.). London: Pearson Education.

Krohn, C. (2014). *Mies Van der Rohe the Built Work.* Basel, Switzerland: Birkhäuser Verlag GmbH.

Kunnen, E. S., Bosma, H. A., Halen, C. P., & Meulen, M. V. (2001). Introduction. In y. H. Bosma, & E. S. Kunnen (Eds.), *Identity and Emotion: Development through Self-Organization* (pp. 1-9). New York, NY.: Cambridge University Press.

Labuhn, B. (2016). Conceptualisations of Atmosphere in Text and in Image in Architectural Journalism (1991 - 2013). *Ambiances, tomorrow. Proceedings of 3rd International Congress on Ambiances* (pp. 289-294). Volos, Greece: International Network Ambiances ; University of Thessaly.

Lalli, M. (1988). Urban Identity. In D. V. Canter, J. C. Jesuino, L. Soczka, & G. Stephenson (Eds.), *Environmental Social Psychology* (H. Dittmar, Trans., pp. 303-311). Berlin, Germany: Kluwer Academic Publishers.

Landry, C., & Wood, P. (2008). *The Intercultural City: Planning for Diversity Advantage.* UK and USA: Earthscan.

Lang, J. (1994). *Urban Design: The American Experience.* New York: John Wiley & Sons.

LeCorbusier. (1948). *New World of Space.* Boston: Reynal & Hitchcock.

Lefebvre, H. (1984). *Everyday Life in the Modern World.* New Brunswick: Transaction Publishers.

Lefebvre, H. (1991). *Critique of Everyday Life, Volume I: Introduction.* London: Verso.

Lefebvre, H. (1991). *The Production of Space.* (D. Nicholson-Smith, Trans.) Malden: Blackwell Publishers.

Levi-Strauss, C. (1966). *The Savage Mind.* (G. W. Ltd, Trans.) Chicago: The University of Chicago.

Lewicka, M. (2008). Place attachment, place identity, and place memory: Restoring the forgotten city past. *Journal of Environmental Psychology, 28*, 209-231.

Littlejohn, S. W., & Foss, K. A. (2008). *Theories of Human Communication* (9 ed.). USA: Cengage Learning.

Loos, A. (1988). *Ornament and Crime: Selected Essays.* (M. Mitchell, Trans.) Riverside, CA: Ariadne Press.

Lor, P. J., & Britz, J. J. (2007). Is a knowledge society possible without freedom of access to information? *Journal of Information Science, 33*(4), 387–397.

Loud, P. C. (1990). *The Art Museums of Louis Kahn.* Durham & London: Duke University Press.

Low, S. M., & Altman, I. (1992). Place Attachment: A Conceptual Inquiry. In *Place Attachment* (pp. 1-12). New York and London: Plenum Press.

Lukermann, F. (1964). Geography as a formal intellectual discipline and the way it contributes to human knowledge. *Canadian Geographer, 8*(4), 167-172.

Lynch, K. (1960). *The Image of the City* (Twentieth Printime 1990 ed.). Cambridge: Technology Press.

Lynch, K. (1981). *A Theory of Good City Form* (1981 ed.). Cambridge MA: MIT Press.

Lynch, K. (1984). The Immature Arts of City Design. *Places, 1*(3), 10-21.

M.Williams, R. (1979). Change and Stability in Value and Values Systems: a sociological perspective. In M. Rokeach, *Understanding Human Values* (pp. 15-46). USA: The free press.

Mainka, A., Hartmann, S., Stock, W. G., & Peters, I. (2014). Government and Social Media: A Case Study of 31 Informational World Cities. *47th Hawaii International Conference on System Science*, (pp. 1715-1724).

Major, M., Speirs, J., & Tischhauser, A. (2006). *Made of Light: The Art of Light and Architecture.* Basel, Switzerland: Birkhäuser Verlag.

Manzo, L. C. (2011). 'We are the Fruit Bowl': Place, Cultural Identity and Social Ties among Immigrant Residents in Public Housing. In J. Hou, & J. L. Roberts (Ed.), *Transcultural Cities: Symposium Proceedings* (pp. 14-23). Washington: Department of Landscape Architecture, University of Washington.

Massey, D. (1999). *Power-Geometries and the Politics of Space-Time: Hettner-Lecture 1998.* Dept. of Geography, University of Heidelberg.

McAdams, D. P. (2009). The Moral Personality. In D. Narvaez, & D. K. Lapsley

(Eds.), *Personality, Identity, and Character: Explorations in Moral Psychology* (pp. 11-29). UK: Cambridge University Press.

Meijl, T. v. (2008). Culture and Identity in Anthropology: Reflections on 'Unity' and 'Uncertinity' in the Dialogical Self. *International Journal for Dialogical Science, 3*(1), 165-190.

Merleau-Ponty, M. (2002). *Phenomenology of Perception.* London and New York: Psychology Press.

Merrifield, M. (1970). Essay on the Harmony and Contrast of Colours as Exemplified in the Exhibition. *The Arts Journal Illustrated Catalogue: The Industry of All Nations, 1851*, i-viii.

Milligan, M. J. (1998). Interactional Past and Potential: The Social Construction of Place Attachment. *Symbolic Interaction, 21*(1), 1-33.

Mokhtar, A. (2005). Through the looking glass. *AL-AHRAM Weekly On line*(741).

Mumford, L. (2015). What is a City? Architectural Record (1937). In R. T. Stout (Ed.), *The City Reader* (pp. 110-). London & New York: Routledge.

Muminovic, M. (2015). Places as Assemblages: Paradigm Shift or Fashionable Nonsense? *Athens Journal of Architecture*, 295-309.

Naagarazan, R. S. (2006). *A Textbook on Professional Ethics and Human Values.* New Delhi: New Age International (P) Limited Publishers.

Nadal-Melsió, S. (2008). Lessons In Surrealism. In K. Goonewardena, S. Kipfer, R. Milgrom, & C. Schmid (Eds.), *Space, Difference, Everyday Life, reading Henri Lefebvre* (pp. 161-175). Madison Ave, New York: Routledge.

Nairn, I. (1965). *The American landscape: A critical view.* Random House.

Nam, T., & Pardo, T. A. (2011). Conceptualizing Smart City with Dimensions of Technology, People, and Institutions. *The Proceedings of the 12th Annual International Conference on Digital Government Research* (pp. 282-291). USA.: College Park, MD.

Nathan. (1981). *Dictionnaire Encyclopédique de L'éducation et de la Formation.* Paris.

Newman, O. (1996). *Creating Defensible Space.* Washington, DC: HUD Office of Policy Development and Research.

Norberg-Schulz, C. (1971). *Existence, space and architecture.* London: Studio Vista Limited.

Norberg-Schulz, C. (1980). *Genius Loci: Towards a Ahenomenology of Architecture.* London: Academy Editions.

Norberg-Schulz, C. (1985). *The Concept of Dwelling: On the Way to Figurative Architecture.* New York: Rizzoli.

Norberg-Schulz, C. (1996). The Phenomenon of Place. In K. Nesbit (Ed.), *Theorizing a New Agenda for Architecture: An Anthology of Architectural Theory 1965-1995.* Princeton Architectural Press.

Offenhuber, D. (2008). The Invisible Display - Design Strategies for Ambient Media in the Urban Context. *Proc. of 2nd Workshop on Ambient Information Systems.* Seoul, South Korea: Ubicomp 2008.

Oosterman, A. (2015, 5 6). The Empowerment of 'Self Power'. (A. Oosterman, Ed.) *Self-building City, 43*, 104-107. Retrieved 8 2, 2017, from http://volumeproject.org/the-empowerment-of-self-power/

Oyserman, D., Elmore, K., & Smith, G. (2012). Self, Self-Concept, and Identity. In M. R. Leary, & J. P. Tangney (Eds.), *Handbook of Self and Identity* (2nd ed., pp. 69-104). New York: The Guilford Press.

Pallasmaa, J. (1988). Tradition and Modernity: The Feasibility of Regional Architecture in Post-Modern Society. *The Architec tural Review*, 26-34.

Pallasmaa, J. (1994). Identity, Intimacy, and Domicile, Notes on the phenomenology of home. *Arkkitehti, the finish Architectural Review*(1), 14-25.

Pallasmaa, J. (1996). *The Eyes of the Skin: Architecture and the Senses Chichester* (Third Edition ed.). John Wiley & Sons Ltd.

Pallasmaa, J. (2014). Space, Place, and Atmosphere: Peripheral Perception in Existential Experience. In C. Borch, *Architectural Atmospheres: On the Experience and Politics of Architecture* (pp. 18-41). Basel: Birkhauser.

Parnell, S. (2011). Ethics VS Aesthetics Architectural Design 1965-1972. *Field: a free Journal of Architecture, 4*(1), 49-54.

Pauly, D. (1957). *Le Corbusier: the Chapel at Ronchamp.* Springer Science & Business Media.

Pevsner, N. (1948). *An Out Line Of European Architecture.* Great Britain:

Penguin Editions.

Phillips, D. (2007). Ethnic and racial segregation: a critical perspective. *Geography Compass, 1*(5), 1138-1159.

Pred, A. (1984). Place as historically contingent process: Structuration and the time-geography of becoming places. *Annals of the Association of American Geographers, 74*(2), 279-297.

Proshansky, H. M. (1978). The city and self-identity Behavior. *Environment and, 10*, 147–169.

Proshansky, H. M., Fabian, A. K., & Kaminoff, R. (1983). Place-identity: Physical social world socialization of the self. *Journal of Environmental Psychology, 3*, 57–83.

PULSA. (1972). The city is an artwork. In G. Kepes (Ed.), *Arts of the Environment* (pp. 208-232). New York: George Braziller.

Radford, T. (2012). *Address Book: Our Place in the Scheme of Things.* Fourth Estate.

Radford, T. (2012). *Address Book: Our Place in the Scheme of Things.* Fourth Estate.

Rapoport, A. (1969). *House Form and Culture .* Prentice-Hall.

Ratcliffe, S. (1984). *Oxford Treasury of Sayings and Quotations.* UK: OUP Oxford.

Raymond, A. (2000). *Cairo.* (W. Wood, Trans.) London. England: Harvard University Press.

Relph, E. (1976). *Place and Placelessness.* London: Pion.

Relph, E. (1993). Modernity and the reclamation of place. In D. Seamon, *Dwelling, Seeing and Designing: Towards a phenomenological ecology* (pp. 25-40). New York: State University of New York Press.

Rendell, J. (2006). *Art and Architecture: A Place Between.* United Kingdom: I. B. Tauris.

Rodman, M. C. (2003). Empowering Place: Multilocality and Multivocality. In D. Lawrence-Zúniga, & S. M. Low. (Eds.), *The Anthropology of Space and Place: Locating Culture* (pp. 204–223). Malden, Oxford, Carlton: Blackwell Publishers.

Rokeach, M. (1969). *The Nature of Human Values.* New York: Free Press.

Rossi, A. (1982). *The Architecture of the City.* (D. Ghirardo, & J. Ockman, Trans.) Cambridge: Massachusetts and London, UK: Oppositions Book, The MIT Press.

Sack, R. D. (1997). *Homo Geographicus.* Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Saitta, L., & Zucker, J.-D. (2013). *Abstraction in Artificial Intelligence and Complex Systems.* Nwe York: Springer Science & Business Media.

Salmela, U. (2016). Planting New Towns in Europe in the Interwar Years: Experiments and Dreams for Future Societies. In H. Meller, & H. Porfyriou (Eds.), *Urban Aesthetics and National Unity: A Finnish New Town in the Making* (pp. 177-194). UK: Cambridge Scholars Publishing.

Samuel, F. (2007). *Le Corbusier in Detail.* Oxford: Routledge.

Samuels, I., & Clark, J. (2008). *Character and identity, Townscape and heritage appraisals in housing market renewal areas.* London: English Heritage and the Commission for Architecture and the Built Environment.

Sandercock, L., & Attili, G. (2009). *Where Strangers Become Neighbours.* Canada: Integrating Immigrants in Vancouver.

Sandercock, L., & Lyssiotis, P. (Eds.). (2003). *Cosmopolis II: Mongrel Cities of the 21st Century.* Londo and New York: Continum.

Sargent, L. T. (2000). Utopian Traditions: Themes and Variations. In T. N. Schaer, & G. C. Sargent (Ed.), *Utopia: The Search for the Ideal Society in the Western World* (pp. 8-17). New York: Oxford University Press in Association with The New York Public Library.

Sauchelli, A. (2012). On Architecture as a Spatial Art. *The Nordic Journal of Aesthetics*(43), 53–64.

Saucier, G. (2009). What Are the Most Important Dimensions of Personality?Evidence from Studies of Descriptors in Diverse Languages. *Social and Personality Psychology Compass, 3*(4), 620–637.

Savitch, H. (2010). What makes a great city great? An American perspective. *Cities, 27*, 42–49.

Scannell, L., & Gifford, R. (2010). Defining place attachment: A tripartite organizing framework. *Journal of Environmental Psychology*, 1-10.

Schilders, P. (2010). *The Organic City: Method or Metaphor? The Meaning of 'Organic' in Architecture and Urban Planning.* (M. Provoost, W. Vanstiphout, Eds., & B. Annable, Trans.) The Netherlands: International New Town Institute.

Schmarsow, A. (1994). Essence of Architectural Creation. In R. Vischer, C. Fiedler, H. W. Goller, A. Hildebrand, & A. Schmarsow, *Empathy, Form, and Space: Problems in German Aesthetics, 1873-1893* (H. F. Mallgrave, & E. Ikonomou., Trans., pp. 281-287). Los Angeles: Getty Center for the History of Art and the Humanities.

Schmitz, H., Owen, R., & Slaby, M. (2011). Emotions outside the box—the new phenomenology of feeling and corporeality. *Phenomenology and the Cognitive Sciences, 10*(2), 241-259.

Schulze, F. (1996). *Philip Johnson: Life and Work.* Chicago, United States: University of Chicago Press.

Schwarzer, M. W., & Schmarsow, A. (1991). The Emergence of Architectural Space: August Schmarsow's Theory of "Raumgestaltung". *Assemblage, 15*, 48-61.

Seamon, D. (2016). Grasping the Dynamics of Urban Place: Contributions from the works of Christopher Alexander, and Daniel Kemmis. In T. Mels (Ed.), *Reanimating Places: A Geography of Rhythms.* Routledge.

Semper, G. (2004). *Style in the Technical and Tectonic Arts, Or, Practical Aesthetics.* Los Angeles: Getty Research Institute.

Sennett, R. (1988). *The Conscience of the Eye: The Design and Social Life of Cities.* New York: Knopf.

Sepe, M., & Pitt, M. (2014). The characters of place in urban design. *Urban Design International, 19*(3), 215–227.

Simpson, J., & Proffitt, M. (1997). *Oxford English Dictionary Additions Series, Volume 3.* Oxford: Oxford University Press.

Sitte, C. (1986). *City Planning According to Artistic Principles.* (G. R. Collins, & C. C. Collins, Trans.) Mineola, New York: Dover Publications, INC.

Sklair, L. (2006). Iconic architecture and capitalist globalization. *City*, 21-47.

Smithson, A., & Smithson, P. (1953). House in Soho, London. *Architectural Design*, 342.

Sommer, E. (2013). *Similes Dictionary.* Visible Ink Press.

Spector, T. (2001). *The Ethical Architect: The Dilemma of Contemporary Practice.* USA: Princeton Architectural Press.

Stanek, L. (2012). Architecture as Space, Again? Notes on the 'Spatial Turn'. *SpecialeZ, 4*, 48-53.

Steans, J., Pettiford, L., Diez, T., & El-Anis, I. (2013). *An Introduction to International Relations Theory: Perspectives and Themes.* Abingdon and New York: Routledge.

Steele, F. (1981). *Sense of place.* Massachusetts: CBI Publishing Company, Inc.

Stevenson, A. (2010). *Oxford Dictionary of English.* London: OUP Oxford.

Stevenson, A., & Waite, M. (2011). *Concise Oxford English Dictionary.* Oxford: Oxford University Press.

Stock, W. G. (2011). Informational Cities: Analysis and Construction of Cities in the Knowledge Society. *Journal of the American Society for Information Science and Technology, 62*(5), 963–986.

Sturm, S., & Turner, S. (2012). "Built Pedagogy": The University of Auckland Business School as Crystal Palace. *Interstices, 12*, 23-34.

Susantia, R., Soetomoa, S., Buchoria, I., & Brotosunaryo, P. (2016). Smart growth, smart city and density: in search of the appropriate indicator for residential density in Indonesia. *Social and Behavioral Sciences, 227*, 194 – 201.

Talen, E. (2006). Design That Enables Diversity: The Complications of a Planning Ideal. *Journal of Planning Literature, 20*(3), 233-249.

Taylor, C. (1975). *Hegel.* New york: Cambridge University Press.

The City of Mississauga. (2015). *An Opportunity to Grow a Great City Through Placemaking.* Broadway, New York: PPS Project for Public Spaces.

Thibaud, J.-P. (2002). From Situated Perception to Urban Ambiences. *First international Workshop on Architectural and Urban Ambient Environment* (pp. 1-11). Nantes, France: Centre de recherche m´ethodologique d'architecture ; Ecole d'architecture de Nantes.

Thrift, N. (2009). Space: The Fundamental Stuff of Human Geography. In N. Clifford, S. L. Holloway, S. P. Rice, & G. Valentine (Eds.), *Key Concepts in Geography* (pp. 85-96). London: SAGE Publications Ltd.

Till, J. (2009). *Architecture Depends, Volume 55.* Cambridge, Massachusetts, London, England: MIT Press.

Tschumi, B. (2001). Violence of Architecture. In M. McQuillan (Ed.), *Deconstruction: A Reader.* Taylor & Francis.

Tuan, Y.-F. (1974). *Topophilia: A Study of Environmental Perception, Attitudes, and Values* (First Edition 1974 ed.). Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall Inc.

Tuan, Y.-F. (1974). *Topophilia: A Study of Environmental Perception, Attitudes, and Values* (First Edition 1974 ed.). Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall Inc.

Tuan, Y.-F. (1975). Place: An Experiential Perspective. *Geographical Review 2, 65*(2), 151-165.

Tuan, Y.-F. (1977). *Space and Place: The Perspective of Experience.* Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.

Tuan, Y.-F. (1979). Space and place: Humanistic perspectives. In S. Gale, & G. Olsson (Eds.), *Philosophy in Geography* (pp. 387-427). London, England: Springer.

Tuan, Y.-F. (1979). Space and place: Humanistic perspectives. In S. Gale, & G. Olsson (Eds.), *Philosophy in Geography* (pp. 387-427). Springer.

Turner, P., & Turner, S. (2006). Place, Sense of Place, and Presence. *Teleoperators and Virtual Environments*, 204-217.

UN-Habitat. (2014). *World Urbanization Prospects: The 2014 Revision, Highlights (ST/ESA/SER.A/352).* Department of Economic and Social Affairs, Population Division. The United Nations.

Utzon, J. (1984). *The essence of architecture.* Retrieved 9 14, 2017, from Guide to Utzon: http://www.utzonphotos.com/philosophy/the-essence-of-architecture/

Uzzell, D. L. (1996). Creating place identity through heritage interpretation. *International Journal of Heritage Studies, 1*(4), 219 - 228.

Vale, L. J. (1992). *Architecture, power, and national identity.* New Haven: Yale University Press.

Vauclair, C.-M. (2009, June 21). Measuring Cultural Value at the Individual-Level: Considering Morality in Cros-Cultural Value Research. *Ram–*

Revista DE Administracao Mackenzie, V. 10, N. 3, 10(3), pp. 60-83.

Velasquez, M. G. (2006). *Business Ethics: Concepts & Cases* (6 ed.). London: Person Education International.

Venturi, R., & Brown, D. S. (2004). *Architecture as Signs and Systems for a Mannerist Time.* Cambridge, Massachusetts, London, England: The Belknap Press of Harvard University Press.

Vischer, P. (1994). *Empathy, Form and Space: Problems in German Aesthetics, 1873 -1893.* (H. F. Eleftherios, Trans.) Santa Monica, CA: Getty Center For The History of Art And Humanities.

Vitruvius, M. (1999). *Vitruvius: Ten Books on Architecture.* (M. H. Morgan, Trans.) Cambridge: Harvard University Press.

Warnaby, G. (2009). Towards a Service-Dominant Place Marketing Logic. *Marketing Theory, 9*(4), 403-423.

Wasserman, B., Sullivan, P., & Palermo, G. (2000). *Ethics and the Practice of Architecture.* New York: Wiley.

Webber, M. M. (1964). The urban place and the nonplace urban realm. In M. M. Webber (Ed.), *Explorations into Urban Structure* (pp. 79-153). Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Webster, H. (1997). *Modernism Without Rhetoric: Essays on the Work of Alison and Peter Smithson .* : John Wiley & Sons Inc.

Wenstrom, W. E. (2005). *Exegesis and Exposition of Zephaniah 1.5-6.* Marion, Iowa: Wenstrom Bible Ministries. Retrieved 9 12, 2017, from www.wenstrom.org

Westacott, E. (2017). *Internet Encyclopedia of Philosophy, Moral Relativism*. Retrieved 6 29, 2017, from http://www.iep.utm.edu/moral-re/

Westermarck, E. (1932). *Ethical Relativity.* New York: Littlefield, Adams & Company.

Wigley, M. (1998). Architecture of Atmosphere. *Daidalos, 68*, 18-27.

Woodward, K. (1997). *Identity and Difference.* London: SAGE.

Young, I. M. (1990). *Justice and the Politics of Difference.* Princeton, New Jersey: Princeton University Press.

Zavalloni, M. (1980). Values. In H. C. (Eds.), *Handbook of cross-cultural psychology: Vol. 5, Social psychology* (pp. 73-120). Boston: MA: Allyn & Bacon.

Zevi, B. (1974). *Architecture As Space: How To Look At Architecture* (1948 ed.). New York: Horizon Press.

Zumthor, P. (2006). *Atmospheres: Architectural Environments- Surrounding Objects.* Basel: Birkhauser.

كشاف الكلمات

أ

أبعاد التصميم الحضري 60
أبعاد ذاتية..... 148
أبنية دينية..... 64, 71, 200
أبنية سكنية..... 157
أبنية مِعمارية قبيحة..... 49
أثينا 188
أجرام سماوية 96
أجساد افتراضية 81
أجنس ماينكا 175
أجنيسكا دوبروولسكا 196
أجهزة نقالة 173
أجواء 11, 16 ,17, 21, 25, 26, 28, 29, 30, 31, 32, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 79, 90, 91, 92, 121, 129, 216, 217
أجواء الأجواء 44
أجواء الأدب والفن 36
أجواء الاستشعار 47
أجواء الأعمال السينمائية..... 41
أجواء البيئة..... 48, 72, 121
أجواء الحضر 46, 58
أجواء الخارج 35, 36
أجواء الرواية 40
أجواء العاطفة 47
أجواء العشرينيات 41, 51
أجواء المُحيطة..... 37
أجواء المدينة .. 17, 25, 26, 30, 32, 51, 60, 75, 92
أجواء المدينة صديقة الناس 26
أجواء المدينه المُحيطة 30
أجواء المساجد 71
أجواء المكان 31, 63, 66, 129
أجواء الوطن..... 51
أجواء جيدة 37
أجواء حضرية 46, 50, 66, 74, 216
أجواء شعور الغرفة 47
أجواء صديقة الطفل..... 25
أجواء عاطفية..... 47
أجواء متمايزة 35
أجواء محيطة..... 31, 36, 37 ,38, 44, 47, 58,59,72, 69
أجواء محيطة ب..... 37 ,38
أجواء مُختلفة 36, 37
أجواء مُرضية..... 35
أجواء مِعمارية عُمرانية 36, 46, 65, 66
أجواء مكانية محيطة 45
أجواء ودية للأطفال في المدينة 30
أحاسيس..... 50
أحاسيس جسدية 47
أحداث الطبيعة 63
أحداث جارية 24

أحداث درامية..... 38
أحكام أخلاقية 153, 155
أحواش سماوية داخلية 155
أحياء المدينة 71
أخلاق 13, 14, 15, 17, 19, 22, 23, 133, 154, 155, 156, 159, 162, 163, 164, 165, 209
أخلاق التبعية 154
أخلاق التصميم.....156
أخلاق الفضيلة 154
أخلاق سامية .....14 ,15, 22, 23 ,133 ,165
أخلاقيات ممارسة المهنة ..... 170 ,212
أخميم الجديدة 20
أدا لويس هاكستبل.....157
أداء المدن.....179
أدري دويفستيجن.....186
أدوات تقنية.....172
أدولف لوس 158
أدولف هيلدبراند..... 77
أرتو هاپالا 101
أرجن أوسترمان.....186
أرسطو 26, 79, 81, 146
أرض المَعمورة.....218
أرض المعنى 85
أرض الواقع 22, 49, 195
أرض خلاء..... 32
أروين ألتمان 82, 84
أريلد هولت–جنسن... 34, 82, 85, 105, 121, 127
الأزهر الشريف 40
أستوديوهات الترفيه 173
أسس تصميم 31
أسس فكرية.....197
أسواق البورصات 173
أسواق تجارية مُغلقة.....200
أسوان الجديدة 20
أسيوط الجديدة..... 20
أشغال عامة 188
أشكال الإدراك 66
أشكال الحياة 63
أشكال العِمارة والعُمران 54
أشكال الفن 141
أشكال بصرية 55
أشكال مثالية 56
أشكال مِعمارية عُمرانية 55
أشكال مكانية.....188
أشكال من العُمران 201
أشكال هندسية جريئة..... 41
أصحاب المصالح.....215
أصحاب رؤوس الأموال 215
أعضاء الجريمة المنظمة 41
أعمال أدبية..... 38, 39
أعمال البناء 170
أعمال المدينة.....188
أعمال تجارية 176
أعمال فنية..... 44, 59
أغلبية .....183 ,185
أغنياء جدد 41
أفا شيتوود 145
أفعال إنسانية 154
أفكار 15, 20, 55, 65, 87, 98, 131, 133, 170, 207, 212, 215, 216
أفكار البناء 165
أفكار مبتكرة.....207
أفكار مجردة..... 26 ,27
أفكار مِعمارية عُمرانية 20
أفلاطون..... 26, 79
أفلام سينمائية 43
أقاليم المعنى.....127
أقليات.....183, 185
أقليات عرقية 116
أكسفورد القاموس الإنجليزي 42

ألدو روسي16, 123, 125, 127, 129, 132, 134, 136, 138, 139, 197
ألدو فان إيك 100
ألعاب الورق 40
ألفار آلتو 100, 160, 163
ألكسندر كليمينت 159, 160
ألكسندر مارسيل 197
ألويس ريجل 77
ألمانيا 64, 77, 163
أمزجة الناس 36, 59
أماكن .... 21 ,32, 35, 40, 60, 71 ,81, 83, 87, 88 ,89, 90, 93, 94, 96, 102, 106, 107, 115 ,126, 128, 129, 147 ,185, 198, 202, 206 ,217
أماكن حضرية ..... 32, 72 ,75, 96
أماكن حيوية 36
أماكن خيالية 81
أماكن ذات مَغزى 107
أماكن سير الأحداث 41
أماكن مُسماة 32
أماكن المدينة ..... 60 ,96, 126
أمن 169, 199, 202, 203
أمور ذاتية 113
أموس رابوبورت 111
إميل كراليسك 163
إميلي تالين 184
أليسون سميثسون 160
أماكن الانفراد 206
أمان 114, 169
أمير الدِنمارك 39
أمير باجادتشي 45
أن تشكيل الفضاءات 89
أنا الذاتية 148
أنا هويت وانتهيت 43
أناليسا كوتشيا 179, 181
أنتيا چاك بسون–ويدينج 149
أندرو ستون 124
أندرو هيرشر 159
أندريا سوشيلي 77
أندريه ريمون 196
أنسجة حضرية مدمجة 20
أنشطة اجتماعية 11
أنشطة الناس 103
أنشطة عملية 62
أنشطة مكانية 153
أنشطة يومية 63
أنطوني تيشوسر 60
أنطونينو جريفيرو 56
أنظمة اجتماعية 211
أنظمة التلفزيون 173
أنظمة الحاسوب 189, 212
أنظمة تخزين المعلومات 189, 212
أنظمة حضرية 179
أنقرة 11, 13
أنماط الاستهلاك 11
أنماط التفكير 44
أنماط الحياة، 63
أنماط السلوك البشري 14, 19
أنماط السلوك الفردية 67
أنماط العِمارة والعُمران 108
أنماط منتظمة 103
أنوية حضرية 174
أهداف اجتماعية 158
أهداف طويلة الأجل 150
أهواء 51, 58
أهواء المِعماري 164
أوبريت العشرة الطيبة 43
أوجست شمارسوه ..... 25, 54, 55, 64 ,77
أوروبا 11, 12, 13, 128, 135
أوستين 188
أوسكار نيومان 139
أوسيا 26

أولا سالميلا..... 135
أولف هانرز 183
أونوريه دو بلزاك..... 114
أيديولوجية التصنيع 157

ا

ابتكار ثقافي..... 183
ابن خلدون 168
ابن فارس 166
ابن منظور 166
اتحاد أوروبي ..... 173 ,181
اتصالية 200
اجتماع حضري..... 134
احترام الهويات..... 104
احتياجات المدينة 178
اختبار الأجواء 31
اختبار الفضاء..... 140
اختصاص العمارة والعمران..... 20, 98, 156, 165
اختلاف مِعماري..... 200
اختلافات عِرقية 219, 211
اختناقات مرورية..... 198
اختيار المكان 202
ارتباط بالدولة..... 113
ارتباط بالمسكن..... 113
ارتباط بالمكان..... 33 ,98 ,112, 113, 114, 121
ارتباط عاطفي..... 113, 114
ازدهار اقتصادي 189, 212
استبعاد اجتماعي 174
استثارة المشاعر 36
استجابة حسية..... 68, 73
استخدامات مُختلطة..... 200
استدامة 182, 184, 188, 205, 219
استدامة تنمية المدن 182
استطلاع رأي..... 198, 204
استقطاب اجتماعي ..... 173 ,181
استمرارية العِمارة والعُمران..... 169
استمرارية ذاتية 151
استنساخ..... 44, 199
استيعاب الغرباء 208
اشيندورف 64
اضطرابات الارتباط بالمكان 114
اعتقاد فكري 181
اغتراب 114
اقتصاد 29, 164, 205, 206, 209
اقتصاد إبداعي..... 189
اقتصاد المدينة..... 189
اقتصاد المعلومات 176
اقتصاد حضري تنافسي 180
اقتصاد علمي..... 212
اكتفاء ذاتي..... 169
اكتمال الخدمات 201
الانقسامات الاجتماعية..... 174
انتصار مُجتمعي..... 108
انتماء 90, 114, 115, 116, 117
انتماء للأماكن..... 90
انسجام 61, 200
انطباع ساحق 48
انطباع عاطفي 57
انطباعات شخصية 44
انفتاح على العالم 169
انفراد . 15,14, 16, 17, 19, 20, 21, 22, 23, 32, 35, 75, 79, 97, 98, 108, 127, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 143, 145, 150, 189, 190, 191, 192, 193, 195, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 210, 215, 216, 217, 219, 220,
انفراد المدن..... 20, 21, 220
انفراد المدينة..... 189
انفراد المكان..... 211
انفراد حضري.....22, 23, 127, 137
انفراد مديني 213
انفرادية 198, 205

انفرادية المكان..... 127, 137
انفرادية حضرية.....211
انقسام ازدواجي 58
انقسامات اجتماعية 182

إ

إبداع بشري..... 82
إبن بلوسون 145
إثبات الشخصية 149
إجراء البحوث الطبية.....189
إحساس .. 28, 35, 50, 56, 58, 68, 73, 87, 95, 103, 117, 120, 122, 129, 130, 186
إحساس بالأرض.....118
إحساس بالانتماء للمكان ..... 112 ,117
إحساس بالمكان ...68, 70, 83, 87, 91 ,95, 103, 117, 118, 120, 121, 122, 129, 130, 197
إحساس بالمودة.....120
إحساس جمالي 183
إحياء أسلوب الفنون البصرية..... 41
إخصاب مُتبادل 183
إدارة أعمال المدينة.....212
إدارة المدينة 185, 208
إدارة المعرفة.....176
إدارة المكان 202
إدارة صورة المدينة.....178
إدامة.....169
إدامة الرأسمالية.....174
إدجار ألن بو..... 39
إدراك 16, 22, 24 ,36, 46, 48, 49, 51, 53, 54, 56 ,57, 62, 67, 68, 73, 74, 84, 88, 101, 104, 136, 148, 149, 169
إدراك إنساني معرفي..... 74
إدراك الجو 56
إدراك بصري 51
إدراك حسي ..... 53, 62, 64, 67, 73, 88 ,169
إدراك حسي بيئي 115
إدراك الحركة 65, 69
إدراك خاصية الأجواء 68
إدراك داخلي..... 54
إدراك الفرد المعرفي 104
إدراك المدينة 16
إدراك معرفي 16, 73, 88, 104, 148
إدراكات حسية 67
إدوار ريلف.....102
إدوارد إمبان 196
إدوارد جليسانت.....179
إدوارد ريلف .33, 34, 82, 83, 84, 97, 102, 103, 120, 122, 128
إدوارد كيسي.....*33*, 79, 81, 97
إدوارد ويسترمارك 155
إرادة سياسية.....175 ,176
إرث المدينة 16
إرث ثقافي.....181
إريك إريكسون 147, 148, 149, 151
إسبانيا.....39, 163
إسحاق نيوتن 44
إسطنبول 197
إسكان شامل.....157
إسكان شعبي 201
الإسكندرية.....85, 188
إضفاء الطابع الشخصي 99
إعادة التأهيل 169
إعادة تشكيل 25
إعادة هيكلة الرأسمالية المتأخرة.....173
إعدادات مادية 148
إعطاء المعاني.....121
إعلامية.....135
إعلان أوديني.....151
إغدون هيث 39
إقامة ثقافات 183
إقليمية.....99 ,100
إلهام 54

إمبراطورية المعارض..... 45
إمبراطورية لاتينية..... 45
إمريس ويستاكوت.....155
إنتاج الفضاء 139
إنتاج صناعي 211
إنترنت الأشياء 182
إنشاءات مادية.....126
إنصاف العلامة التجارية 178
إيان بنتلي.....98, 105
إيان بيج 179
إيبينزر هوارد 196
إيثان كنت.....188
إيجان كيلسي..... 41
إيروين ألتمان.....97, 112
إيريس ماريون يانج 134
إيريك إريكسون 148
إيريك فوكس.....134
إيريك ميندیلسون.....163
إيرين پيدريلو 188
إيزابيلا الثانية..... 39
إيزابيلا جينينجز 121
إيسيل كيماز..... 105 ,116
إيطاليا.....11, 83, 85, 201
إيفور صامويلز 107, 148
إيقاع..... 43, 61
إيقاعات شخصية 112
إيلي حداد 157
إيماترا 160

آ

آبي فابيان.....102, 104, 148, 151
آثار التصنيع 171
آثار حسية 60
آداب المهنة 164
آراء المواطنين..... 24
آلان بريد..... 34, 82, 83
آلان چاكوبس 184
آلان غريف..... 97
آليات نفسية 146
آموس راپاپورت 97
آن فيرنز مودون 134
آيا صوفيا 197
آيان نيرن.....102

ب

باتريشيا كامنجز لود.....155
باتريك جيدز 134
باتريك سوليفان 155
باتسي هيلي 99
باربرا براون 113
بارى جرينياى.....197, 119
باري واسرمان.....155
باريس..... 135, 166, 187, 204
باز لورمان 41
بازل 63
باولو بورتوجازي 91
بحث علمي.....163, 205
برادلي يورچنسن ..... 104 ,114 ,121
براين إينو..... 43
برتراند بادي 151
برج العرب الجديدة 19
برج پيزا المائل.....201
برلين 63
برنارد تشومي..... 78
بروت الفن 160
بروت–إجوي 156
بروتوكول كيوتو 181
برودر كلاوس فيلد تشابيل..... 64
برونو تسيفي.....77 ,134
بريطانيا 11, 159
بساطة وتركيب 169
بصمة مدينة ..... 15, 22, 131, 133 ,209
بعد أخلاقي..... 154, 165
بعد تنميطي 200

بعد خامس 21, 25, 26, 28, 30, 36
بعد خامس في العِمارة والعُمران..... 28, 36, 74
بعد خفي ..... 21 ,25, 30
بعد رابع..... 25, 26, 30
بعد غائي 74
بلدان نامية.....219
بلدة تابعة 196
بمبادئ التصميم الحضري الغربية 21
بن أندرسون 57
بناء اجتماعي 91
بناء الطرق.....188
بناء الفكرة..... 49
بناء المدن..... 157, 219
بناء الهوية 150, 173
بناء إنساني [أنثروبولوجي] 91
بناء تراكمي 202
بناء جسدي 66
بناء مادي ملموس 89
بناء مِعماري.....201
بناء مِعماري عُماراني..... 75, 153, 207
البندقية..... 140, 188
بني سويف الجديدة 20
بنية أساسية 21
البنية التحتية 174
بنية العِمارة والعُمران 55, 56, 68
بنية الفضاء الملموس 91
بنية المدينة.....23, 204
بنية المكان.....129
بنية تحتية..... 175, 176, 190, 202, 203
بنية حضرية.....124
بنية خالية من الرمزية..... 64, 65
بنية مادية 112
بنية مِعمارية عُمرانية.....122
بوابة التايمز 107
بوابة الشرق الأوسط 188
بوسطن 188
بول آرثر 148
بولزا134, 139
بوليفارد لندن..... 13
بيار هادوت 26
بيت العائلة.....114
بيتا لابون 46, 52, 57, 58
بيتر إيزنمان .. 123, 126, 132 ,136, ,138, 164, 139
بيتر زومثور ..... 46, 63 ,64
بيتر سميثسون.....159, 160
بيتر كريسل.....180
بيتر كولينز 134, 161
بيتر نيومان.....121
بيترا شيلدرز 186
بينجت إدمان 159
بينية المكان 83
بيئات الرسومات الحاسوبية.....173
بيئات حضرية 127
بيئات حضرية مُشيدة.....101
بيئة 28, 29, 30, 32, 34, 37, 44, 55, 62, 63, 70, 72, 75, 76, 89, 97, 98, 100, 101, 102, 103, 104, 108, 109, 111, 113, 117, 120, 121, 128, 129, 156, 183, 212, 296, 297
بيئة اجتماعية محددة..... 66
بيئة الاحتباس الحراري المحيطة 38
بيئة البيع بالتجزئة 11
بيئة الطفل..... 31
بيئة الفرد 99
بيئة المدينة.....136, 211
بيئة بشرية.....104
بيئة حضرية..... 15, 72, 101, 119, 173
بيئة طبيعية.....44, 122, 183
بيئة عِمارة وعُمران مِصرية مُعاصرة..... 16
بيئة للعيش 110
بيئة مادية 104, 120, 148

بيئة مائية 38
بيئة محيطة 24, 38, 72
بيئة مُشيدة 28, 29, 30, 32, 63 ,70, 75, 76, 89,
97, 98, 109, 111 ,113, 115, ,184, 212,
182,
بيئة معيشية 20

پ

پترا شيلدرز 186
پلوتينوس 147
پول رودلف 160
پيتر جون لور 174

ت

تأثير المغناطيس 176
تأثير جسدي 54
تأثير فضائي 78
تادو أندو 100
التاريخ 37, 70, 91, 121, 166, 168, 218
تاريخ .. 29, 93, 97, 106, 121, 122, 125, 126,
127, 136, 137, 139, 142, 143, 145,
157, 158, 164, 168, 172, 184, 187,
206, 209, 211
تاريخ البشرية 155
تاريخ الشعور 56, 77
تاريخ الشعور بالفضاء 77
تاريخ العصر الذهبي الإسلامي..... 20
تاريخ العِمارة 77
تاريخ العِمارة والعُمران..... 56
تاريخ الفضاء 140, 142
تاريخ الفكر المِصري..... 16
تاريخ الفن..... 77
تاريخ المدينة 124, 125, 201, 208
تاريخ المشهد الثقافي.....125
تاريخ المكان 136, 210
تاريخ إنسانى 179
تاريخ حضري 121, 136, 143, 211
تاريخ شخصي.....121
تاريخ فكر المدن 137
تالين إميلي.....116
تأمل مع الذات 149
تايو نام 179, 181
تبادل المعلومات 172, 176, 177
تجارب البشرية..... 85
تجارب الناس.....103, 120
تجارب إنسانية.....120
تجارب بشرية..... 76
تجارب تلقائية..... 58
تجارب سابقة 113
تجارب قبلية 28, 30
تجارب مستقبلية 113
تجارة محلية 184
تجربة الحياة الذاتية 120
تجربة السلوك البشري 112
تجربة العيش 103
تجربة الفضاء 55, 78
تجربة إنسانية.....69, 202, 209
تجربة بشرية 28, 47, 67, 84
تجربة بشرية سابقة..... 28
تجربة بيئية بشرية..... 84
تجربة ثقافية 177
تجربة حديثة للمكان..... 84
تجربة حسية 63
تجربة حياة الفرد 25
تجربة خام..... 88
تجربة ذات معنى 84
تجربة عادية..... 65
تجربة فردية 124
تجربة في العِمارة والعُمران..... 61
تجربة مباشرة 121
تجربة متتابعة.....119
تجربة مُتعددة الحواس 61
تجربة مشتركة 30, 120
تجربة مُعاشة 55

تجربة مكانية 91
تجربة يومية 36, 49, *50*, 72
تجسيد الأفكار 49
تجمع حضري جديد 196
تجمعات سكنية خاصة 198
تحديث زراعي 182
تحديد الذكريات 70
تحديد جغرافي 88
تحضر 182, 184
تحضر مُنفرد 19, 21, 133, 142, 206
تحف حضرية 126, 138, 139
تُحف حَضرية 124
تحكم بيئي 169
تحليل الأجواء 53
تحليل الفضاء 34
تحليل المحتوى 24
تحليل محتوى الوثائق 22
تحليل مضمون 134
تحولات اجتماعية 198
تخطيط 17, 21, 22, 23, 33, 95, 98, 107, 131, 136, 170, 180, 181, 182, 186, 187, 204, 213, 216, 218, 219
تخطيط المدن 135, 171, 184, 189, 206
تخطيط المدينة 172
تخطيط المدينة المعلوماتية العالمية 172
تخطيط حضري 46
تخطيط حضري 14
تخطيط حضري عضوي 186
تخطيط شبكي منتظم 21
تخطيط عُمراني 197
تخطيط هيكلي 218
تخطيط وتصميم المجال العام 46
تخطيط وتصميم المدن 20, 22, 215
تخطيط وتصميم المدينة 131, 135
تخطيط وتصميم حضري 17, 33, 98, 213, 216
تخيل 40
تدرج هيكلي 31
تدفقات المعلومات 174
تدفقات عالمية 172
تذكير حضري 125
تراث 127
تراث ثقافي 183
تراكم ومرحلية البناء 202
تراكمات تاريخية 140, 211
تركيا 11, 13
تركيب اجتماعي 157
تركيز عاطفي 61
ترميز مزدوج 158
تسلسل الأماكن 197
تسويق 209
تسويق المدن 177, 191
تشارلز تايلور 27, 33
تشارلز تشودري 111, 112, 116, 120
تشارلز چينكس 28, 60, 61, 101, 134, 156, 157, 158
تشارلز كوريا 100
تشارلز لاندري 185
تشجيع الفنون 212
تشطيبات داخلية 159
تشكيلات سطح الأرض 72
تشيل أوت 42
تشيلسي 159
تشييد 11, 198, 206
تشييد الأجواء 58
تشييد المباني 58, 77
تصميم . 17, 22, 23, 33, 41, 88, 95, 98, 122, 131, 136, 137, 138, 141, 142, 163, 170, 198, 204, 213, 216
تصميم الأجواء 73
تصميم السياقية 65
تصميم المبنى 60

تصميم المدن. 21, 24, 74, 135, 141, 205, 218, 219
تصميم المدن الجديدة 74
تصميم المدينة... 25, 136, 197, 198, 203, 205, 216
تصميم المسكن 111
تصميم المكان 74
تصميم المواقع 41
تصميم إنتاج الأفلام 41
تصميم أيقوني 132
تصميم بيئي 35, 98
تصميم تطوري 146
تصميم جماعي 141
تصميم حضري ....3, 4, 14, 21 ,22, 23, 26, 32, 36, 60, 74, 75, 76, 88, 96, 107, 110, 132, 141, 150, 184, 197, 207, 213, 216, 217, 218, 296, 297, 298
التصميم الحضري زائد 74
تصميم صناعي 163
تصميم مُتعدد التنظيمات 211
تصميم متميز 37
تصميم مديني 21
تصميم معاصر 16
تصميم مِعمارى 205
تصميم مِعماري عُماراني 46, 54, 195
تصميم مكان جديد 73
تصميم مُنفرد 140, 211
تصورات 104, 149
التصور الديلوزياني 88
تضاريس المدينة 125
تضاريس المدينة المنسية 125
تضمين الحركة 68, 70
تطبيع العِمارة والعُمران 68, 70
تطبيقات الجوال 189
تطور الأحداث 39, 40
تعبير بالجسد 52
تعبير ثقافي 172, 173
تعدد الثقافات ... 171, 185, 187, 188, 201, 211
تعددية 186
تعددية الثقافات 185
تعددية ثقافية 183, 219
تعزيز الشخصية 107
تعقيد اجتماعي 87
تعلق بالمكان 15
تعلم بالخبرة 106
تغير اجتماعي 172
تغير حضري 185
تغيير اجتماعي 172, 184
تغيير المسار 21
تغييرات حركية 68
تفاصيل السرد 38
تفرد 24, 162, 169, 200, 215
تفرد أساسي 148
تفرد المدينة 15
تفرد ثقافي 183
تفكك المدينة 171
تفكير بشري 28
تفكير بيئي 180
تفكيك المدينة التقليدية 189
تقاسيم 43
تقدم علمي 205
تقنيات نظيفة وحيوية 189, 212
تقنية 14, 69, 100, 135, 140, 162, 172, 179, 181, 184, 189, 201, 202, 203, 205, 206, 209, 211, 219
التقنية 50, 92, 161, 176, 212
تقنية التركيب الموسيقي المتلون 61
تقنية المعلومات 172, 175, 176, 181, 182
تقنية المعلومات والاتصالات 174, 175
تقنية حديثة 50, 161
تقنية فائقة 176, 181
تقنية معلوماتية مُتقدمة 201

تقييم إيجابي 148
تكامل مَعرفي 205
تكثيف العاطفة 63
تكيف بيئي 143
تكيف مع المكان 36
تكيفية بين الإنسان والمكان 169
تماثل 55
تماسك اجتماعي 116, 185
تمايز 133, 135, 169
تمايز الفضاءات 134
تمايز هوية المدن 19
تمدد حضرى 189
تناسب 61, 164
تناسب ثقافي 156
تنسيق حدائقي 200
تنظيم اجتماعي 209
تنظيم حضري 140
تنظيم فني اجتماعي 173
تنظيم وتكوين فراغي 19
تنقل على الأقدام 196, 200
تنمية 133, 140, 175, 180, 197, 210, 219
تنمية إعلامية 174
تنمية اقتصادية 173
تنمية المدينة 198
تنمية بشرية 175
تنمية حضرية عضوية 186
تنمية سكنية 99
تنمية شاملة 118
تنمية مجتمعية محلية 133
تنوع ثقافي 115, 176, 185
تنوع عرقي 188, 208, 212
تنوع في الأنشطة 200
تنوع مكاني 184
تواصل اجتماعي 54
توافر المناطق الخضراء 201
توبوفيليا 98, 117, 118
توبي ماجواير 41
توجه جنسي 184
توجيه الهوية 153
توجيه نحو الخارج 21
توحيد الأضداد 100
توحيد قياسي 182
توزيع استخدامات الأراضي 197
توزيع الخدمات المجتمعية 21
توزيعات استعمالات الأراضي 200
توسع حضري 171
توطين المفاهيم 91
توليد المشاعر 57
توم سبيكتور 155
توم ڤان ميجل 147
توماس ديز 118
توماس فيشر 155
توني غريفيرو 52
تيار تصميم 131, 133, 216
تيريزا پاردو 179, 181
تيم ريدفورد 92
تيم كريسويل ... 32, 33, 34, 79, 82, 85, 94, 98, 120, 121

ث

ثقافة84, 100, 101, 104, 107, 111, 120, 122, 128, 132, 146, 155, 172, 183, 191, 206, 209, 213
ثقافة العولمة 105
ثقافة الناس 128
ثقافة غربية 110
ثقافة محلية 157
ثقافة مدنية 183
ثقافة مصرية 14
ثورة تقنية المعلومات 172
ثورة رقمية 172
ثيودور ليبس 77

ج

جانسبي العظيم 41
جاروسلاو دوبروولسكي 196
جاري وارنابي 187
جامعة دارمشتات التقنية 50
جامعة هارڤارد 219
جان بول تيبود 64
جان جاكوبس 219
جان–بول تيبو 44
جاودي 163
جائزة بريتزكر 63
جدار الفن 197
جراتس 11, 13, 32
جراهام براون 113
جراهام هانكيسون 178
جريجوري أشورث 178
جريجوري باليرمو 155
جريمة أخلاقية 159
جريننش 13
الجسد شعر 47
جغرافيا ... 33, 34, 38, 47, 76, 77, 82, 83, 85, 96, 97, 98, 105
جغرافيا الحداثة 83
جغرافيا المعرفة 98
جغرافيا بشرية 83, 85, 98
جغرافيا ثقافية 85
جليك شيلر 116
جلينيس برياكويل 149
جماعة محلية ذكية 181
الجمال 11, 53, 68, 69, 78, 161, 168
جمال ...29, 46, 48, 52, 53, 65, 78, 99, 137, 155, 162, 164, 204, 205
جمال البرية 99
جماليات الأجواء 53
جماليات الاستقبال 52, 53, 65, 69
جماليات الجو 53
جماليات المنتج 53
جماليات أنطولوجيا الأجواء 56
جماليات علمية 45
جماليات عِمارة وعُمران 35
جماليات مُرضية 57
جنس بشري 119
جو البيئة المُشيدة 29
جو المدينة 25, 32
الجو العام 91
جو المكان 30, 35, 65, 69, 121, 128
جو النحت 45
جو فريد 72
جو كلارك 148
جو محيط ب 38
جو مِعماري عُماراني عظيم 46
جوانا جيلبرج 77
جوانا هادجيكستاندي 184
جوانب الفعل البشري 62, 65
جوانب مادية 28
جواهر لونج آيلاند الجوهرية 42
جوتفريد سيمبر 45
جودة 26, 89, 129, 133, 189, 206
جودة الإبداع البشري 127
جودة الأماكن 197
جودة البناء 23
جودة البيئة 197
جودة الحياة 182, 187, 212
جودة العِمارة والعُمران 68, 127
جودة الفضاء 36
جودة المدينة 131, 211
جودة المكان 85, 113
جودة حضرية 101, 206
جودة حياة 36
جودي بلومفيلد 183
جورج سميث 104, 120, 128, 149, 151
جورج ميد 134

جورجيا بوتينا واتسون 97, 105
جوردون ألبورت..... 146
جوزيب سيرت 219
جوزيف باكستون 45
جولدبرجر 158
جوليا جاتلي..... 159
جون أجنيو 34, 82, 83, 85
جون ألجو..... 57
جون برينكرهوف جاكسون ..12, 29, 110, 117, 120, 129
جون بول تيبو 62, 67
جون ديوي ..... 13, 33, 34, 48 ,62, 64
جون راسكن 135
جون لانج..... 141, 197, 198
جوناثان سبيرس 60
جوني بالاسما .....46, 51, 52 ,61, 100, 111
جوهان وولفغانج فون جوته..... 60
جوهر ,90, 91, 92, 105, 121, 128, 129, 218, 11, 16, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 36, 74, 76, 77
جوهر الأشياء 26
جوهر الشيء 151
جوهر العِمارة والعُمران 11, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 32, 36, 74, 76, 77
جوهر العمل المثالي 26
جوهر الكيانات 29
جوهر المدينة..... 92
جوهر المكان.....90, 91, 128
جوهر المنزل 112
جوهر مادي 28
جوهر نفساني 28
جيديون 45
جيرارد سوسييه 146
جيرنوت بيوم ... 46, 49, 50, 51, 52, 54, 57, 64
جيفري برودبنت 134
جيل دولوز 34, 87
جيل ديليوز 88
جيل ستاينز 118
جيمس فيرون..... 101
جيمينا كاناليس 159
جين رينديل..... 77
جيوفري سكوت 77
جيوڤاني أتيلي..... 116

چ

چاك دريدا 134, 151
چان چاكوبس..... 199
چان دوبوفيت..... 160
چو كلارك..... 107
چوزيف جوكار 163
چون أجنيو 98
چون برنكيرهوف چاكسون 197
چوناثان ويتزل 180
چوهانس جاكوبس بريتز 174
چيمس دي فيرون..... 102
چين چاكوبس 187

ح

حاسة خامسة 36
حاسة سادسة 70
حالات بشرية 52
حالة الفضاء 37
حالة الموقع ومحيطه..... 31
حب المكان 98, 112, 117, 202
حب المكان [توبوفيليا]..... 98
حبيب رولز 112, 116, 120
حجب الرؤية 65
حجب الشيء 66
حد الأفق 80
حداثة . 36, 44, 92, 105, 150, 156, 157, 160, 162, 163, 196
حدس .....28, 30, 54, 55, 70 ,72, 73
الحدس البشري للفضاء 56
حدود ثقافية..... 183

الحرب العالمية الأولى 41
الحرب العالمية الثانية..... 159
حركات اجتماعية 172
حركة البناء..... 15
حركة التفكيكية 162
حركة الحداثة.....156
حركة الحداثة المتأخرة 162
حركة العِمارة والعُمران الجلدية 162
حركة الوحشية..... 159, 160, 162
حركة الوحشية الجديدة 159, 160, 162
حركة فكرية 159
حركة ما– بعد بعد– الحداثة 162
حركة ما–بعد الحداثة 158, 162
حرمة الأشخاص..... 20
حرمة الأماكن 20
حزب العمال 186
حساسية إدارة المدينة.....182
حساسية بشرية 53
حساسيتنا العاطفية..... 65
حسن ملكاوى.....168
حشد جماهيري 141
حضارة.....36, 44, 50, 101, 109
حفاظ على الهوية.....106
حق أخلاقي 183
حقائق العالم..... 49
حقائق ذاتية 49
حقبة الثورة الرقمية.....172
حقل حسي 50
حقوق الأجيال المستقبلية.....211
حقوق الآخرين.....155
حقول الخشخاش.....173
حقول الكوكا.....173
حل المشكلات.....141
حماية 169
حماية البيئة 180
حميدة 40
حنين للأماكن 98
حنين للمكان.....112, 117
حواس . 30, 31, 40, 46, 55, 61, 70, 73, 120, 88, 51
حواس البشر..... 28, 30, 31
حواس الطفل 31
حواس مشتركة.....120
حوسبة سحابية.....182
حوض البحر الأبيض المتوسط.....71, 188
حوكمة إلكترونية.....176
حى الحسين 40
حي سوهو 159
الحي الصيني..... 13
حياة اجتماعية 12, 40
حياة المدن 188
حياة المدينة 92
حياة بشرية 129
حياة حضرية 114, 181, 184, 188
حياة عصرية 204
حياة فطرية 72
حياة يومية..61, 84, 86, 90, 98, 99, 100, 108, 140, 142, 207, 213
حياة يومية بشرية 86
حياتنا اليومية..... 48
حيز عُمراني محيط 34
حيز مكاني 56
حيزات مكانية..... 53
حيوية المدينة.....137
حيوية مادية 146

خ

خاصية أجواء المجال العام..... 36
خاصية الأجواء 64, 66, 68
خاصية الانفراد 22
خاصية الفضاء 50
خاصية تجريبية..... 51
خاصية ذاتية 65, 69

خاصية سائدة 67
خاصية للعالم الطبيعي..... 84
خاصية موسيقية مُتناغمة 48
خالد الصمدي 168
خبرات الحواس 50
الخبرات متعددة الحسية 50, 69
خبرات إنسانية..... 90
خبرات جمالية 53
خبرات ذاتية..... 54
خبرات مُتعددة الحسية..... 50, 58, 65 ,73
خبرات مشتركة 34, 85
خبرات يومية 89
خبرة 57
خبرة الجسد..... 54
خبرة إنسانية.....48, 69, 84, 116
خبرة إيجابية.....113
خبرة ثقافية 176
خبرة جمالية 46
خبرة حسية 51, 61
خبرة ذاتية..... 65
خبرة سابقة 36, 48
خبرة شخصية 197
خبرة عملية..... 55
خدمات حضرية 182
خدمات عامة..... 182, 185
خدمات متقدمة 174
خدمات متكاملة.....201
خدمات مجتمعية 187
خدمات مجتمعية عامة..... 209, 212
خرسانة خام 159
خصائص اجتماعية..... 44
خصائص الأخلاق 155
خصائص المدن 179
خصائص الموقع الطبيعية 29
خصائص طبيعية للموقع.....129
خصائص كاريزمية 188
خصوصية..... 20, 134, 140, 155, 166, 169
خصوصية المدينة 140, 211
خصوصية شخصية.....140
خطاب الجغرافيا 85
خطاب فكري 54, 158
خطة مرنة..... 211, 219
خطط طويلة المدى 219
خطط عليا.....140
خطط مرسومة.....49, 195
خلق الفضاء العاطفي 63, 65
خلق المدينة 186
خلق فضاء 55
خيال.....162

د

دار أوبرا فرانكفورت 45
دافنا أويسرمان..... 104, 120, 128, 149, 151
دان ماك آدامز 146
دانيال بولي..... 60
دانيال كيميس.....114
دراسات سلوكية بيئية.....111
دراسة الفضاء..... 87
دراما 188
دراما إغريقية..... 45
درجة الحرارة المحيطة..... 38
دمغ المدينة.....178
دمياط الجديدة 19
دوجلاس بيركينز 113
دوجلاس كيلنر.....150
دورية التصميم المعماري 159
دورين ماسي..... 92, 97
دولة قومية 119
دولوريس هايدن.....97, 125, 197
دونالد آپليارد.....184
ديانات سماوية..... 15, 22
ديبورا فيليب 116
ديتمار أوفنهوبر..... 61, 64, 66

ديرك بيرغ سكلوسر 151
ديفيد أوزال 101, 127, 149
ديفيد باكنجهام 151
ديفيد سوزوكي 188
ديفيد سيمون 114
ديفيد فندر 146
ديفيد كريستال 42
ديفيد كلارك 174
ديفيد هارڤي 184
ديمقراطية 184, 185
دينيس سكوت براون 78

ذ

ذات إنسانية 48
ذاكرة 137, 138, 142
ذاكرة الأماكن 125
ذاكرة المدينة 124, 125
ذاكرة المدينةالجماعية 125
ذاكرة المُشاهد 203
ذاكرة المكان 33, 98, 120, 125, 197
ذاكرة تنبيهية 125
ذاكرة جماعية 124
ذكريات 68, 74, 120, 123, 124, 125, 148
ذهب مع الريح 43
ذيل المذنب 45

ر

رابطة عاطفية 118
رأس المال 176, 182, 184, 209
رأس المال البشري 176, 182, 184
رأس مال 188, 212
الراغب الأصفهاني 166
ربط معلوماتي 176
رجال الأعمال 182, 185
رسم توضيحي 132
رسوم كرتونية 150
رضا المستعملين، 169
رضوان الحسيني 40
رقص تشاركي 52
رمز بنائي 201
رموز 105, 129, 132, 143, 149, 158, 188, 195, 203, 205, 209, 211
رموز 136
رموز الأمة 118
رموز الملكية 169
رموز بنائية 132
رموز وطنية 118
روابط المجتمع 121
روابط المرور 121
رواية مِصرية 40
روبرت آدم 105
روبرت بروس هاي 79, 82
روبرت ج. هولاندز 179, 181
روبرت جيفورد 115, 121
روبرت ساك 82, 84, 97
روبرت ڤنتوري 78, 163
روبرت كامينوف 102, 104, 148, 151
روبرت هولاندز 181
روبن وليامز 166
روبين فيفوش 120
روث جينر 45
روجر ترانسيك 95
روجر مور 97
روح 15, 28, 29, 30, 43, 45, 52, 59, 66, 71, 74, 98, 122, 123, 124, 128, 129, 136, 150, 154, 168, 188, 192, 197, 209, 210, 212
روح الانفراد 150
روح العِمارة والعُمران 28
روح المبادرة والابتكار 188, 210, 212
روح المدينة 15, 123
روح المعيشة 74
روح المكان 13, 29, 30, 59, 69, 72, 98, 122, 127, 128, 129, 137, 197

روح حية 66
روح فن الباليه 43
روما 11, 13, 32, 85, 135, 188, 204
رومدي باسيني 149
رؤوس أموال ضخمة 176
ريادة الأعمال 171, 189, 208, 212
ريتشارد چينكس 101
ريتشارد ستيدمان 104, 114, 121
ريتشارد سينيت 149
ريتشارد لوساي 45
ريتنو ساسانيتا 179
ريتنو سوسانتي 180
ريفلين لين 124
ريم كولهاس 78, 131, 150
رينر بانم 160
رينيستو 178

ز

زائر المدينة 124
زخارف 20, 41
زخارف عربية 196
زخرفة 78, 159
زقاق المدق 40
زمان 44, 95
الزمن 21, 38, 93, 99, 122, 195, 203
زمن 13, 23, 25, 29, 37, 55, 100, 103, 131, 133, 136, 140, 142, 149, 165, 189, 198, 206, 211, 216
زوروني كُلّ سنة مرّة 43
زيجمونت بومان 116
زيجموند بومان 150
زيطة المتسول 40

س

ساحة بيكاديللي سيركوس 13
سارة نادال–ميلسيو 141
سارجنت 14
ساسكيا كونن 147, 149
ساعة بيج بن 13, 201
ساكن المدينة 203
سان فرانسيسكو 188
سانت لويس 156
سانچا إفيك 134, 151
ستيف بارنل 160, 159
ستيفن تيرنر 45
ستيفن جرابو 135
ستيفن كار 124
ستيفن ليتلجون 98, 149
ستيفين مارشال 134
ستيوارت كينج 159
سرد روائي 39
سقراط 26
سكان الحضر 14
سكان الريف 179
سكان المدن 63, 179, 182
سكان المدينة 16, 23, 58, 132, 136, 204, 207, 209
سكن مُشترك 121
سلسلة من الأحداث 126, 139
سلطة 51, 101, 122, 132, 153, 158, 172, 173, 175, 176, 183, 206, 216
سلطة المدينة 174
سلطة المدينة العالمية 174
سلطة الهوية 153, 172
سلطة حضرية 206
سلوك 120, 146, 167, 169
سلوك البشر 65, 69
سلوك الناس 24, 74, 120
سلوك بشري 209
سمات فردية 146
سمة ثقافية 173
سوزان تيرنر 103
سوزان راتكليف 78
سوزان فينشتين 184

سوق 21
سوق العمل 176
سوق تجاري 198
سوكيفيلد 148
سول 187
سولوس 126, 139
سويسرا 63
سيادة القانون 185
سياق اجتماعي 121
سياق المدينة 157
سياق بيئي 112
سياق تاريخي 44
سياق حضري 11, 19, 36, 66, 143, 216
سياق عالمي 172
سياق مادي 48, 103
سياق مُباشر محيط 31
سياق مجتمعي 24
سياق مُجتمعي محلي 189
سياق محيط 13, 65, 69
سياقات اجتماعية 146
سياقات الإدراك 47
سيئا لو 97, 112
سيئيا لو 82, 84
سيجفريد جيديون 45, 91, 134, 219
سيد درويش 43
سيزان 14
سيطرة العواطف 47
سيف عبد الفتاح 168
سيمون أنهولت 178
سينستيسيا 58

ش

شادي الألحان 43
شارع أكسفورد 13
شاشات العرض المحيطة 65
شانون بوتون 179, 180
شبكات العولمة 174
شبكات بنية أساسية 201
شبكات طرق 21
شبكة الاتجار بالمخدرات 173
شبكة التدفقات المالية العالمية 173
شبكة التواصل الاجتماعي 198
شبكة الطرق المحلية 200
شبكة الكترونية عنكبوتية 201
شبكة المعلوماتية 37, 172, 189, 212
شبكة المعلوماتية العنكبوتية 29, 196
شبكة المعلوماتية والتقنية 172
شبكة طرق 198
شبكة عالمية 174
شبكة مشاة 198
شخصية .. 14, 15, 16, 17, 27, 35, 42, 44, 50, 53, 66, 70, 74, 89, 90, 91, 96, 98, 99, 104, 107, 120, 129, 132, 143, 145, 150, 151, 165, 189, 195, 206, 209, 212
شخصية [الحضر] المكان 98
شخصية اجتماعية 66, 74
شخصية اجتماعية للأجواء 51
شخصية إقليمية 100
شخصية البيئة 91
شخصية السياق الطبيعي 165
شخصية المجال العام 17
شخصية المدينة 15, 22, 124, 148, 150
شخصية المكان 107, 109, 165
شخصية بشرية 16
شخصية بيئية 51
شخصية حضرية 15, 63, 69, 99, 109, 118
شخصية حضرية مُتميزة 35
شخصية فريدة 187
شخصية مُتفردة 200
شخصية مكان 130
شخصية مميزة 89, 90, 107, 124
شخصية مُنفردة 16

شعور اجتماعي 150
شعور الأينية 68
شعور الجسد 31, 47, 48, 57
شعور الفرد 124
شعور المكان 30
شعور بالاستمرارية 118
الشعور بالانتماء 91
شعور بالانتماء إلى المكان 98, 115
شعور بالأينية 70, 74
شعور بالمكان 15, 97, 98, 118, 129
شعور بشري 37
شعور حيوي 55
شعور عام 44, 46, 51, 57, 59
شكسبير 39
شكل المدينة 19, 123, 172
شكل حضري 88
شكل حضري مادي 88
شكل غير المادي 90
شكل فضائي 54, 56
شكل مادي 90, 121
شكل مدينة جيد 200
الشكل والخلفية 208
شمال أفريقيا 188
شوارع المشاة 11
شون ستورم 45
الشيخ زايد 20
شيتوود 145
شيشة 40
شيكاغو 188

ص

صالحة للعيش 171
الصالحية الجديدة 19
صانعي القرارات العليا 215
صحيفة نيويورك تايمز 114
صدى الرمزية 156
الصفات البصرية 161
الصفات البيئية 99
صفات التفرد 148
صفات الحواس 50
صفات الموقع 29
صفات بصرية 102, 118, 120, 160, 209
صفات بيئية 52, 53
صفات حسية 63
صفات ذاتية 121
صناعة الشكل 63
صناعة المدن 185
صناعة المدينة 140
صندوق زجاجي 158
صنع المكان 30, 189
صنع مدروس للفضاءات 77
صنع مدينة 17, 178, 207
صنع مدينة انفراد 17
صنع مكان جيد 107
صور جوية 103
صور مكانية 55
صورة البيئة 123
صورة المدينة 23, 97, 101, 102, 178, 197, 199
صورة مرئية 16
صورة نمطية 61

ض

ضاحية 196, 197, 200
ضاحية سكنية 200
ضاحية هليوبوليس 197
ضرورة إنسانية 16
ضمير المِعماري 164
ضوابط مجتمعية 168
الضواحي الأمريكية 200
ضواحي لندن 13
ضوضاء الشوارع 63
ضوضاء خلفية محيطة 38
ضيعت مستقبل حياتي 43

ط

طابع رمزي..... 51, 66, 74
طائفية 113
الطبيعة 27, 59, 83, 121, 122, 138 ,139, 180
طبيعة الأجواء 63
طبيعة المدينة العربية الإسلامية 20
طبيعة بشرية 146
طراز 157, 196
طراز إسلامي 196
طراز دولي حديث 157
طراز دولي عالمي..... 157
طراز مِعماري عُمراني..... 157
طراز مغاربي..... 196
طريقة الإنشاء 162
طريقة الحياة..... 24
طريقة تصميم 159
طريقة عيش مُستدامة 155
الطقاطيق 43
طقوس 30, 120
طوني هيس 91

ظ

ظاهرة اجتماعية 125
ظاهرة العلامات الحضرية..... 181
ظاهرة المدينة العالمية 174
ظاهرة ثقافية..... 54
ظاهرة عالمية..... 174
ظاهرة عصبية..... 58
ظروف اجتماعية 113
ظروف مناخية 38
ظواهر دينامية..... 149
ظواهر طبيعية..... 67

ع

عادل مختار..... 196
العاصمة الإدارية الجديدة 20
عاطفة 59, 146, 163
عالم التعالي..... 27
عالم العِمارة والعُمران 16, 21, 25, 26, 27, 29, 30, 32, 33, 34, 59, 60, 61, 72, 75, 90, 136, 138, 154
عالم الفضاء المُجرد..... 86
عالم الوساطة..... 27
عالم ثالث 179
عالم ديزني 150
عالم عربي ..23, 24, 108, 155, 201, 212, 296
عالم عِمارة وعُمران المدن 36
عالم غير المكان الحضري 92
عالم محيط..... 34, 62
عالم مكان الخبرة والشعور 86
عائدات استثمارية عالية..... 178
عبر الثقافات 184, 186
عبق المكان 202
عبقرية المكان 29, 107, 129
عدالة اجتماعية..... 184
عدالة وإنصاف 208, 212
عدم المساواة..... 174, 181
عرض التصميم غير المرئي..... 66
عرض مرئي..... 54
عشوائيات 202
عصابات الشوارع..... 173
عصر الآلة..... 41
عصر التقنية الثقافية..... 172
عصر التنوير..... 44
عصر الجاز..... 41
عصر الحداثة 81
عصر العولمة 132
عصر المعلومات 172, 173
عصر النهضة..... 135
عصر حديث 23, 204
عصر صناعى 189
عصر صناعي 171
عصر ما بعد التقني–المعرفي 203
عصور تاريخية..... 15, 120, 217

عصور وسطى 44, 108
عظمة التصميم 187
عقل بشري 118, 126, 138
علاقات اجتماعية..... 121, 127, 151
علاقات دولية 119
علاقات هندسية 55
علامات تفرد 195
علامات حضرية رمزية 198
علامة الشخصية الحضرية للأجواء 63
علامة تجارية 178, 190
علامة رمزية 132
علم الاجتماع..... 29, 33
علم الاجتماع الحضري 98
علم الأخلاق 154, 155
علم الأعراق..... 33
علم الإنسان 92, 93
علم الإنسانيات 99, 105, 147
علم الإنسانيات [الأنثروبولوجي] 105
علم التبيؤ 33, 34
علم التصميم الحضري 218
علم الجغرافيا البشرية..... 33
علم الجمال..... 53, 58, 64, 68, 77, 155
علم الظواهر 33, 49, 57, 64, 68, 77, 90, 97
علم الظواهر المِعمارية العُمرانية 33, 90
علم الغائية 74
علم المعاني 64
علم النفس..... 33, 47, 54, 96, 127, 146
علم النفس الاجتماعي 33
علم النفس البيئي ..... 77, 82 ,98, 116, 127
علم الهندسة..... 29
علم الوجود الإنساني..... 87
علم أنطولوجيا شبه الأشياء..... 56
علم تشارك البشر 62, 64, 68
علم دلالات الألفاظ..... 64, 68
علم ظواهر العِمارة والعُمران 33
علم نفس الجيشطالت 199
علم نفس الذات 147
علم نفس الكوارث..... 115
علم نفس المكان 98
علوم اجتماعية..... 77, 83, 97
علوم الاجتماعية..... 120
علوم الإنسان 166
علوم إنسانية..... 23, 97
علوم فيزيائية 35
علي تشيشمزانجي..... 101, 102
عماد الأنيس..... 118
عِمارة صريحة 155
عِمارة عُمران 202
عمارة وعُمران..... 37, 76, 97
عِمارة وعُمران.. 11, 12, 13, 14, 15, 16, 19, 21, 22, 23, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 40, 41, 42, 46, *50*, 51, 54, 55, 56, 58, 59, 60, 61, 63, 64, 65, 66, 68, 69, 70, 72, 74, 75, 76, 77, 78, 89, 90, 94, 95, 96, 97, 100, 101, 108, 109, 126, 127, 128, 131, 132, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 142, 148, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 162, 163, 164, 168, 169, 170, 188, 196, 202, 203, 204, 212, 216, 219, 296, 297, 298
عِمارة وعُمران أجواء 31
عِمارة وعُمران أخلاقية..... 23, 162, 163, 170
عِمارة وعُمران الأبنية..... 95, 101
عِمارة وعُمران الأبنية المُفردة 196
عِمارة وعُمران الأجواء ... 11, 16, 36, 46, *50*, 216
عِمارة وعُمران الأجواء المُحيطة..... 36
عِمارة وعُمران الحداثة 156, 157
عِمارة وعُمران الحداثيين 160
عِمارة وعُمران الحواس السبعة 46
عِمارة وعُمران الظواهر 33
عِمارة وعُمران الفضاء 55

عِمارة وعُمران الكتلة 94, 95, 101, 212, 218
عِمارة وعُمران الكتلة المُفردة 101, 200, 218
عِمارة وعُمران المجتمعات العربية التقليدية.....170
عِمارة وعُمران المدن 125, 157, 218
عِمارة وعُمران المدينة 14, 16, 124, 132, 135, 136, 139, 141, 204
عِمارة وعُمران المعنى 100
عِمارة وعُمران المكان 42, 63, 69, 217
عِمارة وعمران الوحشية 161
عِمارة وعُمران الوحشية 159, 160
عِمارة وعُمران تعبيرية أوربية اكسبريشناليزم 163
عِمارة وعُمران تعبيرية جديدة نيو اكسبريشناليزم 163
عِمارة وعُمران تكعيبية جديدة كيوبيزم.....163
عِمارة وعُمران حركة ما–بعد الحداثة 158
عِمارة وعُمران حضرية .....12 ,13, 37, 101
عِمارة وعُمران سيادة المرئيات 162
عِمارة وعُمران غير أخلاقية 23, 163
عِمارة وعُمران كتلة.....201
عمارة وعمران ما–بعد الحداثة 158
عِمارة وعُمران مدن مصرية جديدة مُتمايزة 14
عمارة وعُمران مدينة عظيمة..... 23
عِمارة وعُمران مكانية 100
عِمارة وعُمران مكعب الوظيفيين الأبيض 160
عِمارة وعُمران مناظر الأرض..... 72, 98
عُمران مجتمعي.....169
عمل أدبي..... 39
عمل تراكمي 210
عمل جمالي..... 57
عمل فني...39, 42, 48, 57, 70, 78, 126, 135, 137, 138, 139, 140, 142, 143, 158, 171, 189, 195, 197, 198, 202, 203, 206, 208, 210
عملاً فنيًّا.....135
عمليات نفسية 114
عملية إعادة تأهيل مكان قائم 73
عملية البناء 170
عملية التصنيع.....139
عملية التنمية 60
عملية العِمارة والعُمران 29
عملية العُمران 168
عملية معرفية..... 55
عمود روماني.....197
عناصر الجذب 176
عناصر الحركة الآلية 72
عناصر الرؤية..... 68, 70
عواطف ..12, 28, 35, 36, 48, 49, 51, 58, 59, 69, 71, 121, 149 ,161, 216
عودة الأصلي"..... 39
عولمة..... 100, 132, 172, 174
عولمة الاقتصاد 172
عولمة التحضر 179
عين لندن 13

غ

غموض الأجواء 57
غموض السياق..... 66, 74
غموض المعاني 181
غير مكان..... 92, 93, 94

ف

الفارابي.....168
فاطيما بيرناردو 105
فان در رين 163
فترة الحداثة الفائقة 92
فراغات بينية مفتوحة 21
فرانسيس فيتزجيرالد 41
فرانك لويد رايت.....60, 100, 157, 163
فرانكو بيانشيني 183
فرانكو فارينلي 82, 85
فردانية ... 23, 103, 105, 106, 124, 126, 133, 134, 137 ,138, 139, 142, 147, 148, 204
فردانية المدينة 23, 204
فردانية المدينة الجديدة 23, 204

فرديناند الأول 39
فرنسا 41, 83, 160
فريتز ستيل..... 91, 120, 122
فريد لوكرمان 34, 82
فريد لوكيرمان 97
فريدريش نيتشه 60
فريدريش ويلهلم فون شيلينج 60
فضاء26, 27, 31, 32, 33, 34, 36, 38, 46, 48, 49, 50, 51, 53, 55, 58, 59, 61, 63, 65, 66, 68, 69, 72, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 90, 91, 93, 94, 95, 98, 102, 105, 118, 124, 126, 127, 135, 142, 182, 183, 191
الفضاء... 21, 32, 33, 50, 56, 60, 61, 69, 93, 97, 107, 139
فضاء اجتماعي مُتعدد الاستخدام.....135
فضاء التدفقات 172
فضاء إنساني [أنثروبولوجي] 93
فضاء جغرافي.....85, 127
فضاء حضري 69, 76, 96, 140
فضاء خارجي 65
فضاء داخلي 77
فضاء ضري 75
فضاء عاطفي 69
فضاء عالمي..... 77
فضاء عام 75, 77, 105, 124, 183
فضاء عديم السطح..... 48
فضاء مسرحي مُبهر 46
فضاء مغلق..... 78
فضاء مُغلق..... 77
فضاء مفتوح..... 96
فضاء منظور..... 51
فضاء هندسي 93
فضاء يؤدي وظيفة 78
فضاءات32, 47, 49, 76, 94, 96, 97, 175, 176
فضاءات الأجواء 49
فضاءات البيئة المُشيدة..... 32
فضاءات حرة ثلاثية الأبعاد..... 89
فضاءات حضرية...19, 21, 72, 75, 76, 95, 216, 218
فضاءات ذا الصِّلَةِ..... 89
فضاءات عامة 115, 188
فضاءات مفتوحة..... 89, 95
فضاءات مفقودة 95
فضيلة.....154
فعالية الشبكة 182
فعل البناء 29
فعل إنساني..... 84
فقدان الانفراد 19
فقدان الشخصية 14
فقدان الفردانية 105
فكر 36, 78, 100, 126, 133, 135, 137, 139, 141, 146, 175, 179, 183, 205, 215
فكر الانفراد.....197
فكر العِمارة..... 78
فكر المواطنة 219
فكر أوربي.....155
فكر غربي..... 23 ,24 ,27, 57, 132, 136, 155, 166, 205
الفكر الغربي المعاصر 166
فكرة الأمانة.....155
فكرة الجو..... 53
فكرة المودیولور 61
فكرة الهوية 147, 151
فكرة مِعمارية عُمرانية..... 60
فلاد يونيسكو 54
فلسفات التعقل 157
فليكس جواتاري 34, 87
فن 14, 41, 45, 48, 58, 64, 66, 68, 74, 78, 126, 127, 129, 135, 137, 140, 141, 160, 197, 203, 204
فن إضاعة الفضاء..... 78

فن الباليه..... 43, 52
فن التمثيل..... 43
فن الديكو ستايل..... 41
فن الرقص الخالص..... 52
فن الفضاء 77
فن المدن..... 27
فن المدينة..... 141, 215
فن المُشاركة..... 141
فن علمي..... 74, 135, 141
فن له روح 136
فن هابط 129
فن وعلم استثنائي..... 27
فناء مركزي 20
فنلندا..... 160
فنون 135
فنون بصرية..... 41
الفنون التقنية 45
فوجد..... 178
فوضى حضرية..... 219
فوضى دولية 119
في حداثة فائقة 105
فئات اجتماعية 102
فيرميولن 178
الفيروز آبادي 166
فيزياء ..... 44 ,47, 81
فيل تيرنر 103
فيل وود 185
فيلم جاتسبي العظيم..... 41
فيلم سينمائي 41
فيليب جونسون 78, 158
فيليب چونسون 163
فيليب كوتلر 97, 104
فينيسيا 204
فيينا 11, 159

ڤ

ڤوكسنيسكا 160
ڤينسيا 135

ق

قابل للعيش..... 56
قابلية الانفراد 207
قابلية التطويع..... 207
قابلية التغيير 207
قابلية العيش..... 182
قادة التخطيط..... 187
قاموس إتيمونلين..... 37
قاموس أكسفورد..... 32, 37, 154
قاموس أكسفورد الإنجليزي..... 32, 42
قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية..... 38
قاموس الأعمال..... 38
قاموس القاموس 37
قاموس ميريام وبستر ..... 37 ,38, 94
قاموس وبستر الدولي الجديد..... 117
قاموسك أنت..... 37
القاهرة32 ,40, 196, 198, 199, 200, 204, 217, 219, 296, 297
القاهرة الجديدة 20, 196, 198, 200
القاهرة العاصمة 196, 198, 219
القاهرة الفاطمية..... 40 ,217
قدرات التقنية الفائقة..... 219
قدرة البنى التحتية 182
القدرة التنافسية..... 180
قدرة المدن الاقتصادية التنافسية..... 180
قدرة المدينة التنافسية..... 179
قدرة بشرية..... 125 ,174
قدرة تنافسية 23, 143, 180, 182, 209, 212
قدرة تنافسية حضرية 180
قرية سومفيتج..... 64
القس وليام ويننستروم 26
القسطنطينية..... 197
قصر البارون إمبان..... 197
لقصر البلوري 45
قصر الحكم 21

قصر باكنجهام 13
قصر جاتسبي 41
قصر هيندو 197
قضايا أخلاقية 37, 212
قطع أثرية 44, 135, 142
قطع الأراضي 197
قطع مُتحفية ... 11, 12, 13, 22, 126, 136, 137, 138, 139, 142, 143, 195, 197, 202, 203, 204, 206
قطع مُتحفية حضرية 22, 98, 125, 126, 127, 132, 137, 138, 139, 142, 195, 197, 202, 203, 206, 211
قطعة أثرية 61, 126, 137, 138
قطعة أثرية فريدة 127, 137
قطعة فنية حضرية 126, 201
قطعة مُتحفية أثرية 138
قنا الجديدة 20
قوّاد 40 .....
قواعد السلوك 154
قواميس أكسفورد المتعلم 42
قوة المكان 97
قوى ثقافية 147
قياس تأثير الأجواء 62
قيم أخلاقية 23, 155, 159
قيم إنسانية 14, 15, 16, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 104, 133, 165, 166, 168, 209, 213, 215
قيم ثقافية 15
قيم جماعية 129
قيم متجهة نحو التعبير عن الذات 169
قيم مُجتمعية 168
قيمة اقتصادية 165
قيمة الفرد 133
قيمة جمالية 69, 65
قيمة فضائية 78

ك

كاثرين مارتن 42
كاثرين مارتين 41
كاثرين وودوارد 149
كارين فوس 98, 149
كازبلانكا 43
كازيج 49
كاميللو سيت 134
كاميلو سيت 134, 135, 197
كائن فني 142, 202, 204
كُتل بنائية 199
كتل بنائية مفردة 101
كتلة المبنى المفرد 153
كتلة حضرية قائمة 196
كتلة مفردة 21, 94, 207, 212
كريس أبيل 28
كريستابل 39
كريستوفر ألكسندر 111, 127, 197
كريستيان بورش 46, 52, 57
كريستيان نوربيرج–شولتز 16, 29, 33, 103, 129, 197, 107
كريستين إلمور 104, 120, 128, 149, 151
كريستين بوير 97, 125
كريستين ميلاني فوكلير 166
كعمل فني 139, 141
كفاءة "انفراد المدينة 198
كفاءة التشغيل 182
كلارنس بيري 218
كلايد كلوكهون 166
كلية المدينة 126
كلير كولبروك 88
كليف موجن 101
الكمال 13
كنيسة البازيليك 197
كنيسة الصلبان الثلاثة 160
كنيسة القديس بنديكت 64

كنيسة رونشان..... 160
الكنيسة اللوثرية..... 160
كنيسة نوتردام دو هوت 60
كوكبات فيزيائية 50
كولوسيوم..... 13
كولومبا..... 64
كولونيا 64
كوليردج..... 39
كونية 183, 186, 187, 188, 190
كيان تقني معلوماتي 171
كيانات مثالية..... 26
كيفين لينش .16, 91, 97, 102, 119, 120, 129, 122, 134, 136, 140, 197, 199, 200, 219
كيم دوڤي 34, 87, 88, 89, 99, 120, 127, 149, 54
كيمياء التقارب..... 72
كينزو تانجي 160, 161

ل

لامكان 32, 33, 34, 92, 94, 96
اللامكان 92, 93, 95, 105
لاندري وود..... 185
لعلم الإنسانيات..... 105
لغة عالمية 158
لغة لاتينية 126, 139
لندن 11, 12, 13, 32, 43, 45, 135, 159, 160, 201, 204
لورا ميجليورِيني..... 127
لورانس دوريل 97, 128
لورانس ڤالي..... 153
لوسيا ڤينيني..... 127
لوك أوليفر جانيست 44, 57, 58
لوكاز ستانيك..... 78
لوكوربوزييه.....60, 61, 75, 77, 100, 157, 160, 161
لويد بيتيفورد..... 118
لويس بانجان 100
لويس كان 77, 155, 160
لويس ممفورد 134
ليبنتز 147
ليزلي سكلير 22, 132
ليفي شتراوس 32, 33
ليلى سكانل..... 115, 121
لين مانزو 186
لينارت هولم 159
ليون ألبرتي باتيستا..... 135
ليوناردو دي كابريو 41
ليوناردو مورلينو 151
ليوني ساندروك 116, 183
ليويكا 30, 125

م

ما–بعد الترميز 89
ما–بعد الحداثة 150, 156, 158
ماثيو كارمونا 98, 99
مادة الجسد 48
مارتن هايدجر 79, 80, 81, 97, 111, 147
مارجريت رودمان 82, 91, 97
مارجو لينهارت 28
مارك أوجيه.....92, 94, 105, 106
مارك فرانسيس..... 124
مارك ميجور..... 60
مارك ويجلي.....29, 30, 46, 51, 57, 58
ماركس ڤيتروڤيوس بوليو.....29, 164
ماركو لالي..... 101, 148
ماري ميريفيلد..... 45
ماريا ليويكا ... 29, 33, 98, 127, 129, 130, 197
ماريشيلا سيبا.....99, 124, 127
ماريشيلا سيبا.....99, 127
ماضي المدينة..... 33
ماكس بلاك 150
ماكس ستينر 43
ماكس شيلر 166

ماكس ويبر 134
مانويل ديلاندا 34, 87
مانويل فلاسكواز 154
مانويل كاستلز 172, 173
ماهية القيمة 168
مأوى 128, 159
مايك أولدفيلد 43
مايك كرانج 82, 85
مايكل بيتي 99, 124, 134
مايكل جريفز 60
مايكل روبنسون 45
مايكل هوف 97, 98, 100, 104, 122
مايكل هيرزفيلد 28
مبادئ أخلاقية 20, 154
مبادئ الأخلاق 22
مبادئ التخطيط الاجتماعى– الثقافى 212
مبادئ التصميم 170
مبادئ التصميم الحضري 21
مبادئ الحق في المدينة 212
مبادئ السلوك 154
مبادئ القيم 24, 168, 169, 170, 213
مبادئ القيم الإنسانية 24
مبادئ تصميم 72
مبادئ توجيهية للتصميم 72
مبادئ حقوق الإنسان 185
مبادئ فنية 135
مبادئ مزج واجهات الأبنية 69
مباني البلديات 95
مباني بارزة 101
مباني تقليدية 201
مباني سكنية 199, 200
مباني مُفردة 19, 69, 195
مبدأ الأقل هو الأكثر 163
مبدأ الأقل هو المُمل 163
مبدأ الشكل أبدًا لا يتبع الوظيفة 163
مبدأ الشكل دائمًا يتبع الشكل وليس الوظيفة 163
مبدأ الشكل يتبع التدفق 163
مبدأ الشكل يتبع العاطفة 163
مبدأ الشكل يتبع الوظيفة 163
مبدأ النمو 29
مبدأ لويس سوليفان 163
مبدأ وضوح الكائن 105
مبنى البرلمان 13
مبنى مفرد 136
مبنى هونستانتون نورفولك 160
متانة 164, 205
متحف الفن 64
متحف مدام توسو 13
مترو الأنفاق 12
مترو أنفاق 12
متعة بصرية 159
متعددة الثقافات 185, 207
متنزه الميريلاند 198
متنزهات الترفيه 106
مثالية 56, 118, 177, 178, 191
مثل واعية 104
مجال الجغرافيا البشرية 33
مجال العِمارة والعُمران 59, 88, 95, 165
مجال العولمة 172
مجال الفنون البصرية 40
مجال تقنية المعلومات والاتصالات 175
مجال عام 11, 13, 16, 19, 24, 36, 46, 59, 65, 66, 69, 72, 73, 76, *92*, 216, 217
مجال ممارسة 141
مجالات العلوم الإنسانية 15
مجاورة سكنية 218
مجتمع 82, 94, 98, 102, 116, 117, 120, 124, 155, 157, 163, 167, 169, 171, 172, 173, 174, 183, 184, 185, 186, 197, 198, 210
المجتمع 119, 124, 167, 189
مجتمع المعرفة 173, 174, 190, 208

مجتمع المعلومات 173
مجتمع إنساني.....155
مجتمع حضري 186
مجتمع دولي 119
مجتمع رأسمالي.....171
مجتمع سياسي 119
مجتمع عالمي 116
مُجتمع كامل التخطيط والتصميم والتنفيذ 201
مجتمع محلي.....210, 124
مجتمع من الأماكن المُسماة 32
المجتمع المعلوماتي.....173
مجتمعات النباتات المحلية 104
مجتمعات بشرية 15, 22, 170
مجتمعات سكنية.....123
مجتمعات متحضرة 133
مجتمعات محلية.....21, 84, 113, 119, 174, 185
مجتمعات هجينة جديدة. 183
مجتمعية وعائلية مقابل فردية واستقلال.....169
مجلة الأهرام الأسبوعية 196
مجلس مدينة ألمير.....186
مجمع الرحاب السكني الجديد 196
مجموعات المعرفة 176
مجموعات سكنية 21, 198
مجموعة شمسية 96
محافظة القاهرة 196
محاكاة 66
محاكم التفتيش الإسبانية 39
محتوى اجتماعي 24
محتوى العِمارة والعُمران 78
محتوى فضائي 120
مُحرك الحيوية..... 47
محطات السكك الحديدية المتواضعة 63
محمد الكتاني.....168
محمود يسري 197
محيط جغرافي 179
محيط حيوي..... 33, 66
محيط حيوي مباشر 33, 38, 170
مخاوف شخصية.....120
مختبرات السرية.....173
مُخطط المدينة.....135
مخطط حضري 102
مخطط عام.....197
مُخطط مُتكامل 204
مُخططون حضريون 121
مخططي المدن 184
مخططي ومصممي المدن.....215
مُخيلة البشر 122
مدخل معلوماتى 189
مدخول اقتصادي 23
مدرسة الباوهاوس 163
مدرسة الوحشية 156
مدن الانفراد 16, 21, 72, 133, 171
مدن الشروق..... 20
مدن الضواحي.....195, 219
مدن الطواعية.....207
مدن المعلوماتية . 171, 173, 174, 175, 203, 219
مدن أمريكية..... 187 ,188, 199
مدن انفراد 16, 21, 145, 205, 211
مدن انفرادية 24
مدن أوربية 108
مدن بدر 20
مدن تقليدية..... 23, 24, 219
مدن تنافسية 190
مدن تنمية عضوية حضرية 171, 189
مدن ثقافية.....185
مدن جديدة16, 21, 23, 24, 74, 108, 124, 133, 135, 150, 171, 189, 209, 210, 215, 218, 219, 220, 298
مدن حضرية 14, 187
مدن خضراء 219
مدن ذات انفراد 31
مدن ذكية 179, 181, 189, 219

مدن رقمية 215
مدن عابرة الثقافات 190
مدن عابرة الثقافة 189
مدن عالمية 175
مدن عظيمة 187, 188, 189, 205
مدن علامة تجارية 189
مدن غربية 24, 204
مدن فاضلة 168
مدن قابلة للتطويع 207
مدن قابلة للتغيير 207
مدن قابلة للتفرد 207
مدن قائمة 20, 209
مدن كونية 189
مدن كونية/عابرة الثقافة 171
مدن متشابهة 20
مدن متعددة الثقافات 185
مدن متكاملة 20
مدن محلية 22
مدن مِصرية تاريخية 204
مدن مِصرية جديدة 198
مدن معاصرة 15, *92*
مدن معلوماتية 189
مدن مَعلوماتية 205
مدن منطقة الخليج العربي 108
مدينة ...3, 4, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 30, 31, 32, 33, 34, 37, 58, 59, 60, 71, 73, 74, 76, 84, 88, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 103, 106, 108, 109, 114, 119, 121, 122, 123, 124, 126, 127, 129, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 148, 150, 151, 153, 157, 162, 170, 171, 173, 174, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 215, 217, 218, 219, 220, 296, 297, 298
مدينة إعلامية 176
مدينة البندقية 140
مدينة التسوق 178
مدينة التعلم 181
مدينة التمكين 171
مدينة الذاكرة الجماعية 97, 124
مدينة الرحاب .. 196, 197, 198, 199, 200, 202, 203, 204
مدينة الشمس 196
مدينة القاهرة الجديدة 199
مدينة المعرفة 176, 181
مدينة المعلوماتية 173
مدينة أمريكية 189
مدينة انفراد 14, 15, 17, 22, 23, 142, 143, 179, 190, 203, 206, 208, 210, 216
مدينة أوروبية 13
مدينة بشرية 181
مدينة بصمة 24, 206, 209, 212, 216, 219
مدينة ترفيهية 200
مدينة تقليدية 20, 141, 171
مدينة جديدة 21, 23, 25, 73, 74, 131, 132, 133, 135, 136, 201, 203, 205, 206, 211
مدينة جديدة عظيمة 74
مدينة جميلة 137, 142
مدينة حدائقية 196
مدينة حضرية 73
مدينة ذات انفراد 14, 16
مدينة ذكية 171, 180, 181, 201
مدينة رقمية 181
مدينة ريادة في الأعمال 181
مدينة عالمية 174, 176, 208

مدينة عربية 22, 24
مدينة عربية جديدة..... 22
مدينة عربية مُعاصرة.....24, 215
مدينة عظيمة.....23, 171, 180, 187, 188
مدينة علامة 23
مدينة علامة تجارية 15, 171, 209
مدينة غربية 23
مدينة غير مُستنسخة.....139
مدينة قابلة للعيش 188, 212
مدينة قادرة على الحب.....188
مدينة قادرة على الحب، 212
مدينة كونية عبر الثقافات 183
مدينة مُبدعة.....181
مدينة مُتعددة الثقافات.....185
مدينة مُتكافئة ومُتعادلة في نقاط القوة 207
مدينة مُخططة.....186
مدينة مِصرية.....13, 14, 15, 204
مدينة مصرية جديدة 14, 16, 204
مدينة معلوماتية.....172 ,173, 190, 209
مدينة مُنفردة.....25, 133
مدينة ميسيسوجا 188
مدينة نصر 196
مذهب التحضر 17, 22, 132, 133
مذهب التحضر المنفرد 22, 133
مذهب التحضر المُنفرد 17
مذهب الماهية.....151
مذهب عابر الحدود الوطنية.....116
مراحل التخطيط 204
مراحل التصميم.....73, 203
مرافق التسوق 175
مراكز إقليمية ومحلية 174
مراكز التسوق 11, 176
مراكز الخدمات المتقدمة 173
مراكز المدن.....92, 136
مراكز المعرفة 176
مراكز بحثية.....218
مراكز حضرية 184
مربعات قطع الأرضي..... 19
مرحلة الفعل 49
مرحلية البناء 201
مركز المدينة 13
مركز بيل للفن الإنجليزي.....161
مزاج 35, 37, 42, 44, 50, 51, 54, 55, 59, 65, 67, 68, 70, 73, 120, 147, 158, 217
مزاج الاسترخاء 42
مزاج الشخص 69
مزاج العصر.....171
مزاج المشاهد..... 55
مساحات حضرية 72, 197
مساحات خضراء 200
مساحات خضراء مزروعة 200
مساحات مفتوحة..... 72, 76
مسار الأحداث..... 39
مسار حسي 58
مسارات الانفراد 17
مسارات حركة السيارات 196
مسارات حركة المشاة.....202
مسافات السير 21, 200
مسألة إدارية.....135, 142
مسألة التجزئة..... 88
مستقرات بشرية 136
مُستقرات حضرية جديدة.....198
مستقرات نائية 92
مُستقرة سكنية.....200
مستقرات بشرية 14, 19
مستقرات بشرية تقليدية 19
مستقرات بشرية جديدة..... 19
مستقرات مصرية جديدة 17
مستويات المعيشة.....182
مسجد 21
مُسرد المُصطلحات الأدبية 39
مسؤولية بيئية.....122

مُشاركة المُستعملين 91
مشاركة حياتية..... 123
مشاركة سياسية..... 176, 177
مشاركة شخصية 120
مشاركة شعبية..... 169
مشاركة عاطفية 47, 54
مشاركة في البناء 195, 202
مشاركة مُجتمعية 169
مشاريع تجريبية..... 185
مشاريع متكاملة..... 197
مشاعر الإلهام..... 44
مشاعر المرء 121
مشاعر الناس 87
مشاعر إنسانية 60, 69
مشاعر جسدية 47, 67
مشاعر عامة..... 36, 72
مشاهد الأرض..... 107
مشاهدة بالملاحظة..... 32
مشربية..... 155
مشروع الممر الذهبي 160
مشروعات التنمية المستقبلية..... 210
مشكلات مجتمعية 157
مشهد ثقافي 105, 125
مصالح المدينة 133
مِصر 19, 40, 71, 85
مصر الجديدة 195, 196
مُصطلح فني 34, 62
مصمم المدن 32
مصمم المدينة 59
مصمم حضري 21, 25, 60, 73, 74, 76, 89, 92, 95, 106, 110, 133, 201
مُصمم حضري 31, 123
مُصمم مِعماري 69
مصممي الإنتاج..... 40
مُصممي البيئة الحضرية..... 119
مصير مشترك..... 183
مصير مكان..... 97
مضمون التجربة 49
مضمون حضاري ثقافي مُعاصر..... 20
مطار هيثرو..... 12
مطاعم الوجبات السريعة 200
مطور حضري..... 209, 210
مطور عقاري..... 198
مظاهر النسيج الحضري 19
مظهر مرئي..... 56
معابد إغريقية تقليدية 45
معابر الحركة والاتصال..... 72
معابر الحركة والانتقال..... 218
معالجات بنائية 155
معالم حضرية 127, 137
معالم مِعمارية عُمرانية جاذبة..... 176
معاملات وعلاقات إنسانية 169
معاني .... 29, 50, 64, 76, 83, 84, 85, 86 ,88, 89, 98, 102, 103, 104, 105, 120, 121, 128, 149, 172, 181, 209
معاني الأحداث..... 90
معاني مكانية..... 121
معايير أخلاقية 14, 21, 164, 212
معايير أخلاقية. 153
معايير الانفراد..... 200
معايير البناء..... 154
معايير القيم الإنسانية 13, 22
المعايير الأخلاقية 153
معايير بيئية 44
معايير مِعمارية عُمرانية..... 168
معايير ومبادئ التصميم..... 74
مُعتقد صناعة الفضاءات..... 77
مُعتقد فكري..... 212
معتقدات وضعية..... 15, 22
معرض كونستاوس بريجنز 64
معرفة 175
معرفة إدراكية..... 183

معرفة المرء التجريبية السابقة 47
معرفة إنسانية 55
معرفة بشرية..... 97
معرفة تجريبية 47
معرفة حضرية..... 206
معرفة مُسبقة 28
معلم كرشة 40
معلومات تاريخية 125
مِعماري مناظر الأرض 122
مِعمارين طليعة 60
مِعماريين ما–بعد الحرب 159
معنى البناء..... 113
معنى المكان 69
معنى بيئي 121
معنى شخصي..... 121
معيشة بالدراية..... 106
المعهد الأمريكي للمِعماريين 156
مغزى المكان 103
مفاهيم السلوك..... 104, 148
مفاهيم السلوك البشري 104
مفكرون مسلمون..... 67
مُفكري اليونان..... 146
مفهوم "الغائية 72
مفهوم الأجواء 44, 59
مفهوم الإدراك الحسي..... 62
مفهوم الإقليمية 100
مفهوم الانفراد..... 22, 127, 137, 204
مفهوم التصميم الحضري زائد..... 74
مفهوم الجو..... 49
مفهوم الحدس 54
مفهوم الذات..... 101, 146, 149
مفهوم الفضاء المِعماري العُمراني..... 55
مفهوم المكان..... 83, 85, 126, 139
مفهوم المنزل 112
مفهوم الهوية 102
مفهوم الوظيفية 138
مفهوم جمالي 46, 53, 59
مفهوم دوليزيان 87
مفهوم مرئي 41
مفوضية أوروبية 181
مقابلات جماعية..... 204
مقابلات شخصية 22, 198
مقام البياتي..... 43
مقامات..... 43
مقامات الحجاز 43
مقهى كرشه 40
مقياس البيئة المعيشية..... 55
مقياس الفضاء..... 61
مقياس إنساني 169
مكافحة غسل الأموال 173
مكان 13, 16, 21, 22, 24, 26, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 40, 41, 42, 51, 56, 62, 63, 65, 66, 68, 69, 71, 73, 74, 75, 76, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 87, 88, 89, 90, 93, 94, 95, 97, 98, 99, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 120, 121, 122, 124, 125, 126, 127, 129, 136, 137, 138, 139, 140, 142, 147, 151, 156, 169, 186, 189, 197, 202, 212, 216, 217, 218
مكان الاختلاف..... 184
مكان الرغبة 140
مكان ثالث 16, 24
مكان حضري..... 76, 92, 96
مكان خلاء 93
مكان عابر الثقافات..... 189
مكان عبقري 15, 29, 33, 74, 90, 129, 208
مكان فريد 126, 139
مكان كمعنى 98
مكانة المرأة والطفل..... 169
مكانة مجتمعية 169

مكونات المدينة 139
ملكة إنسانية 54
ملكية 169
ملكية خاصة 91
ممارسات اجتماعية 63
ممارسة إقليمية 100
ممارسة الإشباع المتأخر 150
ممارسة التصميم الحضري 21, 207
ممارسة المهنة 23
ممارسة مهنية 15, 36, 60, 65, 72, 75, 98, 218
ممارسة مهنية أخلاقية 154
من صنع الإنسان 28, 33, 61, 72, 96, 122
مناخ عام 72
مناخ محلي 111
منازل فردية 187
مناطق الخدمات 198
مناطق السكن 198
مناطق المتاحف 95
مناطق ترفيهية 201
مناطق حضرية .. 36, 56 ,59, 63, 74, 105, 126, 135, 138
مناطق خضراء 196, 202
مناطق مُتجانسة 184
مناطق مفتوحة 200
مناطق نائية 174
مناظر الأرض 84, 99, 104, 107, 117, 121, 128, 142
مناظر طبيعية ..... 11 ,79 ,121, 140
منافذ البيع بالتجزئة الكبيرة 106
مُنتج بشري 83
مُنتج بنائي 23
مُنتج صناعي 139
المُنتج العقاري 198
مُنتجات الأجواء 53
مُنتجات الرغبة 88
مُنشآت البناء 89
منشآت الخيال 121
منطقة الفيلات 202
منطقة الكورنة 198
منطقة تاريخية 13
منطقة جغرافية 83, 121
منطقة حضرية 108
منطقة سكنية 113, 196
منظر المدينة 102
منظمة التعاون والتنمية 181
منظور أخلاقي 160
منظور القيمة 165
منظومة التحضر 170
منفعة 154, 164, 205
منفعة مجتمعية 166
منفعة مشتركة 169
مهمة إدارية 186
مهمة جمالية 53
مواد البناء 160, 161, 162
مواد نهو الأرضيات 72
موارد بشرية 169
موارد بيئية 183
مواطن 123, 179, 188
مواطن المدينة 122
المواطنة ..... 114 ,185 ,211
مواقع الخدمات 121
مواقع حضرية 60
مواقف السيارات 198
موت الحداثة المعمارية العُمرانية 157
مورفولوجيا الفضاء 55
موروثات المكان 121
موريس ميرليو بونتي 64
موريس ميرليو–بونتي 49
مؤسسات مالية 173
مؤسسة ساساكي 188
مؤسسة مدينة ماكنزي 187

موسوعة الإنترنت للفلسفة 155
موسوعة الإنترنت للفلسفة "النسبية الأخلاقية" 153
الموسوعة الدولية للجغرافيا البشرية 33, 86
الموسوعة الدولية للعلوم السياسية 151
موسيقى ..... 42, 43, 52 ,61, 62
موسيقى الإلكترونية 43
موسيقى الأورب 43
موسيقى تصويرية 43
موسيقى شرقية 43
الموسيقى العربية 43
موسيقى غير المزعجة 42
موسيقى مجمدة 60
موسيقى محيطة 38
موسيقى محيطة ب 43
مؤشر التنمية البشرية 175
مؤشر إيه تي كيرني 175
مؤشر تنمية تقنية المعلومات 175
مؤشر جاهزية عمل الشبكة 175
مؤشرات وولفجانج ستوك 175
الموشحات 43
موضع 33, 81, 120, 127, 129, 137
موضع الحياة الاجتماعية 83
موضع عبقري 38, 97, 98, 130
موضع مِعماري عُمراني 107
موضع ومحيطه 129
موضع 31
موضوع الأخلاق 156, 159
موضوع جمالي 52
موقع 31, 33, 38, 61, 67, 73, 75, 80, 81, 84, 85, 86, 90, 91, 113, 121, 126, 128, 139
موقع إلكتروني 173, 198
موقع جغرافي 33, 107
موقع عبقري 30
موقع ومحيطه 61, 67, 72, 73, 74
مولدات الأجواء 50
مولدات للأجواء الحضرية 63
موهان ديبارما 166
موئل 38
ميتشل شوارزر 55
ميدان اقتصادي 181
ميدان تريومف 197
ميرلو–بونتي 93
ميزان اقتصادي 187, 212
ميزة بيئية 183
ميس ڤان در روا 77, 157, 163
ميشيل دي سيرتو 92, 94
ميكاليس كافاراتزيس 178
ميكي ماوس 150
ميكيل دوفرين 43, 46, 51, 52
ميلتون روكيتش 166
ميلفين ويبر 42, 94
ميليكا مومينوفيتش 27
ميليندا ميليجان 113
مينابوليس 187
ميول إحيائية 147

ن

ناثان 166
ناجارازن 166, 167
ناطحات السحاب 21, 27
نان إيلين 138, 158
نايجل ثريفت 34, 82, 85
نتاج مِعماري عُمراني 101
نجيب محفوظ 40
النرويج 64
نسب 55
نسيج حضرى 19, 198
نشاط إنساني 48, 121
نشاط بشري 105
نشاط فكري 168
نُصب تذكارية 12
نطاق بشري 55

نطام المدينة 88
نظام اقتصادي 139
نظام اقتصادي عالمي 172
نظام المترو 189
نظام بصري 54
نظام جمالي 54
نظام عالمي 172
نظام مِعماري عُمراني حضري 137
نظريات الهوية الحضرية 101
نظريات مفهوم الذات والهوية 101
نظريات مفهوم الذات والهوية الذاتية 101
نظرية الأجواء 59, 62
نظرية الإدراك 53
نظرية التجميع 87
نظرية التفكيكية 165
نظرية الجسد شعر 47
نظرية العضوية 165
نظرية العلامة التجارية 178
نظرية المدينة بصمة 209
نظرية المكان 87
نظرية الهوية الاجتماعية 149
نظرية الوظيفية 165
نظرية تصميم حضري 15
نظرية شكل جيد للمدينة 103
النظرية الغائية 67
نظرية مارتن هيدجر 101
نُظم نفسية 146
نغمة عاطفية 39
نفس بشرية 104
نقاط الانتماء 108
نقاط محورية 73
نقائيين 158
نقد الحداثة 156
نقد فني 77
نقط محورية 68
نقل الابتكارات 184
نقلة فكرية نوعية 172
نك كاراويه 41
نماذج الغرب الفكرية 16, 17, 20, 24
نماذج الغرب الفكرية التقليدية 20
نماذج بنائية 20, 200
نماذج بنائية متكررة 201
نماذج تصميم حضري فكرية 131
النماذج الفكرية 132, 203, 205, 209
النماذج الفكرية التقليدية 203, 209
نماذج تقليدية 197
نماذج تقليدية سائدة 131
نماذج غربية تقليدية 15, 142, 143
نماذج غربية مهيمنة 22
نماذج فكرية 21, 22, 131, 132, 133, 189, 203, 205, 215, 218, 219
نماذج فكرية حديثة 206
نماذج فكرية غربية 21, 189, 201, 215
نماذج نمطية 199
نمذجة غربية 196
نمذجة فكرية 21
النمسا 11, 13, 64
نمط الإنشاء 20
نمط الحيازة 169
نمط حياة 132
نمو اقتصادي 180, 182
نمو الفقر 174
نمو ذكي 180
نموذج التنمية المعاصرة 173
نموذج فكري 55, 164, 171, 174, 218
نموذج للتنمية الحضرية 196
نهاية الحداثة 158
النهج البيئي 46
نهج التصميم عابر الاختصاص 219
نهج التواصل غير اللفظي 97
نهج الجغرافيا الإنسانية 82
نهج الظواهر 98

نهج تخطيط المدن 184
نهج تشغيلي 46
نهج تصميم حضري 133, 204
نهج تصميم حضري عابر الاختصاص 204
نهج تصميم حضري مُتعدد الاختصاص 14
نهج تصميم عابر الاختصاص ... 15, 16, 205, 206
نهج فضائي 77
النهج الفكري 46
نهج مدينة عابرة النماذج الفكرية 17, 216
النهج غير الفكري 46
نهر التايمز 13
نهر الطريق 198
نورمان دال 26
نيقولاس بيفسنر 77
نيكولاس إنتريكين 82, 83
نيلسون جودمان 153
النوباريا الجديدة 20
نيويورك 188

هـ

هارتموت إسلينجر 163
هارفي كوكس 97, 118
هارولد بروشانسكي 97, 102, 104, 148, 151
هاري فرانسيس مالجراف 45
هالة من الكائن 74
هاملت 39
هانز أسبلاند 159
هانك ساڤيتش 186, 187
هايدن 125
هاينريش وولفلين 54
هدوء تقني 66
هشام أبوسعدة 136, 141
هليوبوليس 22, 195, 196, 198, 202, 203
هندريك بيترس بيرلاج 77
هندسة إنشائية 66
هندسة مِعمارية 41
هنري لفيفر 63, 125, 139, 171, 184
هوراشيو جرينوه 162
هوس لوزي 64
هومو جيوغرافيكوس 97
هويات اجتماعية 101
هويات الأماكن 92
هويات المواضيع 92
هويات فردية 106
هوية 14, 15, 16, 17, 19, 22, 24, 30, 33, 48, 69, 92, 93, 96, 97, 98, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 116, 118, 119, 121, 123, 128, 130, 134, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 153, 156, 165, 172, 184, 206, 207, 209, 210, 212, 215
هوية اجتماعية 153
هوية إقليمية 100
هوية الأماكن 121
الهوية الحضرية 101, 102, 108
هوية المجتمع الثقافية 120
هوية المدينة 101, 120, 151, 153, 185, 209
هوية المدينة المصرية 14
هوية المرء 103
هوية المكان ... 30, 33, 98, 99, 102, 103, 104, 105, 119, 127, 130, 153
هوية الناس 108
هوية ثقافية 100
هوية حضرية 98, 108, 109, 206, 209
هوية ذاتية 104
هوية عرقية 184
هوية فردية 99
هوية ما–بعد الحداثة 150
هوية مُتطابقة 128
هوية مجتمع المدينة 172
هوية مجتمعية 153
هوية مكان الفرد 104
هوية وطنية 98, 99, 100, 118

هوية وطنية وإقليمية 98
هوية" الحداثة..... 150
هياكل السلطة 158
هياكل فنية 73
هياكل مِعمارية وعُمرانية 55
هياكل هندسية 50
هيجل 27, 33, 135
هيراكون 145
هيرقليطس..... 145
هيرمان سورجيل 77
هيرمان شميتز 35, 47, 49, 57, 64
هيرمان ميلفيل..... 114
هيرنان كازسكيان 105
هيكل المبنى..... 102
هيكل تنظيمي 146, 176
هيكل حضري 124
هيلي باتسي 121
هيلين فيشر 146
هيئة المجتمعات العُمرانية الجديدة 198

و

واجهات مُجمعة..... 195, 200
وارويك فوكس 154, 156
واشنطن دي سي 188
واقع اجتماعي 148
واقع جغرافي..... 85
واقع حضري 173
واقع مادي..... 51, 104
واقع مديني مُعاصر 133
واقعية 118, 197
واقعيين..... 119
وجدان 54
وجدان عاطفي..... 56
وجود اجتماعي 63
وجود بدني 36
وجود بشري 33
وجود جسدي 53, 65, 69
وجود شخصي 145, 146, 147, 148, 149
وجود طبيعي 68
وجود مادي..... 65, 85
وجود مادي مُدرك..... 50, 65
وحدات الجوار 21, 207, 212
وحدات الجوار السكني 21, 212
وحدات تخطيط أساسية..... 21
وحدانية..... 20, 103
وحدة الجوار 99, 150
وحدة السكن في مارسيليا 160
وحدة متكاملة 140, 210
وحشية جديدة 156, 160
وسائط التواصل الاجتماعي..... 208
وسائل الإعلام..... 59, 69
وسائل الإعلام المحيطة..... 65, 66
وسائل التقنية 140, 201
وسط محيط..... 70
وسط مدينة لندن 12
وسم المدينة 133, 178
وضع راهن 24
وضع مكاني..... 44, 104, 114
وضوح في الخلفية 143, 199
الوطن العربي..... 20
وظائف الفضاء 75
وظيفة المدينة..... 207
وعي أخلاقي 168
وعي بشري 47
وعي جماعي 52
وعي جمعي 23, 204
وعي داخلي 28
وعي معرفي 54
ولاية أريزونا 61
ولاية ستيريا..... 11
ولاية ميسوري..... 156
وليام بلوم..... 118
وليام جيمس 146, 147, 149

وليم شكسبير 39
وولفجانج ستوك..... 174, 175

ي

اليابان 161, 181
ياماناشي مركز الإذاعة والصحافة 160
يوجين مينكوسكيوال 63
يورن أوتزون..... 29
يي–فو توان 34, 82, 87, 97, 118, 202
اليونان 146
اليونسكو 179

ولد في مدينة الإسكندرية، جمهورية مِصر العربية في العام 1956، حصل على بكالوريوس الهندسة المِعمارية من جامعة الأزهر في العام 1980، والماجستير في العام 1987 والدكتوراه في العام 1992، وكليهما في قسم العِمارة في جامعة القاهرة، مِصر. وهو حاليًا أستاذ مُتفرغ العِمارة والعُمرّان والتصميم الحضري في المركز القومي لبحوث العِمارة والإسكان HBRC في القاهرة بمِصر. عمل كأستاذ في برنامج التصميم الحضري في قسم عِمارة البيئة في جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية فيما بين الأعوام 1995 إلى 2008. دَرَّس في بعض الجامعات المِصرية ومؤسسات التعليم العالي. لديه 35 ورقة بحث و40 مقالة علمية وفنية منشورة في دوريات عربية ومِصرية وغربية، و22 أدبية منشورة وتحت النشر.

1. *الكفاءة والتشكيل—مدخل لتصميم وتخطيط المواقع* (1992) (عدد الصفحات 222)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر.
2. *مهنة عِمارة البيئة* (2002) (عدد الصفحات–295)، مطابع: دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، مِصر، بالاشتراك مع م. بدر عبد العزيز بدر.
3. *حكايات ويوميات من ذاكرة عُمرّان المدن—ترانيم 2002* (عدد الصفحات 152)، مطابع: دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، جمهورية مِصر العربية، بالاشتراك مع د جمال عبد الغني (راسم الحكايات)، وحاليًا تُجهز طبعة منقحة تحت النشر (عدد الصفحات 171).
4. *تقييم ما بعد الإشغال* (2007) (عدد الصفحات 282)، أدبية مترجمة ومحكمة عن أدبية أمرّيكية منشورة عنونتها: Post Occupancy Evaluation، كلية العِمارة والتخطيط، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، قُبلت في 28 نوفمبر 2004، بالاشتراك مع رافع حقي ومصطفى جبر.
5. *موضوعات حول مهنة عمارة البيئة—الكتاب الثاني: التقييم– التعليم– التصميم* (2007) (عدد الصفحات 425)، أوراق علمية محكمة ومجمعة (في الفترة بين 1997–2002)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر.
6. *عِمارة وعُمرّان الألفية الثالثة من تداعيات الخيال: الكتاب الأول—الخيال الملكة الغائبة* (2010) (عدد الصفحات– 676)، جمعية إحياء التراث التخطيطي والمعماري، مرّكز الدراسات التخطيطية والمِعمارية، القاهرة، مصر.
7. *عِمارة وعُمرّان الألفية الثالثة من تداعيات الخيال: الكتاب الثاني—المرّشد في العُمرّان*، (2010) (عدد الصفحات 350)، جمعية إحياء التراث التخطيطي والمعماري، مرّكز الدراسات التخطيطية والمِعمارية، القاهرة، مِصر. ونُشرت في طبعة مُنقحة في أدبية *لغة التصميم الحضري* رقم [11].
8. *فن المدينة: تفنيد الخطاب الفكري—بقصد التنوير المعرفي، منهج التصميم الحضري عابر الاختصاص* (2015) (عدد الصفحات 205)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر.
9. *موضوعات حول مهنة عِمارة البيئة—الكتاب الأول: نحو التنمية والتأهيل* (2011) (عدد الصفحات 276 باللغة العربية+ 53 باللغة الإنجليزية)، أوراق عِلمية مُحكمة ومجمعة (في الفترة بين 1992–1997)، القاهرة، مصر. منشور كاملاً في الموقع الإلكتروني بمرّكز الدراسات التخطيطية والمعارية، القاهرة، مِصر، وتُجهز للنشر في صورة ورقية.

10. *لغة التصميم الحضري، نحو نَحت مُصطلحي مَفهومي جَديد في مَيدان العِمارة والعُمرَان*، (2017) (عدد الصفحات 372)، تحرير: عبير الشاطر، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر.

11. *البعد الثالث: عِمارة وعُمران العصر الحضري*، (2018) (عدد الصفحات 180)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر.

12. *البعد الخامس: التصميم الحضري–أجواء المدينة*، (2018) (عدد الصفحات 282)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر.

13. *البعد السابع: التصميم الحضري– نظرية الخيال*، (عدد الصفحات 232)، (2018)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر.

14. *نحو مدينة—اتجاهات التصميم الحضري: النظام والأمل*، (2018) (عدد الصفحات 186)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر.

15. *التصميم الحضري: تاريخ الفكر وحصيلة التحولات–المقدمات*(2018) (عدد الصفحات 316)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مِصر. جمعية إحياء التراث التخطيطي والمـِعماري، مرّكز الدراسات التخطيطية والمِعمارية، القاهرة، مصر. (طبعة ثانية مُنقحة من الإصدار رقم [6])

16. *التصميم الحضري: الخيال وفكر التصميم* (2018) (عدد الصفحات 220)، جمعية إحياء التراث التخطيطي والمـِعماري، مرّكز الدراسات التخطيطية والمِعمارية، القاهرة، مصر. (طبعة ثانية مُنقحة من الإصدار رقم [6])

17. *The Art of the City—Refutation of Intellectual Discourse toward knowledge Enlightenment*, (2016) (136 pages), Partridge Publishing Africa, A penguin Random House Company, South Africa.

18. *The Unknown Cities: From Loos of Hope to well-being* (2016) (208 pages), with Abeer Elshater, Partridge Publishing Africa, A penguin Random House Company, South Africa.

19. *What is Urban Design; Learning and Teaching*, (2016) (209 pages), with Abeer Elshater ،Partridge Publishing Africa, A penguin Random House Company, South Africa. (Arabic and English).

20. *Architecture Evermore:* The World of Architecture Via the Western Thought an Extended Term, (2017) (140), with Abeer Elshater, Partridge Publishing Africa, A penguin Random House Company, South Africa.

21. *Back to the Order, Urban Design Normative Theory: Managing Urban Chaos in the Cities of Hardship* (2017), (130 pages), with Abeer Elshater Lambert Academic Publishing, Saarbrücken, Germany.

22. *Urban Design Untold: Atmospheric architecture -Loss of singularity* (2018) (315). Under Publishing.

التصميم الحضري الذي لا يوصف...

هو كتاب يستعرض كيف أن جو المدينة قد شكل جوهر العِمارة والعُمران وبعدها الخامس لبناء التفرد في المستقرات الجديدة. فالانفراد والأجواء بمثابة الوسطاء لتوليد قوة التجربة البشرية في المدينة. ويعرض هذا العمل القصة غير المروية حول التصميم الحضري فى المدن الجديدة حسب جوهر الانفراد. فمحاولات الانفراد على اختلاف أنماطها هي للتمظهُر بشكل مُتمايز عن الـ "نحن." والمعنى أنه سوف يكون ثمة تمييزًا في مرحلة ما بعد الانفراد بين مدينةٍ والمدن الأخرى، ليس فحسب على أساس البنية الكلية لشكل وتشكيل المدينة، وإنما من خلال التفريق بين أفكار التصميم في مستوى خلق المدينة والمعاني الخبيئة في مستوى الناس في المجال العام. يتضمن هذا العمل ثلاثة استفسارات يتناول الأول 'لماذا' لم تعد رؤى المدينة الجديدة تفعل في الوعي الجمعي لناس المدينة ما كانت تحققه المدن التقليدية؟ ويتناولان الثاني والثالث على التوالي 'ما' الذي جعل من غياب الانفراد حالة مُهيمنة؟ و'كيف' يمكن معالجة هذا الغياب بل وجعل المدن ذات جوهر وطبيعة منفردة؟ تتركز مساهمة هذه الكتاب في تقديم تيار ومفاهيم تصميم حضري جديدة، وبالاستناد إليها يمكن اقتراح نهج "مدينة عابرة النماذج الفكرية لخلق مدن جديدة تتمتع بالانفراد.